

ديوان السلیمانیاة

(الجزء السادس عشر)



نحو شعر عربي أصيل وهادئ وبناء وجاد ومحترم

يا (عزة) الخير ، عاتٍ ذلك النبا
ومُنذ سمعناه ، والقلوبُ لأعجاة
وبالعيون دموعٌ ، لا يُكفّفها
وبالخواطر أحزانٌ تجنّدها
والمُشْتكى - لمليكِ الناس - واللجأ
وبالنفوس أسىً ، يبدو ويختبئ!
تجلدُ نتقي به ، ونَدْرئ!
والصبرُ - من ثقل الأواء - يهترئ

الطبعة الأولى



ديوان السُّليمانيات

(الجزء السادس عشر)

عَزَّةُ الْخَيْرِ

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

الإهداء

الحمد لله الذي رسم - في جميع مصنوعاته ومخلوقاته على وجوده وجلاله وجماله وكماله - دليلاً ، الحي القيوم العليم السميع البصير الملك الكبير ، لا يدركه الوهم ولا يحده الفكر تمثيلاً ، تعالى ذو الملك والمَلَكوت ، لم يزل ولا يزال عظيماً مقتدرًا جليلاً ، تقدس ذو العزة والجبروت والقهر ، فلا تستطيع الأوهام إليه وصولاً! الكل تحت قهره ونظره في جميع الأحوال ، فتبارك من وفق من شاء لخدمته وعبادته ، فشتان ما بين رجال ورجال! الحمد لله البعيد في قُربه ، القريب في بعده ، المتعالي في رفيع مجده ، عن الشيء وضده ، الذي أوجد بقدرته الوجود بعد أن كان عدماً ، وأودع كل موجود حكماً ، وجعل العقل بينهما حكماً ، ليميز بين الشيء وضده ، وألهمه بما علمه فعلم مُرّ مذاق مصابه من حلاوة شهبه ، فمن فكر بصحيح قصده ، ونظر بتوفيق رُشده ، علم أن كل مخلوق موثوق في قبضتي شقانه وسعده ، مرزوق من خزائن نعمه ورفده! الحمد لله رب العالمين أحمدته حمد من رأى آيات قدرته وقوته ، وشاهد الشواهد من فردانيته ووحدانيته ، وطرق طوارق سره وبره ، وقطف ثمار معرفته من شجر مجده وجوده ، وأشكره شكر من اخترق واغترف من نهر فضله وإفضاله ، وأؤمن به إيمان من آمن بكتابه وخطابه ، وأنبيائه وأصفِيائه ، ووعده ووعيده ، وثوابه وعقابه! إنه لمعلوم لكل مسلم أن الله واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، ولا شيء يعجزه ، ولا إله غيره. قديم بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء ، لا يفنى ولا يبدي ، ولا يكون إلا ما يريد. لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام ، ولا يشبه الأنام ، حي لا يموت ، قيوم لا ينام. خالق بلا حاجة ، رازق بلا مؤنة ، مميت بلا مخافة ، باعث بلا مشقة. ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته ، وكما كان بصفاته أزلياً ، كذلك لا يزال عليها أديماً ، ليس بعد خلق الخلق بات له اسم الخالق ، ولا بإحداث البرية بات له اسم الباري. له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق. وكما أنه محيي الموتى بعدما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم. ذلك بأنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لا يحتاج إلى شيء ، (ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير). خلق الخلق بعلمه ، وقدر لهم أقدارا ، وضرب لهم آجالاً. لم يخفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم ، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته. وكل شيء يجري بتقديره ومشينته ، ومشينته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن. يهدي من يشاء ، ويعصم ويعافي فضلا ، ويضل من يشاء ، ويخذل ويبتلي عدلا ، وكلهم يتقلبون في مشينته بين فضله وعدله. وهو متعال عن الأضداد والأنداد ، لا راداً لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره. أمنا بذلك كله ، وأيقنا أن كلا من عنده. اللهم إن هذه الأكف تستقيلك من سوء ما عملت ، وتستغفرك لها ولأهل بيوتها ولجيرانها ولأصحابها ولطلابها ولأحبابها ولأهل مودّتها ولذوي الحقوق عليها ، وتستغفرك لأهل لا إله إلا الله ، حتى الغافل منهم ، حتى المعرض منهم ، حتى وهو هذه الساعة في بنس الحالة يا الله نستغفرك لهم نستغفرك لهم ، فاغفر لنا ولهم ، وإليك نتوب توبة نصوحاً لا نعود للمعاصي بعدها أبداً ، فتب علينا يا خير التوابين ، واغفر الذنب يا خير الغافرين. إلهي ضاقت صدور الصالحين من توالي الأوقات في الكربات والزلات والغفلات والشتات والآفات والعاهات ، والتسلطات للفاجرين وللكفار ولأعداء الدين ، وانتهاك الحرمات منهم ، ليلاً ونهاراً سراً وإجهاراً ، يا رب أغث ، بأسمائك الحسنی وبصفتك العلا أقسمنا عليك ، إلا ما تدراكتنا بالغيث العاجل ، يا ربنا يا قدير

ينصرف هذا العام بالبلايا ، يا رب عامنا هذا يُختم بالفرج ، عامنا هذا يختم بفتح الباب المرتج ، عامنا هذا يختم بتقويم المعوج ، يا الله طالت علينا وعلى الناس النوب ، يا الله اشتد الكرب ، عظم الخطب ، ونحن نسألك بصالح أعمالنا أن تصرف عنا شر القضاء ، فكم من طفل امتدت إليه أيدي الأعداء ، أعداؤنا وأعداؤك يا الله تسلطوا علينا ، يا الله ونساء منا وأطفال منا وشيبان وشيوخ منا وشباب منا وقعوا في سلطة الأعداء ، وحلَّ بهم ونزل بهم البلاء يا الله اللهم فرِّج عليهم ، ادفع البلاء عنهم ، أصلح شأنهم يا رب ، وهؤلاء الذين كثرت غفلتهم وعظم إعراضهم من يوقظهم يا الله ، نور توبةٍ يمتد يملأ الأرض يا تواب ، يا تواب تب علينا وعلى العاصين والمذنبين يا الله من أهل العقيدة الصافية والتوحيد الخالص ، وهؤلاء العصاة حلَّ بينهم وبين الذنوب بعد اليوم ، وهؤلاء المفرطون حلَّ بينهم وبين المعاصي ، يا الله نستودعك ما أنزلته في هذه العشية ، فلا تسلبهم إياه ولا تعرّضهم بعدها لخطيئة ، يا الله ما بنا وبالأمة إلا الذنوب ، ما بنا وبالأمة إلا المعاصي ، لكن الملجأ أنت ، لكن اللياذ بك ، لكن الملجأ إليك ، وليس الفرار منك إلا إليك ، فيا الله حلَّ عقدة الإصرار على الذنب لا انصرفنا إلا محفوظين فيما يبقى حتى نلقاك بوجوه بيضاء وقلوب طاهرة وأفئدة نقية ، يا الله يا الله اختم أعمارنا بلا إله إلا الله ، إنه كلامنا بلا إله إلا الله ، إطو صحائفنا على لا إله إلا الله ، ذكرنا عند الموت يا ربنا بلا إله إلا الله ، ليكن آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله ، لندخل قبورنا بلا إله إلا الله ، لنأنس من الوحشات بأنس لا إله إلا الله ، لنحشر يوم القيامة في زمرة أهل لا إله إلا الله ، وذلك حق لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أما بعد فإن ديواننا الأخير هذا (عزة الخير) أهديه لأم أبنائي ورفيقة دربي ومن أحببتها في الله وعلى هدى منه وكتاب منير ، كما وأفتخر أنني أحببتها في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووفق سنته المباركة وهديه القويم ، كما وأفتخر أنني أحببتها في الإسلام وعلى منهجه وشريعته! فأتى ذلك الحب علاقة طيبة ميمونة بين مد الحياة وجزرها! كانت أشبه ما تكون بالسفينة التي تتقاذفها الأمواج في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب! وسادت ظلمات بعضها فوق بعض ، كنت وإياها في هذه الظلمات أشبه ما نكون بمن إذا أخرج يده لم يكد يراها! ولولا أن الله جعل لنا نوراً من كتابه وسنة نبيه لتخبطنا كما تخبط المتخبطون ، ولتهوكننا كما تهوَّك المتهوكون! وعرفاناً بمسيرة حياة امتدت إلى اليوم ربع قرن من الذكريات والأشواق ، أهديها هذه الديوان المبارك الميمون! ليكون مدى الأيام دليلاً على حبي وتقديري واحترامي لها! ولنلا يكون ذلك الحب لغزاً من ألغاز العمر ، يتكهن المحيطون بنا أسرارها ، عمدتُ لأن أجعل جُل قصائده مباشرة لا تنقصها الصراحة ولا يعوزها الوضوح ولا يغيب عنها البيان! ليدرك الجميع من أبنائنا وأقربائنا وقراننا قصة الحب الحقيقية عندما أنشأناها سوية على كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -. والعديد من القصائد الأخرى التي كتبتها وأنشدتها في (عزة) أم عبد الله ، في دواويني الأخرى تكمل بيان الصورة وتزيد هذه القصة وضوحاً وبياناً! ولعلني في مرحلة أخرى - إن كان في العمر بقيه - أجعل هذه القصائد في ديوان موحد! ذلك أن جعل القصائد التي كتبتها متعلقة بأم عبد الله في صورة كلية شاملة مستقلة تجعل من أم عبد الله حافزاً على الإلهام والإنشاد! اللهم تقبل هذا الديوان بصفةٍ وسائر دواويني بصفةٍ عامة ، وضاعف لنا أجر كتابته وتول نشره في العالمين! واجعل أفئدة من القراء تهوي إليه ، وارزقهم فهمه واهداهم لكل خير حواه ، وجنبهم كل شر احتواه! أنت ولي ذلك والقادر عليه!

المقدمة

الحمد لله تبارك وتعالى الذي تفرّد بعز كبريائه عن إدراك البصائر ، وتقدّس بوصف علاه عن الأشباه والنظائر ، وتوحّد بكمال جبروته فلا العقل في تعظيمه حائر ، وتفرّد في ملكوته فهو الواحد القهار الأول قبل كل أول الآخر بعد كل آخر ، الظاهر بما أبدع فدليل وجوده ظاهر ، الباطن فلا يخفى عليه ما هجس في الضمائر! الحمد لله جل وعز الغفور الذي ستر بستره وأجمل ، الشكور الذي عمّ ببره وأجزل ، الرحيم الذي أتم إحسانه على المؤمنين وأكمل ، الواحد الأحد القدوس الصمد الأول المنفرد بالعز والكمال فلا ينتقص عزه ولا يتحول ، الحي العليم القدير السميع البصير المتكلم بكلام قديم لا يتغير ولا يتبدل ، أحمده على ما أنعم وأكرم وتفضل! الحمد لله العظيم الجليل الذي تفرّد بأوصاف عظمتة وكمال ، وتقدّس بعز كبريائه وجلاله ، وتوحد بالخلق والإبداع فلا شريك له في أفعاله ، وعم كل مخلوق جزيل أفضاله ونواله ، هو الأول والآخر بالقدم والبقاء ، الظاهر والباطن بالقهر والكبرياء ، القدوس الصمد الغني عن جميع الأشياء ، الواحد الأحد المنزه عن جميع والأشباه والشركاء. الحمد لله الغني الحفي ، القوي الولي ، الوفي العلي عن مظنة الأوهام ، العظيم الحليم ، الحكيم العليم ، الرحيم العلام ، الأول بوصف القدم ، الآخر فلا يجوز عليه العدم ، الظاهر الذي لا تخفى معرفته إلا على من جحد أو ظلم ، المنفرد بأوصاف الكمال ، المتوحد بنعوت الجلال ، الصمد الذي لم يزل ولا يزال تلجأ إليه الخلائق ، سبحانه هو الله الكبير المتعال! ابن آدم انتبه لما أنت فيه اليوم ولما ستصير إليه غداً ، وأنصت معي للدكتور علي القرني حيث ينصحننا جميعاً بقوله: (اعلم أن الذي قدّر عليك الأقدار حكيم خبير لا يفعل شيئاً عبثاً ولا يقدر شيئاً سدى بل هو رحيم تنوعت رحمته سبحانه وبحمده ، يرحم العبد فيعطيه ، ثم يرحمه فيوفقه للشكر ، ثم يرحمه فيبتيه ، ثم يرحمه فيوفقه للصبر ، ثم يرحمه فيكفر بالبلاء ذنوبه وأثامه ، ثم ينمي حسناته ويرفع درجاته ، ثم يرحمه فيخفف من مصيبته وطأتها ، ويهون مشقتها ثم يتمم أجرها ، فرحمته متقدمة على التدابير السارة والضارة ومتأخرة عنها ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. هذه الكلمات جمعتها من كتيبات وكتب وصغتها لكم صياغة فقط ، بعون من الله وتوفيق منه وتسديد ، إن أكن أصبت فذلك الذي أردت ، وإن تكن الأخرى فحسبي أن ذلك وسعي وجهدي وحسب معرفتي وقدرتي ، عظم الله أجر الجميع وجبر كسرهم وعوضهم خيري الدنيا والآخرة فيما فقدوا وجعل هذه الكلمات في صحائف الحسنات يوم تعز الحسنات خالصة لوجه رب السموات والأرض. اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. يا الله يا حي يا قيوم يا من لا تأخذه سنة ولا نوم ، يا بديع السموات والأرض ، يا فالق الحب والنوى ، يا ذا الجلال والإكرام يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة يا قريب الرحمة ، نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام ، يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، يا من عنت له الوجوه وخضعت له الرقاب ، وخشعت له الأصوات وفاضت له العبرات ، ورغمت له الأنوف ، انقطع الرجاء إلا منك ، وخابت الظنون إلا فيك ، وضعف الاعتماد إلا عليك ، نسألك أن تكفيننا ما أهمنا وما أغمنا وأن تجبر كسرنا ، وأن تعظم أجرنا وأن تعيّننا من شرور أنفسنا ، وأن ترحم موتانا وأن تلتطف بمبتلانا ، وأن ترحم غربتنا في الدنيا ومصرعنا عند الموت ، ووقوفنا بين يديك وأن تقينا من ميتة السوء ومن يوم السوء وساعة السوء ، وليلة السوء وجار السوء وصاحب السوء ، وأن تعيّننا من النفاق وسوء الأخلاق. اللهم إنا نسألك فرجاً عاجلاً للمسلمين مما هم فيه وملاقوه ،

اللهم اكشف كربنا ونفس همومنا واقض حاجاتنا ، اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك ورضنا بقضائك ، اللهم اغفر لجميع موتى المسلمين ، اللهم اجعل قبورهم من الجنة رياضاً. اللهم إنهم عبيدك بنو عبيدك بنو إمامك ، احتاجوا لرحمتك وأنت غني عن عذابهم ، اللهم زد في حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فأنت أرحم بهم من أمهاتهم ، لا إله غيرك ، ولا معبود سواك ، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا).هـ. اللهم ارحم من علمونا وأدبونا وأرشدونا إلى الصراط القويم! أما بعد فإنني إذ أقدم لديواني الأخير هذا: (عزة الخير) فكلي فخر بتحدثي بنعمة الله علي وتفضله ، أن أعاني على إنجاز جُل قصائده وموضوعاته ومقدماته! وأسأل الله أن يتم علي نعمته ، حتى أكمل هذا الديوان ، وألحقه بسابق الدواوين الخمسة عشر! آملاً أن تكون معي هذه الدواوين في جنات النعيم ومعني أبنائي وأهلي وقرابتي وأحبابي من المؤمنين الموحدين لنتذكر سوية ما عشناه في حياتنا الدنيا! وهذا أقوله طمعاً في رحمة ربي وجوده ، وهو سبحانه القائل: (ولهم فيها ما يدعون) والقائل: (لهم فيها ما يشاؤون)! وإذا كان ذلك كذلك فما أدعيه وأريده في الجنة أشعاري هذي! فاللهم احفظها عندك ليوم يكون فيه المؤمنون من أهل الجنان في جنات النعيم واجعلني برحمة منك من بينهم ، وحقق لي أمنيته من جعل شعري معي في الجنة! وليس هذا على الله بعزيز! والأصل أن يقدم الشاعر للجماهير قامة من قامات الأدب العربي! وذلك بعد أن تتطوع مشكورة وتتفضل مأجورة بمراجعة هذه الأشعار والاهتمام بها وتنقيحها وتحقيقها وتدقيقها وتهذيبها ابتغاء وجه الله تعالى ، إيماناً من هذه القامة بما تحمله هذه الأشعار من الرسالة والقيم والمبادئ ، التي يرجو كاتبها كما ترجو هذه القامة هداية الناس إليها! ولكن للأسف يأتي هذا الديوان بعد رحيل الدكتور عدنان النحوي – رحمه الله تعالى – ، ورحيل الأستاذ الشاعر الناقد الأدبي سالم النوبي – رحمه الله رحمة واسعة –. وكنت في الآونة الأخيرة قد انعطفت على نفسي وعزفت عن كثير من الغناء والغوغاء ، وأدركت أن في بيتي وأسرتي غنية عن كثير من ذلك الغناء وتلك الغوغاء! وما دمت قد عدت فيما أعلم من يحقق ويدقق وينقح وينقد وينصح ، اجتهدت رأيي في ضوء ما ورتته من نصائح وأشعار ووصايا النحوي والنوبي – رحمهما الله – في أن أجعل هذا الديوان الحبيب على ذات النفس وذات الرؤية التي أنجزت عبرهما الدواوين الخمسة عشر السابقة! وكان (النحوي والنوبي) قد تفضلا بمراجعة جُل قصائد هذا الديوان منذ سنين عدداً والله الحمد! وهذا شرف كبير لي بوجه خاص ولأشعاري بوجه عام! وكنت قد حرصت على تلاشي الأخطاء التي أخذها علي في قصائد سبقت! وتأتي هذه المقدمة لهذا الديوان - في غياب من يقدمني وأشعاري للناس – إكمالاً ل فراغ أوجدته الساحة الأدبية اليوم بسبب خلوها من القامات والعباقرة والجهابذة! وأسأل الله أن ينفع بهذه الأشعار من قرأ ونقد ونصح ونقح ودقق وحقق ، ولو بعد حين! علماً بأن ما حواه هذا الديوان من الحق والعدل والخير والقيم والمبادئ فمن الله وحده نعمة منه سبحانه وفضلاً ومنة وتكرماً ، على عبد من عباده كان قد سأل يوماً أن يُلين له فنون البيان فآلتها ، وأن يجعل شعره خالصاً لوجهه وفي سبيل الدفاع عن الإسلام والمسلمين! وما احتوى ذلك الديوان من الغلط أو الخطأ أو الانحراف أو الهزل أو الركاكة فمن نفسي وهواي وشيطاني! والله تعالى من هذا كله براء! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

التمهيد

الحمد لله الحي العليم السميع البصير القادر ، المتكلم بكلام قديم أزلي هو به ناهٍ وأمر ، زين قلوب العارفين بنور هدايته فأضاء منها السرائر ، من رضي بدونه فهو الخائن الغادر ، الشقي من حرمه ، والسعيد من رحمه ، والطريد من حجبه ، والقريب من جذبه ، والنادم من أهانه ، والسالم من أعانه ، وقد علم الولي والعدو والرايح والخاسر! الحمد لله الذي وفق العاملين لطاعته فوجدوا سعيهم مشكوراً ، وحقق آمال الآملين برحمته فمَنحهم عطاء موفوراً ، وبسط بساط كرمه وعفوه للتائبين فأصبح وزرهم مغفوراً ، وأسبل من نعمه على الطالبين وإبلاً غزيراً ، سبحانه فتح الباب للطالبين ، وأظهر غناه للراغبين ، وأطلق للسؤال السنة القاصدين ، وقال في كتابه المبين: (ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)! الحمد لله الحي العليم فلا يخفى عليه خافية ، السميع البصير سواء عنده السر والعلانية ، المرید القدير وشواهد قدرته واضحة كافية ، المتكلم بكلام قديم أزلي وصلت بركاته إلى القلوب الصافية ، سبحانه من مولى إن أطعته أدناك ، وإن اكتفيت به أغناك ، وإن دعوته لبي دعاك ، وإن ابتعدت عنه ناداك! الحمد لله الذي خلق الإنسان من سلالة ، وركب بلطف حكمته مفاصله وأوصاله ، ورباه في مهاد لطفه ثلاثين شهراً حملاً وفصاله ، وزينه بالعقل والحلم وأزال عنه ظلماء الجهالة ، فسبحان من اختار الصالحين الموحدين من عباده لنفسه ونعمهم بأنسه وأجزل لهم نواله ، ويستر لكل واحد منهم سبيل السعادة وحقق آماله ، وأجزل نصيبه من التوفيق وقبل أعماله! عَشْ معي أيها القارئ هذه السطور مع الدكتور علي القرني: (تخيل وليداً عمره شهرٌ واحد ، قضى الله ألا يعيش سوى هذا الشهر فقبضه ديان يوم الدين ، وقبر مع المقبورين ، وبينما هم في قبورهم: إذ نفخ في الصور ، وبُعِثَتِ القبور ، وخرج المقبور ، وكان في من خرج ذلكم الصبي ذو الشهر الواحد ، حافياً عارياً أبهم ، نظر فإذا الناس حفاة عراة رجالاً والنساء كالفراش المبثوث. الجبال كالعهن المنفوش ، السماء انفطرت ومارت وانشقت وفتحت وكشطت وطويت. والجبال سُيرت ونسفت ودكت ، والأرض زلزلت ومُدت وألقت ما فيها وتخلت. العشار عطلت ، الوحوشُ حشرت ، البحارُ فجرت وسجرت. الأمم على الركب جثت وإلى كتابها دُعيت ، الكواكبُ انتثرت ، النجومُ انكدرت. الشمسُ كورت ومن رؤوس الخلائق أدنيت. الأممُ ازدحمت وتدافعت ، الأقدامُ اختلفت ، الأجوافُ احترقت ، الأعناقُ من العطش وحر الشمس ووهج أنفاس الخلائق انقطعت ، فاض العرق فبلغ الحقيوين والكعبين وشحمة الأذنين. والناسُ بين مستظلٍ بظل العرش ، ومصهورٍ في حر الشمس. الصحفُ قد نشرت ، والموازينُ نصبت ، والكتبُ تطايرت ، صحيفةٌ كل في يده مُخبِرةٌ بعمله ، لا تغادرُ بليَّةً كتمها ، ولا مخبأة أسرها. اللسانُ كليلٌ والقلبُ حسيِّرٌ كسير ، الجوارحُ اضطربت ، الألوانُ تغيرت لما رأت ، الفرائضُ ارتعدت ، القلوبُ بالنداءِ قُرعت ، والموعودَةُ سألت ، والجحيمُ سعرت ، والجنةُ أزلقت. عظمُ الأمر ، واشتدَّ الهول ، والمرضعةُ عما أرضعت ذُهلت ، وكلُّ ذاتٍ حملٍ حملها أوقعت. زاغت الأبصارُ وشخصت ، والقلوبُ إلى الحناجرِ بلغت ، وانقطعت علانقُ الأنساب. وتراكت سحائبُ الأهوال ، وأنجم البليغُ بالمقالِ وعتت الوجوهُ للقيوم. واقتَصَ من ذي الظلم للمظلومِ وساوت الملوکُ للأجنادِ ، وأحضرَ الكتابُ والأشهادُ. وشهد الأعضاءُ والجوارحُ ، وبدت السوءاتُ والفضائحُ ، وابتليت هنالك السرائرُ ، وانكشف المخفي في الضمائر. هنا ، تخيل ذلك الوليدُ صاحب الشهر الواحد ، ما اقتترف ذنباً وما ارتكب جرماً والأهوالَ محدقةً به من بين يديه ، ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، تخيلة مذعوراً قلبه ،

اشتعل رأسه شيباً في الحال لهول ما يرى ، فيا لله لذلك الموقف).هـ. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم آت نفوسنا تقواها. اللهم زكّها أنت خير من زكّاها أنت وليها ومولها. وأنت أرحم الراحمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وانصر عبادك الموحدين. اللهم ارحم من لا راحم له سواك ، ولا ناصر له سواك ولا مأوى له سواك ، ولا مغيث له سواك. اللهم ارحم سانلك ومؤمك لا منجأ له ولا ملجئ إلا إليك. اللهم كن للمستضعفين والمضطهدين والمظلومين. اللهم فرّج همهم ونفس كربهم وارفع درجاتهم واخلفهم في أهليهم. اللهم أنزل عليهم من الصبر أضعاف ما نزل بهم من البلاء. يا سميع الدعاء ارحم موتى المسلمين ، اللهم إنهم عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك احتاجوا إلى رحمتك وأنت غني عن عذابهم ، الله زد في حسناتهم ، وتجاوز عن سيئاتهم أنت أرحم بهم وأنت أرحم الراحمين. يا حي يا قيوم هذا الوفاء وفدوا عليك وهرعوا إليك ولو وقفوا بباب عبد من عبادك وهبته من وصف الكرم فضجوا إليه لرحمهم ولأعطاهم ما سألوا ، ومن ذا أكرم منك يا كريم ، ومن ذا أرحم منك يا رحيم ، أرواحهم اللهم فنظفها ، وقلوبهم طهرها ، ونفوسهم زكّها ، أفندتهم صفها ، نواياهم طهرها ، يا الله اجعل سرائرنا مستودعاً لأنوارك ، واجعل قلوبنا مستودعاً لمحبتك ، وارقتنا كمال المعرفة بك يا الله لا انصرفنا من دنيانا إلا وقد تعرفت إلينا ، وأقبلت بوجهك علينا ، يا الله يا كريم لا تقض بنا الأعمار بلا معرفة بك ، فإلى أين نمضي وإلى أين نمشي؟ يا إلهنا يا ملكنا يا خالقنا ارحمنا برحمتك الواسعة ، شفّع فينا نبيك المصطفى. أما بعد فإنني إذ أمهد لهذا الديوان: (عزة الخير) فأراني بحاجة ماسة لقوله تعالى: (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي). ذلك أنني أشعر في إخراج ديوان له شأنه عندي ، وآمل أن أوفق فيه لأبعد مدى ممكن ، ليكون ترجمة لحبي وتقديري لمن أسميت باسمها! حيث كانت قصتي معها قصة حب وحياة حقيقية ، امتدت عبر ربع قرن إلى اليوم! إنه شريط من الذكريات بين حلو الحياة ومرها وفرحها وترحها! وأمرٌ كهذا ليس هيناً كما يتوهم البعض! وكالعادة أحاول ألا يكون الديوان ذا موضوع واحدٍ وهدفٍ واحدٍ وهم واحد! بل هناك في كل ديوان مجموعة من القصائد صيغت في شتى الموضوعات جامعة بين جميع أغراض الشعر العربي الموافقة للشريعة الإسلامية ، ومكتوبة على كل بحور الشعر العربي الستة عشر! وذلك في محاولة مني لجعل القراء الأعزاء لا يشعرون بالسامة ولا الملل! كما لا تتسرب الرتابة إلى قلوبهم وهم يُطالعون ما من الله به علينا من شعر! والحقيقة أنني شرعت في كتابة هذا الديوان لأبين حقائق ينفع الله بها كل زوجين متحابين وفق منهج الله تعالى كتاباً وسنة! وغداً نموت ويبقى هذا الشعر شاهداً لنا بالخير ، وهذا ظننا بالله تعالى حيث لم أكتبه إلا في الله تعالى وعلى بيّنة منه وفي سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض! ولا أكاد أذكر أنني يوماً سخرت قلبي وشعري للترويج لباطل أو للدفاع عن الشر وأهله! اللهم من حال بين الناس وبين أشعاري فحل بينه وبين عقله وجوارحه وشتت شمله وانتصر لي منه وعوّضني الخير كله! اللهم من أعانني على نشر وإيصال هذه الأشعار للناس فبارك له في ماله وأحواله وعياله وسدد رميته ووفقه لكل خير! إن إنجازي لديوان: (عزة الخير) يعتبر منة كبيرة من الله علي! حيث إنني كنت أخاف وأشفق على نفسي أن أموت ولا أرى هذا الديوان يتبوأ مكانه بين إخوته دووايني الخمسة عشر! وهذا من فضل الله علينا ولله الفضل والحمد والمنة! ومنه سبحانه التوفيق والسداد!

الافتتاحية

الحمد لله الغفور الودود ، الكريم المقصود ، الملك المعبود قديم الوجود ، المتعالي عن الأمثال والأشكال والجهات والحدود ، لا يخفى عليه دبيب النملة السوداء في الليالي السود ، ويسمع حس الدود في خلال العود ، وتردد الأنفاس في الهبوط والصعود ، القادر الذي منح جميع خلقه الوجود ، وبمشيئته تصارييف الأقدار! الحمد لله رب العالمين المنفرد بالقدم والبقاء والعظمة والكبرياء والعز الذي لا يرام ، الصمد الذي لا بصوره العقل ولا يحده الفكر ولا تدركه الأفهام ، القدوس الذي تنزهه عن أوصاف الحدوث فلا يوصف بعوارض الأجسام الغني عن جميع المخلوقات فالكل مفتقر إليه وهو الغني على الدوام ، سبق الزمان فلا يقال متى كان ، وخلق المكان فلا يقال أين كان ، فتبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام! الحمد لله منشيء الموجودات ، وباعث الأموات ، وسامع الأصوات ، ومجيب الدعوات ، وكاشف الكربات ، عالم الأسرار ، وغافر الأوزار ، ومُنجي الأبرار ، ومُهلك الكفار الفجار ، ورافع الدرجات ، الذي علم وألهم ، وأنعم وأكرم ، وحكم وأحكم ، وأوجب وألزم (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات)! إلهي بمحبتك من أهل السموات والأرضين لا تجعلنا نغادر هذه الدنيا إلا وقد أثبتنا في المحبوبين يا رب العالمين اجعلنا في المحبوبين لك والمحبوبين لنبيك يا الله ، والشرع الذي بعثت به هذا الحبيب فبلّغه إلينا وأوصله إلينا ، يا رب هؤلاء بإذنك ينوون أن يقوموا به ، وأن ينفذوه وأن يطبقوه وأن يعملوا به وأن ينصروه وأن ينشروه ، إلهي فأقبل منهم معاهدة تجدد به عهدك الأول ، ووفقهم للوفاء ، لا يعصون بعدها ، لا يكذبون بعدها ، لا يؤذون مسلماً بعدها ، لا يقطعون رحماً بعدها ، لا يؤخرون صلاة بعدها ، لا يتعرّضون للسوءات بعدها ، يا رب اصرف عنهم السوء ، واجعل بيوتهم معمورة بالأدب معك ، واجعل بيوتهم معمورة بإقامة شرعك ، واجعل أسرهم قائمة بنصرك ونصر رسولك ، على ذلك نحيا وإياهم ، ونبعث مع أهل ذلك من الموفين بعهدك ، فإنا نسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود ، مع المقربين الشهود ، والركع السجود ، الموفين لك بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وأنت تفعل ما تريد ، ما تريد بنا بعد هذا العمر؟ ما تريد بنا فيما بقي من حياتنا؟ ما تريد بنا عند الغرغرة؟ ما تريد بنا إذا نازلتنا السكرات؟ ما تريد بنا ساعة الوفاة نستعد لها من ساعتنا هذه ، سترد على كل واحد منا شاء أم أبي فكيف حاله في تلك الساعة؟ إلهي بأسمائك الحسنی وصفاتك العلا لا تُخز أحداً منا ومنهم! ولا تعرّض لسوء الخاتمة أحداً منا ومنهم ، يا الله بل بحسن الخاتمة ، فنسألك أن لا تحضر تلك الساعة إلا وقد تغمدتنا برحمة منك. إلهنا وما يفعل ببيت المقدس وحوالي بيت المقدس ، وما يفعل بمقدساتنا وما ينزل فيها من البلاء وما يتسلط عليها من الأعداء لا يخفى عليك فأليك المشتكى. اللهم إن اليهود وأعوانهم أرونا قوتهم فينا وفي الضعفاء منا ، وإننا نقسم عليك في هذه العشية بقوتك وجبروتك وقهروتك إلا ما أريتنا قوتك فيهم ، اجترأوا كثيراً ، غلوا كثيراً ، عاندوا كثيراً ، تكبروا كثيراً ، عليك بهم يا قوي ، عليك بهم يا قهار ، عليك بهم يا مغيث! إلهنا لا تنقضي أعمارنا إلا وقد رأينا فيهم من عجائب قدرتك ما يملأ قلوب المؤمنين الموحدين فرحاً وسروراً ، فإن كان سلطهم علينا تأخرنا عن اتباع سنة نبيك فهذا أنت وهذا نبيك وها نحن فاربطنا به وبسنته ، وارزقنا إحياء سنته والعمل بطاعته ، ولا تفرق بيننا وبينه حتى تُدخلنا مدخله! وإذا حشرته بعد النفخ في الصور وجاءك الأولون والآخرون أصنافاً فحشرت المتقين إلى الرحمن وفدا ، وسقت المجرمين إلى جهنم وردا ، فمعه فاحشرنا ، (يوم لا

يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) ، وإذا كنت لا تخزيه في ذلك اليوم الشديد ، واليوم في سواننا هذا وتضرعنا فهل تخزيه؟ حاشاك يا من أحببته ، ربنا هذه هي أكفنا ترتفع فاسمع وأجب ، يا من تحب الخير للعباد وتريد بهم اليسر هذه أكفهم قد رفعت بالدعاء لك ، يا رب أربتنا في هذا اليوم ظلاً لهذا السحاب منع عنا الشمس في أكثر وقتنا لطفاً منك بنا ، فهل يزيد لطفك اليوم على لطفك إذا دنت الشمس من الرؤوس ، فهناك لا تعرّضنا لحر الشمس ولا لحر النار بعدها ، في ظل عرشك يا رب ، كلنا لا تخلف واحد منا يا الله ما أحسن ما نحن فيه ، ما أجمل حالنا ونحن على باب ربنا نناديه ، يا الله! ما أعذبها من كلمة وما أليقها بالعبيد (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك). ونحن إذ نفتتح لهذا الديوان لنستبشر خيراً أن تلقى قصائده القبول لدى القراء الأعزاء! آمليين أن يوافقنا بكل خطأ تتطرق إليه أعينهم أو عقولهم! والأمر أمر اجتهاد في المقام الأول ، وأنه وكما يقولون: (من ألف فقد استهدف) وكذلك (من ألف فقد وضع عقله على طبق من ذهب لقارئه!) ومن هنا صح القول عندنا بأن الحكم على هذا الشعر من جودته من عدمها سوف يكون لله العلي الكبير من قبل ومن بعد ، ثم للجمهور وللتاريخ بعد ذلك! وعندما نقول الجمهور فنحن نعني أهل التخصص في فنون العربية المختلفة! ذلك أن الشاعر المُعتبر المُجيد لا بد من أن يتقن مجموعة علوم أغلبها يتصل بالعربية ، وأقلها يتصل بالثقافة التي يستقي منها الشاعر مادته الشعرية! وأغلب الشعراء كانوا يراهنون في القديم والحديث على الجماهير المتذوقة للشعر قبل الجماهير المتخصصة فيه! ولقد يشتهر الشاعر شهرة تبلغ الآفاق ويسمع بها القاصي والداني! ولكن عليه أن يسأل نفسه لماذا اشتهر؟ فإذا كان قد اشتهر لأنه يلبي رغبات الناس في الهزل والانحطاط والنيل من القيم ، فإن أمامه متسعاً من الوقت ليُجدد النية وليُصح ما أخطأ فيه وليتدرارك ما زل فيه من التصورات والموازن! إن رضا الناس جميع الناس في وقت واحد غاية لا يدركها أحد مهما استطاع ذلك الأحد ، ومهما تكلف ليرضي الجميع! وإذن فعليه أن يرضي الله تعالى! ومن رواية عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ النَّاسَ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَفَّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ). والحديث صحيح إسناده على شرط الشيخين. وفي رواية أخرى: (مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَفَّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ ، وَمَنْ أَسَخَطَ النَّاسَ بِرِضَا اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤَنَّةَ النَّاسِ). والحديث صحيح. ورواية ثالثة: (من التمس رضا الله بسخط الناس ؛ رضي الله عنه ، وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله ، سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس). والحديث صحيح لغيره. ذلك أنه – وإن كان شاعراً – فهو عبد لله تعالى! والحمد لله ما ابتغيت بما كتبت وجه أحد إلا وجه الله – عز وجل -!

موضوع الغلاف

الحمد لله الإله الواحد الأحد الكبير المتعال ، الحكيم الرؤوف الرحيم الذي لا تخيب لديه الآمال ، يعلم ما أضمر العبد من السر وما أخفى منه ما لم يخطر ببال ، ويسمع همس الأصوات وحس دهمس الخطوات في وعس الرمال ، ويرى حركة الذر في جانب البر وما درج في البحر عند تلاطم الأمواج وتراكم الأهوال ، أفلا يستحي العبد الحقيق من مبارزة الملك الكبير بقبيح الأفعال والأعمال والأقوال؟! الحمد لله العليم الحكيم العزيز الغفار ، القهار الذي لا تخفى معرفته على من نظر في بدائع مملكته بعين الاعتبار ، القدوس الصمد المتعالي عن مشابه الأغيار ، الغني عن جميع الموجودات فلا تحويه الجهات والأقطار ، الكبير الذي تحيرت العقول في وصف كبريائه فلا تحيط به الأفكار ، الواحد الأحد المنفرد بالخلق والاختيار ، الحي العليم الذي تساوى في علمه الجهر والإسرار ، السميع البصير الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار! يا رب اجعلنا نصافح كف نبينا ونرى وجهه ونسمع كلامه ، ونفهم خطابه ونرافق ركبه وإذا مرّ على الصراط وعند عزمه للمرور ونادى المنادي إكباراً له وتكريماً ، اللهم نجنا من أهوال يوم القيامو! حتى لا نسمع حسيس النار ، ولا يؤذينا قشبيها ، ولا يصلنا لهبها ، ولا تتخطفنا كلابيها ، بل اجعلنا نمر أسرع من لمح البصر مع المؤمنين الحنفاء إلى أشرف مستقر. إلهنا اجعلنا بطاعتك من أسعد السعداء ، وأعد عوائد هذه الساعة على جميع أهاليها وجميع أولادنا وجميع جيراننا وجميع أصحابنا وجميع طلابنا وجميع ذوي الحقوق علينا وجميع من ودنا وأحبنا فيك ، وجميع من أحسن إلينا بعائدة بها يفخرون يوم القيامة ، بعائدة بها ينالون الفخر في يوم القيامة ، ويذوقون لذتها في دار المقامة. إلهنا وإذا ناديت أنت بنفسك أهل الجنة وقلت: ألا آتيكم بما هو أفضل من ذلك ، فلذلك الدعاء أسمعنا ، وبلذاته متّعنا ، نسمعك يا ربنا كلنا ، وأنت تقول أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا. نعوذ بوجهك أن تأتي تلك الساعة وأحد منا خارج الباب ، خارج دار الكرامة وخارج الجنة ، يا الله اجمعنا في ذلك المستقر في أشرف مقر ، وارزقنا النظر إلى وجهك الكريم ، وهبنا أعيننا لذلك بكانها من خشيتك وبغضها عن محارمك ، وبسهرها في سبيلك وطاعتك ، يا الله فاغفر لنا ما مضى واحفظنا فيما بقي ، واختم لنا بالحسنى وأنت راضٍ عنا برحمتك يا أرحم الراحمين وجودك يا أجود الأجودين. أفلح من راجع نفسه ووزن أعماله قبل أن توزن عليه: ومن وقف عند أوامر الله بالامتثال ، ونواهيه بالاجتناب ، وحدوده بعدم التجاوز حفظه الله. ومن حفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى حفظه الله. ومن حفظ ما بين فكيه وما بين رجليه حفظه الله. ومن حفظ الله في وقت الرخاء حفظه الله في وقت الشدة. ومن حفظ الله في شبابه حفظه الله عند ضعف قوته: (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)! هاهو الإمام الأوزاعي ذلكم الإمام المحدث الورع الفقيه. حين دخل عبد الله ابن علي ذلكم الحاكم العباسي دمشق في يوم من الأيام فيقتل فيها ثمانية وثلاثين ألف مسلم. ثم يدخل الخيول مسجد بني أمية ، ثم يتبجح ويقول: من ينكر علي فيما أفعل؟ قالوا لا نعلم أحداً غير الإمام الأوزاعي. فيرسل من يستدعيه ، فعلم أنه الامتحان وعلم أنه الابتلاء ، وعلم أنه إما أن ينجح ونجاح ما بعده رسوب ، وإما أن يرسل ويرسب ورسوب ما بعده نجاح ، فماذا كان من هذا الرجل؟ قام واغتسل وتحنط وتكفن ولبس ثيابه من على كفنه ، ثم أخذ عصاه في يده ، ثم اتجه إلى من حفظه في وقت الرخاء فقال: يا ذا العزة التي لا تضام ، والركن الذي لا يرام. يا من لا يهزم جندُه ولا يغلب أولياؤه أنت حسبي ، ومن كنت حسبه فقد كفيته ، حسبي الله ونعم الوكيل. ثم ينطلق وقد اتصل بالله سبحانه وتعالى انطلاقة الأسد إلى ذلك الحاكم. ذاك قد صف وزرائه

وصف سماطين من الجلود يريد أن يقتله وأن يرهبه بها. قال: فدخلت وإذ السيوف مصلته ، وإذ السماط معدة ، وإذا الأمور غير ما كنت أتوقع. قال: فدخلت ووالله ما تصورت في تلك اللحظة إلا عرش الرحمن بارزاً والمنادي ينادي: فريق في الجنة وفريق في السعير. فوالله ما رأيته أمامي إلا كالذباب ، والله ما دخلت بلاطه حتى بعث نفسي لله جل وعلا. قال: فانعقد جبين هذا الرجل من الغضب ثم قال له: أنت الأوزاعي؟ قال: يقول الناس أني الأوزاعي. قال: ما ترى في هذه الدماء التي سفكناها؟ قال: حدثنا فلان عن فلان عن جَدِّكَ ابن عباس وعن ابن مسعود وعن أنس وعن أبي هريرة وعن عائشة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا يحل دم امرئ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث ، الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة). قال: فتلمظ كما تتلمظ الحية ، وقام الناس يتحفزون ويرفعون ثيابهم لنلا يصيبهم دمي ، ورفعت عمامتي ليقع السيف على رقبتى مباشرة. وإذ به يقول: وما ترى في هذه الدور التي اغتصبنا والأموال التي أخذنا؟ قال: سوف يجردك الله عرياناً كما خلقتك ، ثم يسألك عن الصغير والكبير ، والنقيير والقطمير ، فإن كانت حلالاً فحساب ، وإن كانت حراماً فعقاب. قال فانعقد جبينه مرة أخرى من الغضب وقام الوزراء يرفعون ثيابهم ، وقمت لأرفع عمامتي ليقع السيف على رقبتى مباشرة. قال: وإذ به تنتفخ أوداجه ثم يقول: اخرج. قال: فخرجت فوالله ما زادني ربي إلا عزا. ذهب وما كان منه إلا أن سار في طريقه حتى لقي الله جل وعلا بحفظه سبحانه وتعالى. أما بعد فإن مسألة الغلاف صورته وموضوعه يكاد ينشغل به الشاعر أكثر من إخراج الديوان كله وصفه وطباعته ونشره وتوزيعه! ولقد استهان شعراء كثيرون بالحُرَمَات وراحوا يملأون دواوينهم بالتصاوير لذوات الأرواح من طير أو إنسان أو حيوان! والشعراء غير المسلمين لا يلامون في ذلك إلا من باب الإنسانية العامة ، إذ ليس بعد كفر أحدهم ذنب كما هو معلوم في الأصول! ولكن اللوم كل اللوم والمواخذة كل المواخذة توجه للشاعر المسلم! أو ما علمت يا هذا حُرمة التصوير ولعنة رب الأرض والسماء للمصورين؟ أما بلغتك حرمة التصوير إلا من ضرورة من ضرورات الفقه الجاهلي لا الإسلامي؟! ولقد اعتاد هؤلاء على نشر صور النساء على وجه الخصوص! سواء في ذلك الرسومات أو التصوير بالآلة الذي هو حبس الظل كما يسمونه! وهل فحل من فحول الرجال ذوي الهمة والشرف والسؤدد من ينشر صور زوجته بثياب التبرج والتهتك والمجون؟! ولست أدري ما حاجة القراء إلى صور النساء؟ وهل صرنا ميكافيليين نعيش بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة؟! لا! إن الله تعالى الذي تعبدنا بالغايات ، تعبدنا بالوسائل والمقاصد! بمعنى أن كل غاية شريفة مشروعية لا بد وأن تكون الوسيلة المؤدية إلى تحقيقها مشروعية شريفة كذلك! وإلا يكن ذلك فلا إيمان هنالك ولا إسلام! وأيما ديوان شعر اعتمد على الصور المرفقة على حساب الكلمة المعبرة الموحية فأنى له أن يثمر ويستفاد منه؟! إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً! ومن هنا فلقد حرصت على أن أتجنب تماماً الزج بأي صورة ولو رسماً كانت أو كاريكاتيراً لصاحبة الديوان التي أهديته إليها! لأن هذا حرام حرام! ووالله لو كان مباحاً ما اجترأت عليه ولا فعلته لفرط غيرتي عليها من جهة ولعدم الفائدة أصلاً! فتخيرت غلظاً معبراً محايداً حلالاً مباحاً والله الحمد! وإذن فاجتهدت ما استطعت أن يكون الديوان: نصاً وعاوين ومقدمات وخواتيم وغلظاً موافقاً لكتاب الله تعالى وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –.

هذا الديوان

الحمد لله الجبار المعبود ، الذي أباد بسطوته قوم نوح ، وأهلك عاد وقوم هود ، وأعاد من بعد عاد دائرة السوء على ثمود ، وسلط ضعيف البعوض على النمرود ، وأغرق فرعون وقومه لما تلاطمت عليهم الأمواج الصدود ، وأعمى بصائر الجاحدين ففي أعناقهم أغلال وفي أرجلهم قيود: "فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود"! الحمد لله الواحد القهار. العزيز الغفار. مقدر الأقدار. مصرف الأمور مُكَوِّر الليل على النهار. تبصرة لأولى القلوب والأبصار. الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار ، وفق من اختار من عبيده فجعله من الأبرار. وبصّر من أحبه للحقائق فزهّدوا في هذه الدار. فاجتهدوا في مرضاته والتأهب لدار القرار. واجتنب ما يسخطه والحذر من عذاب النار! الحمد لله الذي أصعد قوالب الأصفياء بالمجاهدة ، وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدة ، وحلى السنة المؤمنين بالذكر ، وجلى خواطر العارفين بالفكر ، وحرس سواد العباد عن الفساد ، وحبس مراد الزهاد على السداد ، وخلص أشباح المؤمنين المتقين من ظلم الشهوات ، وصفى أرواح الموقنين عن ظلم الشبهات ، وقبل أعمال الأخيار بأداء الصلوات ، وأيد خصال الأحرار بإسداء الصلوات! الحمد لله الأول الذي ليس له ابتداء ، الآخر الذي ليس له انتهاء ، الصمد الذي ليس له وزراء ، الواحد الذي ليس له شركاء ، تكلم بكلام قديم أزلي في الأزل ، وتفرد بالعز الذي لم يزل ، وتنزه عن النقائص والعلل ، وتقّس عن الفتور والخلل ، سبحانه قسم عطائه بين عباده ، وأبرم قضائه فلا معارض ، له في مراده ، وسبقت عنايته وولايته لأهل وداذه ، وخصهم برعايته وكفايته وإسعاده. اللهم لبّ نداءنا واستجب دعاءنا ، يا رب أقر عين نبيك بنا ، يا رب سرّ قلبه بنا ، يا رب أره منا ما يفرح به ، يا رب اجعلنا أنصاره ، يا رب اجعلنا خدامه ، يا رب اجعلنا حاملي شريعته وعاملين بها وذابيين عنها ومبلغيها إلى المشارق والمغرب ، يا الله اجمعنا به في الدنيا وفي البرزخ وفي يوم القيامة ، تحت اللواء الذي يحمله إذا انضم تحته الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون وعبادك الصالحون فتحت ذلك اللواء ننضم معهم ، وندخل في زمرتهم! ها هو أعرابي كما يروى يدخل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو بين أصحابه: فيمسكه بتلابيبه ويهزه ويقول: أعطني من مال الله الذي أعطاك لا من مال أبيك ولا من مال أمك. فيقوم صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريدون أن يؤدّبوا من يعتدي على شخص نبيهم محمد (صلى الله عليه وسلم) فيقول عليه الصلاة والسلام: على رسلكم المال ما لله ، ويذهب به إلى بيته (صلى الله عليه وسلم) فيقول عليه الأعرابي يداعبه ويلطفه ، ويذهب به إلى بيته (صلى الله عليه وسلم) فيقول: خذ ما شئت ودع ما شئت. لكن ماذا يأخذ من بيت محمد (صلى الله عليه وسلم)؟ بيت لا توقد فيه النار شهرين ولا ثلاثة أشهر ، بيت لم يشبع أهله من خبز الشعير ، ولم يشبع من دقل الرطب ورتديء التمر ، بيت يأتي السائل يسأل فلا يوجد يوم من الأيام في بيته إلا عنبية ، وفي يوم من الأيام لا يوجد في بيته (صلى الله عليه وسلم) سوى ثمرة واحدة ، لكنه خير بيت وجد على ظهر الأرض بأبي وأمي صاحب ذلك البيت (صلى الله عليه وسلم). ما ملك الأعرابي إلا أن قال: أحسنت وجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. قال عليه الصلاة والسلام: إن أصحابي قد وجدوا عليك أو كما قال (صلى الله عليه وسلم) ، فاخرج إليهم وقل لهم ما قلت لي الآن ، فخرج وجاء إليهم فقال (صلى الله عليه وسلم): هل أحسنت إليك يا أعرابي؟ قال: نعم وجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فقال (صلى الله عليه وسلم) عليه

وسلم): إنما مثلي ومثلكم ومثل هذا الأعرابي كرجل كانت له دابة ، فنفرت منه فذهب يطاردها ، فجاء الناس كلهم وراءه يطاردون ، فما ازدادت الدابة إلا نِفاراً وشِراداً ، فقال: دعوني ودابتي أنا أعلم بدابتي ، فأخذ من خشاش الأرض ولوّح به لهذه الدابة ، فما كانت منها إلا أن انسأقت إليه وجاءت إليه فأمسك بها ، أما إني لو تركتكم على هذا الأعرابي لضربتموه فأوجعتموه ، فذهب من عنديكم على كفره فمات فدخل النار. اللهم اجعلنا من الصادقين الصابرين الشاكرين. اللهم صلّ وسلم وزد وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم آت نفوسنا تقواها. اللهم زكّها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولها. وأنت أرحم الراحمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وانصر عبادك الموحدين. اللهم ارحم من لا راحم له سواك ، وانصر من لا ناصر له سواك ، وآو من لا مُؤوي له سواك ، وأغث من لا مُغيث له سواك. اللهم ارحم سائلك ومؤمّلك ، لا منجى له ولا ملجأ إلا إليك. اللهم كن للمستضعفين والمضطهدين والمظلومين. اللهم فرّج همهم ونفس كربهم وارفع درجاتهم واخلفهم في أهلهم. اللهم أنزل عليهم من الصبر أضعاف ما نزل بهم من البلاء. يا سميع الدعاء اللهم ارحم موتى المسلمين ، اللهم إنهم عبيدك بنو عبيدك بنو إيمانك احتاجوا إلى رحمتك وأنت غني عن عذابهم ، اللهم فزد في حسناتهم ، وتجاوز عن سيئاتهم أنت أرحم بهم وأنت أرحم الراحمين. أما بعد فإن ديوان: (عزة الخير) كان يتصور أن يكون الديوان الأول لا الأخير باعتبار الحب الذي أحببته لأم عبد الله عزة الخير! ولربما كان الأخير لحكمة يعلمها الله تعالى ، وهي أن الشاعر كلما كتب وألف وأنشد ازدادت خبرته في الكتابة ، وكان التأليف والإنشاد له سَجِيّة! ولربما لو كان ديوان (عزة الخير) هو الأول من بين دواويني الشعرية ، لكان فيه من الركاكة والتكرار والملالة والسامة الشيء الكثير ، لأنني كنتُ من ربع قرن في مُستهل تجربتي الشعرية على كل حال! ولكن شاء الله تعالى أن يكون هذا الديوان في هذا التوقيت لتكون التجربة الشعرية والشعورية فيه أعمق وأعظم من ذي قبل! وهذا هو العزاء الوحيد أنني أكتبه من الآن فصاعداً بعد تجربة عميقة في الشعر العربي ، لتكون قصائده أسبك وأحبك وأعمق من غيرها من الذكريات السابقة! وعزة الخير هي أم عبد الله الحب الأول وقد يكون الأخير ، وهذا لا يعلمه إلا الله! وأعلم أن قصائد كثيرة أهديت لها وأخرى كتبت عنها في الدواوين الخمسة عشر الأخرى ، ولا سبيل لتكرارها هنا ، ولربما جاءت مرحلة أخرى جمعنا كل ما يتعلق بأم عبد الله (عزة بنت مصطفى إبراهيم رزق) ، ونخرج طبعة أخرى من هذا الديوان وقد قمنا بضم شمل جميع القصائد التي تتعلق بأم عبد الله! وهذا لا يعلمه إلا الله تعالى! وأجعلها هنا على سبيل الوصية من بعدي! ذلك أنني إن عشتُ لشعري هذا ولدواويني تلك لقيمت بالحاق جميع القصائد المتعلقة بأم عبد الله إلى قصائد هذا الديوان الذي يحمل اسمها! فإن أنا مت فإني أوصي بإخراج طبعة من هذا الديوان وقد ألحق به كل القصائد المتعددة التي تتعلق بأم عبد الله لتكتمل الصورة عند القراء! ولقد يقوم بها من بعدي ابن من أبنائي أو حفيد من أحفادي ، ليجعل من هذا الديوان تجربة متكاملة الأركان ، أمام من يقرأ ويريد التأسي أو الاقتداء ، بما أتينا من الحق ويجتنب ما وقعنا فيه من الباطل! والله المستعان على كل حال! وقد اجتهدت في جعله لانقاً بالشاعر المسلم والقارئ المسلم!

الجود يرفع صاحبه (كاد وأخواتها)

(لم يكن لي أدنى محاولة في النظم! وليس هذا تحقيراً لشأته! بل للنظم أهله كما للشعر أهله! وله أهميته ومكانته كما للشعر أهميته ومكانته! ولكن عندما سمعت: (كان وأخواتها) و(إن وأخواتها) للشاعر زياد المنيفي وبصوت الأستاذ ظفر النتيقات ، قلت مؤثراً للأجر عند الله: لا بد أن أشارك في هذا الجهد! وكنت قد وعدت بلبل الجزيرة العربية وشادي الضمانر وحادي الأرواح ومنشد القلوب الأستاذ ظفر بن راشد النتيقات ، بكتابة هذه القصيدة للمساهمة في مجموعة قصائد الأسرة النحوية ، متأثراً في ذلك بالشاعر الأستاذ زياد المنيفي فله السبق حديثاً! ولابن مالك ناظم الألفية في النحو والسيوطي ناظم ألفية الحديث السبق قديماً ، وبناء عن طلب المنشد الأستاذ ظفر النتيقات نظمتها طلباً للأجر عند الله تعالى أولاً وأخيراً واستجابة لطلب الأستاذ النتيقات – حفظه الله -. وكنت قد عزمت أن أكتب قصيدة أخرى عنوانها: (ظن وأخواتها) ، ولكن عندما أخبرني الأستاذ ظفر أن شاعرنا الأستاذ زياد المنيفي قد كتبها بذات العنوان ، عدلت عن ذلك واكتفيت بقصيدة: (كاد وأخواتها)!

أنفق ، ولا تك كانزاً طمّاعاً	فالكنز <u>أوشيك</u> أن يكون صراعاً
والحرص أقبح ما اكتسبت من الصوى	<u>كاد</u> ادخارك أن يصير ضياعاً
و <u>اخلوق</u> الشخ الذي تحياله!	والبخل أردأ ما عرفت طباعاً
<u>فسيك</u> تدرك من وصية مشفق	خبر الحياة ، وفند الأوضاعاً
إنني <u>شيرعت</u> بأن أبثك دربتي	خوفاً عليك ، فإن شحك ذاعاً
و <u>بيدأت</u> في سرد الحقائق حسبة	بأدلة تستشرف الإقناعاً
و <u>طفقت</u> أكثر من عطير ملامتي	حتى دهى رأسي أذىً وصداعاً
و <u>أخذت</u> أنتخب الكلام ، لعنني	أجد الرفيق لنفحتي منصاعاً
بشرافة <u>جعلت</u> قصيدي حجة	ثوليك - من زيد النصائح - باعاً
ورموزها <u>بيدأت</u> تشع مواعظاً	مهما مللت الوعظ والإشعاعاً
و <u>جري</u> اكتناز المال أن يطوى غداً	وتعيش تعطى الأهل والأتباعاً
وأراك <u>أنشأت</u> التعفف مذهباً	حتى تعالج بالعطفا الأوجاعاً
والعزم <u>هيب</u> يصحح الخطأ الذي	دافعت عنه - على الدوام - دفاعاً

سلام الحبيب

(وقبل أن ينصرم عام 2018م ، أردت أن أختمه بالسلام على أم أولادي أم عبد الله ، وقد سافرت مع بعض أولادها إلى دمياط وثركت وحدى في دار غربتي! فرحت أسلم شعراً عليها وعلى أولادنا وأحبابنا وأصدقائنا! وذلك لنلا يقال احتفلتُ بعام 2019م على عادة الجاهليين! فكانت هذه القصيدة سلاماً على من أحب! وكأنني تأثرت بدالية أبي فراس الحمداني: (سلام رانح غادي على ساكنة الوادي)! ولي شرف المحاولة الذي أدندن حوله دائماً! وإلا فمن أنا كشاعر إن قارنت نفسي بأبي فراس الشاعر؟! وقصيدة أبي فراس في ديوانه لا تتجاوز الأبيات العشرة! وأعرف وزني وحجمي في الشعر ، وأعرف حجم ووزن أبي فراس!)

سـلامَ عـاطرٍ شـادي	يُـداعِبُ أـمَ أولادي
إلى (دمياط) أرسلة	لـدلتنا النيل والوادي
أحيي من قرابتنا	جميع لطيف أفراد
من اشـتاقوا لرؤيتنا	ومن هم خير قصاد
ومن يتطلعون إلى	تلاقينا بمرصاد
ومن لك جاء معشرهم	بإكرام وإرغاد
أحييهم ، وأكبـرهم	كما حييت أجـوادي
وأحبـابي الألى ظفـروا	بأرواح وأكبـاد
وأصحابي الألى رحلوا	وأبـائي وأجـدادي
وأخـتم عـامي الحـالي	بشـعر مـطرب حـادي
يـدندن في مسامعهم	صـدى يُـزري بأعواد!
وأسنـطره على عـجل	أعيـد قـديم أمـجـادي
وأثـجف مـن أتـيه بها	بترجيـع وإنشـاد
وأذكـر بـعض ما ألقى	ببرهـانٍ وإشـهاد
فسـيف البـين قسـمني	وقسـم شـعري الشـادي
إلى نصـفين قد رـصدا	ولـم يـخاـذ لإغـمـادا!
ففي (عجمان) نصـف فـتى	يـعـالج طـول تسـهاد

ونصفَ بات في (دميا
هنا قلبٌ يُصارعه
وفي (دمياط) مُهَجَّتْه
وإني احتسرتُ بينهما
يمينَ الله سرباني
هنا رُوحٌ تُجنُّ دِلها
فلا تنفك ترمقها
وأسألك الدعاء لنا
والحساح وتسرية
ولا تنسني مودتنا
وذُكراً كان يجمعنا
تمرّ الذكريات بنا
تحياتي لمن رحلت
ألا عُودي لضيعتنا
لأن الشوق ألهبنا
فما بي قوة كفتي
لأقهر ما أكابده
أنا قلبٌ وعاطفة
إذا التاعنت مشاعرُها
و(عزة) عترة وجمي
شفاها الله خالقها

(ط) يدفع سُقم إجهاد
عذاب رائح غادي
وهذا غيرُ مُعتاد
ولم يَلِ خيرتي هادي
بلاءٌ وخزّه بادي
عيون عتي حُساد
وتحقّرهما يارصاد
بتعميم وإفـراد
لتكسّر شرّ أصفاد
وتسبيحات عُباد
على حُـب وإسعاد
وتتلو عذّب أورد
بلا وعِد وميعاد
فإن العودَ ميلادي
بسوط فراقك السادي
كعنترة بن شدّاد!
بعزم الصائل العادي
تضيّق بشر أضداد
تحنّ لزور عُواد
و(عزة) أم أولادي
وألهمها الهدى الهادي

أمانة التكليف

(كم توقفت طويلاً عند قول الله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا). وكم تأملت في هذه الآية! وكم أمعنتُ فيها النظر! قال الإمام الطبري معلقاً في تفسيره على هذه الآية ما نصه: (اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معناه: إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت ، وإن ضيعت عوقبت ، فأبت حملها شفقاً منها أن لا تقوم بالواجب عليها ، وحملها آدم (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) لنفسه (جَهُولًا) بالذي فيه الحظ له. * ذكر من قال ذلك: عن سعيد بن جببر في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قال: الأمانة: الفرائض التي افترضها الله على العباد. وعن ابن عباس في قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا) قال: الأمانة الفرائض التي افترضها الله على عباده. قال: عن ابن عباس في قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ...) إلى قوله: (جَهُولًا) قال: الأمانة الفرائض. قال جويبر في حديثه: فلما عرضت على آدم قال: أي رب وما الأمانة؟ قال: قيل: إن أديتها جزيت ، وإن ضيعتها عوقبت ، قال: أي رب حملتها بما فيها ، قال: فما مكث في الجنة إلا قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية ، فأخرج منها. وعن معاوية عن علي عن ابن عباس قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم ، ففكروا ذلك ، وأشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيماً لدين الله أن لا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها ، وهو قوله: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) غرّاً بأمر الله. وعن ابن عباس قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ): الطاعة عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم - عليه السلام - ، فلم تطقها ، فقال لآدم: يا آدم إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فلم تطقها ، فهل أنت آخذها بما فيها؟ فقال: يا رب: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا). وعن الضحاك بن مزاحم في قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) قال: آدم قيل له خذها بحقها قال وما حقها؟ قيل: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أخرج منها. والضحاك يقول في قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) فلم يطقن حملها فهل أنت يا آدم آخذها بما فيها؟ قال آدم وما فيها يا رب؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فقال: تحملتها ، فقال الله تبارك وتعالى: قد حملتها ، فما مكث آدم إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر حتى أخرجته إبليس لعنه الله من الجنة ، والأمانة الطاعة. وكان من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْأَمَانَةَ وَالْوَفَاءَ نَزَلَا عَلَى ابْنِ آدَمَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَأَرْسَلُوا بِهِ ؛ فَمِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ وَمِنْهُمْ نَبِيٌّ وَمِنْهُمْ نَبِيٌّ رَسُولٌ ، نَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُوَ كَلَامُ اللهِ وَنَزَلَتِ الْعَرَبِيَّةُ وَالْعَجْمِيَّةُ ، فَعَلِمُوا أَمْرَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا أَمْرَ السُّنَنِ بِالسُّنَنِ ، وَلَمْ يَدْعُ اللهُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ مِمَّا يَأْتُونَ وَمِمَّا يَجْتَنِبُونَ وَهِيَ الْحُجْجُ عَلَيْهِمْ إِلَّا بَيْنَةٌ لَهُمْ ، فَلَيْسَ أَهْلُ لِسَانٍ إِلَّا وَهُمْ يَعْرِفُونَ الْحَسْنَ مِنَ الْقَبِيحِ. ثم الأمانة أول شيء يرفع ، ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ، ثم يرفع الوفاء والعهد والذم ، وتبقى الكتب ؛ فعالم يعمل ، وجاهل يعرفها وينكرها ، حتى وصل إلي وإلى أمتي ، فلا يهلك على الله إلا هالك ، ولا يغفله إلا تارك ، والحذر ، أيها الناس ، وإياكم والوسواس الخناس ، وإنما يبيلوكم

أيكم أحسن عملاً". وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس ؛ على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها" وكان يقول: وايم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن ، وصام رمضان ، وحج البيت إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وأدى الأمانة ، قالوا: يا أبا الدرداء وما الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة ، فإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره. وعن أبي بن كعب ، قال: مِنَ الأمانة أن المرأة أوتمنت على فرجها. وقال ابن زيد في قول الله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأمانةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قال: إن الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين ، ويجعل لهن ثواباً وعقاباً ، ويستأمنهن على الدين ، فقلن: لا نحن مسخرات لأمرك ، لا نريد ثواباً ولا عقاباً ، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وعرضها الله على آدم ، فقال: بين أذني وعاتقي". قال ابن زيد: فقال الله له: أما إذ تحملت هذا فسأعيناك ، أجعل لبصرك حجاباً إذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك ، فأرّخ عليه حجابها ، وأجعل للسانك باباً وغلغلاً ، فإذا خشيت فأغلق ، وأجعل لفرجك لباساً ، فلا تكشفه إلا على ما أحلت لك. وعن قتادة قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأمانةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ) يعني به: الدين والفرائض والحدود (فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا)! قيل لهن: احملنها تؤدين حقها؟ فقلن: لا نطيق ذلك! (وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) قيل له: أتحملها؟ قال: نعم ، قيل: أتؤدي حقها؟ قال: نعم ، قال الله: إنه كان ظلوماً جهولاً عن حقها. وقال آخرون: بل عنى بالأمانة في هذا الموضع: أمانات الناس. وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها ، أو قال: يكفر كل شيء إلا الأمانة ؛ يوتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك ، فيقول: أي رب وقد ذهبت الدنيا ، ثلاثاً فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية ، فيذهب به إليها ، فيهوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها ، فيجدها هناك كهينتها ، فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم ، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت ، فهوى في أثرها أبد الأبدين". قالوا: والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الحديث ، وأشد ذلك الودائع ، فلقيت البراء فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق).هـ. قال شريك وعن زاذان عن عبد الله بن مسعود عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنحوه ، لم يذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شيء. وعن ابن وهب قال: قال ابن زيد: أخبرني عمرو بن الحارث عن ابن أبي هلال عن أبي حازم قال: إن الله عرض الأمانة على سماء الدنيا فأبى ثم التي تليها حتى فرغ منها ، ثم الأرضين ثم الجبال ، ثم عرضها على آدم فقال: نعم بين أذني وعاتقي. فثلاث أمرك بهن فإنهن لك عون: إني جعلت لك لساناً بين لحيين فكفه عن كل شيء نهيتك عنه ، وجعلت لك فرجاً وواريته فلا تكشفه إلى ما حرمت عليك. وقال آخرون: بل ذلك إنما عنى به انتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده ، وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه. وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية ، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر ، حتى ولد له اثنان ، يقال لهما: قابيل وهابيل ، وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب زرع ، وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل ، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال: هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك ، وأنا أحق أن أتزوجها ، فأمره أبوه أن يزوجه هابيل فأبى ، وإنهما قريباً قرباناً إلى الله أيهما أحق بالجارية ، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما ، أي بمكة ينظر إليها ، قال الله لآدم: يا آدم هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض؟ قال: اللهم لا قال: إن لي بيتاً بمكة فأتته ، فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبى ، وقال للأرض فأبى ، فقال للجبال فأبى ، فقال لقابيل فقال: نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك ، فلما انطلق آدم وقرباً قرباناً وكان قابيل يفخر عليه فيقول: أنا أحق بها منك ؛

هي أختي ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصي والدي ، فلما قربا ، قرب هابيل جَدَّة سميحة وقرب هابيل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبلية عظيمة ففركها فأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي! فقال هابيل: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَنَلْنَّ بِسَطْتِ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ... إلى قوله فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رعوس الجبال ، وأتاه يوما من الأيام وهو يركب غنمه في جبل وهو نائم ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات ، وتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفنه ؛ فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ثم حثا عليه فلما رآه قال: يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي ، فهو قول الله تبارك وتعالى فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ فَرَجَعَ آدَمُ فَوَجَدَ ابْنَهُ قَدْ قَتَلَ أَخَاهُ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ...) إلى آخر الآية. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عني بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله: (عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) بعض معاني الأمانات لما وصفنا. وبنحو قولنا قال أهل التأويل في معنى قول الله (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا). (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) يعني قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله. وعن الضحاك في قوله: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) قال آدم: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) قال: ظلومًا لنفسه جهولًا فيما احتمل فيما بينه وبين ربه. وعن علي بن عباس (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) غر بأمر الله. وعن سعيد بن قتادة: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) قال: ظلومًا لها يعني الأمانة جهولًا عن حقها). هـ. والحقيقة أن المتأمل في أغلب أحوال الناس اليوم يجدهم قد ضيعوا الأمانة ، وفرطوا فيما توجبه هذه الأمانة من الواجبات! من أجل ذلك كانت هذه التذكرة الشعرية!

ارح الأمانة يا إنسان ، وارق بها	إن الأمانة تُغلي شأن راغبها
حملتها جاهلاً بما تحتمه	من التكليف قد زينت لطالبها
على السما عرضت ، والأرض فاعتذرت	جميغهن بزهد في جواذبها
يا أيها الناس جدوا في الوفاء بها	وأكملا - في الوفا - شتى جوانبها
هي العروس ، فمن يزوج الزواج بها	نعم العروس تُرجي ود خاطبها!
وراقبوا الله في سر وفي علن	إن الرقابة تُبلي عزم صاحبها
واسكتثروا من فعال الخير ، عيشتكم	بدونها تصطلحكم في مصائبها
إن الأمانة منهج حاج يجملنا!	وللحياة به هدى يتيه بها
لكنها اليوم تشكو من يضيق بها	ذرعاً ، وتنعي جفا بلوى محاربها
ما للرعية في غيوبها غرقت؟	والخذل أسوأ عيب من معائبها
للهم هبنا رشاداً نستعين به	على الأمانة نحيا في رغانبها

ميلاد أمةٍ بميلاد نبيها

(وتأتي هذه القصيدة النبوية المحمدية معارضة لمعلقة شوقي وملحمته: (ولد الهدى فالكائنات ضياء) ، وكنا قد تكلمنا عن فن المعارضة الشعرية ، ولا نريد أن نكرر الكلام مخافة السامة! ولا يزال فن المعارضة الشعرية يلمع ويسطع نجمه. ولا يزال الشعراء يعارض بعضهم بعضاً من عهد امرئ القيس إلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض بما عليها وبمن عليها! وكثير من الجهلاء يعتقد أن الشاعر الذي يعارض الآخر يكون شاعراً ضعيفاً غير مجيد! وكبرت كلمة ينطق بها اليوم من يهرف بما لا يعرف! وإذا كان شوقي نفسه قد عارض البوصيري في برده فلماذا هي مباحة لشوقي وتحرم على غيره؟! وهذا لا ينقص من مكانة شوقي ومقدرته الفائقة وشاعريته الفذة! والذي يعارض شوقياً اليوم في همزته النبوية ليس بالشاعر الهين ولا الضعيف! وأستغفر الله أن أمدح نفسي ، وإنما هو فضل الله ونعمته أنعم بها على عبد فهو يحدث بنعمة الله عليه ليس إلا! إن هو إلا العمل بالآية الكريمة والأمر الرباني: (وأما بنعمة ربك فحدث)! وقصيدة شوقي قوامها وعدتها 131 بيت من الكامل على القافية الهمزية المضمومة! وأما قصيدتي فقوامها 148 بيتاً من الكامل على الهمزة المضمومة أيضاً! وكانت لا تتجاوز الأبيات العشرة ، بمناسبة الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في إذاعتنا المدرسية ، واليوم يوم اللغة العربية والتربية الإسلامية ، فطلب مني الأساتذة الزملاء أن (أتحفهم بشيء من شعري) على حد تعبيرهم فاللفظ لهم في هذه المناسبة الجميلة! فاعتذرت مراراً ، ذلك أنني أتوق دائماً للجديد ، فلا أحب أن ألقى شعراً أنشدته من قبل! فيتعين عليّ إذن أن أكتب نصاً جديداً بكرةً ، الأمر الذي يحتاج إلى وقت كافٍ! وأمام إصرارهم أمسكتُ القلم الرصاص ، ورحت أكتب ما يمليه علي ربي من الثناء على نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، فأنشدتُ على غرار همزية شوقي النبوية في عُجالة من أمري! وبعد أن أنشدتُ هذه المقطوعة كان تعليق الزملاء والزميلات أنها مقطوعة فقط (رغم أن المقطوعة هي ما قلّ عن الأبيات السبعة)! فقلت: لقد كنتُ على عَجَل! وردد البعض: هذا آخر ما عنده! فقلت: لا ، بل سأعارض شوقياً ، وسوف أثبت له وللتاريخ وللأجيال سابقها وحاضرها وتاليها ، أن فن المعارضة لا يزال حياً نابضاً ، وأن مقدار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندي كبير وعظيم! وأن شعري يسمو إذا تناول الرسول الكريم والنبي العظيم محمداً – عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم -. وأن شعري يسمو إذا يعارض أمير شعراء العصر الحديث أحمد شوقي! ومن هنا شرعتُ في معارضة شوقي ، متناولاً سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بدون إسراف في الإطراء ولا مغالاة في المدح! ورأيت أن هذا الاجتهاد في معارضة شوقي أفضل من مجرد أبيات عشرة لقصيدة فاقت الأبيات المانة ، كما أنه أفضل بكثير من أن أقوم بإلقاء ما يسمح به الوقت من قصيدة شوقي! الأمر الذي أستهجنه كشاعر ، وأرى أن الشاعر لا بد وأن يلقي من شعره لا من شعر سواه! وليس هذا انتقاصاً لشوقي ، بل لشوقي بالطبع السابق والمقام الأرفع ، ولي شرف المحاولة ولا شك. فتناولتُ مولد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واعتبرت ميلاده ميلاداً لأمته! فكان هذه الأمة المسلمة المحمدية قد ولدت يوم ولد نبيها – صلى الله عليه وسلم -. وتناولتُ حسبته ونسبه وقبيلته وبلده والبيت الهاشمي ، وتناولت حياته العطرة قبل وبعد البعثة. كما تناولت الإسرار بالدعوة الإسلامية ، ثم الجهر بها ، وبيان ما بين المرحلتين ، كما تناولت موقف المشركين المخزي من الدعوة والداعي والمدعويين! فوصفت تعذيبهم للمسلمين وتحديهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – ومحاولات اغتياله التي تجاوزت الثلاث

عشرة محاولة. كما تناولت دار الأرقم وأحوال النبي والصحابة فيها ، وتناولت الأمر بالهجرة إلى الحبشة. وتناولت إسلام حمزة بن عبد المطلب – رضي الله عنه – وإسلام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -. وتناولت المقاطعة القرشية للمسلمين وحصارهم. وتناولت عام الحزن الذي مرّ به النبي – صلى الله عليه وسلم – العام الذي توفي فيه أبو طالب وخديجة بنت خويلد – رضي الله عنها -. وتناولت دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – لأهل الطائف وأمرهم صبيانهم وغلماهم أن يقدفوه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان – صلى الله عليه وسلم -. وتناولت أمر المشركين للنبي – صلى الله عليه وسلم – أن يشق القمر إلى نصفين ، فلما شق عليهم وهم ينظرون قالوا: سحرنا محمد! وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. وتناولت الإسراء والمعراج وعرض النبي – صلى الله عليه وسلم – نفسه على القبائل. وتناولت الهجرة إلى المدينة ، وبيعنا العقبة ، ودار الندوة وما تم فيها من الإنتمار على قتل النبي – صلى الله عليه وسلم -. وتناولت بناء مسجد قباء والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. كما تناولت بعض الغزوات مثل بدر وأحد والأحزاب. وتناولت موت رقيه بنت محمد – رضي الله عنها وصلى على أبيها وسلم. وتناولت مقتل أبي جهل وموقف يهود بني قينقاع وموقف ابن سلول شيخ المنافقين وحامل لوائهم. وتناولت محاولة زينب اليهودية اغتيال النبي – صلى الله عليه وسلم – بالسم المدسوس في ذراع الشاة! وتناولت فتح مكة وحجة الوداع وموت النبي – صلى الله عليه وسلم -. ولو شئت لعرجت على كل آثار النبي – صلى الله عليه وسلم – وأيامه ومواقفه والأحداث التي مر بها! ولكنني خشيت الملالة والسامة والطول المفرط للقصيدة أو الركاكة التي قد تلحقها من تكرار بعض الأفكار ، فاعتفيت بما شعرت أنه نقطة جوهرية جديرة بالتناول! أما لماذا همزية شوقي فلأنها الوحيدة التي حضرتني وأنا أعد نصاً للإذاعة المدرسية ليس إلا! وأيضاً لأنها كانت مقترح الزملاء والزميلات ، عندما اعتذرتُ بعدم وجود نص جديد عندي عن النبي – صلى الله عليه وسلم -. وأعود للمعارضة الشعرية فأقول بأنه فن شعري وليس تقليداً أو غيره أو سرقة لأفكار أحد! وتحت عنوان: (المعارضة الشعرية ، من لها؟ المعارضة الشعرية هل هي مظهر من مظاهر التقليد؟ أم فن وإبداع؟ يُجيبنا عن هذا السؤال الدكتور الأديب الناقد عبد الله التطاوي: (المعارضة ليست أبداً من مظاهر التقليد ، لأن مجرد قول الشاعر قصيدة في بحر قصيدة أخرى وقافيتها وموضوعها لا يدل على تقليد مطلق للشاعر السابق. فالمعارضة مظهر من مظاهر الإبداع ، وصورة من صور التفوق ، لا سيما في مراحلها الأخيرة. فقد يبدو الشاعر مقلداً ، وتكون المعارضة مظهراً من مظاهر هذا التقليد ، لكنه لن يجرؤ على معارضة كبار الشعراء إلا بعد أن تستوي لديه ملكة الشعر ، فيحاول مجاراة أعلام الشعراء ومظاهرتهم. وتنتهي هذه النزعة الفذة وتستوي على ساقها حين يدرك مرتبة أولئك الشعراء الذين بدأ معجباً بهم. ومن هنا نقرر بأن المعارضة حالة تتجاوز التقليد إلى الإبداع والمتابعة إلى الابتكار والشاعر يمزج فيها بين القديم والجديد). وقد نسأل أنفسنا ما المقصود بالمعارضة الشعرية؟ ألا إن الدلالة المعجمية للفظ "المعارضة" لها معان كثيرة ، منها: عارضته معارضة في الرأي إذا خالفته وناقضته. ومنها: جانبته وعدلت عنه. وقريب من هذا قولنا: عارضته بمثل صنيعه أي فعلت مثل فعله وأتيت إليه بمثل ما أتى به. ويتضح من هذه الدلالة الأخيرة معنى المحاكاة والتقليد لشيء سابق. إن المعارضة بوجه عام قد تكون أثراً أدبياً أو فنياً أو موسيقياً يحاكي فيه صاحبه أسلوب أثر سابق عليه. يقول الأستاذ عبد الرحمن بن إسماعيل الإسماعيل: (اعتاد السادة النقاد ودارسو الأدب في العصر الحديث على ربط كلمة

"معارضة" بفن الشعر حتى شاع مصطلح "المعارضات الشعرية" وأصبح يشير إلى فن قائم بذاته انتشر في فترات مختلفة في العصور الأدبية ، وكان مجالاً للتنافس بين الشعراء لإظهار قدرتهم الإبداعية في محاكاة بعض القصائد المشهورة التي انتشرت بين الناس بسبب جودتها وتميزها. والمعنى اللغوي لكلمة "معارضة" لا يحمل تخصيصاً بشعر أو نثر بل يعني بشكل عام المحاكاة والمجاراة. وقد استعمل النقاد ودارسو الأدب في القديم كلمة "معارضة" في مجالي الشعر والنثر على حد سواء قبل أن تكتسب معناها كمصطلح شعري معروف). وإذا فالمعارضة الشعرية: هي محاكاة قصيدة لأخرى موضوعاً ووزناً وقافية).هـ. وأنا هنا أحاول أن أثبت شرعية فن المعارضة الشعرية ، وأفتح الباب أمام الشعراء ليحيوه في عالم الشعر المعاصر! ولقد كتب الأستاذ الناقد الأدبي المتبحر إبراهيم الوكيل أبو مهند تحت عنوان: (تعريف المعارضات ونشأتها) ، وقد رجع الأستاذ إلى مراجع عظيمة في محاضراته مثل: (تاريخ المعارضات في الشعر العربي: للأستاذ محمود محمد قاسم نوفل - والشاعر أبو إسحاق الأطمعة ومعارضاته الشعرية: للأستاذ أمين علي سعيد - بالإضافة إلى ديوان المتنبي) وكان مما قال بالنص: (المعارضة مأخوذة من مادة (عرض) لغة: ظهر ، و(عارضه) سار حياله ، أو أتى بمثل ما أتى به. و(عارض) الكتاب بالكتاب: قابله. وقد جاء في معجم (لسان العرب) أن (المعارضة) هي المحاذاة. واصطلاحاً: هي أن يقول الشاعر قصيدة في موضوع ما ، فيأتي شاعر آخر ، فينظم قصيدة أخرى على غرارها محاكياً القصيدة الأولى في وزنها ، وقافيتها ، وموضوعها ، مع حرصه على التفوق. وهكذا تقتضي (المعارضة) وجود نموذج فني ماثل أمام الشاعر المعارض ، ليقتي به ، ويحاكيه ، أو يحاول تجاوزه. ولهذا لم تكن في الشعر الجاهلي (معارضات) لأن المثال (أو النموذج) الشعري قبله كان مجهولاً. وأما عن تاريخ المعارضات: فالشعر الجاهلي هو أقدم شعر وصل إلينا. ولهذا اتخذ مثلاً و(نموذجاً) ينبغي احتداؤه ، دون أن تجد فيه ذكراً لمعارضات شعر قبله ، بل فيه ، من ذلك حادثة الاحتكام إلى أم جندب (زوجة امرؤ القيس) ، والتي كانت بين زوجها وعلقمة بن عبدة (الفحل) ، حيث قالت لهما: قولاً شعراً تصفان فيه فرسيكما ، على روي واحد ، وقافية واحدة. فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها:

خليبي مُرّاً بي على أم جندب لنقضني لباناتِ الفؤادِ المعذبِ

حتى وصل إلى قوله:

فلسـوطِ أهـوبٍ ، وللساقِ درّة وللزجرِ منه وقعُ أهوجِ منعبِ

ثم أنشد علقمة قصيدته التي مطلعها:

ولم يك حقاً كلُّ هذا التجنّبِ ذهبَت من الهجرانِ في كلِّ مذهبِ

حتى وصل إلى قوله:

فأدر كهن ثانياً من عنانه يمرُّ كمرِّ الرائحِ المتحلبِ

فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك. فقال: وكيف ذاك؟ قالت لأنك جهدت فرسك بسوطك ، ومريته بساقك. أما علقمة فقد أدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه ، لم يضربه بسوط ، ولا

مراه بساق ، ولا زجره. فقال امرؤ القيس: ما هو بأشعر مني ، ولكنك له وامقة. فطلقها وخلف عليها علقمة فسمي (الفحل)! وعلى الرغم من أن أثر التكلف والوضع في هذه القصة فإنها ذات دلالة واضحة. أما الشعر في صدر الإسلام فيبدأ بالبعثة النبوية (13هـ) ، وينتهي بآخر الخلفاء الراشدين ، وقيام الدولة الأموية (40هـ). وفيه انصرف الشعراء إلى القرآن الكريم يستلهمونه كتعويض فني عن الشعر ، وعلى الخصوص عندما نزلت الآيات التي تسقّه الشعر (وما هو بقول شاعر) ، و(الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا.....). والأحاديث النبوية: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خيراً له من أن يمتلئ شعراً). ولهذا صمت بعض الشعراء مثل: لبيد الذي قال: لقد عوضني الله عن قول الشعر بالقرآن. وتحول بعضهم عن القيم الجاهلية إلى القيم الإسلامية ، فناصر الدين الجديد بشعره ، كما فعل حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، ممن جندوا شعرهم في سبيل الدين الجديد ، ومن هنا كان تشجيع النبي صلى الله عليه وسلم لحسان وقوله له: "اهجهم ومعك جبريل روح القدس. والحق أبا بكر يعلمك تلك الهنات". وتزويجه إحدى الجاريتين اللتين أهداهما له المقوقس ، فولدت له عبد الرحمن. ومن هنا أيضاً استماعه إلى كعب بن زهير يلقي مدحته ، بعد أن كان قد أهدر دمه. واستمر الخلفاء الراشدون على ذلك ، فعمر بن الخطاب ينهى الناس عن أن يتناشدوا ما كان بين الأنصار ومشركي قريش من مناقضات ، ويرى في ذلك إثارة للعصبية وتجديداً للضغائن. ولما جاءت الفتوح ، تشاغلت العرب عن الشعر بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته ، كما يقول ابن سلام ، ولم يتح للمجاهدين الإخلاق إلى نفوسهم ، فقد حرمتهم التعبنة المستمرة لساعات الفراغ ، وملأت حياتهم ، فانطلقوا في البلدان يشرعون سيوفهم في سبيل الله. والواقع أن الفتوح ينبغي أن تثري الشعر عندما تتيح للشاعر أن يشهد ما لم يشهده من بلدان بعيدة ، وطبيعة جميلة ، وحروب شديدة. وحنين إلى أهله وذويه. ولكن الحركة الدائبة ، والتنقل المستمر لم يتيح له قول الشعر إلا على عجل. ومن هنا برزت ظاهرة فنية جديدة في شعر الفتوحات هي أن هذا الشعر أصبح شعر مقطوعات لا قصائد وأن الشاعر لم يعد بحاجة إلى مقدمات طولية ، وإنما هو يهجم على موضوعه ، دون تمهيد ، كما يضرب المحارب بسيفه. وأما العصر الأموي فيبدأ سنة 40هـ ، وينتهي سنة 132هـ ، وقد استرد الشعر فيه مكانته ، بعد أن هدأت موجات الفتوح ، وعادات العصبية القبلية وتوجهت الحراب إلى الداخل للأسف الشديد ، بدلاً من توجيهها إلى الخارج. وظهرت الأحزاب السياسية: الأمويون ، والزيبيرون ، والهاشميون ، والخوارج. ولكل حزب أدباؤه. وإذا كانت (النفائض) قد استعرت في العصر الجاهلي بسبب العصبية القبلية ، وفي العصر الإسلامي بسبب الرد على قريش ، وبلغت أوجها في العصر الأموي ، فإن (المعارضات) لم تكن قد عرفت بعد باستثناء حادثة بين جميل بن معمر ، وعمر بن أبي ربيعة ، فقد قال جميل بثينة:

عرفت مصيف الحي والمتربعا كما خطت الكفّ الكتاب المرجعا

فقال عمر بن أبي ربيعة معارضاً:

ألم تسأل الأطلال والمتربعا ببطن حليات دوارس بلقعا

فقد جاءت الألفاظ في القصيدة الثانية شبيهة بالقصيدة الأولى المعارضة ، وهذا لا ينقص من قدر القصيدة الثانية. والقصيدتان تعارضان قصيدة الصّمة القشيري (95هـ) التي مطلعها:

حَنَنْتَ إِلَى رِيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رِيَا وَشَعْبَاكَمَا مَعَا

والحق أن عمر بن أبي ربيعة قد تأثر بشعر جميل بثينة ، فأبدى إعجابه برانيته التي منها قوله:

أَغَادَ أَخِي مِنْ آلِ سَلْمَى فَمَبْكُرُ؟ أَبْنُ لِي أَغَادَ أَنْتَ أَمْ مَتَهَجِرُ؟

فعارضها عمر برائية لا تقل عنها روعة وجمالاً ، تبعه فيها وزناً وقافية وروياً وموضوعاً ،
ومنها قوله:

أَمِنْ آلِ نَعْمَ أَنْتَ غَادٍ فَمَبْكُرُ غَدَاةً غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمَهَجَرُ؟

وأما العصر العباسي فقد بدأ سنة 132هـ وانتهى سنة 656هـ وفيه اتسعت رقعة الخلافة ، وضعف دور الخلفاء ، فاستقلت كل دولة ببلادها: البويهيون في الديلم ، والعراق وفارس ، والحمدانيون في شمالي الشام ، والإخشيديون في مصر ، والفاطميون في مصر ، والسلاجقة في العراق ، والأيوبيون في مصر والشام.. إلخ. وفي هذا العصر نشب الصراع بين القدماء والمحدثين ، وانصبت في نهر العربية الكبير روافد ثقافات عديدة ، وحضارات أمم منهارة. واستفاد الشعراء اللاحقون من السابقين: فقد اقتفى شعراء الغزل أثر جميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة من العصر الأموي ، وأفاد شعراء الخمرة والمجون من خمريات أبي نواس ، ونهج بديع الزمان الهمذاني في (مقاماته) نهج أستاذه أحمد بن فارس في مقاماته ، واحتذى الحريري حدو البديع في مقاماته. ولم تكن (المعارضات) قد عرفت بعد على نطاق واسع ، كما عرفت (النقائض) في العصور الجاهلية والإسلامية والأموية ، باستثناء حوادث فردية تأثر فيها الشعراء بقصائد معاصرة ، فحاكوها ، مثال ذلك أن أبا نواس عندما قال قصيدته:

يَا رِيمَ هَاتِ الدَّوَاةَ وَالْقَلَمَا أَكْتُبُ شَوْقِي إِلَى الَّذِي ظَلَمَا

عارضه الشاعر الخراز بقصيدة التزم فيها الموضوع والوزن والقافية وحركة الروي ، قال فيها:

إِنْ بَاحَ قَلْبِي فَطَالَمَا كَتَمَا مَا بَاحَ حَتَّى جَفَاهُ مَنْ ظَلَمَا

ولم تكثر (المناقضات) الشعرية تلك ولا (المعارضات) تلك في الشعر العباسي ، وإنما كثرت (المطارحات) الشعرية التي هي قريبة من باب (المعارضات) ، والتي ازدهرت في مجال الأتس والسمر والشراب ، من ذلك قصيدة أبي نواس الهمزية في وصف الخمر ، والتي مطلعها:

دَعُ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللُّومَ إِغْرَاءُ وَدَاوَنِي بِأَلْتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ

فعارضه الحسين بن الضحاك (الخليع) بقوله:

بُدَلْتُ مِنْ نَفَحَاتِ الوَرْدِ بِالأَاءِ وَمِنْ صَبْوَحِكَ دَرَّ الإِبْلُ وَالشَّاءِ

فقد تابعه الخليع في ذكر الخمر والشعوبية. كما عارضه ابن المعتز في قصيدة يقول فيها:

أَمَكْنَتَ عَادَلْتِي مِنْ صَمْتِ أَبَاءِ مَا زَادَهُ النَّهْيُ شَيْئاً غَيْرَ إِغْرَاءِ

كما عارض أبو تمام قصيدة أبي نواس التي مطلعها:

يا دار ما فعلت بك الأيام؟ ضامتك ، والأيام ليس تضام

فقال أبو تمام:

دمن ألم بها ، فقال سلام كم حل عقدة صبره الإمام!

وعندما قال أبو تمام قصيدته الرائعة التي مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

عارضه ابن القيسراني بقصيدة مطلعها:

هذي العزائم ، لا ماتدعي القضب وذي المكارم ، لا ما قالت الكتب

وأما المتنبي فقد عارضه الكثير من الشعراء باعتباره (مالي الدنيا وشاغل الناس). فعندما قال قصيدته في مدح سيف الدولة:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

عارضها ابن زريك (ت 556هـ) بقصيدة مطلعها:

ألا هكذا في الله تمضي العزائم وتقضي لدى الحرب السيوف الصوارم

كما عارضه أسامة بن منقذ بقصيدة مطلعها:

لك الفضل من دون الورى والأكارم فمن حاتم؟ ما نال ذا الفخر حاتم

وعندما قال المتنبي قصيدته التي يمدح بها سيف الدولة ، ومطلعها:

أعلى الممالك ما يبني على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل

عارضه عبيد الله الموصلي بقصيدة مطلعها:

ظبا المواضي وأطراف القتا الذبل ضوامن لك ما جازوه من نفل

وعندما قال المتنبي بانثته التي مطلعها:

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلابيا

عارضه صفي الدين الحلبي بقصيدة مطلعها:

أسبلن - من فوق النهود - ذوائبا فجعلن حبات القلوب ذوائبا

ولعل (المعارضات) الحقيقية بدأت في الشعر الأندلسي عندما شعر الأندلسيون أنهم دون المشاركة علماً ، فاعترفوا بفضل المشرق عليهم ، وقام الكثير من أدبانهم وشعرانهم بمعارضة الأدياء والشعراء المشاركة الذين يعتبرونهم أساتذتهم ، فمحمد بن عبد ربه يضع كتابه (العقد الفريد) ليشابه كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة ، والصاحب بن عباد يقول عندما يطلع عليه: (هذه بضاعتنا ردت إلينا). كما صنفوا شعراءهم تصنيفاً يتصل بشعراء المشرق ، فقد لقبوا ابن دراج القسطلي بمتنبي الأندلس ، ومثله ابن هاني ، وابن زيدون بحتري الأندلس من ذلك معارضة أبي بكر الأشبوني لرانية أبي فراس الحمداني التي مطلعها:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهيّ عليك ولا أمرُ؟

فقال الأشبوني:

وليل كهـمّ العاشقين قميضه ركبث دياجيه ، ومركبـة وعر

ومعارضة ابن دراج القسطلي لأبي نواس التي يمدح فيها الخصيب ، ومطلعها:

أجارة بيتينا أبوك غيورُ وميسورُ ما يرجى - لديك - عسيرُ

فعارضه ابن دراج بقصيدة يمدح فيها المنصور بن أبي عامر ، مطلعها:

ألم تعلمي أن الثواء هو الثرى وأن بيوت العاجزين قبورُ

وعارض أبو الحسن البغدادي (الفكيك) مسلم بن الوليد في قصيدته في مدح الرشيد والتي فيها:

أديرا عليّ الكأس لا تشربا قبلي ولا تطلبنا عند قاتلتي ذلّي

فقال الفكيك معارضاً:

لأية حال عن سنة العدل ولم أصغ يوماً في هواك إلى العذل

كما عارضها محمد بن عبد ربه بقوله:

أتقتلني ظمماً ، وتجدني قتلي وقد قام - من عينيك - لي شاهد عدل

وعارض أبو بكر بن نصر الإشبيلي أبا تمام في رائيته التي يمدح بها المعتصم والتي مطلعها:

رقت حواشي الدهر ، فهي ترممُ وغدا الثرى - في حليه - يتكسّرُ

فقال الإشبيلي:

انظر نسيم الزهر رقّ فوجهه لك - عن أسرته السرية - يسفرُ

وعارض ابن خفاجة أبا تمام في رائيته التي يمدح بها المعتصم ، ويقول فيها:

الحقُّ أبلجٌ ، والسـيوفُ عـوارٍ فـحـذارٍ - من أسدِ العـرين - حـذارٍ
فقال ابن خفاجة معارضاً:

سمح الخيال - على النوى - يزار والصـبح يمسح عن جبين نهار
وعارض ابن هانئ الأندلسي (الذي يفتخر بلقبه: متنبى الأندلس) المتنبى الذي يمدح ابن عامر
الأنطاكي بقوله:

أطاعنُ خيلاً - من فوارسها - الدهرُ وحيداً ، وما قولي كذا ومعني الصبرُ!
فعارضه ابن هانئ برائيته يمدح فيها المعز لدين الله الفاطمي لفتح مصر من حكم العباسيين:

تقول بنو العباس: هل فتحت مصر فقل لبني العباس: قد قضي الأمرُ
وعارض ابن عبدون المتنبى في بانيته التي يمدح بها كافوراً ، ومطلعها:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانياً
فقال ابن عبدون معارضاً:

واني لأستحي من المجد أن أرى عليّ لمأمول سواك أيدياً

أما (معارضات) الشعراء الأندلسيين لبعضهم بعضاً فأكثر من أن تحصى ، ولا سيما في (الموشحات). ولم تقتصر (المعارضات) على الشعر ، فقد تعدت إلى النثر ، فشملت الرسائل والمقامات ، كتلك التي ظهرت بين الخوارزمي (383هـ) وبديع الزمان الهمذاني (398هـ) في مجال الرسائل. وكما عارض ابن شرف الأندلسي بديع الزمان الهمذاني في مقاماته ، فعمل مقامة في ذكر الشعر والشعراء ، وكما عارض الهمذاني أندلسيون كثيرون. وأما عصر الدول المتتابعة فيبدأ بسقوط بغداد عام 656هـ ، وينتهي سنة 1220هـ ، وهي سنة قيام محمد علي باشا في مصر. وفيه سيطر العنصر التركي ، وساد المماليك في العالم الإسلامي. ويمتاز هذا العصر بظهور الموسوعات الأدبية ، وانشغل الشعراء بالمحسنات البديعية في الأساليب لتغطية خواء المضامين الشعرية. ولعل هذا العصر يعتبر من أغزر عصور الأدب العربي (معارضات) شعرية ، بسبب ضعفه السياسي والحضاري الذي انعكس ضعفاً فنياً فتوحى الشعراء فيه سابقهم ، يعارضونهم ويحاكونهم. وأما عصر النهضة الحديثة فيبدأ منذ 1220هـ إلى يومنا هذا. ويمتاز بالنهضة في كل مناحي الحياة ، وبظهور أجناس أدبية حديثة كالقصة والرواية والمسرح. وقد كثرت فيه (المعارضات) الشعرية ، لا سيما مع البارودي رائد مدرسة الإحياء ، وشوقي رائد مدرسة الاتباعية (الكلاسيكية) الجديدة. وهكذا كثرت (المعارضات) عندما وجدت أمام الشعراء نماذج شعرية ذات مستوى فني عال، تستحق أن يجرد لها الشاعر التالي عبقريته معارضاً ، ومحاكياً ، وطامحاً إلى أن ينسج على منوالها ، إثباتاً لمقدرته الفنية).هـ. وإذن فالمعارضة - يا جهلاء زماننا - فن أدبي قائم بذاته ، طرقه فحول الشعراء قديماً وحديثاً ، ولا علاقة له مطلقاً بضعف شاعر ما وقوة آخر! وإنما يعارض الشعراء بعضهم بعضاً ولا مشاحة

ولا حرج ولا انتقاص! وتحت عنوان: (المعارضة الشعرية بين المطابقة والمفارقة) يقول الأستاذ سيف عبيد بالنص: (أما في الشعر فإن - المعارضة - هي ضرب من الأساليب الشعرية التقليدية الموعلة في القدم ، ويمكن أن نجد لها أصلاً في المساجلات بين الشعراء منذ العصر الجاهلي ، مثل تلك التي وقعت بين امرئ القيس وعلقمة الفحل وغيرها. وقد حظيت كثير من القصائد الشهيرة بالنسج على منوالها مبنياً ومعنى ، وقد يتراوح المضمون في المعارضة من الإحتذاء والمطابقة إلى التشابه والمقاربة ، وقد يصل إلى الإختلاف والمفارقة ، غير أن الإلتزام بالبحر والقافية و ببعض تضمينات القصيدة الأصلية يظل من أهم خصائص المعارضة. ومن أول الشعراء الذين عارضوا علي الحصري في قصيدة - ياليل الصب الشاعر ناصح الدين الأرجاني وهو معاصر للحصري! حيث إنه من شعراء النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجري من بلاد فارس ، فيبدو أن القصيدة قد اشتهرت في زمانها وتجاوزت شهرتها بلاد الأندلس وإفريقية ومصر والحجاز ، بل وطبقت آفاق بلاد الشام والعراق حتى وصلت بلاد فارس. ومن شعراء القرن التاسع الهجري في الشام الذين عارضوا القصيدة الشاعر ابن مليك الحموي وقد مدح ابن فرفور بقصيدة فجاءت في نحو ثلاثين بيتاً أغلبها في الغزل على نفس سياق الحصري تقريباً غير أن ابن مليك الحموي جعل من السمره إحدى أهم خصائص المتغزل به. أما بقية القصيدة فهي في نفس معاني الحصري تقريباً إذا استثنينا الاعتذار الوارد في - يا ليل الصب - وقد سار على منوال القصيدة ذاته جميع الشعراء القدامى الذين توصلنا إلى معارضاتهم مثل الشاعر ابن الأبار وهو من شعراء بلنسية بالأندلس في القرن السابع الهجري وهاجر إلى تونس هارباً من الإسبان وقد مدح الأمير أبا زكرياء الحفصي بمعارضته هذه ، لكنه مات مقتولاً بطعنه بالرمح ، حيث نجحت السعايات ضده لدى الأمير ولم يجده الاعتذار ، أما قصيدته فقد حافظ هو أيضاً فيها على صيغة التذكير في الغزل).هـ. وإنني لأعتذر عن طول هذه المقدمة التي كان لا بد منها لإيضاح أننا إذ نعارض فنحن لا نسرق أفكار غيرنا ، ولا نعمد إلى التقليد ولا المحاكاة أبداً! بل المعارضة الشعرية فن مستقل عمد إليه الشعراء في القديم والحديث! ويسعني اليوم ما وسع الشعراء بالأمس ، وعلى مدار التاريخ! ولنن كنت أعارض (شوقي) ، فشوقي عارض البوصيري وغيره! فهل فن المعارضة مباح لشوقي العملاق ، ومحرم علي كشويعر مبتدئ؟! اعقلوا يا قوم!

وَأَبْدَ الْهُدَى ، فَأَضِيَّتِ الْغُبْرَاءُ	وَوَهَادُهَا ، وَرِيَاضُهَا الْغَنَاءُ
وَجِبَالُهَا ، وَسَهُولُهَا ، وَمُرُوجُهَا	وَبِحَارُهَا ، وَتَلَاهَا الشَّمَاءُ
وَبِلَادُهَا ، وَقِفَارُهَا ، وَسَمَاوُهَا	وَنَجُومُهَا - فِي اللَّيْلِ - وَالْأَنْوَاءُ
وَرَبِيعُهَا ، وَخَرِيفُهَا قَدْ أَشْرَقَا	وَالصَّيْفُ ضَاءً ، وَضَاءٌ بَعْدُ شَتَاءُ
وَاللَّيْلُ زَائِلٌ دُلْجَةٌ وَخُلُوكَةٌ	وَتَلَأُ الْإِصْبَاحُ ، وَالْإِمْسَاءُ
وَلِدَ النَّبِيِّ (مَحْمَدٌ) ، فَلْتَبْتَشُرْ	هَذَا السَّمَا ، وَالنَّاسُ ، وَالْغُبْرَاءُ
فَعَلَيْهِ - مَنْ رَبُّ السَّمَا - بِرَكَاتِهِ	وَصَلَاتِهِ ، وَسَلَامُهُ الْوَضَاءُ
وَلِدَ الْهُدَى ، نَسَبٌ إِلَى الْعَلِيَا اسْتَمَى	ضَمَّتْهُ - فِي آفَاقِهَا - الْجُوزَاءُ

وعليه - من خلل الجمال - بهاء
حتى نأت - عن ساحه - الأهواء
للعالمين ، تحوطها الأضواء
والصدقُ يقدُرُ قدره العظماء
شهدتُ بذلك رجاة ونساء
حتى ليغبط شأوه الشرفاء
طاب القرانُ ، وطاب بعدُ بناء!
حاز السمو ، فدونه العلياء
ر ، وإن مدحت - فدونه - الإطراء
وبكل بأس سُربل الكبراء
سعدت - ببداء وجودها - البطحاء
ومخاض مولدها ارتآه (جراة)!
في موقفٍ عظمت - به - البأساء
يتعلم الكتابُ والقراء!
فئة ، وأخرى جُلها سُفهاء
وانجابت الأصنام والظلماء
والدينُ ساد ، وتمتِ النعماء
التابعون ومن قلوبه سوا
كفالت لكل ما يرى ويشاء
لتكون شرعته هي العلياء
ولله اهتمام بالغ ودعاء
ذهبت - بما طمحواله - الهيجاء

مُتفرداً بالمجد ، مُتفلاً به
مُترفعاً عن كل عيب ، أو هوئ
مُتوشحاً - بالمكرُمات - يزفها
متبرئاً من كل إفكٍ مفتري
متقلباً في طهر أرحام النساء
وسمتُ به نطفُ الرجال شرافة
فأبوه - بينهم - بأمنة بنى
من ذا يضارعه صوئ أو محتِداً
فهو الخيارُ من الخيار من الخيا
والجاهلية جُنُدت ، وتصرمت
وأقلتِ البطحاءُ أظهر أمة
في بطن مكة بدءُ أمة (أحمد)
اقرأ (محمد) ، قال: لسنتُ بقارئ
من قال: لسنتُ بقارئ من علمه
ودعا - إلى الله - الأنعام ، فأسلمت
وأقيم دينُ الله في دنيا الورى
وتفياً الناسُ الحضارة منهجاً
وأظل دينُ الله أصناف الورى
لا جبر ، لا إكراه ، بل حرية
عشرون عاماً والنبي مجاهد
لم يألُ جهداً في هداية قومه
حتى الألى لم يؤمنوا ، وتمردوا

حتى تُبَاد الطغمة الجاهلاء
منهم أناسياً هم الصالحاء
والتابعون له هم السعداء
وهو الذي - مما افتروه - براء
أخلاقه حقاً هم العقلاء
والمقتدون به هم الشهداء
إن قل - في يوم الجزاء - الشفعاء
مادام - في الكون الواسع - سماء
أدلى بذات الأحاب ، والأعداء!
صدعوا بحق ليس فيه خفاء
وتذمروا ، واستكبروا ، وأسأؤوا
سراً ، وواسى من إليه أفأؤوا
من ، بها سبيل المهتدين تضاء
ما للتعنت - في الصراع - بقاء!
في بطشهم ، واستفحل الإيذاء
عما جناه الطغمة البلهاء
شهدت - بما فجعوا به - الأفياء
صمدت ، ولم تذهب بها الأرزاء
لما استهان - بصبرها - الأعداء
مكراً تبدى ، ليس فيه خفاء
قال النبي ، وحواله النصراء

وإذا ترى ملك الجبال مخيراً
فيقول: (أحمد): لا ، وربى مخرج
هو رحمة للعالمين ، ونجدة
هو منذر خلقاً - به - لم يؤمنوا
ومبشر من آمنوا ، وتمثلوا
هو شاهد يوم الجزاء ، وشافع
وشفيح أمته إلى رب السما
صلى عليه الله جل جلاله
الصادق الشهم الأمين نعوته
ورأوه أفضل من جميع رجالهم
حتى إذا أتت النبوة أنكروا
فدعا لدين الله معتزاً به
مستلهماً سير الكرام المرسلين
لم يخش بأس أولي التعنت لحظة
فتعقبوا المستضعفين ، وأسرفوا
واسأل (بلالاً) والرُّبَا (سومية)
واسأل كذلك (آل ياسر) الألى
ولديك في (أم الشريك) إرادة
ناهيك عن (زنيرة) وثباتها
ونبيناً مكرروا به ، وبأهله
يادار (أرقم) خبرينا بالذي

عِبء الرحيل ، وبالقلوب رجاء
م ليسلما ، ويَزول بعدُ شقاء
بأساً ، وسادت عِزة قعساء
وغزا القلوب تآلفاً وصفاء
يوم اهتدى (عمر) ، وزال الداء
وشدا مناخ بالهناء وفضاء
وتكلم السادات والزعماء
والحقذ عم ، وطمت الشحاء
وكانما أهل التقى غرباء
ولله ابتهالٌ مُخبِتٌ ، وبُكاء
جبراً عليه ، فزادت اللأواء
والحزن قد سُمعت له أصدا
رضوان ، هذي دعوة وخُداء
فاهتاجت البأساء والضراء
بحجارة ألقى بها الأبناء
ويقول: أنت من السباب براء
ويجوذُ جوذاً خطه الكرماء
وتسيلُ - من قدم النبي - دماء
ولكل فردٍ - في الجدل - دهاء
سام لقطعتين - لدى العيون - سواء
وتكبرن ثم فتنة عمياء
حتى أتى المعراج والإسراء

ومهاجرين إلى (الجنوب) تجشّموا
سعيّاً إلى الملك (النجاشي) العظيم
وإذا بحمزة يوم أسلم زادهم
واستبشروا بالخير ، يطرق سُوحهم
والصف زاد تماسكاً وتآزراً
وانقضت المحن التي علقّت بهم
وإذا بأهل الشرك يُجمَعُ صفهم
وإذا بهم قد قاطعوا أهل التقى
وحصارهم للشعب كان نكايّة
ونبينا - في الشعب - عفاً صامداً
وإذا بعام الحزن يُقبل مجهزاً
ماتت (خديجة) ، وانقضت أيامها
فعليك أم المؤمنين سحائب الـ
والعمّ مات ، وكان درع نبينا
(والطائف) انطلقت خِلاف نبينا
وأتاه (عداس) يُجفف دمعاه
في كفه عنبٌ ، ويذكر (نينوى)
ويعوذ (أحمد) للديار وأهلها
والمشركون أتوا إليه ، وجادلوا
قالوا: تشق لناظر بدر التما
حتى إذا ما انشق ، هاهم أعرضوا
والله فرج عن فؤاد نبياه

وخلت - لأحمد - ليلة ليلاء
سعدت - بها - الآفاق والأجواء
وتشرفت - بقدمه - الزرقاء
وعليه - من خلل الثبات - رداء
ويجود يغبط جوده الدماء
وبهم تُعز الشرعة السمحاء
جاءت - بها - الخيرات والآلاء
والدين عز ، ولم يثبته خفاء
مُتقداً ، لما يعقبه وراء
والدار عمت سوحها الأضواء
أبدأ ، وقأدها الجمال وفاء
عن دعوة الإسلام ، ثم استأوا
ولجمعهم - في الملتقى - خيلاء
حلا رمته فإساة وذكاء!
أملاه نصاً ، فاستمى الإملاء
والدار تشهد ما أتى الأعضاء
بعيونهم ، وقلا العيون عماء
طاب البناء! وأفلح البناء!
ك بساعديه ، فحبذا الإرساء!
ونصيره ، هل مثل ذلك إخاء?
والمال قسّم بينهم ، ونساء!

أسرى به المولى ، وأكرم شأنه
والمسجدان فمؤلان لرحلة
وإذا بمعراج النبي إلى السما
ويعود مبتشراً بنصرة دينه
وعلى القبائل راح يعرض نفسه
ويريدهم لله أخلص أعبيد
والله من - على الجميع - بهجرة
أمن الجميع ، ومكنوا في (يثرب)
وتفياً للإسلام ظل شرافة
والبيعة انعقدت ، وأشرق نورها
هي بيعة الرضوان خلد نكرها
واحتار أهل الشرك في صد الورى
فتجمعوا - في دار نذوتهم - ضحى
واختار مجتمعوه قتل (محمد)
ألقاه إبليس لهم متخفياً
ومضى ، وخلفهم على ما قاله
لكنهم شهدوا نجاة نبينا
وينى النبي (قباءه) في (يثرب)
أرسى دعائمه على تقوى المليون
وأتى فأخى بين كل مهاجر
من قسّموا الدور التي فيها أووا

إذ ساقفهم - نحو القتال - نداء
فالعيرُ يعقبها غناً ورخاء
وإذا قضاه فلا يُرد قضاء
والنصرُ أدركهم ، فطاب لقاء!
فهذى ، وهل ينجي القتل هُراء؟
فوراً عليه ، ونال منه فناء
ولههم - بتعزيز النبي - ولاء
وأتى الصحابُ لهم جوىً وعزاء
لا يُرتجى - من غادرين - وفاء
حتى يسود - من الفتون - نجاء
صنوانُ هم والطغمةُ الأعداء!
إذ كان - في عصف الرياح - جزاء
لما ينالوا الخيرَ ، إذ هم جاؤوا
بل - بالمصائب والهزائم - باؤوا
وخلافه - في الحملة - السفهاء
للمؤمنين ، ومحنة وبلقاء
إذ عرضُ (عائش) طاهرٌ وبراء!
من (أحمد) ، وتأمَرَ الزعماء
وقرى الضيوف الأكرمين شِواء
لحمٍ بسم قاتل ، وحساء!
عما احتوت ، وزوى القدورَ خباء
الداغُ منه ، ومنه كان دواء!

وهناك في (بدر) بدتْ نفحاتهم
هم قد أرادوا العير دون تلاحم
وقضى الإله خلاف ما طمحو له
كرهوا لقا الأعداء ، فاقتيدوا له
وإذا (أبو جهل) يُجابه مصرعاً
ومضى يُددُ بالنهاية أجهزت
خبراً غداً وحديث قوم جاهدوا
وقبيل (بدر) فارقتَه (رُقية)
ويهود قد نقضوا العهودَ ، وأجرموا
ونبيناً أجلاهمُ عن (يثرب)
وتأمر الأحزاب ، بان نفاقهم
في غزوة (الأحزاب) جُنْدِلِ صفهم
والله ردّ الكافرين بغضبهم
فاسْتُدْرَجوا لهلاكهم في غزوة
و(ابن السلول) يقودُ أشرس حملة
في (حادثة الإفك) الذي هو فتنة
والله أوهن كيد من حاكوا الفرى
واحتار أهل الشرك كيف خلاصهم
والسمُّ دُسَّ بشاة (هود) غيابة
في بيت (هود) غدره وخيانة
وتكلمت تلك الذراع ، وأفصحت
والله أنقذ (أحمداً) من كيدهم!

وعليه - من أَرَجَ اليقين - بهاء
السلم غايتهم ، أو الهيجاء
ماذا ارتأيتم أيها الغوغاء؟
فإذا الجواب يزفه الفصحاء
وأبوك يمدح جوده الآباء
ربح الخيَارُ ، فأنتم الطلقاء!
إننا - على أرواحكم - أمناء
ولله السلامة جنة ووجاء
ذُفَامَنٌ ، إننا - بكم - رحماء
الشرك زال ، وأدبر الشركاء
وأقامه الرئبالة الخنفاء
والناس دانوا بالذي هم شاؤوا
بكت الحياة عليه والأحياء
بالحرص يفقه كنهها البلاء
ورحيل (أحمد) نكبة دهياء
والناس أفواجاً لسلم جاؤوا
ما للخلاق - في الحياة - بقاء
وهو العليم بما يرى ويشاء
فمن الذي يصبو إليه نداء؟
والخلق لي ، والعيش والإفناء
شيئ ، فمن تصويره الأشياء

وأتى - لمكة - فاتحاً مستتبلاً
والعشرة الآلاف فوق خيولهم
ونبينا - فيهم - يُخَيِّرُ قومه
ماذا ظننتم بالذي أنا فاعل؟
قالوا: نراك أخاً كريماً طيباً
فيعقب (المختار): يا قومي اذهبوا
من كان في (البيت الحرام) فآمن
ومن اغتدى - في بيته - هو آمن
أو كان في مأوى (أبي سفيان) بغد
وأتى - إلى الأصنام - يحطمها ضحى
والله مكن للحنيفة والهوى
لا قهر ، لا طاغوت ، بل حريّة
حتى إذا حجّ النبي مؤدعاً
نصح الجميع نصيحة مشفوعة
والله خيبره ، فاتر قريبه
والنصر جاء ، وفتح مكة بعده
ورحيل (أحمد) سونة حتمية
سبحان من يبقى ، ويسأل يومها
الملك - هذا اليوم - حقاً ملك من؟
فيجيب رب الناس: إن الملك لي!
للوحد القهار ، ليس كمثلته

صدقة جارية

(تزوج ذلك المليونير المسلم إحدى الفلبينيات سراً ، وكان أهلها قد وضعوا العراقيل أمامه نظراً لفارق السن بينهما! فاستجاب لكل ما طلبوه واعتبر ذلك من قبيل الصدقة عليهم لأنهم فقراء مساكين! وكانت له أسفار كثيرة إلى الفلبين ، واعتاد أن يضع زوجته الثانية تلك في جدول زيارته للفلبين! ولما قُرب أجله وأحس بذلك نادى أكثر أبنائه تديتاً ، وأخبره عن زوجه وأعطاه الاسم والعنوان ، وطلب منه أن يعطيها حقها في الإرث. وعندما توفي الأب وانتهت مراسيم التعمير والتكفين والصلاة والتشييع والدفن والتعزية ، وذهب الجميع للمحكمة الشرعية لتقسيم الإرث فاجأ الجميع الابن بقوله: تمهل أيها القاضي ، فإن أبي متزوج من امرأة فلبينية ، وسوف أسافر إليها ، وأتي بها لتأخذ نصيبها! فقال القاضي: أحسنت الرأي يا بني ، والجواب ما قلت: لنترث حتى تأتي الزوجة الثانية ، ولتحضر معها أوراقها الثبوتية موثقة! وسافر الابن إلى الفلبين ، وبحث عنها والتمس العنوان! وهناك في ديار قومها حُمن أن تكون هذا الحشيمة المحجبة امرأة أبيه! وقد كان ، فسلم عليها وقال: أنا فلان! فقالت: أعرفك من الصور فعندي صور الأبناء جميعاً. وأعلمها بموت أبيه! وطلب إليها أن تحضر لتسلم نصيبها في الميراث! فسافرت معه مصطحبة بعض أفراد عائلتها. وذهبت إلى المحكمة برفقة العائلة ، وهناك قدمت الأوراق الثبوتية والوثائق ، فقام القاضي بتقسيم التركة التي كان نصيبها منها 800 ألف ريال سعودي! وعادت إلى ديارها ، وأدركت أن الجميع يطمعون في هذا المال ، فارتأت أن تقوم بعمل صدقة جارية عن زوجها ، يلحقه ثوابها في قبره وينتفع بها المسلمون الفقراء هناك! فأنشأت داراً لتحفيظ القرآن الكريم وداراً أخرى لتربية الأيتام ، وقد كتب على الدارين اسم زوجها الراحل! وبعد سنين عدداً طرقت للابن البار فكرة أن يزور زوج أبيه فهي أم ثانية على كل حال! وأيضاً هذا من بر أبيه! فتلك رحم لا توصل إلا بأبيه لو كان حياً! ولما وصل إلى دارها ، وجدت الدار على ما هي عليه من سنين فسأل: لماذا لم يتغير الحال؟! فقالت: لنذهب إلى ضاحية كذا وستجد الجواب! فذهب معها إلى الضاحية التي سمتها والتي لا تبعد كثيراً عن دارها! فرأى الدارين وعليهما اسم والده! فأعجبه ذلك منها وعلم أن أباه قد علمها حقيقة الإسلام ، ورسخ فيها حب الفقراء والمساكين والإنفاق عليهم! فلقد كان متصدقاً محسناً! وعاد فأخبر العائلة التي كان بعض أفرادها مستاء من هذه الفلبينية ، فأعجبهم ذلك منها جداً ، وتبرعوا بخمسة ملايين ريالاً لدعم المشروع أكثر وتوسعته! فأعجبني ذلك من الجميع وكانت هذه القصيدة ترجمة لإعجابي! قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ}. وقال: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}. وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}. وقال: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سِنْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِنْهُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - في أضحية أو فطر - إلى المصلى ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال: أيها الناس تصدقوا فمرّ على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار... فلما صار إلى منزله جاءت زينب امرأة ابن مسعود

تستأذن عليه ، فقيل: يا رسول الله هذه زينب فقال: أي الزيناب؟ فقيل: امرأة ابن مسعود ، قال: نعم ، انذنوا لها ، فأذن لها ، قالت: يا نبي الله إنك أمرت اليوم بالصدقة ، وكان عندي خُلي لي ، فأردت أن أتصدق به ، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق ابن مسعود ، زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم. رواه البخاري ومسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - وإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يرببها لصاحبه كما يربي أحدكم فَلُوهُ حتى تكون مثل الجبل". رواه البخاري ومسلم. وكلمة فَلُوهُ معناها مُهره الصغير. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً". رواه البخاري ومسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله أنفق يا ابن آدم أنفق عليك. رواه الشيخان. ومن هنا كان للصدقة أجرها العظيم! ولعل هذه الزوجة بهذا الصنيع يكون لها مثل أجر زوجها!

لم يكن - من أجل الدنانير - حُبِّي	بل صدقتُ - في الحب - من كل قلبي
خيرُ زوج أهداني الجودَ سَمتاً	ثم أهدى نفسي هداية ربي
كان عوناً - على الشدائد - نالت	من حياتي ، والصدغُ تاق لرأب
كان نبراساً في حنادس عيشي	باجتهادٍ أضاء ذاتي ودربي
كان زوجاً عفاً ، وخِلاً وفيأ	رغم أن لم يحيا الحياة بقربي
كان مقداماً ، لا يخاف المنايا	مُكثراً من: (يا ربنا ، أنت حسبي!)
كان عدلاً في كل شيءٍ وشأن	والتحلي - بالعدل - من خير دأب
عاش يُعطي الفقير خير العطايا	باحترام من بعد عطفٍ وخبذب
جاء داري مستعظماً في وقار	واليقينُ يحدوه من كل صوب
بأذلاً ألوان الخيـور احتساباً	والهدايا من كل صِنفٍ وضرب
ناصرحاً للأقوام يرجو هداهم	بعدما هم قد عشموه بقرب
خاطباً ود الأهل يرجو رضاهم	حانزلاً حب الأهل من بعد حبي
أوغلوا - في الشروط - شرقاً وغرباً	لم يسئل - في شرق - يلوذ بغرب
والقيـودُ تتـرى ، وذا لا يُبـالي	ليس شيءٌ - على الهمام - بصعب

لبلايا يسوقها كل خب
من عشير يبيعني دون ريب
غير قولي: وافقت يا كل صحي!
لا أرى - في أخلاقه - أي عيب
وتعيشوا - في الدار - أعرق حزب
من تخطى - ببذله - كل صعب
خير زوجين عن تراض وحب
رغم طيشي ما بين شد وجذب
لم أعيره ذات يوم بشيب
أمر ربي ، وقال: قضيت نحبي
لم ينله - من أهله - أي غضب
إذ رأيت الأقوام من خير عرب
دون كد حصلت أطيب كسب
وإذا بي أضلى بأشرس حرب
حيث حاموا حولي جميعاً كسرب
خففوا لومي ، واحتقاري ، وعُتبي!
ني ، وأبني داراً لأيتام شعبي
أشرفت لا يطالها أي حجب
رب فاقبل بذلي وسعي وتوبي!

أخرس الكل - بالقبول - اتقاءً
واشتراني من خيرتي وعذابي
ليس لي رأي ، بل ولا القول قولي!
قد قبلت الضيف الكريم حلياً
زوجوه ثمسوا عزازاً كراماً
ثم كان الزواج من خير زوج
عشت أحلى أيام عمري ، وكنا
خصني بالتقدير - منه - احتراماً
فارق السن لم يقدني لسواي
ثم ولي - عن عالمي - مستجيباً
ثم كان الإرث الذي هو حقي
حيث كانوا أهلاً ، كما كان أهلاً
ناولوني الأموال عن طيب نفس
ثم عدت - إلى بلادي - سراعاً
حيث غالت هذي الريالات قومي
قلت: كلا ، مالي عليكم حرام
سوف أبني داراً لتحفيظ قرأ
وعلى الدارين اسم زوجي كشمس
إن هذارد الجميل لبعلي

وجاء دور الارتجال

(كنا في أمسية شعرية في جمعية حماية اللغة العربية في دار غربتي عام 2004م ، وحضر الأمسية الدكتور وليد قصاب ، وألقى من قصائده ما أمتعنا ، كما ألقى من قصائدي ما أمتعه على حد قوله! وشارك في هذه الأمسية المباركة عددٌ لا بأس به من الشعراء والشواعر. وفي الختام طلب إلينا الدكتور وليد أن نرتجل أبيات شعرية وليدة اللحظة! فلم تجد الدعوة ترحيباً من الشعراء الضيوف! فقال: إذن نعطي بيتاً من الشعر وتعيدون صياغته على بحر آخر نحدده لكم! على أن يكون ذلك في دقيقتين لا يزيد! فكان نصيبي البيت القائل:

وكـل كـسر فـإن الـدين جـابره وما لكـسر قـناة الـدين جـبران

وكان عليّ أن أعيد صياغته محافظاً على معناه على البحر الوافر ، في دقيقتين لا يزيد. فأمسكت القلم واحترت كيف أبدأ في هذه المتاهة ، وهذان الشرطان غاية في الصعوبة! وبعد دقيقة تقريباً فتح الله علي بقولي:

رأيتُ الـدين يجبر كل كسر! وكسرُ الـدين ليس له انجبار

وصحيحٌ أنني استغرقت الوقت المحدد ، وزدت عليه عشرين ثانية هي مدة كتابة البيت فقط! ولكن الدكتور وليد لفرط أدبه وخلقه جاملني واعتبرني الفائز الوحيد! وساعدني على ذلك أن المتسابقين الآخرين كانوا قد أخفقا ، ليس لعدم تمكنهما ولكن لضيق الوقت! ومن هنا لزمتم الدعاء والابتهاال إلى الله تعالى أن يلين لي البيان ، ويسخر أشعاري في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى! عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني). رواه البخاري ومسلم - واللفظ له - ، والترمذي والنسائي وابن ماجه. وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدعاء هو العبادة). ثم قرأ: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين). رواه أبو داود والترمذي - واللفظ له - ، وقال: (حديث حسن صحيح) ، والنسائي وابن ماجه ، وابن حبان في (صحيحه) ، والحاكم وقال: (صحيح الإسناد). وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد [والكرب] ، فليكثر من الدعاء في الرخاء). رواه الترمذي والحاكم من حديثه ومن حديث سلمان ، وقال في كل منهما (صحيح الإسناد). وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء). رواه الترمذي وقال: (غريب) ، وابن ماجه وابن حبان في (صحيحه) ، والحاكم وقال: (صحيح الإسناد). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني ، غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي). رواه الترمذي وقال: (حديث حسن غريب). وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى إياه ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم). فقال رجل من القوم: إذا نكث. قال: (الله أكثر). رواه الترمذي - واللفظ له - ، والحاكم ، وكلاهما من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح غريب). وقال الحاكم (صحيح الإسناد). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل في مسألة ، إلا أعطاه إياه ، إما أن يعجلها له ، وإما أن يدخرها له في الآخرة). رواه أحمد بإسناد لا بأس به. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ، ولا قطيعة رحم ، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها). قالوا: إذاً نكثر. قال: (الله أكثر). رواه أحمد والبخاري وأبو يعلى بأسانيد جيدة ، والحاكم وقال: (صحيح الإسناد). فتوجهت بهذه الأبيات لله رب العالمين أشكره وأحمده - سبحانه - أن الآن لي فنون البيان!

مِنَ اللَّهِ التَّفْضِيلُ ، وَالْعَطَاءُ	عَلَى عِبْدِ بَضَاعَتِهِ الدَّعَاءُ
لَجَأْتُ لَه ، فَحَقَّقَ أَمْنِيَاتِي	وَلَمْ تَخِبِ الظُّنُونُ ، وَلَا الرَّجَاءُ
دَعْوَتُ بَحْرَقَةٍ ، وَبَدَّلْتَ دَمْعِي	وَبَلَلٌ - مَا جَارَتْ بِهِ - الْبِكَاءُ
وَرَبِ النَّاسِ قَلْبِي الْمَعَالِي	وَإِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ
الآن لي البيان ، فقلت: شعري	تُشِيَعُهُ الْمَوَدَّةُ وَالصَّفَاءُ
وما كنت ارتجلت طوال عمري	وَمِنَ أَهْلِ الْخِدَاعِ أَنَا بَرَاءُ
وما أنجزت أمراً بارتجال	وَتَمَقَّتْهُ الْإِجْرَادَةُ وَالذِّكَاؤُ
وما أدليت - في التفيق - دلوي	فليس - لأي تلفيق - بقاء
سنتكشفت الحقيقة للبراييما	فما - لحقيقة أبداً - خفاء
ألا إنني ارتجلت ، ولي اجتهادي	وأخرجني التكلف والثناء
وأدركت قدرتي وقصور نظمي	وعيبني - لا يغطيها - المراء
وما من شاعر إلا سيفني	ويذهب - بالذي كتب - الفناء
وتبقى فكرة صدقت وصحت	بها - وسط الدياجر - يستضاء
وتبقى قيمة تدعو لخير	لها - بين الأماجد - أولياء
ويبقى النصح - في الأشعار - عفا!	وأرباب النصائح أسوياء
ويبقى الأمر - بالمعروف - ديناً	يؤديه الأبهة الأتقياء
وقد ناصحت - بالأشعار - قومي	ونأوا ما أقول الأغبياء

فأغرته التجارب والسناء
تجدله الدغول والشقاء
فكتم العلم يتبعه البلاء
ولم يزر القصائد الأفتراء
أنا - للشعر إذ يسمو - الفداء
فلم يتخلل الشعر الهراء
وإن هم - بالخير إلي - جاؤوا
فما - في القلب - غش أو رياء
بها دنيا يتيه - بها - الغناء!
كما ينحو الرعاغ الأشقياء
كما يأتي الغواة الأذعياء
ولم تعبت - بأشعاري - النساء
كما الأصنام تلك ، هما سوء
بشعر جُل مطمحه ارتقاء
تقهقر حيث قبائمه السوراء
وكان - لها - المضى والكبرياء
إليه - في الجمال - الإنتهاء
فكان له - إلى الحسن - الولاء
فطاب - بذى المقاصد - الانتقاء
فطاب - لمن تذوق - الاصطفاء
لتال ، والوداد هو البهلاء

وناولت القريض سنا حياتي
وسجلت الدروس لكل جيل
ولم أكرم - يمين الله - علماً
ولم أبخل بنهي عن فساد
سموئ بهن عن إفك وزور
ولم أقبل بتدليس القضايا
وما طوّعت شعري للطواغي
وما نافقت زياداً أو عميراً
وما تاجرت - بالأشعار - أرجو
وما سخرت شعري في المعاصي
وما شبيب في حسن الصبايا
وما غازلت (ليلى) ، أو (زنابي)
وما عبّدت - للأوطان - قومي
وما أسرفت - في التدشين - يُزري
وما جاملت - بالأشعار - وضعاً
وناصرت الحقائق أجتبيها
وطرزت القصائد وفق نظم
وقلدت القريض جُمان لفظي
وكنت قد انتقيت له المعاني
وكنت قد اصطفيت - له - المجاني
وأشكر ربنا أن طاب شعري

وأين هو العيد؟

(سألني أحدهم قاتلاً: لماذا لا تذهب لتشهد العيد مع أهلك في بلدك؟ فقلتُ له: وأين هو العيد؟ وهل بقي لك في الدنيا شيء إذا رحل الوالدان؟ وأقرني سألني على ذلك والله الحمد! فرحْتُ أزيد من الشعر بيتاً فقلتُ له: لقد عانيتُ الكثير في دار إقامتي وفي دار غربتي! وعلى الحقيقة فإن دار غربتي لا تختلف كثيراً عن دار إقامتي ، بل لكل منهما من الأحوال ما يُكدر الصفو ، وينغص العيش ، ويعكّر المزاج ، ويبعث على الأسى ، ويورث الهم ، ويهيج الغم ، ويشبط الهمة ويذيب الفؤاد كما يذوب الملح في الماء ، ويصيب النفس بالأسى. ورحتُ أتساءل: وأين هو العيد؟ فكان تساؤلاً يثير في النفس غصّة ، ومن هنا كانت هذه القصيدة محاولة لإجابته!)

هَذَا التَسَاوُلُ مِحْنَةٌ وَبِلاءٌ
وَالقَلْبُ - مِنْ أَلْغَاذِهِ - فِي حَيْرَةٍ
وَالنَّفْسُ تَجْزَعُ مِنْ مَجْرَدِ ذِكْرِهِ!
وَالرُّوحُ أَلْمَهَّاسُ سِوَادُ حُرُوفِهِ
الْعَيْدُ أَيُّنَ إِذَا اسْتَبِيحَ وَقَارِنَا؟
وَالْعَيْدُ أَيُّنَ إِذَا غَدَتِ أَعْرَاضُنَا
وَالْعَيْدُ أَيُّنَ إِذَا الْأَكْرَامُ قَتَلُوا
وَالْعَيْدُ أَيُّنَ إِذَا الْكِرَامَةُ أَزْهَقَتْ
وَالْعَيْدُ أَيُّنَ إِذَا الطَّغَاةُ تَجَبَّرُوا
فَسَدَتْ حَيَاةَ النَّاسِ لَمَّا أَدْعَنُوا
وَالدُّيُنُ غَابَ عَنِ الْحَيَاةِ بِأَسْرَهَا
وَالجَاهِلِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
وَالْمَصْلُوحُونَ تَخَلَّفُوا عَنِ دَوْرِهِمْ
مَا بَيْنَ مَسْجُونٍ بِدُونِ جَرِيرَةٍ
وَسِوَاهُ مَنْفِيٍّ يُعَانِي غَرْبَةً
وَسِوَاهُ قَيْدٍ إِقَامَةٍ جَبْرِيَّةٍ!
وَسِوَاهُ مَقْتُولٍ تَعَمَّدَ قِتْلَهُ

وَمِنْ الإِجَابَةِ إِنِّي مُسْتَأْ
وَيُؤْزِنِي الْمَوْضُوعُ وَالْإِيحَاءُ
نَفْسٌ - لِمَا مُنِيَتْ بِهِ - جَزَعَاءُ!
وَكَأَنَّهُنَّ السُّدُجُ وَالظُّلْمَاءُ
وَالْعَيْدُ أَيُّنَ ، وَلَمْ تَجْفَ دِمَاءُ؟
كَلَّأَ مَبَاحاً ، وَالْحَيَاةُ شَقَاءُ؟!
وَكَأَنَّهُا - فِي السَّاحَةِ - الْهَيْجَاءُ؟
وَتَأْمَرَ الْأَوْغَادُ وَالسِّفْهَاءُ؟
وَطَغَى - عَلَى عَيْشِ الْأَنَامِ - بِلَاءُ؟!
لَطْفَاتِهِمْ ، وَبِذَلِكَ عَمَّ الدَّاءُ
وَنَأَتْ شَرِيعةَ رَبِّنَا السَّمْعَاءُ
فِي أُمَّةٍ حُكَّامَهَا الْأَعْدَاءُ
إِذْ إِنَّهُمْ - فِي قَوْمِهِمْ - غَرْبَاءُ
إِذْ لَيْسَ - فِي أُمِّ الدِّيَارِ - قَضَاءُ
وَالْأَهْلُ - لَمَّا أَنْ نَأَى - غَرْبَاءُ
مَيِّتٌ يُعَايِنُ مَوْتَهُ الْأَحْيَاءُ
بَغِيَاءُ وَعَدْوًا طَغْمَةً جُبْنَاءُ

كي يستبد الجوقة الجهلاء
أن قد أحاطت - بالهْدَى - الأرزاء!
ليُعربدوا ، إذ ليس قط حياء
مذبات أسياداً - بها - الوُضعاء؟
وعلى التحلل سُلطت أضواء
والحربُ - من أشياعهم - شعواء
وتطاولوا في غيِّهم ، وأساؤوا
وأراهم - بدجى الخطيئة - باؤوا
وبدعهم كم عمّت البلواء!
واشادتت البأساء والضراء
وتصدّني ، حتى يطول مراء!
أن قد تغشّت دارك النعماء
في عالم يأسى - له - العلماء؟
ولى ، وكم هشتت له الغبراء!
وجرت - بسوء حاله - الأنبياء
وبجوفه مَرثية كآداء
كيلا ينالك - بعده - استهزاء

وسواه يُكره أن يظن بعلمه
وسواه من كمد يموت تحسراً
والمفسدون خلّت - لهم - ساحاتهم
ماذا تخافُ جموعهم في دارنا
لا دين ، لا سلطان يوقِفُ زحفهم
لا عُرف ، لا تقليد يكسِرُ بأسهم
أمنوا العقوبة ، فاستباحوا ما أتوا
وكذاك يفعل كل من ركبوا الهوى
لعبوا بنار فسادهم ، فترهاوا
والدارُ ناءت - بالمصائب - كالردى
واليوم تسألني ، وتجرّح خاطري
عبثاً تحاول مُثبِتاً ما تدعي
أوما رأيت العيد يختصرُ المدى
أمسى يُقارنُ بين ماضي أمةٍ
والحاضر المُزري الذي أودى بها
هوّن عليك ، فإن سؤلك شائنٌ
وأنا أعيذك أن تکررَ طرحه

تهنئة سليمانة

(دار الفكك دورته ، وجاء اليوم العظيم الذي يُصبح فيه ولدي عبد الله عريساً ، وحن وقت العرس ، فألفيتني أتخيل سؤالا يطرحه بعض الزائرين في حفله: أليس هناك قصيدة تهنيء بها عبد الله في هذه المناسبة العزيزة الغالية؟ ومن هنا تحركت عاطفة الشعر ، وكانت هذه التهنئة السلیمانية مباركتي لهذا العرس الميمون المبارك! والفرق بين قصيدتي التي أنشدتها يوم مولده يشبه إلى حد بعيد الفرق بين كونه مولوداً يتلطف في دم ولادته وكونه اليوم رجلاً بين الرجال! ليس هذا فقط ، بل كان الفرق الشعري بين قصيدة يكتبها شاعرٌ ما وعمره 35 عاماً وأخرى يكتبها الشاعر ذاته وعمره 55 عاماً تقريباً! إن كثيراً من الباحثين والدارسين والخبراء والنقاد يرون أن الشاعر كلما تقدّم في العمر كلما كان الشعر له سَجِيّة ، وكلما ازداد فيه خبرة وعلماً وتمكناً! شأنه في ذلك شأن جميع أصحاب المهن والحرف! وهذا فعلاً قاسمٌ مشترك بين أصحاب المهن والحرف والصنائع! ولقد عمّت منكرات الأفراح وطمّت موبقات الأعراس في زماننا هذا أكثر من أي زمان مضى! ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن الزواج من سنن المرسلين وفطر الأنبياء ، قال الله تعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية). والزواج بهذا يعتبر من نعم الله على عباده ، إذ يحصل به مصالح دينية ودنيوية ، فردية واجتماعية ، مما جعله من الأمور المطلوبة شرعاً ، قال الله تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) ، وهذه حقيقة واقعية ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج). ومن حق هذه النعمة العظيمة الشكر ، وأن لا تتخذ وسيلة للوقوع فيما حرم الله. ومما ينافي شكر هذه النعمة وقوع أصحابها في كثير من المخالفات والطوام والمعاصي والمنكرات التي تتعلق بها ابتداء من مبدأ النكاح نفسه ، وانتهاء بوليمة العرس ، مروراً بغير ذلك من المراسيم المتعلقة بالزواج ابتداء وانتهاء! غير أنها تختلف باختلاف الأزمان والأوطان. مما يُحتم على كل مسلم التنبيه لها والتنبيه عليها والقيام بما أمر الله تعالى به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكما أسلفت القول بأنها كثرت في زماننا هذا الذي كثر بلاؤه وشره وقل نفعه وخيره! ونظراً لكثرتها فيكتفى في هذه العجالة بعرض نبذ منها والله المسؤول أن يقينا شرورها. فمن المخالفات التي تتعلق بمبدأ الزواج: أولاً: العزوف أو الإعراض عن الزواج. فمن المنكرات العزوف عن الزواج بدون عذر شرعي. سئل الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله - عن ترفض الزواج بحجة الدراسة ، فأجاب بقوله: (حكّم ذلك أنه خلاف أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه) ، وقال صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج). وفي الامتناع عن الزواج تفويتٌ لمصالح الزواج. فالذي أنصح به المسلمين من أولياء النساء والمسلمات من النساء أن لا يمتنعوا عن الزواج من أجل تكميل الدراسة. على أن كون المرأة تترقى في العلوم مما ليس لنا به حاجة أمرٌ محتاج إلى نظر ، فالذي أراه أن المرأة إذا أنهت المرحلة الابتدائية وصارت تعرف القراءة والكتابة ، بحيث تنفع بعلم هذا في قراءة كتاب الله وتفسيره وقراءة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وشرحها ، فإن ذلك كافٍ ، اللهم إلا أن تترقى لعلوم لا بد للناس منها كعلم الطب وما أشبهه ، إذا لم يكن في دراستها شيءٌ من محذور من اختلاط أو غيره).هـ. ثانياً: تأخير تزويج البنات والأخوات: وفي هذه القضية المهمة نصح

سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله قانلاً: (من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى من يبلغه هذا الكتاب من المسلمين ، سلك الله بي وبهم صراطه المستقيم وجعلنا جميعاً من حزبه المفلحين ، آمين: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أما بعد ، فإن الله سبحانه وتعالى قد أوجب على المسلمين التعاون على البر والتقوى والتناصح في الله والتواصي بالحق والصبر عليه ، ورتب على ذلك خير الدنيا والآخرة وصلاح الفرد والمجتمع والأمة ، وقد بلغني أن كثيراً من الناس يؤخرون تزويج مَؤلياتهم من البنات والأخوات وغيرهن لأغراض غير شرعية كخدمة أهلها في رعي أو غيره ، وكذلك من يؤخر زواجها من أجل أن يأخذ بها زوجة له. وتأخير زواج المولية لهذه الأسباب ونحوها من الأمور المُحرمة ومن الظلم للموليات من البنات وغيرهن ، قال تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإيمانكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله). والأيامى: جمع أيم ، يقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له ، يقال: امرأة أيمٌ ورجل أيم. قال ابن عباس: رغبتهم الله في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ، ووعدهم عليه الغنى فقال: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإيمانكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله). وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) ، وروى الترمذي أيضاً عن أبي حاتم المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد. قالوا: يا رسول الله ! وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، ثلاث مرات). هـ. مجلة البحوث 267/2 العدد الأول 1400 هـ. وهناك مخالفات في الخطوبة والعقد: أولاً: عدم تمكين الخاطب من الروية الشرعية: يقول الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: (فالخاطب يستحب له أن يرى ما يظهر غالباً من المرأة كالوجه واليدين ، ويتأمل فيها وفي ما يدعوه إلى نكاحها ، وذلك لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن عقد على امرأة أو أراد الزواج: (انظر إليها)! رواه مسلم. وروى أحمد بإسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا خطب أحدكم امرأة ، فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته ، وإن كانت لا تعلم). ولا يسوغ للرجل أن ينظر لمن لم يرد خطبتها ، وكذلك لا ينظر إليها في خلوة أو مع ترك الحشمة ، إنما يباح له النظر إليها مع عدم علمها أو مع علمها وأهلها إذ كانت رؤيته لهذا ممكناً ، وأما عرض الأهل بناتهن بحجة الخطبة ، فهذا مما لا يسوغ ولا يفعله أهل الغيرة ، وإنما يباح النظر لمن علم منه الصدق في الزواج ، أو بعد الخطبة والله أعلم). هـ. (المنظار إلى بيان كثير من الأخطاء الشائعة ، ص 141، 142). وثانياً: الزيادة في المهور بما لا يطاق: يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله –: (والمشروع في المهر أن يكون قليلاً ، فكما قلّ وتيسر فهو أفضل ، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وتحصيلاً للبركة ، فإن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة ، روى مسلم في صحيحه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (إني تزوجت امرأة قال: كم أصدقتها؟ قال: أربع أواق (يعني مائة وستين درهماً) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على أربع أواق؟ كأنما تتحتون الفضة من عرض هذا الجبل! ما عندنا ما نعطيك ، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه!) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت: يا رسول الله أهب لك نفسي ، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصعد النظر فيها وصوبه ، ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها

شيئاً جلست. فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها؟ فقال: فهل عندك من شيء؟ فقال: لا والله يا رسول الله. فقال: اذهب إلى أهلِكَ فانظر هل تجد شيئاً؟ فذهب ثم رجع، فقال: لا والله ما وجدت شيئاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انظر ولو خاتماً من حديد، فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد. ولكن هذا إزارى، قال سهل: ما له رداء. فلها نصفه! فقال رسول الله: ما تصنع بإزارك؟ إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء. فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً فأمر به فدعي، فلما جاء قال: ماذا معك من القرآن؟ قال معي سورة كذا وكذا (عددها) فقال: تقروهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم. قال: اذهب فقد مُلِّكْتَهَا بما معك من القرآن». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، ومسلم واللفظ له. وقد كان المهر أحياناً في عهده صلى الله عليه وسلم شيئاً معنوياً رانعاً. فقد خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: «والله ما مثلك يردّ ولكنك كافرٌ وأنا مسلمة، ولا يحلّ لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذلك مهري، ولا أسألك غيره، فكان كذلك». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانٍ، وصححه الألباني. وهذا هو عمر بن الخطاب، فقد خطب الناس فقال في خطبته: أَلَا لَا تُغَالُوا صَدَقَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَكَحَ شَيْئاً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أَنْكَحَ شَيْئاً مِنْ بَنَاتِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَةً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة)، وقال: "إن من يُمن المرأة تيسير خيبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها". وقال عمر رضي الله عنه: (ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى في الآخرة لكان أولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم: وما أصدق النبي صلى الله عليه وسلم امرأة من نساينه، ولا أصدق امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية) والأوقية: أربعون درهماً. ولقد كان تصاعد المهور في هذه السنين له أثره السيئ في منع كثير من الناس من النكاح رجالاً ونساءً، وصار الرجل يمضي السنوات الكثيرة قبل أن يحصل المهر فنتج عن ذلك مفاسد منها: تعطل كثير من الرجال والنساء عن النكاح. وأن أهل المرأة صاروا ينظرون إلى المهر قلة وكثرة، فالمهر عند كثير منهم: هو ما يستفيدونه من الرجل لامراتهم، فإذا كان كثيراً زوجوا ولم ينظروا للعواقب، وإن كان قليلاً ردوا الزوج، وإن كان مرضياً في دينه وخلقه! وأنه إذا ساءت العلاقة بين الزوج والزوجة، وكان المهر بهذا القدر الباهظ فإنه لا تسمح نفسه غالباً بمفارقتها بإحسان، بل يؤذيها ويُتعبها لعلها ترد شيئاً مما دفع إليها، ولو كان المهر قليلاً لهان عليه فراقها. ولو أن الناس اقتصدوا في المهر، وتعاونوا في ذلك، وبدأ الأعيان بتنفيذ هذا الأمر لحصل للمجتمع خيرٌ كثير، وراحة كبيرة، وتحسين كثير من الرجال والنساء، ولكن مع الأسف صار الناس يتبارون في السابق إلى تصاعد المهور وزيادتها، فكل سنة يضيفون أشياء لم تكن معروفة من قبل، ولا ندري إلى أي غاية ينتهون). هـ. الزواج لابن عثيمين، ص 35، 34. وثالثاً من المنكرات كذلك: دبلة الخطوبة، فيلبس الرجل تشبهاً بأعداء الله دبلة تسمى: دبلة الخطوبة، وكثير من الناس يعتقد أن العقد مرتبط بهذه الدبلة خاصة إذا كانت من الذهب. وقد حُرِّمَ لبس الذهب على الرجال، وذلك لأدلة كثيرة منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه - صلى الله عليه وسلم - وطرحه وقال: (يعمد أحدمكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده! فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك وانتفع به، قال: لا والله لا آخذه

أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم). رواه مسلم. يقول الشيخ الألباني في آداب الزفاف ص212 ما نصه: (فهذا مع ما فيه من تقليد الكفار أيضاً لأن هذه العادة سرت إلى المسلمين من النصارى ، ويرجع ذلك إلى عادة قديمة لهم عندما كان العريس يضع الخاتم على رأس إبهام العروس اليسرى ويقول: باسم الرب ، ثم ينقله واضعاً له على رأس السبابة ويقول: باسم الابن ، ثم يضعه على رأس الوسطى ويقول: باسم روح القدس ، وعندما يقول: آمين ، يضعه أخيراً في البنصر حتى يستقر). هـ. فنعوذ بالله من مشابهة الكفار وأهل النار! ومن المخالفات أيضاً ما يكون في الأفراح والولائم: أولاً: التشريعة (كما هو معروف في صعيد مصر) (أو الفستان الأبيض كما هو معروف في شمال مصر ووسطها) عند الزواج: وهي أن تلبس المرأة ثوباً أبيض كبيراً لا تستطيع المشي به حتى يحمله معها عدد من النساء أو الأولاد الصغار ، وتلبس معه شراباً أبيض وقفازين أبيضين كذلك ، ثم توضع في مكان فسيح (يسمى الكوشة) وعلى ملاء من الناس ، ثم يدخل عليها الزوج ويسلم عليها أمامهم ويعطيها التحف والهدايا ويتبادل معها أطراف الحديث ، وربما شاركه في هذا أقرباؤه كما هو حاصل في بعض البلاد. ويجلس معها والناس ينظرون ويصورون ويتبادلون التحايا والطعام والشراب! ويستمر الحال هكذا لساعات (من بين العصر والمغرب مروراً بالعشاء وحتى الفجر ، مضيعين بذلك صلاة المغرب والعشاء) مقترناً بمعاص أخرى نشير إليها إن شاء الله! وفي هذا عدة محاذير منها: أن ذلك ليس من عادات المسلمين ابتداءً ، بل هو من عادات بعض الكافرين! كما أن فيه إسرافاً وبذخاً وفخفة ورياء وسُمة ، (فالفستان هذا يتكلف المئات وربما الآلاف). والله تعالى يقول: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين). ودخول العريس والعروس وجلوسهما في مكان عال بمرأى من جميع الحاضرين في حد ذاته مخالفة شرعية ، وفي هذا يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: (ومن الأمور المنكرة التي استحدثها الناس في هذا الزمان وضع منصة للعروس بين النساء ويجلس إليها زوجها بحضرة النساء السافرات المتبرجات ، وربما حضر معه غيره من أقاربه وأقاربها من الرجال ، ولا يخفى على ذوي الفطرة السليمة والغيرة الدينية ما في هذا العمل من الفساد الكبير وتمكُن الرجال الأجانب من مشاهدة الفاتنات المتبرجات ، وما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة. فالواجب منع ذلك والقضاء عليه حتماً لأسباب الفتنة وصيانة للمجتمعات النسائية مما يخالف الشرع المطهر). هـ. الرسائل والأجوبة النسائية ، ص44. وثالثاً: خروج النساء متطيبات: ومن منكرات الأفراح خروج النساء من بيوتهن متطيبات ، وهن في طريقهن إلى العرس يتعرضن للمرور على الرجال ، وهذا بلا شك حرام. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيا امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي كذا وكذا يعني زانية). ورابعاً: الاختلاط المستهتر: ويحدث الاختلاط عند دخول الزوج وأقاربه وأقارب الزوجة من الرجال عند وقت المنصة (أو الكوشة) ، وهو كذلك منكر ، قال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والدخول على النساء فقال رجل: أفرايت الحموي يا رسول الله؟ قال: الحموي الموت). رواه البخاري ومسلم. الحموي أخو الزوج أو أحد أقربائه من الذين يحل لهم الزواج بامرأته. يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين مبيناً آثار هذا الاختلاط وما يجنيه فاعله من سيئات: (أيها المؤمنون! تصوروا حال الزوج وزوجته حينئذ أمام النساء المتجملات المتطيبات ينظرن إلى الزوجين ليشتمن فيهما - إن كانا قبيحين في نظرهن - ولتتحرك كوامن غرائزهن - إن كانا جميلين في نظرهن - تصوروا كيف تكون الحال والجمع الحاضر في غمرة الفرح

بالعرس وفي نشوة النكاح؟ فبالله عليكم ماذا يكون من الفتنة؟ ستكون فتنة عظيمة ولا شك ، ستتحرك الغرائز ، وستثور الشهوات. أيها المسلمون: تصوروا ثانية ماذا ستكون نظرة الزوج إلى زوجته الجديدة التي امتلأ قلبه فرحاً بها إذا شاهد في هؤلاء النساء من تفوق زوجته جمالاً وشباباً وهيئة؟ إن هذا الزوج الذي امتلأ قلبه فرحاً سوف يمتلئ قلبه غمّاً ، وسوف يهبط شغفه بزوجه إلى حد بعيد فيكون ذلك صدمة وكارثة بينه وبين زوجته).هـ. من منكرات الأفراح ، ص8. وخامساً: التصوير: يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (فإني أضيف إلى ما سبق من المحاذير التي تقع ليلة الزفاف هذا المحذور العظيم: لقد بلغنا: أن من النساء من تصطحب آلة التصوير لتلتقط صور هذا الحفل ، ولا أدري ما الذي سوغ لهؤلاء النساء أن يلتقطن صور الحفل لتنتشر بين الناس بقصد أو بغير قصد؟! أظن أولئك الملتقطات للصور أن أحداً يرضى بفعلهن؟! إنني لا أظن أن أحداً يرضى بفعل هؤلاء ، إنني لا أظن أن أحداً يرضى أن تؤخذ صورة ابنته ، أو صورة زوجته ، لتكون بين أيدي أولئك المعتديات ليعرضنها على من شئن متى ما أردن! هل يرضى أحد منكم أن تكون صور محارمه بين أيدي الناس ، لتكون محلاً للسخرية إن كانت قبيحة ، ومثالاً للفتنة إن كانت جميلة؟! ولقد بلغنا: ما هو أفدح وأقبح: أن بعض المعتدين يحضرون آلة الفيديو ليقتطوا صورة الحفل حية متحركة ، فيعرضونها على أنفسهم وعلى غيرهم كلما أرادوا التمتع بالنظر إلى هذا المشهد! ولقد بلغنا: أن بعض هؤلاء المصورين يكونون من الشباب الذكور في بعض البلاد يختلطون بالنساء أو يكونون منفردين ، ولا يرتاب عاقلٌ عارفٌ بمصادر الشريعة ومواردها أن هذا أمر منكر ومحرم ، وأنه انحدر إلى الهاوية في تقاليد الكافرين المتشبهين بهم).هـ. من منكرات الأفراح ، ص11. يضاف إلى ذلك أنه من منكرات الوليمة: أولاً: دعوة الأغنياء وذوي الجاه ، وترك الفقراء: وهذا لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم: (شر الطعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويمنعها المساكين ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله). رواه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي) رواه أبو داود ، وإن كان حديثاً ضعيفاً إلا أن معناه صحيح! وثانياً: الإسراف ، ولقد ذم الله الإسراف في اثنتين وعشرين آية من القرآن ، وعاب فاعله ، قال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) ، وقال عز وجل: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين). وثالثاً: إحضار المغنيين والمغنيات والأشرطة التي فيها غناء وموسيقى واستخدام المكبرات: يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (إن بعض الناس - ليلة الزفاف - يجمع المغنيات بأجور كثيرة ليغنين. والغناء ليلة الزفاف ليس بمنكر ، وإنما المنكر الغناء الهابط المثير للشهوة ، الموجب للفتنة. وقد كان بعض المغنيات يأخذن الأغاني المعروفة التي فيها إثارة للشهوات ، وفيما إلهاب للغرام والمحبة والعشق ، ثم إن هناك محذوراً آخر يصحب هذا الغناء ، وهو ظهور أصوات النساء عالية في المكبر. فيسمع الرجال أصواتهن ونغماتهن فيحصل بذلك الفتنة لا سيما في هذه المناسبة ، وربما حصل في ذلك إزعاج للجيران لا سيما إن استمر ذلك إلى ساعة متأخرة من الليل. وعلاج هذا المنكر أن يقتصر النساء على الضرب بالدف وهو المغطى بالجلد من جانب واحد ، وعلى الأغاني التي تعبر عن الفرح والسرور دون استعمال مكبر الصوت ، بمعزل عن الرجال وبضوابط شرعية واحترام ، فإن الغناء في العرس والضرب عليه بالدف مما جاءت به السنة).هـ. من منكرات الأفراح ، ص5. وأخيراً: تنبيه على عادتین جاهليتين: الأولى: تهنة الجاهلية: فمن العادات المنكرة تهنة العروسين بقولهم: (بالرفاء والبنين)! يقول الدكتور

صالح السدلان: (وهذه الضلالة الشائنة والعادة السيئة شاعت في عصر الجاهلية وهي تهنة جاهلية. ولعل الحكمة في النهي عن استعمال هذا الأسلوب في الدعاء للمتزوج بالرفاء والبنين هي: مخالفة ما كان عليه أهل الجاهلية لأنهم كانوا يستعملون هذا الدعاء ، ولما فيه من الدعاء للزوج بالبنين دون البنات ، ولخلوه من الدعاء للمتزوجين ، ولأنه ليس فيه ذكر اسم الله وحمده والثناء عليه). وإنما الوارد في السنة أن يقال للعروسين: (بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير).هـ. الأحكام الفقهية للصداق ووليمة العرس ، ص112 بتصرف. والثانية: شهر العسل: شهر العسل من العادات المنكرة والظواهر السيئة ، وهو أن يصحب الزوج زوجته ويسافر بها قبل أو بعد الدخول عليها إلى مدينة أو بلد آخر. وهو من عادات الكفار ، ويزيد هذا السفر قبلاً إذا كان إلى بلاد الكفار إذ يترتب عليه مفسد كثيرة وأضرار تعود على الزوج والزوجة معاً ، إذ قد يتأثر الزوج بمظاهر الكفار من تبرج واختلاط وإباحية وشرب خمور وغيرها فيزهد في دينه وعاداته الطيبة ، وتتأثر المرأة كذلك فتخلع تاج الحياء وتنجرف في تيار الفساد. وليس قليلاً إذا قلنا إنه من التشبه بالكفار المنهي عنه شرعاً).هـ. ولقد سئل ابن باز عن مثل هذا فقال: (لا ريب أن كثيراً من الناس لا يتقيد بالمشروع في الزواج ولا في غيره ، والواجب على المسلمين أن يتقيدوا بشرع الله في الزواج وفي غيره أينما كانوا ، وأن يتواصوا بذلك وأن يتعاونوا عليه كما قال الله سبحانه: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) ، وقال سبحانه: (وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ). فلا بد من التواصي بالحق ولا بد من التواصي بالصبر في أمر الزواج وغيره ، وفي جميع الأمور التي تقع بين المسلمين! فيتعاونون في إقامة الصلاة في الجماعة ، وفي أداء الزكاة ، وفي صيام رمضان وحفظه عما حرم الله ، وفي أداء الحج مع الاستطاعة ، وفي بر الوالدين ، وفي صلة الأرحام ، وفي ترك الغيبة والنميمة وسائر المعاصي ، وفي ترك الكذب وشهادة الزور ، وفي ترك ظلم الناس في الأموال والأعراض والدماء إلى غير ذلك ، الواجب على أهل الإسلام أينما كانوا ذكوراً كانوا أو إناثاً أن يتقوا الله ، وأن يتعاونوا على طاعة الله ورسوله ، وأن يتعاونوا أيضاً على ترك ما حرم الله ورسوله ، وبذلك تحصل لهم السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة. ومن هذا أمر الزواج ، يجب أن يكون الزواج على الطريقة الشرعية ليس فيه تكلف ولا إسراف ولا تبذير ، بل يجب القصد في كل شيء ، وعدم التكلف حتى يكثر الزواج ، وحتى يحصل عفة النساء والرجال جميعاً ، فالشباب بحاجة إلى الزواج ، والنساء كذلك في حاجة إلى الزواج. والتكلف هو تعاطي ما حرم الله من المنكرات ، كل هذا مما يسبب تعطيل النكاح ، وبقاء الشباب والفتيات من دون زواج. فلا يجوز اختلاط الرجال بالنساء في الأعراس ، ولا في غيرها ، بل يجب أن يكون النساء في محل خاص على حدة ، والرجال على حدة ، وأن تكون الوليمة مقتصدة ليس فيها تكلف ولا شيء يشق على الزوج وآل الزوجة ، بل يتحرون جميعاً الاقتصاد وما يكفي المدعويين ، ويقتصدون أيضاً في الدعوة التي لا تشق عليهم. وهكذا يشرع لهم الاقتصاد في المهور وعدم التكلف ، وأن يُسهلوا في المهور حتى يحصل النكاح وحتى يكثر الزواج بين الناس. وهكذا السهر الذي يضيع على الناس صلاة الفجر ويسبب ترك الصلاة التي أوجب الله ، فهذا كله لا يجوز).هـ. ويمكن للدعوة إلى العرس أن ترفض ولا يُشارك فيها! فإذا كان منكر في مكان الدعوة ، فإذا كان يستطيع إزالته حضر وأزاله ، وما أكثر المنكرات في أعراس اليوم ، كما إذا أُوتي بالمغني أو المطربة ، أو المشروبات المحرمة ، أو الاختلاط المحرم ، والموسيقى ، وأنواع المفضضات

والمذہبات في الأواني التي يقدم عليها الطعام ، وكذلك إذا كان الداعي مما يجب هجره أو يسئ كمتدع أو مجاهر بالفسق ، وأيضًا إذا كانت الدعوة لا تتضمن إسقاط واجب ، أو ما هو أوجب كرعاية أحد الوالدين المريض على سبيل المثال ، ومن لا يحصل الضرر بالإجابة له ، فإذا كان يحتاج إلى سفر ومفارقة أهل ونحو ذلك من المشقات فلا يلزمه ، وأيضًا إذا خص الأغنياء سقط الوجوب للحديث المتقدم (شر الطعام) ، فإذا خصه بالدعوة تجب الإجابة سواء كلمه بنفسه أو بالهاتف أو بالبريد أو بالبطاقة أو بمرسول أرسله إليه ، أما إذا جعلها عامة فقال: حيا الله الجميع ، فإن الوجوب حينئذ يسقط ، وأيضًا إذا كانت دعوة شخص للخوف منه أو الإحراج ، فلا يجب عليه الحضور ، فإنه لم يدع لمحبة ولا لرغبة أخوية ، وكذلك إذا دُعي رشوة ، فقد يدعى إلى الولائم الفخمة من الموظفين في بعض المواضع والأماكن رشوة فلا يحضرون ، وكذلك لو دعا شخصًا طمعًا في جاهه أو ليعيننه على باطل أو ليتزلف إليه فإنه يسقط الحضور أيضًا ، وإذا كان في المجلس من يتأذى منه لفسقه كأصحاب المجون والفحش فلو ذهبت - يا أيها المتدين المستقيم - اجترأوا عليك ببذاءتهم وفحشهم سقط الوجوب ، وكذلك إذا كان مال الداعي ليس بحلال لا يجاب ، وإذا كانت وليمة مفاخرة ومباهاة ومراعاة فكذلك يسقط الوجوب وهكذا إذا كان عليه حق متعين كأداء شهادة أو صلاة جنازة ، ويعذر بعدم الحضور بكل عذر يسقط صلاة الجماعة كالمرض وشدة الحر والبرد والمطر الذي يبيل الثياب ، والاشتغال بتجهيز ميت ، أو إطفاء حريق ، أو إذا كان هناك زحام شديد لا يستطيع من الوصول إلا بكلفة ومشقة عظيمة ، فإذا أتاك داعيان في وقت واحد فماذا تفعل؟ إنك تجيب الأسبق أصلًا ، وإلا فالأقرب رحمًا ، أو الأقرب دارًا ؛ لحق الجوار مع الحرص على إجابتهما معًا إن أمكن ، فتأتي ثم تنصرف إلى الآخر ، فإن لم يمكن وكانت الدعوات في وقت واحد والمرجحات متساوية ، فالقرعة والاعتذار يسقط الوجوب ، فإذا كان من حرج اعتذر. قال الأوزاعي - رحمه الله - : "لا ندخل وليمة بها طبل ومعازف" وهكذا عون بن أوس قال: "دخلت مع أصبغ بن يزيد إلى وليمة فلما جلسنا على المائدة سمع أصبغ صوت طبل فأبى أن يأكل وخرج". وشعيرة الوليمة فيها توسعة في الشريعة ، لا شك أنها مناسبة فرح ، لا شك أنها دخول سرور ، مشاركة لأخيك المسلم في هذه المناسبة التي ربما لا تأتي في حياته إلا مرة واحدة ، تأتي وتدعو وتقول: (أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة) إذا طعمت ، وتدعو لأخيك في العرس بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوته: (بارك الله لك) وكذلك "على الخير والبركة" قالتها نسوة الأنصار لعائشة لما زينها! أما الطبل غير الدف ولا الدريكة ولا أنواع المعازف فإنها محرمة يجب إنكارها ، ويحرم سماعها ، ولا يجوز الجلوس في ذلك المكان أصلًا الخلط العجيب في زماننا يقولون لولدهم المتدين: افرح على كيفك ، وفرح على كيفنا ، والغرس نصفان: نصف إسلامي إلى الحادية عشرة ، وبعد ذلك يأخذ القوم راحتهم كما يقولون غرف الديجيه وما أدراك ما فيها ، معصية في معصية ، وأشرطة تبديل وتخرج ، وتحل مكانها أخرى من أنواع الأغاني ، للمغني الفلاني المطرب الفلاني ، الفرقة الفلانية ونقود وأموال على المطربات والمغنيات ، إغداق ونثر ، وهذا النثر سيئ سخيف ، ونقطه جشع ، وإلقاؤه فسق ، واستهانة بالنعمة. وفي محاضرة عنوانها: (وقفة مع بعض منكرات الأفراح) ، قال الدكتور/ صالح بن عبد العزيز المنصور - رحمه الله - ما نصه بتصريف: (إن الوليمة في الزواج سنة سنها رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بقوله وفعله فقال "صلى الله عليه وسلم" لعبد الرحمن بن عوف لما تزوج: (أولم ولو بشاة!) وفعل ذلكم رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ،

فروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك "رضي الله عنه" قال: (ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب ، أولم بشاة) هذه أكبر وليمة عملها رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في زواجه مع حاجة أصحابه "صلى الله عليه وسلم" إلى الطعام واللحم ، ولكن الرسول "صلى الله عليه وسلم" عمل هذا ليشرع لأمة التسهيل والتيسير ، فهل سلك الناس اليوم طريق محمد "صلى الله عليه وسلم" في ولاتم الزواج؟ روى البخاري وغيره عن صفية بنت شيبة أنها قالت رضي الله عنها: (أولم النبي "صلى الله عليه وسلم" على بعض نسائه بمُدَّين من شعير) ، وروى الخمسة إلا النسائي عن أنس أن النبي "صلى الله عليه وسلم" أولم على صفية بتمر وسويق! وروى الإمام أحمد ومسلم عن أنس في قصة صفية (أن النبي "صلى الله عليه وسلم" جعل وليمتها التمر والأقط والسمن) ، إن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" حينما يولم بهذا ليبين لأمة سنته في الوليمة ، وأنها ليست مقصورة على اللحم. هذا وتشتمل الأعراس المعاصرة على منكرات كثيرة منها: إحضار المغنيات وبصحبتهن آلات اللهو من عود أو مزمار أو طبل بجلاجل ، أو غير ذلك ، وقد جاء في الحديث: (صوتان ملعونان: صوت مزمار عند نعمة ، ورنة عند مصيبة)! أخرج البزار وحسنه الألباني ، فهل في الإتيان بالمزامير وبالمغنيات والراقصات شكر لنعمة الله سبحانه وتعالى؟! وإذا لم يتيسر ذلك يأتون بأشرطة تسجيل لتوضع في المسجل ، ثم يرقص عليه النساء والفتيات الصغيرات والكبيرات ، ويتفنن في أنواع الرقص اللاتي رأينه على شاشات هذه الأطباق الفضائية ، ويحرصن أن يطبقن تلك الحركات في هذا المكان ، فأصبحت قصور الأفراح مدرسة تُعلم فتياتنا ونساءنا الخلاعة ، والتفسخ والعري ، وأساليب الرقص ، وإنها لمصيبة كبيرة. وقد قال الله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" قال ابن مسعود: إن لهو الحديث الغناء والمزامير ، ويحلف على ذلك ثلاث مرات ، والله إن لهو الحديث الغناء والمزامير ، والله إن لهو الحديث الغناء والمزامير ، وكذلك روي عن ابن عباس صاحب رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وابن عمه ، ترجمان القرآن ، الذي دعا له النبي "صلى الله عليه وسلم" بقوله: (اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين) ، والله سبحانه وتعالى يقول: "وَاسْتَفْزِرْ مَن اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْدهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا". قال ابن عباس: صوت إبليس الذي قال الله فيه: "وَاسْتَفْزِرْ مَن اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ" هو صوت إبليس: وهو الغناء والمزامير. وروى الإمام البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم قوله "صلى الله عليه وسلم": (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر - والمراد بالحر: هو الزنا - يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف) ، فقرن النبي "صلى الله عليه وسلم" الغناء والمعازف بالحر وهو الزنا ، والحرير ، والخمر ، وكل هذه منكرات بإجماع الأمة الإسلامية ، بل من كبائر الذنوب الذي جاء النص عليها في كتاب الله ما عدا الحرير ، مما يدل على أن الغناء يعتبر كبيرة من كبائر الذنوب ، وإلا لم يقرنه الله بهذه الكبائر العظيمة. ولهذا لا يجوز لأحد أن يأتي بمغنيات وبآلات لهو في الأفراح ، وإن هذا والله لكفر لنعمة الله ، والله يقول سبحانه وتعالى "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَدَّاهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ". ولعل قائلًا يقول: أليس جائزاً أو مسنوناً أن نضرب في الفرح بالدف ، كما جاء في الحديث (أعلنوا هذا النكاح بالدف)؟ نقول: هناك فرق بين الطبل والدف الذي جاء الترخيص به؟ فالدف المرخص به له مواصفات وشروط ، فالدف طار ليس له

إلا وجه واحد ، وليس له سند ، ولا يرتبط بحديد ولا صوت ، والضرب به ضربات بسيطة وبزمن يسير ، ويتولاه بنات صغيرات وجواري ، كما كان في عهد نبينا "صلى الله عليه وسلم" ، وبأصوات بريئة طاهرة كما جاء ذكرها في الأحاديث الصحيحة أنهم كانوا يقولون في إعلان الفرح: (أتيناكم أتيناكم ، فحيونا نحييكم ، ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم ، ولولا الحنطة السمراء ، ما سمتن عذاريكم). كلمات بهذا الأسلوب ليست من كلام العشق والغرام ، ولا الحب ولا الهيام ، ثم إن الضرب بالدف ليس بسنة ولكنه رخصة ؛ لأنه جاء على خلاف دليل راجح ؛ لأن الأصل تحريم آلات اللهو والغناء والمزامير ، وأبيح في حالة خاصة ، في الأفراح خاصة بهذا الأسلوب ، وبهذا الوضع الخاص ، أما أن يتوسع به ويؤتى بالمطرب الفلاني ، والمغنية الفلانية ، والراقصة الفلانية وكأنهم في مسرح من مسارح الفسق والفجور الذي يكون فيها الخمر وغير ذلك ، وأخشى أن يصدق علينا قول النبي "صلى الله عليه وسلم": (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه).هـ. ويقول الأستاذ غانم غالب غانم في محاضراته: (منكرات الخطبة) ما نصه بتصريف زهيد: (قراءة الفاتحة عند الاتفاق يقوم الناس اليوم بقراءة الفاتحة بعد الاتفاق ، وبعد الموافقة على هذا الرجل أن يكون زوجاً لهذه الفتاة ، في جلسة تكون غالباً عائلية بين أهل العروسين ، ثم تقرأ مرة أخرى في مراسم الخطبة الأساسية عند الناس اليوم. ويقوم غالباً رجل بطلب يد البنات صورياً لأن الاتفاق يكون مسبقاً ، ثم يقرأ الناس الفاتحة تبركاً ، أن يكون هذا العقد والزواج مباركاً. حتى قال لي أحد المثقفين ، (ولكنه من العوام في دين الله): لا يصح الزواج بدون قراءة الفاتحة. والحق أنه لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يعهد لأتمه قراءة الفاتحة عند عقود الزواج أو عند أي عقد آخر ، ولم يفعل ذلك واحد في القرون المفضلة. والأصل في مثل هذه الأمور أن تكون مشروعة بدليل ، ولا دليل هنا ، وقد نص على ذلك جمع من أهل العلم منهم الشيخ ابن باز ، وابن العثيمين وغيرهما الكثير. والأصل في إحداث مثل هذه الأمور أنها مخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» رواه البخاري ومسلم. وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك أن يقول الذي يطلب العروس: خُطْبَةُ الْحَاجَةِ ، ثم يبارك للعروسين بما جاء في السنة المطهرة. فَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي خُطْبَةِ الْحَاجَةِ فِي النِّكَاحِ وَغَيْرِهِ: عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا». رواه أبو داود ، وصححه الألباني. قالت اللجنة الدائمة: قراءة الفاتحة قبل الزواج بدعة ، لأن ذلك لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من صحابته ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد). رواه البخاري. وسئل ابن جبرين رحمه الله تعالى : في الأفراح والمناسبات السعيدة اعتادت النساء على إطلاق الصيحات التي تسمى: بالزغاريد ، فما حكم الشرع في هذا؟ فأجاب: لا تجوز هذه الصيحات ، فالمرأة لا ترفع صوتها ، فهو عورة عند الرجال ، بدليل منعها من

الأذان ، ومن رفع الصوت بالتلبية ، فعلى هذا يجوز لهن عند قدوم العروس التهنئة لها ، والسلام عليها ، والتبريك ، والدعاء للزوجين بالخير والسرور ، والسعادة الدائمة ، بدون رفع صوت ، وبدون زغاريد).هـ. واعتذر عن طول المقدمة والداعي لها هو أهمية النقاط التي تزيل كثيراً من الغموض والإبهام في بعض ألفاظها وأفكارها على حد سواء! وأقول لعبد الله: (بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينك وبين عروسك في خير!) كما وأهيب به أن يتبع الوصايا التي حوتها القصيدة! وعليه أيضاً أن يجتنب المناهي التي اشتملت عليها القصيدة! وأوصيه بزوجه وأهلها خيراً! وأوصيه بالإسلام خيراً من العمل به والدعوة إليه والجهاد في سبيله! كما وأوصيه بشعري خيراً ، وأتركها وصية بين يديه! فإذا كان الطواغيت قد حالوا بينه وبين الانتشار بقيودهم العفنة ، فإنه يتعين عليك يا عبد الله أن تنشره على الأقل في محيط عائلتك على أقل تقدير! وأيضاً تعمل بما حوى ذلك الشعر من الخير! فأنا قد التزمت فيه بالإسلام ، ولا أعتقد أن بيتاً من الشعر كتبته يخالف عن هدى الإسلام! والشعر كفن من الفنون الأدبية بحاجة ماسة اليوم إلى التزام أهله بالإسلام! والشعر والالتزام صنوان لعملة واحدة! ولقد عشت قضايا بلادي وأوطاني ، وتكاد قصائدي تكون انعكاساً لمعاناة هذه البلاد وتلك الأوطان ملتزماً بأدب الإسلام! ولا يمكن فصل شطري الالتزام عن بعضهما البعض: الالتزام بالإسلام فيما كتبت ، ومعايشة ما تعانيه بلادي وأوطاني من محن وإحزن وجراحات وأفراح ونفحات ولفحات! وهذا ما تشير إليه كلمة الالتزام في مدلولها اللغوي ابتداءً. وعن مفهوم الالتزام في الأدب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة تقول الأستاذة سحر عبد القادر اللبان ما نصه: (الالتزام ، هو مشاركة الشاعر أو الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية ، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلبه ذلك ، إلى حد إنكار الذات في سبيل ما التزم به الشاعر أو الأديب: "ويقوم الإلتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان فيها. وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحاً وإخلاصاً وصدقاً واستعداداً من المفكر لأن يحافظ على التزامه دائماً ويتحمل كامل التبعة التي يترتب على هذا الإلتزام". وفي تعريفنا اللغوي لكلمة الإلتزام نجد: "لزم الشيء يلزمه لزاماً ولزوماً ، ولازمه ملازمة ولزاماً ، والتزامه ، وألزمه إياه فالتزمه ، ورجل لزمة يلزم الشيء فلا يفارقه. واللتزام: الملازمة للشيء والدوام عليه ، والالتزام الاعتناق. "ولزم الشيء: ثبت ودام ، لزم بيته: لم يفارقه ، لزم بالشيء: تعلق به ولم يفارقه ، التزمه: اعتنقه ، التزم الشيء: لزمه من غير أن يفارقه ، التزم العمل والمال: أوجبه على نفسه". والالتزام كما ورد في معجم مصطلحات الأدب: "هو اعتبار الكاتب فنه وسيلة لخدمة فكرة معيئة عن الإنسان ، لا لمجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال". وقد جاء في الآية الكريمة: "وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها". أما سارتر فقد عرّف الأدب الملتزم فقال: "مما لا ريب فيه أنّ الأثر المكتوب واقعة اجتماعية ، ولا بدّ أن يكون الكاتب مقتنعاً به عميق اقتناع ، حتى قبل أن يتناول القلم. إنّ عليه بالفعل ، أن يشعر بمدى مسؤوليته ، وهو مسؤول عن كل شيء ، عن الحروب الخاسرة أو الرابحة ، عن التمرد والقمع. إنّ متواطئ مع المضطهدين إذا لم يكن الحليف الطبيعي للمضطهدين". ويشير سارتر أيضاً إلى الدور الكبير الذي يلعبه الأدب في مصير المجتمعات فيقول: (فالأدب مسؤول عن الحرية ، وعن الاستعمار ، وعن التطور ، وكذلك عن التخلف. فالأديب ابن بيئته ، والناطق باسمها ، وكلمته سلاحه ، فعليه تحديد الهدف جيداً ، وتصويبها عليه بدقة ، ف "الكاتب بماهيته وسيط والتزامه هو التوسط". وهنا يبرز هدف الإلتزام في جدة الكشف عن الواقع ،

ومحاولة تغييره ، بما يتطابق مع الخير والحق والعدل عن طريق الكلمة التي تسري بين الناس فتفعل فيهم على نحو ما تفعل الخميرة في العجين ، على أن لا يقف الالتزام عند القول والتنظير فالفكر الملتزم في أساس حركة العالم الذي يدور حوله على قاعدة المشاركة العملية لا النظرية إذ: ليس الالتزام مجرد تأييد نظري للفكرة ، وإنما هو سعي لتحقيقها ، فليست الغاية أن نطلق الكلمات بغاية إطلاقها).هـ. ويرى رنيف خوري أنّ الكاتب مطالب بمسؤولية مجرد أن يكتب وينشر لمجتمعه ، فهو يجب أن يعبر عن آمالها وآمالها ونضالها. "ليس كفعل القلم اجتماعي وتاريخي بكل ما تنطوي عليه كلمة اجتماعي من شؤون الأمة ، والشعب ، والقوم ، والوطن ، والانسانية... وعلى القلم المسؤول أن ينفي عنه أول شيء اعتبار عامل الكسب. فذلك هو الشرط المبدئي لصحة الرأي ونزاهته". وظروفنا الاجتماعية الحالية ، الحافلة بالقلق والملينة بالمشكلات ، تدعو وبشدة إلى الأدب الملتزم. ووضع بلادنا العربية وما آلت إليه من تشرذم ومن تأمر الأعداء وتكالبهم عليها ، تدعو الكل إلى تجنيد الجهود للعمل على تحرير البلاد ورفع مستواها السياسي والاجتماعي والفكري. وحتى يكون الأدب صادقاً ، لا بد وأن يتكلم عن الواقع الذي يعيشه الأديب ، والظروف التي تحيط به ، وتؤثر على نفسيته وعلى يراعه ، فتخرج حينئذ الكلمات نابضة بالصدق ، وتأخذ طريقها مباشرة إلى فكر القارئ ووجدانه. أما معنى الالتزام فعريق في الادب ، قديم مثل كل أدب أصيل ، وكل تفكير صميم ، ذلك أنّ الالتزام في الأدب لا يعدو في معناه الصحيح أن يكون الأدب ملتزماً بالجوهري من الشؤون منصرفاً عن الزخرف اللفظي وعن الزينة الصورية التي هي لغو ووهم وخداع ، والالتزام هو أن يكون الأدب مرآة جماع قصة الانسان وخلصا مغامراته وتجربته للكيان ، وزبدة ما يستنبطه من عمق أعماقه وأطف أحشائه من أجوبة عن حيرته وتساؤلاته ، وهو أن يكون الأدب رسالة يستوحىها من الجانب الإلهي من فكره وروحه ، ومن هذا الوجدان أو الحدس الإلهي ، الذي هو الفكر وما فوق الفكر ، والعقل وما فوق العقل ، والخيال مع العلم والمعرفة ، مع الانطلاق مجرباً في كليته وشموليته. فالأدب الملتزم هو سابق على محاولات المحدثين ، وقد وجدنا الأدب قديماً يتجسد في مشاركة الأديب الناس ، همومهم الاجتماعية والسياسية ، ومواقفهم الوطنية ، والوقوف بحزم ، لمواجهة ما يتطلبه ذلك ، إلى حد إنكار النفس في سبيل ما يلتزم به الأديب شاعراً أم ناثراً. واطلعنا على أدبنا القديم وشعرائه ، يعرفنا أنهم كانوا في العهود والأعصر العربية ، في الجاهلية والإسلام كافة ، كانوا أصوات جماعاتهم. كذلك قبل كل واحد منهم أن يعاني من أجل جماعته التي ينطق باسمها ، إلى حد أنك إذا سمعت صوت أحدهم وهو يرتفع باسم جماعته أو قومه ، لا يمكنك إلا أن تحسّ هذا الالتزام ينساب عبر الكلمات ، يصور هذا الإيمان وتلك العقيدة دون أن يساوره أدنى شك أو حيرة أو تردد في تحديده للمشكلات التي يواجهها ، والتي تتعلّق بمصيره ومصير سواه من أبناء قومه في القبيلة أو الحزب أو الدين ، يدفعه إيمان راسخ بضرورة حل إشكالية القضايا التي كان يواجهها في حينه).هـ. ولقد حرصت منذ بدأت مسيرتي مع الشعر العربي أن لا يؤتى الشعر العربي المسلم من قبلي! فانتقيت موضوعاتي وكلماتي وتعبيراتي وأفكاري التي حرصت على أن تكون كلها مستقاة من هدى الإسلام ، وتدعو له ، وتجاهد في سبيله! إذ الشعر فن ، وكذلك الشاعر فنان! ورسالة الشاعر المسلم لا تختلف كثيراً عن رسالة الفنان المسلم! فكل منهما ملتزم بالإسلام وأمين على ما يقدمه للناس من قيم وأخلاق! أما الهبوط والسفول والانحطاط والتردي والإباحية فليست رسالة الشاعر المسلم كما أنها ليست رسالة الفنان المسلم! سواء كان ذلك الفنان ممثلاً أو

منشداً أو مخرجاً أو كاتباً! وعن الفن والفنان وما ينبغي أن يكونا عليه يقول الأستاذ الفاضل خليل الجبالي ما نصه: (الفن وسيلة مقبولة لدي كثير من الناس لتصل بهم الي رسالة سامية منبثقة من الاخلاق الفاضلة والسلوكيات الحميدة ، فالقصة من الوسائل المؤثرة لدي المستمع والتي تأخذ بخياله ليعيش في سيناريو الواقع كأنه يحاكيه ، فيتأثر بالمشاهدة أيما تأثير. فالفن ينقل واقع المجتمعات الغائبة من دائرة وقوع الحدث لواقع ملموسة يصل الي مستويات المجتمع وطبقاته المختلفة ، لذا فإن الفن يعمل علي تغيير المجتمع من حال إلي آخر طبقاً للهدف المحدد له. فكلما كان الفن صالحاً في وسائله كلما تحول المجتمع إلي إيجابي نافع لوطنه ومواطنيه. وإذا انحطت غاية الفن لتتحول من طاعة لله في مشاهدتها إلي سعي لجمع الأموال وقضاء الشهوات والنزوات بأي وسيلة فستظهرت البيئة الفاسدة ، ويتولد أفراد فاسدون تنطمس في عقولهم الغاية التي خلقوا من أجلها وهي عبودية الله ، عندها سيتجه المجتمع نحو الفساد بعد أن تلو كلمة المفسدين في ظهورهم وتميزهم فتننتشر الفاحشة بدعوة هؤلاء إليها، عندها يحق فيهم قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ). إن الفنان صاحب الاخلاق السوية والسرية النقية والتربية القوية يعلم أن له دوراً عظيماً في إصلاح المجتمع ونهضة الأمة ، لا يتخلي عنه مهما بسطت له المغريات طريقها أو تدفقت الأموال بين يديه ، وإلا سيعتزل هذه المهنة التي حادت عن هدفها بعد أن تعظم الرذائل وتصغر الفضائل ويعلو نجم المفسدين. إن اليهود علموا أن للفن دوراً كبيراً في تغيير البشر لتحقيق أهدافهم الدنيئة فاستغلوا المال والنساء في ذلك فساءت الوسيلة بعدما ساء الهدف. إن النظرة إلي الارتقاء بالإحساس في قيم الجمال والخير والحق والعبادة يدعونا الله تعالى إليها ، ويأمرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بها ، فقد روي عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، وَيُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ ، لَكِنَّ الْكِبْرَ مِنْ سَفَاهِ الْحَقِّ وَغَمَصِ النَّاسِ أَعْمَالَهُمْ) المحدث:الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة. إن الفن تغيير الغير الي الأفضل ، ولن يستطيع الفنان أن يكون داعي للهدى إلا إذا إقتنع بما يقوم به من تمثيل وتجسيد للشخصية السوية فإذا حاد عن ذلك اختلفت غايته ، فيصبح داعياً إلي الرذيلة والفجور ، ويكون الفن وبالأعلى الفنان والمجتمع الذي يحي فيه. فقد روي أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من اتبعه لم ينتقص من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً). صحيح مسلم. إن مهنة التمثيل إذا انتهجت الكذب الصريح في حوارتها ، واختلاط الرجال بالنساء في مواقفها ، وتعري النساء وأظهرهن مفاتهن أمام الرجال فإنها تحرم علي القائمين بها ، فالغاية لا تبرر الوسيلة. إن حماية المجتمعات الإسلامية من أسباب الانحلال والفساد هو واجب علي الحكام بالدرجة الأولى بل واجب علي كل فردٍ غيورٍ علي دينه وعرضه فيأمر بالمعروف ، وينهي عن المنكر بالطرق الشرعية التي بينها ديننا الحنيف ، وأن ياخذ كل الطرق والوسائل الشرعية التي يحفظ بها أخلاقه وآدابه وقيمه في مجتمعه).هـ. وعلى هذا فلا يُمكن الحكم على جميع الأعمال الفنية قديماً وحديثاً بأنها تصب في وحل البهيمية وحضيض الإباحية وأتون الانحطاط! وإن كان جُلها ينطبق عليه ذلك الوصف الأخير ولكن لا يمكن نعتها جميعاً بذات الوصف! ذلك أن هناك أعمالاً فنية جيدة وملتزمة بأدب وقيم وأخلاق الإسلام! وما الشعر إلا واحداً من هذه الفنون في جُملتها! وعلى هذا يصبح الشاعر المسلم فناً مسلماً عندما يلتزم ويتقيد ويتخلق ويدين بالإسلام في كل ما يصدر عنه من شعر! وينبغي يا عبد الله ويا تسنيم ألا تنسيا معاً الجندي المجهول في عرسكما هذا! ولا أدعي شرفاً لست صانعه! وأسجل هنا في مقدمتي لله ثم لكما وللتاريخ أن الجندي المجهول الذي أنفق الغالي والنفيس في عرسكما هي أم عبد الله وليس أبو

عبد الله ، لقد اعتذرتُ عن ذلك! ليس شُحاً بمالي ، ولكن لثقل الأعباء والمؤن والتكاليف! فلا أراكما يوماً تحملانها على الندم على ما بذلت لسعادتكما! لقد أسعدتكما فلا تشقيانها! اللهم بلغت فأشهد! ونعود إلى تهنئة عبد الله وتسليم بغيرهما! تلك التهنئة المنوية التي تجاوزت المائة بيت من الشعر!

ابني الحبيب قريضُ العُرب يبتهلُ
وللقوافي تـرانيـمٌ مُنغـمة
والوزنُ يمنحُها جرساً تتيهُ به
ما الشعر إن لم يكن وزنٌ وقافية
ما الشعر إن لم يقدم فكرة ورؤى
ما الشعر إن لم يوافق شريعة وهُدًى
ما الشعر إن لم يكن يدعو لمكرمةٍ
ما الشعر إن عاب تشريعاً ندينُ به
ما الشعر إن روج العصيانَ في وضح
ما الشعرُ إن أضحتِ السواى بضاعته
ابني أتيك من (عجمان) مُبتشراً
في حفلةٍ طهرتُ مما يُدنسها
فلا فسوقٌ ، ولا رقصٌ ، ولا نزقٌ
هل يستسيغ الخنا إلا من انحدروا؟
ولا مُجـوونٌ ولا سُـخفٌ ولا عـبثٌ
ولا أغاني هوى تُزري بسامعها
ولا اختلاط به الدنيا تُعيرنا
فاز الغيـورون إذ صـانوا حـرائمهم
حفلٌ بهيجٌ له سـيما تُجمـله
وللضيوف مقاديرٌ علتُ شرفاً
ونبضٌ بهجته يلهو ويعتملُ
يزينها الحبكُ والترجيغُ والرتل
بين النصوص ، سَما بوقعها الزجل
مثل الذي خطه ساداتنا الأول؟
قوامها النصحُ والإرشادُ والمثل؟
هما الحياة لمن يتلو ويمثل؟
بالدين والخلق الرفيع تتصل؟
ونال من شأن من وفق التقى عملوا؟
وحط من شأن قوم بالهدى احتفلوا؟
وللفجور دعا ، شأن الألى سفلوا؟
يقودني - للذي تقيمه - أمل
ومحفل ضمّ - من بالطاعة - اشتغلوا
هل يستسيغ الهوى والفحش من عقلوا؟
ويعلمُ الله ما قالوا وما فعلوا!
يهوى مظاهره قومٌ قد اختلوا
هي النشاذُ بدا ، واللفظ مبتذل
عُقبى اختلاط البرايا الطين والوحل
عن العيون ، فلم ينظر لها همـل
طابَ الحضورُ وطابَ الشربُ والأكل!
من كل فذٍ به كم يُضربُ المثل!

وفي الحضور لهم - في حفلنا - ثقل
ومن عن الحفل والدنيا هم رحلوا
وفاز سعيهم والجهد والعمل
لو أنهم بيننا ذا الحفل ما اعتزلوا
ونحن يوماً عن الدنيا سننتقل
فأحسنوا عندما أعييتهم الحيل
ونحن منهم إلى الرحمن نبتهل
إذ يحرم المرء تقوى الخالق الزل
تلك التي انتكست ، وشابها الخلل؟
بذلت زبديتها دوماً لمن سألوا
ونقحوها تباعاً عندما سئلوا
لا نلتقي أبداً والجوقة السفلى
وباركوا ، واعدروا قوماً إذا عدلوا
في عالم كثرت في دربه السبل
فسامحونا إذا لمّا يطب نزل
هشيت أيامنا ، والقلب ، والشمل
والأجر - عند مليك الناس - مكتمل
من جاءكم مسلماً عفأ له أمل
زوجاً بها من حمى الغراب ينتقل
وإن يكن خطأ يا أهل فاحتملوا
هذا الزواج ، ونحذو حذو من غنموا

تجشتموا مؤونة الحضور باهظة
إنني لأشكر من غابوا ومن حضروا
شكراً جزيلاً لهم ، والله يأجرهم
ويرحم الله من إلى الفنا سبقوا
وهم لنا فرط ، وكلنا تبع
ومن أرادوا لنا في العرس معصية
إذ فاصلونا بلا إذن ولا عدة
أن لا يعينوا على إثم أقاربهم
وهل نلام إذا عينا طريقتهم
الحق نحن ، وقد سقنا أدلتنا
ورددوها ، وساقوها مفردة
وعرشنا شاهداً على استقامتنا
ضيوفنا استلهموا من حفلنا عبراً
ونفذوا ما أصبنا فيه من أسس
نحن الذين دعوناكم لنجدتنا
أمسى بكم جمعنا مستبشراً غرداً
طيبتم ، وطاب بكم ممشى ومرتفق!
أل (السلامة) بشراكم بفارسنا
يرجو جواركم في الفوز بابنتكم
فناولوه من الإحسان صدقه
ونحن (أل سليمان) يشرفنا

ولا السعادة تأتيها بها (الفأل)!
وليس تأتي بها العقودُ والبدل
كلا ولا (الجيمس) نملكها ولا (الأبل)
فإن فعلنا فلا ضنك ولا غيل
وماله دُبُرٌ بادٍ ولا قبل
إذ غيّبت جُلها السهول والأمل
جوعاً ، ويعقبه في كوخنا الدقل
ويحتويه دلاء الكوخ والقلل
تعافه السبهم والأنعام والأيل
هل اشترى شبعاً يوماً لمن طعموا؟
لكنه ما اشترى يوماً لمن أملوا
مستقبل غرد أكسيره الأمل
علائق الناس فيها الجور يشتل
ودام حبب بحبل الله متصل
لنيل قربي بشرع الله تكتمل
وكل شيء لغير الله منفصل
وليسبق السيف إن طفت الأذى العذل!
ونحن منهم ، ففينا النقص والخلل
فلا يكون لهم - عن رُشد هم - حوّل
بذنبه ، وله - في قلبه - وجّل
فسوف ندعو لكم كي يُغفر الزلل
لا للهوى ، إذ له هتافة جهل

تا الله ما السعدُ في الأموال نجمها
ولا السعادة في الأثاث مُودعة
ولا تُصدّرها (النيسان) نركبها
إن السعادة في تطبيق شِرعنا
وإن تكن دارنا كوخاً نقرّ به
وحوله أكمّ تاه القضيضُ بها
فيه الطعام لقيماتٍ نسدّ بها
والماء من حاجةٍ بالدلو نجلبه
خيرٌ من العيش في سُوأى ومعصيةٍ
قد اشترى المالَ مطعوماً نلذ به
قد اشترى المالَ في ديارنا سُزراً
آل (السلامة) مسّاكم وصباحكم
أنتم لنا الأهل والأنسابُ في زمن
ونحن أهلّ لكم ، دامت قرابتكم
(تسليمكم) و(غبيدُ الله) مطمخنا
ودام ما كان للرحمن متصلاً
فسامحونا إذا التقصيرُ راودنا
أبناءً آدم خطاؤون أجمعهم
وخيرهم من لهم توبٌ يُجملهم
والله يقبلُ من يأتيه مُعترفاً
وقد نرى منكم الهنات بارزة
إذا اختلفنا تحاكمنا لشِرعنا

لَمَّا أَقُول ، فَلَا أَرَاكَ تَرْتَدُّ
إِنِ الْمَطِيْعَ لَمَوْلَاةَ هُوَ الرَّجُلُ
مَهْمَا تَعَدَّدتِ الْأَهْوَاءَ وَالنَّحْلُ
وَهَلْ حَيَاةَ بَغِيْرَ الدِّينِ تَعْتَدِلُ
مَهْمَا تَزَخَّرْفَتِ الْأَدْيَانَ وَالْمَلَلُ
فَهَلْ سُرُورٌ - بَغِيْرَ السِّلْمِ - يَكْتَمَلُ؟
فَعَشْنُ عَلَيْهِ إِلَيَّ أَنْ يَأْتِيَ الْأَجَلَ
فَلَا أَرَاكَ - عَلَيَّ الْمَلَاشِيءَ - تَنْفَعَلُ!
عَنْ جُلْهَا أَغْلَبُ الْأَزْوَاجِ قَدْ غَفَلُوا
وَلَيْسَ عَنْ فَعَلٍ مَا قَدْ أُوجِبَتْ حَوْلُ
وَصِلْ إِذَا بَدَأُوكَ الْقَطْعَ أَوْ وَصَلُوا
وَلَا تَغَالِطْ ، وَلَا تَنْسَ الَّذِي بَدَلُوا
وَلَا يَكُنْ جَهْدَكَ التَّمْوِيْءَ وَالسَّجَلَ
أَيْضاً حَقُوقاً بِهَا يَسْتَشْرَفُ الْبَطْلُ
وَلَا تَكُنْ كَالْأَلَى بِرَبِّهِمْ عَدَلُوا
عَبْدٌ يُتَابِعُ مَنْ نَصَوَصَهَا امْتَثَلُوا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ - عَنْ دُنْيَاكَ - مَرْتَحِلُ
وَأَخْرَجْتَنِي نَجِسٌ ، أَيَّامِنَا دُولُ!
وَلَيْسَ يُشْبِهُهُ غَمْرَ الْوَابِلِ الْوَشَلُ
صَدَقاً ، وَلَا يَخْتَلِطُ بِصَدَقِكَ الْخَطْلُ
فَلَا يَكُنْ صَارِفاً عَنْ نَبْلِكَ الْكَسْلُ

ابني العزيز أنا أوصي فكن يقظاً
أحرص على طاعة المولى تعش رجلاً
وكن تقياً نقياً صالحاً ورعاً
وارباً بنفسك أن تحيا بلا قيم
وأحرص على ملة التوحيد ، وأخي لها
الدين يا ولدي الإسلام ليس سوى
إني ادخرتك للإسلام فارسه
أوصيك خيراً بـ (تسنيم) وأسررتها
لها حقوق أنت في الشرع واضحة
وعظمت سنة المختار زيجهتها
وأتحق أهالي الزوج محتسباً
وكن بأهلك براً محسناً رؤفياً
وقم بما ينبغي للأهل قاطبة
وقم بحق ذوي الأرحام إن لهم
واقراً وزوجك ما في الذكر من عظة
وادرس شريعتك السمحاء أنت بها
واعمل لآخره يوماً تفوز بها
والدهر يومان: يوم في بلهنية
وجذ على الصحب والأهلين تأسرهم
واصدق إذا قلت صدقاً لا يضارعه
وأنت أنجب من رزقت من ولد

فِي عَيْشَةٍ مَلُؤَهَا الْوُدَادُ وَالْغَزَلُ
لَا يَسْتَوِي الصَّابِرُ الْمَفْضَالُ وَالْعَجَلُ!
لَأَنْ صَارْفَهَا - عَنْ بَوْحَهَا - الْخَجَلُ
كَمْ بِالنِّصَائِحِ يَخْبُو الزَّيْفُ وَالِدَغْلُ!
كَمْ يَسْتَفِيدُ - مِنَ التَّجَارِبِ - الْوَجَلُ!
صِنَوَانِ عَمْرُ الْفَتَى وَالْعَارِضُ الْهَظَلُ
إِلَّا تَقِيَّ - عَلَى الرَّحْمَنِ - يَتَكَلُّ
نُورَ الْمَرْوَعَاتِ كَمْ إِلَى النَّزْرِ وَصَلُوا
إِنْ رُمْتَ نَجْدَتَهُ ، فَعُوْثُهُ الْعِلُّ
وَلَا تُبَدِّلْ ، لَقَدْ يُزْرِي بِكَ الْبَدَلُ
وَأَهْلَهُ قَسْوَةَ الْمَعَايِشِ احْتَمَلُوا
لَأَنَّهُمْ لِحَضِيضِ الْأَرْضِ قَدْ نَزَلُوا
مِنْكَ الْجِدَالُ ، وَمَا انصاعوا وَلَا قَبَلُوا
نُرْعَاءً ، وَأَنْى لَهُمْ أَنْ يَنْفَعِ الْجِدَلُ
وَجَدَّ فِي الْأَمْرِ ، لَا تَعْبَأُ بِمَنْ هَزَلُوا
كَيْ يَسْتَفِيدَ فَتَى أَوْدى بِهِ الضَّلَلُ
حَتَّى تَحْقُقَتِ الْغَايَاتُ وَالْأَمَلُ!
فَأَشْكُرْ لَهَا ذَلِكَ الْمَعْرُوفَ يَا رَجُلُ!
بِالْأَمِّ دِيْدِنَهَا التَّقْتِيْرُ وَالْبَخْلُ!
يَقُولُهُ خَيْرُ أَقْوَامٍ إِذَا اعْتَدَلُوا
لَعَلَّ جُرْحاً إِذَا دَعَوْتَ يَنْدَمَلُ
تَفْنَى الْحَيَاةَ ، وَيَبْقَى لِلْأَسَى طَلُّ!

(تَسْنِيْمُ) أَنْتَ! فَكُنْ عَبْدًا تَكُنْ أَمَّةً!
وَكُنْ رَحِيْمًا بِهَا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ
قَدْ لَا تَبْخُوحُ بِأَلَامِ تَكَابُذِهَا
وَكُنْ إِذَا نَصَحْتَ بِالْحَقِّ مُنْتَصِتًا
وَكُنْ إِذَا خَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى وَجَلِ
وَاسْتَثْمِرِ الْوَقْتَ ، لَا تَغْرِرْكَ وَفَرْتَهُ
وَاحْذِرْ أَمَانِي نَفْسٍ لَيْسَ يَرُدُّعُهَا
وَارِعَ الْمَرْوَعَةَ فِي سِرِّ وَفِي عَلَنِ
وَلَا تَصَاحِبْ رَذِيْلًا مَالَهُ شَرْفٌ
وَالجَارُ أَهْلٌ ، فَكُنْ أَهْلًا لَهُ أَبَدًا
وَالزَّهْدُ مَنْزِلَةٌ تَسْمُو بِصَاحِبِهَا
وَلَا تَنَافَسْ عَلَى الدُّنْيَا أَوْ أَبَدَهَا
وَلَا تَجَادَلْ عَنِ الْعُتَاةِ مَا سَمِعُوا
وَلَا تَدْفَعْ عَنِ الطَّغَاةِ ضِيقَتَ بِهِمْ
وَإِبْذُلْ خِيوركَ فِي قَوْمِ تَعِيْشُ لَهُمْ
وَإِنْفَعْ ذَوِيكَ بِمَا أُوتِيْتَ مِنْ رَشْدِ
لَا تَنْسَ أَمَّكَ مِنْ سَاقَتِ عَطِيَّتِهَا
بِالْمَالِ وَالسَّعْيِ هَذَا الْأَمِّ مَا بَخَلْتِ
تَاللَّهِ مَا اسْتَوْتَا أُمَّ وَقَدْ بَخَلْتِ
وَكُنْ أَدِيْبًا أَرِيْبًا يَسْتَدَلُّ بِمَا
وَإِدْعُ الْمَلِيْكَ إِذَا دَهَتْكَ قَاصِمَةٌ
مَنْ ذَا رَأَيْتَ بِلَا كَرْبٍ وَلَا كَبْدِ؟

فبالدموع لكم تقرّحت مُقل!
فلا يموتُ معي يوماً ، وينجدل
حتى تُرى العينُ بالأبيات تكتحل
حتى يزول غريبُ اللفظ والدخل
قراءة المشتهي له به شغل
وفي الحرور لكم تستعذب الظل!
أقول هذا بصدق ، لست أفتعل
وطاب للأكل المستكثر العسل!
بالشعر بين ما جاءتُ به الرسل
ولا مدحتُ الألى دينَ الهدى خذلوا
كلا ، فبئس الصوى والنصُ والجمل!
ولا نزلت لهم على الذي أملاوا
لا يستوي السهلُ في القياس والجبل!
من الغفاة الألى لغيهم وكلاوا
أو الذين حدودَ الله قد جهلوا
أخشى عليه الألى أقواته كفلاوا
فمنك وحدك غنمُ المرء والنفل
وارزقه يا رب نجحاً ما به فشل
وارزقه حِلماً يُماهي جهلَ من جهلوا
واكتبه عندك في ديوان من عدلوا
والآل والصحب هم أسلافنا الأول

مَن ذا رأيت بلا دمع ولا ألم؟
أوصيك بالشعر خيراً إن دنا أجلي
انشره بعدي لمن يهوى قراءته
وادفع به للذي يرجو دراسته
واقراً قصائده فرداً ، وفي مالا
إني أرى الشعرَ ظلاً في هجير نظي
تبقى الدواوينُ ذكرى بعد شاعرها
وكل بيتٍ كقرطاس حوى عسلاً
اقراً و(تسنيم) ما خطتُ يمينُ أب
وما أردتُ بشعري المال عن رغب
وما تغزلتُ في (ليلى) أهيمُ بها
ولا مدحتُ الطواغي أستعز بهم
بيني وبين الطواغي البون متسع
ولم أجامل بما سطرته فنة
ولم أزيّن أباطيل الألى فسقوا
ولم أروج لما أملاه مرتزق
رباه أتمم لعبد الله فرحته
وجذ عليه بخير لا حدود له
واعصمه من سُرعةٍ تودي بحكمته
وامنحه عدلاً فلا يجورُ منتقماً
وصل رب على المختار أسوتنا

رسالة إلى جاهلة حمقاء

(وقفت إحدى الجاهليات الحمقاوات المعروضات المتعاملات تحاضر في مجموعة من المعلمين والمعلمات! وكان موضوعها عن الأخوة الإنسانية! وكان المقصود بيان ما ينبغي أن يكون عليه الناس في هذا الزمان من إذابة الفوارق وإضاعة الدين! فهرفت بما لا تعرف ، وخلطت خبيء نيتها بظاهر قولها ، ونادت بأن يكون جميع الناس على منهج واحد في الحياة وعلى دين جديد اسمه الأخوة الإنسانية! الأمر الذي لا يفعله أهل الديانات الأخرى مع المسلمين! فكيف تطلب هذه المجترنة الحقيرة من المسلمين أن يمحو عقيدة الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين من قلوبهم؟! وتبجحت وأزادت حبات الطين بلة عندما صرحت بقولها: لا بد من احترام جميع الملل والنحل والمعتقدات والشذوذ والمثلية وحب كل الناس! الأمر الذي دعاني - وكنت أحد الحاضرين - لأن أسطر هذه القصيدة لتلك الحقيرة الجاهلية الحمقاء! ولم أشأ أن أناقشها وأثبت لها أن الله تعالى شرع ديناً واحداً هو الإسلام! (إن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)! فكانت قصيدتي رسالة!)

زايلى الفوضى ، وأنه الهزيمة
وارحميناً من ضلال مقرف
واحقتي زيفك ، واجتثي الهرا
ودعي عرض قضايا لم تُفد
شروع ديوان البرايا محكم
وكتاب الله نص قاطع!
وحديث المصطفى جالى لنا
ثم أهل العلم ساقوا علمهم!
واستقر الأمر يا شر النساء
أنت من حتى تذكي ما ابتنوا
نحن والكفار لا لن نلتقي
ديننا يا أبى لنا هذا الدجى
كمل الدين ، وتمت نعمته
أنت من هود لكي تستهتري

دجل دعواك ، ليست قيمة
فرخته - في الديار - العولمة
لن يفيد السير في درب العمه
سامعيها ، ليس تجدي البرطمة!
ببراهين أراها مُحكمة
ووضوح الحكم والفحوى سمة
مشكلات قبل كانت مبهمه
وفتاواهم تبذت ترجمه
من زمان فات يا أخزى أمة
بأباطيل الضلال المظلمه؟
ذات يوم في الدروب المعتمه
بات كقرأ ميلنا للتوأمة
ومليك الناس أسدى أنعمه
يا ترى من لك أزجى درهمه؟

لا تدين ما تدينُ المسالمة
ولذا القسيس أعطاكِ فمه؟!
أمة عن كل سوءٍ مُحجّمة
تنشر السلامَ ، وتهوى الملحمة
شامخاً فيهم ، وتُزجي المرحمة
وبشرع المجتبيى يا مجرمة؟
فاكتوتُ بالإفك هذا شرذمة
ذلك الكفرَ ، وأهدى مرقمه
وأذيق النذل من قد عَلمه!

ربما أصـبحتِ هندوسية
يا ترى هل أنت نصرانية
ثم إن الكفر لن يرضى بنا
تبعثُ هديّ النبي المصطفى
وتقيّم العدل في دنيا الورى
كيف يا حمقاء أزييت بنا
وافتريتِ الإثم شـبّت ناره
خاب من أعطاكِ قرطاساً حوى
دمر الجبار من أوحى له

الخلق والعلم معاً

(قصدتُ إلى مدرسة (منار الإيمان) لأخذ الأبناء: صلاح الدين وحساناً وسيف الإسلام ، فإذا بأحد معلمي اللغة العربية المحترمين – الأستاذ محمد الكيلاني - يشيد بأخلاقهم وأدبهم! لكنه يعيب تدني مستواهم العلمي والتحصيل الدراسي قائلاً: (مستواهم التعليمي كل سنة وأنت طيب!) وعبر عن ذلك للأستاذ عماد (مشرف قسم البنين) إذ كان الحديث له مباشرة! ولم يكن يدري أنني حاضر في المشهد! فقلت له: إذن لا بد من تعديل بيت شوقي القائل:

لا تحسبن العلم ينفَع وحده ما لم يتوَجَّ رَبّه بخلاق

تعديلاً يتناسب مع وضع هؤلاء الأبناء فيما ترى ماذا نقول؟ وانتظرتُ ريثما يُتحفنا الأستاذ الكيلاني! ومن باب الاستفتاح عليه أعطيته صدرًا للبيت الجديد المناسب لأبنائي ليكمّله فقلت: (لا تحسبن الخلق ينفَع وحده! أكمل! فتحيّر الأستاذ ولم يشأ أن يرحمني وخاصة أن الأبناء الثلاثة حاضرّون أمامنا! فقلت له في التكملة: (ما لم يتوَجَّ ربه بعلوم!) فإذا كان شوقي يعني الأخلاق اللتي افتقدها التعليم في زمانه! فنحن افتقدنا العلم والتحصيل في أبنائنا الثلاثة! فأقول:

لا تحسبن الخلق ينفَع وحده ما لم يتوَجَّ رَبّه بعلوم

والحقيقة أن المرء بالأخلاق والقيم يسمو ذكره بين الناس. وفي الحكَم ينكشف زيف الأخلاق وتعلم حقيقتها. والحرية الحقيقية هي روح الموقف الأخلاقي ، ودون الحرية لا أخلاق ، ولا إتقان ، ولا إبداع ، ولا واجب يقوم به أصحابه. وعلى هذا فالأخلاق ليست فقط نظاماً للتعامل بين الناس ، ولكنه أسلوب ينظّم المجتمع ويحميه من الفوضى ، والقناعة كنز لا يفنى عند من يدركون قيمة الأخلاق. والكذب داء ، والصدق دواء ، والإنسان الخلق ليس بكذاب. والشريف إذا تقوى تواضع ، والوضيع إذا تقوى تكبر ، ومن هنا تبرز قيمة الأخلاق في ترشيد القوة واستثمار التواضع. وكما يقال: أملك الناس لنفسه من كتم سره ، وهذا من حسن الخلق. وسر النجاح على الدوام هو أن تسير إلى الأمام بأخلاق سامية رفيعة. ويجب عليك أيها الإنسان الخلق أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به. واعلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم قد أرسى قواعد الأخلاق عندما قال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). وقال: (من تواضع لله رفعه). وعموماً خير الناس من فرح للناس بالخير وكان عضواً فاعلاً في إيصال الخير لهم. والخلق إنساناً صدوق ، والعنيف إنسان ضعيف ، والأصيل إنسان نبيل ، والحليم إنسان حكيم والشريف إنسان عفيف. وأنه في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. ولكن هل عند اللؤماء أخلاق؟ وصدق من قال: (إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ، وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا). إنه لا مروءة لكذوب ، ولا ورع لسيئ الخلق. وقاعدة عظيمة تقول: (إذا لم تستح فافعل ما شئت) ، وذلك لأن الأخلاق تعصم صاحبها من الزلل. والإنسان الخلق من إذا مدحته خجل ، وإذا هجوته سكت. وعموماً قد تتغير الأخلاق بتغير البيئة! وإذا بيئة الإنسان يوماً تغيرت ، فأخلاقه طبقاً لها تتغير. ولذا فتواضع للناس لكن عن رفعة ، وازهد عن حكمة ، وأنصف عن قوة ، واعف عن قدرة. والحقيقة أن حسن الخلق أحد مراكب النجاة. والتكبر على المتكبر تواضع. وأدنى أخلاق الشريف كتمان سره ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر له. والتواضع من مصاد الشرف. وإذا أردت أن تعرف أخلاق رجل فضع في يده سلطة وقوة ومكانة ، ثم انظر كيف يتصرف. والحلم

يا قومي سيد الأخلاق. والدال على الخير كفاعله. والصدق يُحسن للفتى والكذب يحسب من عيوبه كما يقولون. والعتاب خير من الحقد. والعفة جيش لا يُهزم. والكريم من أكرم الأحرار. إنه ينبغي على الإنسان أن يكون رحيماً ؛ لأنّ الرحمة بطبيعتها تجمع بين البشر على اختلاف مذاهبيهم ومناهجهم ، ولن يكون الإنسان كذلك إلا إذا جمع بين العلم والأدب! وينبغي أن يكون الإنسان أديباً لأنّ الأدب يوحد القلوب المتنافرة في آرائها. وأنت أيها الإنسان إياك والرضا عن نفسك الرضا الكامل ، فإنه يضطرك إلى الخمول والكسل ، وإياك والعجب فإنه يورطك في الحمق والجهل ، وإياك والغرور فإنه يظهر للناس نقائصك كلها ولا يخفيها إلا عليك. إنه لا يمكن للإنسان أن يصبح عالماً قبل أن يكون إنساناً. ولذا فاصحب الناس بأيّ خلق شئت أن يصحبوك. والتمس لأخيك بضعاً سبعين عذراً عندما يتجاوز في حقك. وحسن الخلق يستر كثيراً من السيئات ، وكما أنّ سوء الخلق يغطّي كثيراً من الحسنات. وصدق أبو تمام عندما أعلنها: (إذا جاريت في خلقٍ دنيئاً ، فأنت ومن تجاربه سواء). وصدق الشاعر الحكيم الفيلسوف في قوله: (لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله ، عارٌّ عليك إذا فعلت عظيم). وعموماً تنكشف الأخلاق في ساعة الشدّة. والله عز وجل جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلاً بيننا وبينه سبحانه. وصلاح أمرك لأبيها الإنسان لأخلاق مرجعه، فقوم النفس - كما قال البوصيري - بالأخلاق تستقم. وإن كان لا بدّ من العصبية ، فليكن لمكارم الأخلاق ومحامد الأفعال. ولذا فكنّ حكيماً له مبدأ حتى يحترمك الناس من أجله ، ولا تكن سفيهاً خالياً من أيّ منطق أو حكمة ، فلا يُقيم الخلق حديثك. وبالأخلاق يفضّل المرء في الورى ويوقر. وكفى بالمرء فضلاً أن تُعدّ معايبه. وأطهر الناس أعراقاً أحسنهم أخلاقاً. وأفضل الجود العطاء قبل الموعد. والمؤمن كالنحلة تأكل طيباً ، وتضع طيباً. وإن الله تعالى يحب معالي الأمور ويبغض سفاسفها. وإنّ المقدرة تُذهب الحفيظة. والمرء بأصغريه: قلبه ولسانه. وأولى الناس بالعمو أقدروهم على العقوبة. وتاج المروءة التواضع. وترك الذنب من البداية أيسر من الاعتذار عنه للآخرين. وصدق شاعرنا ابن الوردي عندما قال: (لست أختارُ تقبيل يدٍ قطعها أجمل من تلك القبّل). وتمام الصدق الإخبار بما تحمله العقول. وحسن الخلق خير قرين. وحسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد. وخير الناس للناس خيرهم لنفسه. وساقى القوم آخرهم شراباً. وسيد القوم خادمهم. ولذا فعامل الناس برأي رفيق ، واللق من تلقى بوجه طليق. ولا تكن حلواً فتوكل ، ولا مرّاً فترمى. ولا تمازح الشريف فيحنق عليك ، ولا الدنيء فيتجرأ عليك. ولو كان الكذب ينجي فالصدق أنجي. وما كل من قال قولاً وفى. والصدق دليل التقوى والخوف من الله. والقُدوة الحسنة خير من النصيحة. وصدق من قال: (إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ، فكلّ رداء يرتديه جميل). ومثل سيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة ، لا تُرقّ ولا تُعاد طيناً. ومن فاته الأدب لم ينفعه الحسب. ومن فسدت بطانته كان كمن غصّ بالماء. ومن ملك غضبه احترس من عدوه. والمعرفة التي لا تنميها كل يوم ، تتضاءل يوماً بعد يوم. والعلم في الصغر كالنقش على الحجر. والعلم أكبر وأعظم من أن يحاط به ، فخذوا من كلّ شيء أحسنه. وقيمة المرء ما يعرفه. وعلمي كيف أصطاد ، ولا تعطني سمكة كلّ يوم. ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم. ورأس مالك علمك ، وعدوك جهلك أيها الإنسان. ولا يُنال العلم براحة الجسم. والجاهل يؤكّد ، والعالم يشكّ ، والعاقل يتروى. ويتعب المرء من كلّ شيء إلا العلم. والعلم يرفع بيتاً لا عماد له ، والجهل يهدم بيت العز والشرف. ومن يخش السؤال يخجل من التعلّم. وما نتعلمه في المهد يبقى حتى للحد. وكلما كبرت السنبلة انحنت ، وكلما ازداد علم العالم تواضع للناس. والعلم هو الترياق المضاد للتسمم

بالجهل والخرافات. والعلم لا يصنع الحقيقة ، إنه يكشفها فقط. ونحن نقرأ لنبتعد عن نقطة الجهل ، لا لنصل الى نقطة العلم. وويل لطالب العلم إن رضي عن نفسه. وصدق الشاعر إذ قال: (ومن طلب العلا من غير كد ، أضاع العمر في طلب المحال). والعلم ما نفع ، ليس العلم ما حُفظ. وصدق أبو العلاء إذ قال: (ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً ، تجاهلت حتى ظن أني جاهل). وعموماً لا تطلب العلم رياء ، ولا تتركه حياء. وبالسؤال يتعلم الإنسان. فسلح عقلك بالعلم، خير من أن تزين جسدك بالجواهر. قطرة فوق قطرة بحر ، وحكمة فوق حكمة علم. ومن لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل. وفي الناس شرّ لو بدا ما تعاشرُوا ، ولكن كساه الله ثوب غطاء. وصدق من قال: (وكم علمته نظم القوافي ، فلما قال قافية هجاني). ومن لا يتق الشتم يُشتم. ومن لا يُكرم نفسه لا يُكرم. وهناك من الناس من يأكلون تمرى وأرمى بالنوى. والأخلاق مثل الشجرة التي تنمو كل يوم عندما يقوم صاحبها بريها بالوفاء ، والإخلاص ، والمحبة. وأخلاقيات كل إنسان هي رصيده لدى الناس ، وكلما أحسنت عملك وخلقت كنت أغنى الناس ، والاحترام هو الذي يزيدك بين الناس. وإن العفو يصلح الإنسان الكريم ويفسد اللئيم. والأخلاق والسعادة وجهان لعملة واحدة. فلا بدّ من أن تحترم الآخرين لكي يحترموك. وما قرن شيء إلى شيء أفضل من إخلاص إلى تقوى ، ومن حلم إلى علم ، ومن صدق إلى عمل. ومن لم يركب الأهوال لم ينل الآمال. ومن ملك غضبه احتسب من عدوه. ونفاق المرء من ذلّه. وبعض خلائق الأقسام داء كداء البطن ليس له دواء. ونصف العلم أخطر من الجهل. وأول العلم الصمت ، والثاني حسن الاستماع ، والثالث حفظه ، والرابع العمل به ، والخامس نشره. وكلّ إناء يضيق بما جعل فيه ، إلا وعاء العلم فإنه يتسع. ولا يزال المرء عالماً مخلوقاً ما دام في طلب العلم ، فإذا ظنّ أنه قد علم وتخلّق فقد بدأ جهله. ومن اتخذ من الحكمة لجاماً ، اتخذها الناس إماماً. والعباقرة شهبٌ كتب عليها أن تحترق ؛ لإنارة عصورها. والعلم كنز وذخر لا فناء له ، ونعم القرين إذا ما صاحب الصحبا. والعلم مغرس كل فخر فافتخر ، فاحذر أن يفوتك فخر ذاك المغرس. ولقد صدق من قال: (رأيت العلم صاحبه كريماً ، ولو ولدته آباء لنا). وصدق من قال: (ولو لا العلم ما سعدت رجالاً ، ولا عُرف الحلال ولا الحرام). ومن لا يمكننا أن نمتلك منه سوى القليل. ولقد حثنا الدين الإسلامي كتاباً سنة على واجب العلم والأخلاق ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن تصل من قطعك ، وأن تعفو عن ظلمك ، وأن تعطي من حرمك" حيث إن الأخلاق هي الكنز الحقيقي لكل إنسان ، كما أن العلم والأخلاق من أهم الأمور المرتبطة ببعضها ، حيث إن الأخلاق هي المكمل الحقيقي للعلم ، وأطهر الناس أعرافاً أحسنهم أخلاقاً ! وهو من حكمة عن العلم والأخلاق. ولا مروءة لكذوب ، ولا ورع لسيء الخلق. وحسن الخلق أحد مراكب النجاة وهو من حكمة عن العلم والأخلاق. وأدنى أخلاق الشريف كتمان سره ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر له. والتكبر على المتكبر تواضع. والحلم سيد الأخلاق. والصدق يحسن بالفتى والكذب يحسب من عيوبه. والعفو إنما يكون عند المقدرة. والعفو يصلح الكريم ويفسد اللئيم. القدوة الحسنة خير من النصيحة. والفتاة كنز لا يفني. والكريم من أكرم الأحرار. والمرء بالأخلاق يسمو ذكره. والكذب داء والصدق دواء. ولذا تُعد الأخلاق من أفضل الصفات التي يمكن أن يتحلّى بها أي إنسان ، والأخلاق هي التي تجعل الإنسان يسمو فوق كل شيء. والعلم دون أخلاق كالبحر دون ماء! والأخلاق هي النور الذي يضيء الإنسان. ويُعد العلم هو البحر الواسع الذي ينبع منه الكثير من الصفات الجميلة ، ولكن العلم دون أخلاق لا فائدة له ، ولذا فإنه لا بد أن يحرص كل إنسان على أنه عندما يحرص على التعلم لا بد أن يكون

متسماً بالأخلاق الحميدة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة والمثل العظيم للعلم والأخلاق الحميدة ، كما أن العلم والأخلاق مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ، وقليل من العلم مع عمل أفضل من كثير جهل مع كثير عمل! والمعرفة كنز يتبع صاحبه أينما ذهب. والعلم هو الخير ، والجهل هو الشر ، فإذا كانت الراحة في الجهل بالشيء ، كان التعب في العلم بالشيء ، وكم علم لو بدا لنا لكان فيه شقاء عيشنا ، وكم جهل لو ارتفع عنا لكان فيه هلاكنا. والإسلام لا يعارض العلم الصحيح ، ولا الفن النافع (أعني الفنون المباحة) ولا الحضارة الخيرة ، وإنه لدين سهل رحب مرن. والأخلاق هي رمز المحبة ، والتواضع من أهم حكمة عن العلم والأخلاق. ومن هنا فالعلم والأخلاق لا ينفصلان عن بعضهما البعض. ومن هنا يُعد العلم هو المنارة الوحيدة التي يركز عليها كل شيء في الحياة ، ولكن هذه المنارة لا ترتفع أو تضيء إلا بالأخلاق حيث إن الأخلاق جزء أساسي في حياة العلماء ، ولذا فإنه لا بد أن يكون العلم والأخلاق ملتصقان في كل إنسان ، والعلم هو شرف لكل إنسان ، حيث إن الإنسان بالعلم يعرف كل شيء ، ولكن لا بد من الأخلاق لأنها تساعد على الارتقاء بالعلم ، والحقيقة أنه لا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم. وهناك ثلاثة أمور تزيد المرأ إجلالاً: الأدب ، والعلم ، والخلق الحسن. وإذا رأيت العلماء على أبواب الملوك فقل: بنس الملوك وبنس العلماء ، وإذا رأيت الملوك على أبواب العلماء فقل: نعم الملوك ونعم العلماء. والعلم كالأرض ، لا يمكننا أن نمتلك منه سوى القليل القليل. وصدق من قال: (اطلبوا العلم لذات العلم لا .. لشهادات وآراب أحر)! والعلم والنجاح لا يكتملان إلا بالأخلاق ، حيث إن الأخلاق هي المصدر الرئيسي لحياة سعيدة بها راحة واستقرار ، وهي التي تجعل الشخص محبوباً من الجميع ، كما أن العلم والأخلاق هما من أهم المصادر الأساسية للسعادة في الحياة. ولذا فلا بد على كل شخص أن يلتزم بالإخلاص في العلم والعمل ، والإخلاص نابع من الأخلاق التي يتحلى بها الإنسان ، ولا بد في هذا كله من الصدق ، وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما قال: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه). وصدق من قال: القمح والعمل الصالح لا ينبتان إلا في أرض طيبة. ومن ذاق ظلمة الجهل أدرك أن العلم نور. والعلم في الصغر كالنقش على الحجر. ومن لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره. وتغذية الفكر هي شمس ثانية بالنسبة للمتعلمين. ولا ينال العلم براحة الجسم. فاغذُ عالماً أو متعلماً ، ولا تغذُ إمعة بين ذلك. ومن أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثله أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه. وهناك اثنان منهومان أخبر عنهما الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – لا يشبعان: طالب علم وطالب مال. وكل شيء يزول إلا العمل الصالح. ولا يكفي أن تعمل خيراً ، بل يجب أن تحسن عمل الخير. ولقد ينتهي عمل المرء يوماً ما ، لكن تعليمه لا ينتهي أبداً! والعمل هو سر النجاح في الحياة ، ولكن العمل الذي يتحلى بالأخلاق هو أساس كل شيء في الحياة. ومن لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل. إن مثل القرآن والعلم كمثل سائق سيارة يمشي بها في السهل الواسع ، يرى القمر أمامه مُطلاً عليه من فوق الجبل فيسرع ليدرك القمر والقمر مكانه. والإسلام لا يعارض العلم الصحيح كما أسلفنا ونكرر ، ولا يزال العبد بخير ما علم الذي يفسد عليه عمله. والحق لا يقاوم سلطانة ، والباطل يفدّ بشهاب النظر شيطانه ، والناقل إنما هو يملي وينقل ، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل ، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل. وكلما اعتقد الإنسان أنه تعلم شيئاً ، اكتشف أنه جهل أضعافه. وتعليم الناس وتثقيفهم في حد ذاته ثروة كبيرة نعتز بها ، فالعلم ثروة ونحن نبني

المستقبل على أساس علمي. في الأسفار علم للشبان واختبار للشيوخ. غير أن العلم لم يكشف لنا بعد فيما إذا كان الجنون ذروة الذكاء أم لا. لكل شيء آفة ، وآفة العلم نسيانه. وطلب العلم شاق ، ولكن لتحصيله لذة ومرتعة ، والعلم لا ينال إلا على جسر من التعب والمشقة ، ومن لم يتحمل نل العلم ساعة يتجرع كأس الجهل أبداً. وإذا لم نطالب بحقوق الناس في العدل والحرية فلا خير في أي علم نتعلمه. والمعلم ناسك انقطع لخدمة العلم كما انقطع الناسك لخدمة الدين. لا تطلب العلم رياء ، ولا تتركه حياء. ومن عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يعلم. وكلما كبرت السنبة انحنت ، وكلما ازداد علم العالم تواضع. ولا يمكن لأي مرب أو معلم أو داعية أن يكون ناجحاً أو فاعلاً ما لم يكن محبوباً من طلابه ومدعويه مهما حمل من علم. ولهذا يقول الله عز وجل لسيد البشرية في علاقته بالناس: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك). ولقد يضع العلم حدوداً للمعرفة ، لكنه لا يجب أن يضع حدوداً للخيال. وإن لم تستطع أن تحقق هدفك في علم من العلوم أو منصب طمحت إليه بسبب خور عزيمة أو ظرف عارض أو قضاء مقدر ، فلا تحاول أن تثني غيرك عما عجزت أنت عن تحقيقه ، فهو نسيج مختلف ، ونفسية مختلفة ، وبظرف مختلف. والعلم هو الترياق المضاد للتسمم بالجهل والخرافات. والعلم عبارة عن طريقة للتفكير أكثر من كونه قالباً جامداً للمعرفة. ويضيع العلم بين اثنين الحياء والكبر. والناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب ، لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين ، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه. وإذا لم يمنع العلم صاحبه من الانحدار كان جهل ابن البادية علماً خيراً من علمه. ونحن لسنا محتاجين إلى كثير من العلم ، ولكننا محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة. والنجاح لا يحتاج إلى كثير من العلم ، ولكنه يحتاج إلى الحكمة. والهدف النهائي للحياة هو الفعل وليس العلم وحده ، بل يجب أن نعمل بما علمناه من الحق ، فالعلم بلا عمل لا يساوي شيئاً. ونحن نتعلم لكي نعمل. والمهم في العلم ليس أن تحصل على حقائق جديدة ، بل أن تكتشف طرق جديدة للتفكير في هذه الحقائق وتزداد في العلم الشرعي لتقوى صلتك بالله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام والإسلام. إن القلب الخرب يجعل من العلم سلاحاً للفساد. (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم). فانظر إلى ضراوة العلم عندما يفقد الإخلاص لله والرفق بالعباد ، كيف يثير التفرقة ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل. فالعلم بدون دين أعرج ، والدين بدون علم أعمى. ولو كان العلم من دون التقى شرفاً ، لكان أشرف خلق الله إبليس. الأخلاق أولاً ثم العلم والكفاءة ، هذا هو مفتاح السعادة للأفراد والحكومات والجماهير. والعلم أكبر من أن يحاط به ، فخذوا من كل شيء أحسنه. والجامعات في أمريكا وأوروبا وإسرائيل لا تبحث عن العلم من أجل العلم ، ولا تبحث عن المعرفة من أجل الارتقاء بمكانة الإنسان الاجتماعية وشبكة علاقاته بالمنشأ والحياة والمصير. وإنما هم هناك يبحثون عن المعرفة والعمل باعتبارهما عنصراً من عناصر القوة اللازمة للنجاح في عملية الصراع الدولي. أما في الأقطار العربية فإن حال العلم والمعرفة كحال الذهب عند نساء هذه الأقطار ، يبقيان مجرد حلية يباهي بهما الأفراد وحملة الشهادات بعضهم بعضاً في الداخل. والعلم وحده لا يكفي ما لم يتوج صاحبه بمكارم الأخلاق. وصدق الشاعر إذ قال: (ليس الجمال بأثواب تزيننا ، إن الجمال جمال العلم والأدب). وإذا أعطي الناس العلم ومنعوا العمل ، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالأرحام ، لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. والنبى – صلى الله عليه وسلم – أخبرنا أنه إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له. وإذن فالعلم دون فضيلة سيف

الشيطان. ومن يخش السؤال يخجل من التعلم. وبماذا ينتفع الضير إذا علم أن الشمع يكلف غالباً. والتلميذ إنسان يتعلم ، والمجاز إنسان ينسى. وما نتعلمه في المهد يبقى حتى اللحد. والعلم ملجأ العالم ، والغاية ملجأ النمر. ولن يستطيع العلم الحديث اختراع مهدئ للأعصاب أفضل من الكلمة اللطيفة التي تقال في اللحظة المناسبة. إن التقوى المنشودة ليست مسبحة درويش ولا عمامة متمشيخ ولا زاوية متعبد ، إنها علم وعمل ، ودين ودنيا ، وروح ومادة ، وتخطيط وتنظيم ، وتنمية وإنتاج ، وعندما يكون العلم بدون أخلاق تكون المحن والإحزن والعذابات والكوارث ، ولا شاهد أقوى على ذلك من نتائج الحربين العالمية الأولى والثانية! واليوم ونحن على أعتاب حرب عالمية ثالثة فعلينا أن نتذكر أن العلم بدون خلق يدمر البشرية! فعن خسائر الحرب العالمية الأولى كتبت الأستاذة عبير حجاجلة ما نصه: (لقد نتج عن الحرب العالمية الأولى عددٌ من النتائج ، ومنها ما يلي: هزيمة القوى المركزية (دول المحور) ، وتراجع هيبة أربع إمبراطوريات كبيرة ، وهي: ألمانيا وروسيا والمجر وتركيا. وإلحاق أضرار جسيمة ، حيث كانت الحرب مليئة بالمذابح والمجازر والدمار. وتعد الحرب العالمية الأولى نقطة تحول كبيرة في التاريخ الجيوسياسي ، وتحديدًا في القرن العشرين. واندلاع الثورة البلشفية في روسيا. وزعزعة الاستقرار في المجتمعات الأوروبية. والتمهيد للحرب العالمية الثانية. ومقتل ما يقارب من 10.000.000 شخص ، وإصابة 20.000.000 آخرين. وكانت مقدمة لتغيير أساليب الحروب ؛ حيث نقلت نمط الحرب اليدوي إلى نمطاً أكثر تقدماً ، وذلك من خلال إدراج الأسلحة المستخدمة لوسائل التكنولوجيا ، وإبعاد الأفراد من القتال القريب. وتوقيع معاهدة فرساي ، وهي المعاهدة التي أنهت الحرب العالمية الأولى ، ولكنَّ عدداً من شروطها كان السبب الممهد لاندلاع الحرب العالمية الثانية). هـ. وعن النتائج الكارثية للحرب العالمية الثانية كتبت الأستاذة ريهام أبو عياش ما نصه: (لقد نتج عن الحرب العالمية الثانية عدة نتائج كارثية ، فبعد اشتعال فتيل الحرب بين كفتي الصراع وهما: دول المحور وهي بقيادة ألمانيا وفرنسا ، استمرت الحرب لمدة 15 عاماً ، استنزفت خلالها الكثير من البشر والدول والأموال والأسلحة ، وما ألحقته من أضرار فادحة في كل ما هو موجود على سطح الأرض. ومن ناحية أخرى ورغم عدم تكافؤ الفرص لكل من الطرفين في بداية الأمر ، إلا أن ألمانيا ظلت في طبيعة المواجهة تقبض زمام الأمور بقبضة من حديد ، فما سلمت منها دولة إلا لها من حزمها نصيب غير أن هذا لم يدم إلا لنهاية 1942 حيث بدأ التحول في سير الحرب لصالح الحلفاء الذين قاموا بإرسال قواتهم إلى شمال أفريقيا وما نجم عنه من معركة سميت "بمعركة العلمين" بين بريطانيا ودول المحور ، وكانت النتيجة هزيمة المحور واستسلام إيطاليا ، وما رافقه من شن للغارات الجوية المكثفة على ألمانيا ، الأمر الذي سبب ذلك أضراراً كبيرة بها وتدمير أغلب مراكزها الحيوية ، وما تعرضت له بالمقابل اليابان من قذفها بالقنبلة الذرية على هيوشىما وناجازاكي ، فهزمت اليابان وألمانيا في نهاية عام 1945 فهزمت كل من ألمانيا واليابان وانتصرت الحلفاء ، أما نتائج الحرب العالمية الثانية فهي كما يلي: نتائجها على العالم: خرجت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي كأكثر قوتين في العالم ، فأصبح العالم ثنائي الأقطاب ، الذي ما يرح حتى عاد ليصبح أحادي القطب بعد تفكك وانحيار الاتحاد السوفييتي في أوائل الثمانينيات من القرن المنصرم. وما أسهمه الخلاف الحاد الذي نشب بين كل من أمريكا والاتحاد السوفييتي إلى ظهور نظام الكتلتين: الكتلة الغربية الرأسمالية بزعمارة

الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تضمنت دول أوروبا الغربية وما قامت به من تشكيل لحلف شمال الأطلسي في عام 1949م ، أما الكتلة الأخرى فهي الكتلة الاشتراكية بزعامة الإتحاد السوفيتي ، والتي انضم لها بعد ذلك دول شرق أوروبا ، وتشكيل حلف وارسو في عام 1955م. وإنشاء هيئة الأمم في عام 1945م. وما نتج عنها من اكتشاف أسلحة جديدة متطورة كالنووية والذرية ، والتي أخذت كل دولة من الدول الغربية على التنافس في امتلاكها والحصول عليها. وما سبب ذلك من قضاء على الحكمين الفاشي والنازي في كل من إيطاليا وألمانيا. ونشطت الحركات التحررية في العالم الثالث التي طالبت بالاستقلال والتحرر. ولقد كانت البلاد العربية مسرحاً مهماً للمعارك الدامية بين دول المحور والحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية ، وما تسبب ذلك بما يلي: احتلال للكثير منها وفرض للأحكام العرفية الجائرة والرقابة المشددة على الصحف والمجلات والإعلام ، كذلك وما قامت به من نفي للعديد من الزعماء الوطنيين خارج بلدانهم ، وأدى ذلك كله إلى نشوء ونشاط حركات التحرر التي عمدت إلى أسلوب الكفاح المسلح والثورات في سبيل تحرير أوطانها من نير الاحتلال ، والتي انتهت أغلبها بتحرر بلدانها. بقيت فلسطين وحدها في أوج الصراع العقيم بقرار هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب وتوصية من بريطانيا بإصدار وعد بلفور الذي تم توقيعه في 1947/11/2 ، والقاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين).هـ. فكما تعلمون أصدقائي سبب هذا التدهور والانحطاط إلى من أسماهم بالقوى الخفية التي تدير القادة والشعوب مثل الأحجار على رقعة الشطرنج! القوى الخفية التي ذكرها صاحب كتاب: (أحجار على رقعة الشطرنج) ففي الكتاب كان يقصد بهم اليهود من الحاخامات واللوبيات الذين أسماهم بـ "النورانيون" الذين أطلقوا ما يسمّى النظام العالمي الجديد! فهذا غاي كار كمسيحي متدين وأحد المبشرين يرى أنّ الصراع في المعمورة هو صراع أبدي بين الخير والشر. بين الإيمان والإلحاد ، ويرى أنّ الإلحاد الذي يروج له النورانيون بين الشباب وفساد الأخلاق كفيل بتفكيك وإضعاف هذه الأمم حتى ينفذ النورانيون مخططاتهم الشريرة! يبدأ وليام في كتابه بمراجعة تاريخية لأصل ومنشأ اليهود. وأصول الأعراق وتقسيمها في أوروبا! ثم يسترسل حول دور اليهود الخطير في الثورات العالمية منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى زمن إنهاء كتابه في منتصف خمسينيات القرن الماضي. بداية من الثورة الإنجليزية مروراً بالفرنسية والروسية وأخيراً الحروب العالمية الأولى والثانية. يذكر المؤلف في كتابه عن خبث اليهود ومخططاتهم الطويلة الأمد في نشر الشر والإلحاد وفساد الأخلاق بكل أسلحتهم الممكنة من مناصب عالية يحتلها بعض العملاء أو بالتزوير والرشوة والابتزاز لأصحاب المناصب والوزارات! بل تعدى الأمر لافتعال الأزمات الاقتصادية مثلما حدثت في أمريكا وبريطانيا. فأرهبوا الدول بالديون وتسببوا في الفقر والجوع للشعوب المظلومة! ويرى وليام أن الشيوعية هي العدو الأول للإنسانية. وأن اليهود استغلوا الشيوعية لتنفيذ مآربهم لإفساد العالم. بل يرى أن تشرشل وروزفلت وستالين هم أحجار أخرى على رقعة الشطرنج. وذكر أن هتلر كان أكثر القادة وعياً عن خطر اليهود في العالم. فلم يبارك هذه المذابح التي أقامها هتلر على اليهود! ومن هنا كان الصدق في طلب العلم والالتزام بالأخلاق منشداً من مناشد الشريعة! قال صلى الله عليه وسلم: «إنّ الصدق يهدي إلى البر وإنّ البر يهدي إلى الجنة وإنّ الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً» أخرجه أبو داود وصححه الألباني. ولا بد للعلم والأخلاق من المراقبة! قال صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت واتبع السينة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

رواه الترمذي. ولا بد للعلم والأخلاق من اليقين! قال صلى الله عليه وسلم في سيد الاستغفار أن نقول: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعود بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقناً بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» رواه البخاري ، وقال صلى الله عليه وسلم: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه». رواه الترمذي ، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنّ من خياركم أحاسنكم أخلاقاً». رواه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإنّ الله ليبغض الفاحش البذيء». رواه الترمذي وصححه الألباني. ولا بد للعلم والأخلاق من التقوى! قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم». رواه الترمذي حديث حسن صحيح. ولا بد للعلم والأخلاق من التوبة! قال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة». رواه مسلم. ولا بد للعلم والأخلاق من الصبر! قال صلى الله عليه وسلم: «الظهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها». رواه مسلم ، ولا بد للعلم والأخلاق من الحلم! قال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: «إنّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». رواه مسلم ، ولا بد للعلم والأخلاق من التوكل! قال صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً وتعود بطاناً». حسن رواه الترمذي ، ولا بد للعلم والأخلاق من الاستقامة! عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: «أمنت بالله ثم استقم». رواه مسلم. ولا بد للعلم والأخلاق من المبادرة والمسارعة في الخيرات! قال صلى الله عليه وسلم: «بادرُوا بالأعمال سبعا ، هل تنتظرون إلا فقرا منسياً أو غنى مطعياً أو مرضاً مفسداً أو هراماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر». رواه الترمذي وحسنه. ولا بد للعلم والأخلاق من المجاهدة! قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}. وقال صلى الله عليه وسلم: «حجبت النار بالشبهات وحجبت الجنة بالمكاره». متفق عليه. وعلى هذا تكون المعادلة قد اكتملت ، ويكون العنوان قد فهم من أن العلم يجب أن يكون مع الخلق! وكذلك الخلق لا بد من أن يصحبه العلم! فلا خير في علم بدون أخلاق ، كما أنه لا خير في أخلاق بدون علم! وكان ذلك النص الشعري ترجمة لما دار بيننا مع الأستاذ المحترم سيبيويه اللغة العربية في مدرسة منار الإيمان بعجمان - محمد الكيلاني - ليكون شعراً نابضاً يكون عمره أطول من عمري كاتبه والمكتوب فيه!

بـالـخـلق - تُبـنـى الـنـفـسُ - والتعلـيم
وَهـل الحـيـاة تُقـامُ دُون علـوم؟
مَن مَبْلَغ عَنَّا الـذـين تـعـلـمـوا
أَن العـلـوم تُمـدِّدنا بـفـهـوم
وتزـيـدنا فـكـراً علـى أفـكارنا
وتزـيـل بـالتـفـهـيم كل هـمـوم

لطفاً براعي أسرة مكلوم!
بالخلق ينتفع الفتى وعلوم
أبكي على ولدٍ حيا كيتيم
ليصيب بين يديه بعض نسيم
فاحكم ، وإنك سيد التحكيم
بـ (منار إيمان) لكل غريم؟!
بقصيدي المتواضع المحشوم
وبقلب معطاءٍ ووجه وسيم
حرص - على الأبناء - جد عظيم
وذوه - في دنيا الورى - كنجوم
شتان بين غشمشم وعليم!
عضلتُ بفنٍ - في القياس - حكيم
لقد ارتقوا بشرافة التعليم
دوماً على التشييد والتصميم
آيات مجد - في الديار - عظيم
وسلاحه ، فاستمتعوا بنعيم
لم يُبتلوا - في دارهم - بظلموم
متغلب صلب المراس لنيم
كلا ، ولم يستسلموا لهموم
باؤوا بشر هزيمةٍ وغموم
فزعوا له كـ (خزاعة) و(تميم)

وسألتُ يا أساتذنا (الكيلاني)
واقراً معي قول (الأمير) مُرجعاً
فصن على الأولاد بيتاً قلته
لم يتل شعر أبيه ينحو نحوه
بل عَق شعر أبيه دون هوادهٍ
أولم يُصِب أدباً بصرح علومكم
ووصيتي لـ (محمد الكيلاني)
أن يبذل الجهد الجهيد تفضلاً
وليمنح الأخلاق والتعليم في
فالعلم أكسير الحياة ونورها
ما قيمة الإنسان دون تعلم؟
والعلم مفتاح لكل عويصةٍ
وانظر لأهل الأرض من أخذوا به
شادوا الحضارة في ديار راهنت
فتربع العمران فوق ربوعهم
صنعوا الغذاء لشعبهم ودواءه
برزوا وتاج البأس فوق رؤوسهم
لم يرضخوا لمحارب مستعمر
لم يقبلوا ذلاً بغير جريرةٍ
وإذا اعتدت زمر على أصقاعهم
وإذا استبجح صغيّرهم في موقفٍ

يُضِلُّونَهُ بِعَذَابِهِمْ وَحَمِيمٍ
وَلِذَا اسْتَحَقُّوا نَارَ التَّكْوِينِ
بِنَهْوِ مَنْ جُلَّ رَجَالُهُمْ وَحَرِيمٍ
أَكْرَمَ بَعِزٍّ - فِي الْأَنْبَاءِ - مَرُومٍ
أَمْرٌ يَحْيِرُ عَقْلَ كُلِّ حَالِمٍ
وَيَدْوُو بِسِيْطِ مَقْرِفٍ مَذْمُومٍ
بِظُلْمِ الْقَذَارَةِ وَالْأَذَى مَوْسُومٍ
أَبْنَسُ بَعِيشِ آسِنٍ وَسَقِيمٍ!
فِي الْمَوْبِقَاتِ مَعَانِدًا كَبْهِيمٍ!
جَهْلًا عَلَى عَيْشِ هُنَاكَ كَرِيمٍ!
وَالْعَيْشُ دُونَ مَبَادِي كَجَحِيمٍ
كَالنَّجْمِ يَسْبِجُ فِي خِضَمِّ غَيْمٍ
فِي عَالَمٍ مِنْ خَلْقِهِ مَحْرُومٍ
بِعَطَائِهِ الْمَتَنُوعِ الْمَعْلُومِ؟
مَا لَمْ يَخْطُ بِخَلِيقَةٍ وَسُلُومٍ!
جَلَبَ الدَّمَارَ عَلَى قَرِيٍّ وَتَخُومٍ
لِيَصِيرَ عَمْرَانٌ كَبَعْضِ رَمِيمٍ
فِي شَرِّ حَالِ صَادِمٍ وَأَلِيمٍ
وَبِدُونِ كُلِّ عَيْشِنَا كَصَرِيمٍ
حَتَّى نَفُوزَ بِجَنَانَةٍ وَنَعِيمٍ
وَأَجْرَهُ يَوْمَ قِيَامِنَا الْمَحْتُومِ!

كَانُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ صَفَاءً وَاحِدًا
بِالْعِلْمِ سَادُوا ، لَا بِجَهْلٍ أَوْ هَوًى
وَشَوَاهِدِي تَتَرَى عَلَى تَمْكِينِهِمْ
صَعَدُوا إِلَى الْعِلْيَاءِ ، وَانْفَرَدُوا بِهَا
وَتَفِيَّأُوا ظِلَّ التَّقْدَمِ وَحَدِيمِ
لَكِنْ تَدْنَتْ - فِي الْوَرَى - أَخْلَاقُهُمْ
وَكَأَنَّمَا يَحْيِيُونَ فِي مَسْتَنْقِعِ
فَحِيَاتِهِمْ أَسْنَتْ بِسُوءِ فِعَالِهِمْ
مَا أَتَعَسَ الْإِنْسَانُ يُقْجِمُ نَفْسَهُ
مَا أَخِيبَ الْإِنْسَانُ يُوْثِرُ حَتْفَهُ
لَمْ يَعْرِفُوا الْأَخْلَاقَ فِي مَنْهَاجِهِمْ
رَكَنُوا إِلَى الْعِلْمِ الْمَقِيمِ حَضَارَةَ
وَتَكَبَّرُوا سُبُلَ الْمَعَالِي عُنُودَةَ
وَالْعِلْمِ هَلْ مَتَفَرِّدًا سَيُغِيثُهُمْ
(لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ)
وَإِذَا غَدَا عِلْمٌ بِدُونِ خَلِيقَةٍ
وَأَبَادَ مَا ابْتَدَتْ الْحَضَارَةُ فِي الدُّنَا
وَأَصَابَتْ رُقْعُ الدِّيَارِ بِلَاقِعًا
بِالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ يُزْهَرُ عَيْشِنَا
لِلْهِمِّ عَلْمِنَا وَحَسَنُ خَلْقِنَا
لِلْهِمِّ وَاجِزٌ (مُحَمَّدُ الْكِلَانِيُّ)

إلى من صرفهم المظهر عن الجوهر

(طائفة من الناس غرتهم الحياة الدنيا ، فصاروا أقرب إلى المنافقين منهم إلى المؤمنين. إذ لما كانوا فقراء بسطاء كانوا يتباكون على آلام وآمال الإسلام والمسلمين. على أنهم معلمون كانت الآيات تجري على ألسنتهم والأحاديث تغمر حواراتهم ، والحكم تراحم كلامهم. واعتادوا أن يبكوا على التعليم والعلم لما كانوا في مدارسهم الخاصة ، فلما التحقوا بالمدارس العامة ، وصار راتب الواحد منهم أربعة أضعاف وربما خمسة أضعاف ما كان يحصل عليه في مدرسته الخاصة ، إذا بهم ينسون زملاءهم من كل شيء كانوا يؤدونه إليهم يوم كانوا فقراء! نسوهم من الاتصال بهم ابتداء ، ونسوهم من الصدقة عليهم – معاذ الله – انتهاء! وأسأل: أين التباكي والبكاء؟ وأين الكلمات المعسولة؟ لقد ذهب كل ذلك أدراج الرياح ، وشغلهم بريق المال وزخرف الدنيا وسعة الرزق عن القيام بواجبات الأخوة الإيمانية. وليتهم كانوا مؤمنين حنفاء لنقول: إيمانهم ينسخ بخلهم وشحهم! (أ يكون المؤمن بخيلاً؟ فأجاب – صلى الله عليه وسلم -: قد يكون!) ومن هنا كتبت هذه القصيدة لكل من صرفهم زخرف الحياة الدنيا عن جوهرها!)

أقول ، ولا أخادع أو أمالي	ويشهد بالذي أنوي مقالي
سيفنى الكل ، والدنيا ستفنى	ويبقى وجه ربك ذو الجلال
ويمضي زخرف عبوده طوعاً	لأن بقائه عين المحال
أما عشتم تعيبون التدني	جهاراً في سنيكم الخوالي؟
ألم تتبرأوا من كل نذل	يقال دأله ذل السوال؟
ألم تميزوا عن كل وبش	إذا سئل المعونة لا يُيالي؟
ألم تُبدوا التكلف إن تُدبتم	إلى جلى ، فكنتم كالموالي؟
ألم تتجملوا بجميل ستمت	وأقوال تحلت بالفعال؟
ألم تتظاهروا بالجود طبعاً	ولست بما أبوخ به أغالي؟
ألم تتحملوا مُرّ البلايا	وكنتم – في الورى – خير الرجال؟
أكلتم ما تيسر من طعام	لذيذ الطعم من كسب حلال
ونلتم حب من لجأوا إليكم	فقد ظفروا بموفور النوال
وأقرضتم فتى أعياه دين	وأقساط يُثقلها التوالي
ألم تبكوا على الإسلام حتى	بليتتم – في العيون – بالاعتلال؟

تَوَجَّهْهَا لَوَاعِجِ الْإِنْفَعَالِ
عَلَى صَحْبٍ وَخِلَانٍ وَأَلِّ؟
عَلَى دُنْيَا تَبْوَعُ بِشَرِّ حَالِ؟
وَلَيْسَ لِنَيْلِ أَلْقَابٍ وَمَالِ؟
لِنَدْفَعِ عَنِ حَبَابِنَا الْعَوَالِي؟
أَلَا تَخْشَى نُؤْنَ دَمْدَمَةَ الْنَكَالِ؟
يُزَايِدُ فِيهِ خِرَاصٌ وَقَالِ
لَكَيْلَا تُصْبِحُوا أَهْلَ الْمَعَالِي
وَتَزْكُوا بِالْعَطَا رُوحَ الْوَصَالِ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى الْمَالِ
وَمَنْ عَنْهُمْ يَدِيرُ رَحَى الْجِدَالِ؟
وَإِنْ غَابُوا خَبَا نَجْمِ السُّوَالِ
وَهَلْ يُغْنِي الْقَضِيضُ عَنِ الْجِبَالِ؟
إِذَا هُمْ آثَرُوا سَمَتِ الْعِيَالِ!
وَلَيْسَ لَهُمْ بِهِ بَعْضُ اشْتِغَالِ
وَلَا بَعْضُ السُّهَامِ أَوْ النَّبَالِ
إِذَا اخْتَبَرُوا بِحَرْبٍ أَوْ نِزَالِ؟
لَكَيْ يَخْلُوا لِأَعْيَاءٍ ثِقَالِ؟
لَكَيْ يَنْذَرُوا مِمَّا رَسَا الضَّلَالِ؟
وَبَاتِ الْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ
وَعَيْشٌ بِالتَّقَى صَعْبِ الْمَنَالِ
لَأَنْهُمْ ارْتَضَوْا عَيْشَ الْبِغَالِ

بِأَدْمَعٍ - فِي الدَّغَاوِلِ - هَاطَلَاتِ
أَلَمْ تَتَجَرَّعُوا مُرَّ الْمَآسِي
أَلَمْ تَتَكَبَّدُوا ضَنْكَ الرِّزَايَا
أَمَا قَلْتُمْ نَعِيشُنْ لِنَيْلِ أُخْرَى
أَمَا قَلْتُمْ سَنَنْبُذِ إِنْ رُزِقْنَا
لَمَّاذَا الْيَوْمِ أَرْكُمُ التَّدْنِي؟
يَمِينُ اللَّهِ أَمْ رُكْمُ عَجِيْبٍ
وَعَرَكُمُ الْغَرُورُ بُوْسُوسَاتِ
يَعِيشُ النَّاسُ مَا بَنَدَلُوا كِرَامَاً
وَأَهْلُ الْجُودِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَأَهْلُ الشَّحِّ مَنْ يَبْكِي عَلَيْهِمْ؟
إِذَا حَضَرُوا فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْيْسٌ
أَصَاغِرُ فِي الْفِعَالِ وَفِي النُّوَايَا
فَلَا ذِكْرِي وَلَا ذِكْرَ لِقَوْمِ
وَلَا تَلْقَى لَهُمْ - فِي الْجُودِ - ظِلَاً
وَفِي الْهَيْجَاءِ لَيْسَ لَهُمْ رِمَاخٌ
وَكَيْفَ يَكُونُ لِلْجُبْنَاءِ عَزْمٌ
وَهَلْ هُمْ جَرَدُوا التَّوْحِيدَ يَوْمَاً
وَهَلْ كَفَّرَ الْأَرَاذِلُ بِالطَّوَاغِي
لَقَدْ فَتَنُوا بِدِينَارٍ وَدُنْيَا
فَلَيْسَ يَرُوقُهُمْ دِينٌَّ وَتَقْوَى
وَيَوْمَاً يَبْرَأُ الطَّآغُوتِ مِنْهُمْ

فباتوا في الضلالة والخبال
وفي قدميه أمسوا كالنعال
وإني إذ أناصح لا أمالي
بما لم يخطرن يوماً ببال
تفوق جميع أوصاف الجمال
وجاوزتم حدود الإعتدال
وحتملاً كل ذلك إلى زوال
وتذهب كل أبنية ومال
لنبلغ بالتقى أوج الكمال؟
بهمة تكم؟ فتعسلاً للمطال!
من التمدليس تغمره الأمالي
ومن يوفي الأجور كذي الجلال!؟

رضوا بالجاهلية والمخازي
مع الطاغوت ضد أولي التسامي
ألا توبوا يتوب ربي عليكم
لقد أملائكم المولى طويلاً
ومكنكم وخبولكم هبات
فغرتكم ثمينات العطايا
وإن زخارف الدنيا سراب
ويمضي بهرج خدع البرايا
فهل عود إلى القيم الثكالي
وهل توب؟ أم التسويف أزرى
نصحت وشاهدي شعراً بريء
وأجري عند رب الناس زادي

أوشكت أن أبيع الإسلام بعشرة جنيهاً

(وهذا موقف لأحد المسلمين العرب الأفذاذ يعيش في بريطانيا (حكاه الدكتور محمد راتب النابلسي) ، والعهد عليه في الرواية! ذلك أنني عهدت على الدكتور النابلسي عدم تثبته لما يروي من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ! فهو بذلك متساهل في رواية الحديث! وإذا كان ذلك كذلك ، فيكون فيما يرويه عن غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشد تساهلاً! وهو يذكرنا بالإمام الحاكم - رحمه الله -! وإذا كان العلماء لم يعذروا الإمام الحاكم فأولى بها النابلسي اليوم! وأنا أحب النابلسي ، ولكن حبي للحق أكثر من حبي له! وليس هذا قدحاً في نيته ، ولا مطعناً على طويته ، ولا وصولاً على كتفيه للتميز والتفرد! ولكنه بذلك حاطب ليل في الحديث ، وهذا يكفي للتوقف عند الرواية عنه! وأعتقد أن حاطب الليل ليس هذا زمانه! لماذا؟ لأنه يمكن أن يتثبت من أي حديث في لحظة واحدة ودون أن يتكلف مشقة العناء في البحث ، ودون أن يتجشم عناء الذهاب إلى أحد من أهل الحديث! بل من هاتفه الشخصي يمكن أن يفعل ذلك! والله الفضل والمنة! وعسى الله أن يتثبت النابلسي ويتحقق من صحة ما يورده! يقول النابلسي: ركب رجلٌ مسلماً إحدى الحافلات في بريطانيا وهو إمام مسجد هناك. وأعطى الأجرة للمحصل ، وتبقى بعض الجنيهاً ، فمدّ يده ليأخذها فإذا هي تزيد عما يستحق بعشرة جنيهاً إسترلينية ، فجاءه الشيطان وقال له: هؤلاء كفار وتلك دولة غنية ومؤسسة المواصلات تلك تملكها الدولة ، فخذ الجنيهاً العشرة واستحلها! ثم حدثته نفسه المطمئنة بالإيمان أن ردها ولك الأجر من الله! فهداه الله إلى ردها للمحصل فقال المحصل له: لقد كانت اختباراً لأعرف هذا الدين (الإسلام) هل له أثر في تربية معتنقيه ومن يدينون به! ومن سمتك ولحيتك أردت أن أتبين ، وكنت قد انتويت الدخول في الإسلام منذ أيام ، وعلقت دخولي على هذا الموقف ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله! ودخل الرجل في الإسلام طواعية بسبب هذا الموقف العظيم البسيط! فتخيلت الأخ المسلم يرسل له رسالة يهنئه فيها ، ويهنئ نفسه على النجاح في الاختبار!)

بإسلامك - اليوم - نلت المنى	وأوصاك السلام أوج الهنا
وخزت - من الخير - أطيا به	وعطر - ما أنت فيه - الدنا
وكم سرني ما عمدت له	سرور الفقير إذا ما اغتنى!
وأبهجني اليوم ما خزته	من الأجر ، صرت به موقنا
وكنت الأميين على منهجي	وقلبي - على همتي - برهنا
وهذا - من الله - ليس سوى	وبلغني جود ربي المنى
هدى الله - بي - من سعدت به	ولم يك ما قد نوى هيتا
نوى العبد إسلامه طيعاً	بقلب - لدين الهدى - أذعنا
ومحصني باختبار شدا	به القلب ، ثم له دننا

مُغازلة تفـتـن الـديـنا!
ليُزهر - لي في الحياة - الفنا
ولم يك كبـح الهوى هيتا
وغربل ما كنت فيه أنا
وقلبي - بنصر الهدى - أيقنا
أرتبي الظلام كمثل السنا!
وخفت - على النفس - أن تفتنا
وبات الذي أنتوي أئمتنا
ففيه الكفاية ، بل والغنى
وزرع الحرام خبيث الجنى!
على ذي الحرام ، وأن يأمتنا
سيغدو الحلال - له - ممكنا
تسريل عيشهم بالضنا
خلاف الدراهم يُعلي البننا
وفي درب أهل الهوى أمعنا
وحبب الطواغي الفتى أبطننا
وثم يرى خبيثهم مُحسننا
ففي رحمة الله ، يا للثنا!
ولم ير - في دينهم - مطعنا
وبات التدني - له - ديدنا
بتقواه دنيا غدت موطنا!

جنيهاته العشرُ غازلني
وساءلني أن أبيع التقى
وراودني - في البلاء - الهوى
ولكن قلبي أبي كبتوتي
وعدت لرشدي مسـتغفراً
وأيقظني الله من زلّة
وآثرت ما عند ربي غداً
وما بي لجأج ، ولا حيرة
عزائي الحلال ، سأحيا به
وإن الحرام سبيل الردى
وأحرى بذي الحـل أن يستمي
ومن يك - في عيشه - زاهداً
وتعساً لأهل الحرام الألى
فمن كل مرتزق لاهث
يببغ الديانة مسـتغنياً
وأظهر - للناس - إسلامه!
ويُدخل ميـتهم جنّة
ويشهد أن الألى فارقوا
وكمال المديح لأحيائهم
قد استمرأ العيش في ظلهم
يميناً برئت من المشتري

ندالة وخصّة

(منذ ثلاثة عقود عُهد إلى ذلك المعلم أن يقوم بتحفيظ بعض الأبناء ما تيسر من القرآن الكريم ، بالإضافة إلى تعليمهم بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، وتربيتهم على القيم والأخلاق الإسلامية السامية الفاضلة ، وغرس قيم الإسلام والإيمان في نفوسهم! كما طلب منه أن يفهمهم ما يُشكل عليهم في اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ، فلقد كان يجيد هذه اللغات بالإضافة إلى العلوم الشرعية ، وفي الذوابة منها القرآن والسنة! فقام المعلم المرابي بدوره المنوط به خير قيام ، بشهادة الأبناء وأهليهم والأقربين! وتكلف ذلك منه الجهد الكبير لقاء دريهمات معدودة ، كان أهلوهم يعطونها للمعلم البائس ممتنين عليه بها كأنها الحياة له! على أن نصفها لم يكن يفي برسوم الانتقال من بيته إلى بيوتهم! هذا فضلاً عن الجهد المبذول في التلقين والعبء الثقيل في التكرار والتحسين ، فلقد بدأ معهم في مرحلة ما قبل المدرسة! وكان المعلم يحتسب الأجر عند الله ، بدلاً من أن يضيع ثلاث مرات: مرة عند الله لأنه لم يحتسب ومرة عند الأهل ومرة ثالثة عند الأبناء أنفسهم! وكان لهؤلاء الأبناء كبير العذر في هذه المرحلة لصغر سنهم وقلة تجربتهم وضآلة تُربتهم وضعف إدراكهم. فلم يملك الأستاذ أن يلومهم أو يوبخهم على شيء! فلما كبروا ويفعوا وتوظفوا ، وصار لكل واحد منهم راتبه وخبرته ودربته وإدراكه ، لم يعيشوا كباراً على القيم والأخلاقيات التي غرسها المعلم فيهم صغاراً! ليس هذا فقط ، بل لم يتذكروا ذلك المعلم ولا باتصال ، مع علمهم بمكانه وعمله وهاتفه وعنوانه! ولقد ظل يتردد على بيوت أهليهم استمراراً للمودة! وراح الأولاد يتنكرون لمعلمهم ، ويرون أنهم من طبقة ليس هو منها! وانفتحت عليهم الدنيا ، فلم يخصوا الأستاذ المعلم بدرهم ولا بدينار! وهم يعلمون أن أغلب حقوقه المادية والمعنوية قد هضمتها دولتهم ، وبقية الحقوق هضمها أهلوهم! فكانت ندالة وخصّة لا حدود لهما ، ولا يوجد كلمات تصور هذه الندالة وتلك الخصّة وذلك الانحطاط القيمي والأخلاقي ، لا في قواميس العرب ولا العجم! فيوم كانوا صغاراً لا يدركون كانوا معذورين ، فهل صار عدم الإدراك وعدم الإحساس مرضاً ولازمة وديناً وطبعاً وجبلة لهم؟ أم طبيعة نمت مع نمو أجسامهم؟ حيث بات كل واحد منهم ينأى عن المعلم بجانبه ، وكان بالمعلم جرباً أو طاعوناً أو برصاً أو جذرياً أو جُزماً! وسبحان الله تعالى كلهم هكذا ، لم يخالف أحد منهم عن هذه الندالة ولا تلك الخصّة! أتواصوا به؟ فلقد اتخذوا منهجاً موحداً وسمتاً واحداً لم يتخلف عنه أحدهم! فتخيلت المعلم ينشد قصيدته لتلاميذه الذي لم يعد يُشرفه كثيراً ذكر أسمائهم كاملة فرمز لها فقط: (عمران ع - عزان س - أحمد ج - عبد الرحمن ج - محمد أ - سالم ج - أحمد خ - محمد خ - مصبح ض - محمد س - سلطان س وغيرهم)! والذين كانوا بالأمس أطفالاً أبرياء أظهاراً أبراراً ، لم يجر عليهم القلم ، ولم يناهزوا الحلم وإن سعت بأحدهم القدم ، لكن كلامنا عن الوصف العام لأغلبهم! واليوم صاروا مكلفين عقلاء يُميزون! لكنهم في موقف لا يُحسدون عليه ، فهم أنذال أخصّة أنانيون ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد! بل عاد بعضهم بعد دراسته في بلاد الغرب ، حيث الإباحية والتهاك والتحلل ليقول لنا: ليس من العدل أن نقول بأن اليهود أو النصارى أو الهندوس أو السيخ كفار! فسألنا: فماذا نقول؟ فأجاب المهزوم: نقول عن اليهود والنصارى أهل كتاب ، ونقول عن السيخ والهندوس لكم دينكم ولي دين! ناهيك عن التشرب الكامل لما عليه القوم من الانحطاط الفكري والعقدي ودعوى الإنسانية العامة التي يريد أعداء الإسلام أن يحلوها محل الإسلام! فتحمل المعلم الكثير والكثير من هذه المناقشات البالية ، التي هي إلى عزيف الجان وتخبط السكارى

وهراء المعاتيه وتخاريف المجانين أقرب منها إلى الحوارات الجادة المثمرة! وكأن هذا الابن لم يستمع إلى آية واحدة من القرآن ، فضلاً عن تعلمها وتفسيرها ودراستها! وكأنه ليس له علاقة قط بالإسلام ديناً ولا بالقرآن كتاباً ولا بمحمد نبياً رسولاً! ألى هذا الحد زال كل الذي تعلمه هؤلاء؟ ويبدو أن تأثير جرعة الغرب كان أقوى من تأثير القرآن! وليس العيب في القرآن ، بل العيب فيمن تلقى القرآن بلا جدية ولا عزم ولا قوة ، في حين تلقى ما علمه النصارى واليهود في الغرب بكل جدية وعزم وقوة! فالى كل طالب أحسن إليه معلمه ورباه صغيراً ، ثم لما تعين عليه أن يرد جميل المعلم عليه ، تنكر للجميل وأصبح ندلاً وبشاً حقيراً أهدي هذه القصيدة!)

لا يستوي الشخ - في الميزان - والكرم	إلا إذا عمّ قبح الجهل من علموا
والنذل مهما اغتنى يعش أسير هوى	شأن الرعاع لهم - في غيهم - نهم
لا مجد بين كرام الناس يُسعه	صنوان نذل - قلاه الناس - والعدم!
وللندالة أقوام - بها - عرفوا	إن قيل من لفظوا العطاء وانهمزوا؟
أو قيل من بخلوا ، فالبخل ديدنهم؟	أو قيل من عن نوال العالمين عموا؟
أو قيل من عبدوا الدينار في وضح	والمال - في حس كل منهم - صنم؟
أو قيل من عشقوا الدنيا طواعية	كأئما جلهم دوامها وهموا؟
أو قيل من فتوا بالعيش ، طاب لهم	فلم تشببه عذابات ولا نقم؟
أو قيل من برئوا من كل عارفة	فلا يراودهم جود ولا كرم؟
أو قيل من ألهاوا الطاغوت يحكمهم	بغير شرع مليك الناس فاحتكموا؟
أو قيل من سبوا بحمد من فسقوا	وأفسدوا ، وحدود الله ما احترموا؟
أو قيل من رضخوا للتيه ، فانحدروا	إلى الحضيض ، فما سمت بهم قيم؟
أو قيل من جهلوا فحوى عقيدتهم؟	أو قيل من في الورى أتباع من ظلموا؟
أو قيل من ركنوا إلى الألى جحدوا	دين الإله ، لذا عمتهم الإزم؟
أو قيل من عمدوا إلى شقاوتهم	حتى أحاطت بهم في الفتنة القم؟
أو قيل من لفظوا توحيد خالقهم	وشريعة الحق والإسلام؟ قيل: هم!
يا ليت شعري أما بان السبيل لهم؟	إذ إنهم - بالهوى والفتنة - اتهموا!

لم أخش بأسَ أولي الطغيان من حكموا؟
أن تفقهوه بأبواب الألى علموا؟
فلسن ممن إذا قيل انصحوا كتموا
بل شرحها - بسنا التفصيل - متسم؟
أين الرشاد؟ وأين المنهج اللقم؟
حتى وعاهما فتى مستبصر فهم؟
وفق الذي قال أهل العلم جُهم؟
كما تلاها النبي المصطفى الهشم؟
كيلا أراها - على الأطفال - تنعجم؟
فيم السكوت؟ لماذا الصمت والبكم؟
وكم جنى نورها كهل ومحتلم!
عنها سيسألني المهيمن الحكم!
والظلم يوم الجزا - يا صاحبي - ظلم
حباه ربي ، فأعمت عينه النعم
من التلاميذ ، إذ بالباطل اعتصموا
كأنما بهم الأشراف قد ختموا!
و(الوافدون) لهم - مهما علوا - خدم!
هي القذارة ، منها يبرأ السلم!
أو كافر ياله الناس ، مجترم!
بما تقرّر في القرآن ملتزم
فيه الزبالات والأدناس والرمم
هانت عليه حدود الشرع والحرم!

أين الدروس التي أبنيت زبدتها
أين البيان الذي أسديت مرتجياً
أين الحقيقة لم أكرم معالمها؟
أين العقيدة لم أغفل أدلتها
أين الشريعة قد سبقت بلا شبه؟
أين النصوص وترجيبي يشيها
والآي أين وتفسيري لمحورها
أين الأحاديث كم حقت صحتها!
أين القواعد والأحكام تُثقفها
والفقه أين مضى؟ إنني أسألكم!
ألم أودّ أمانات نُدبت لها؟
ألم أوف مكابيلي التي وُزنت؟
علمت ، لكنما التلميذ عاقبني
بذلت ، لكنما التلميذ شخ بما
فليس يبصر حقي كل ذي صلف
أهل الديار هم ، وهم أشاوسها!
(مواطنون) بهم تزهو حواضهم
هذي المعايير من في الدار أوجدها؟
الناس إما تقوي مؤمن ورع
لا فرق إلا بتقوى بعدها عمل
ما الجاهلية إلا منهج عفون
ولا يعاقرها إلا أسير هوى

مهما تفاضلتِ الأنام والنسم!
هذي النبي؟ لذا للعُرف تحتكم!
فما به رَشَدٌ يُعلي ولا شمم
واستمرأوا الخذل ، لَمَا كَلَّتِ الهمم
فهل - مع التضحيات - النذل ينسجم؟
وفيهما كلنا نعفو ونختصم
والشهم ديدنُه العطاء والكرم!
بين الأنام ، فنعم المئول السنم؟!
وعِقدُه ليس - بالعطاء - ينقصم!
فبينكم خيرُكم والناس يُقتَسَم؟
كرّ السنين ، فذي سِنِيَه دُهم
ينال منهم به الأعرابُ والعجم
والشعرُ - من نِعَم المنان - والحكم
من كل نذل - هنا - دينارُه صنم!
حيأ وميتاً ، وما أولاه يُحترم!
فِداه مالٌ - إذا ما احتاجه - ودم!
ولا هجج بالمدعا للعبقري فمي
من كل علم غزانانورُه التمم!
بلا انفعال علينا ، بله بيتسم!
ولم يُصِبه - على عطائه - ندم!
عبء الرسالة ، مهما هدني الهرم!

لآدم كلنا من طينةٍ أسنت
فيم التفأخرُ بالأنساب ما اتبعث
عُرفاً تمرق من دين ومن خلق
حدتٌ ولا حرج عن عُرف من سفلوا
إن المروعة بـذلٌ ، ثم تضحية
والخذل والبذل وإيمُ الله ما اجتمعا
والنذل يأخذ بالخُذلان منفعة!
ألم أعلمكمُ العطاء يرفعكم
ألم أناولكمُ الجود الرفيع صوى؟
ألم أقل يتعدى الخيرُ غيركم
إن النذالة عازٌ ليس يُذهبه
يبقى لما خلفَ الأنذال من ولدٍ
أغناني الله بالإسلام يا همجج
بنس الدنانيرُ في أيدي الألى بخلوا
إنني لأعذرُ أساتذتي وأكرميه
ولست أبخل إن أودى به عوز
جمياله نصبَ عيني لا يُفارقني
فكم تفضل بالعلوم ينشورها
وكم ألان لنا عويصَ مسألة
ولم يضق بفتى يوماً ليُخرجه
واليوم صرتُ مكان الفذ مُحتملاً

فكم أفسر ما يخفى وينبهم!
وكم تُداهمني الآلام والغمم!
كانت - بكل الغموض الفج - تتسم!
طاب الرشاد! وطاب العرض والكلم!
وغدتي أدبي ، والعلم ، والشيم!
فالناس - دون هدى رب الورى - غنم
لا يستوي اللين عند النصح والرغم!
منه الخصوم - لدى التنظير - تنفحم!
عنهم ، وحافظ سر الناس يُحترم!
أم أن جرح جها ليس يلتئم؟
ونار خسثهم - في الخلق - تحترم!
وإن يكن للخسيس المال والحشم!
بنس الطباع! وبنس السمث والسيم!
من داوهم في الحياة الشح والغشم
فلا يكون - لنا جبالهم - خدم
والبعض بالكاد مرزوق ، فذي قسَم!
تبارك الخالق المصور الحكم!
ويُسأل الناس عن فعل وما علموا؟

أعطي وأبذل هذا العلم محتسباً
وكم أعالج جهلاً لا حدود له!
وكم أنقح أبواباً بكاملها
وكم أقدم ما حملت من رشدي!
وكم أجاهد - بالعلوم - من جهلوا
وكم أبصر بالطريق من صُرفوا!
وكم أناصح طلابي بلا ضجر
وكم أقيم دليلاً في مناظرتي
وكم بقلبي من الأسرار أحفظها
فهل وعت زمرة الأذال موعظتي؟
ويح الأخصاء قد عاشوا لأنفسهم!
يحيا الخسيس وضيعاً في مرابعه
مهما تجمل ذي طباعه أسنت
أجارنا الله من أنذال ضيعتنا
يارب فلتغننا عنهم وما ملكوا
لبعض خلقك زدت الرزق مختبراً
لحكمة كل هذا ، لانعائنها
لا يسأل الله عن قول ، ولا عمل!

من أجل زوجي!

(تزوجا منذ سنين عدداً ، ولم يُرزقا بالولد. واصطبرا على قضاء الله وقدره. ولكن الأهل بعجلتهم المعهودة وتدخلاتهم الفجة أخذوا يشورون ويتقولون ويقترحون كعادتهم. وكل فريق - أهل الزوج وأهل الزوجة - يريد أن يطمئن على الطرف الذي يعنيه في تلك الزيجة! واتفق الكل على وجوب إجراء تحاليل وفحوصات طبية لمعرفة السبب وعند من! وهناك في المختبر تبين أن الزوج عقيم ، وأن الزوجة لا عيب فيها البتة! ولحكمة من الله أن الزوجة المعافاة من العيوب تلك كانت أول من عرف بالنتيجة من الفريقين. فاحتالت على الطبيب في المختبر أن يقول بأنها عاقر وليس زوجها بعقيم ، وذلك حفاظاً على شعوره المرهف! فرفض الطبيب أول الأمر متعللاً بأن هذه الأمور ينبغي أن يغلب عليها طابع الصراحة. وأبدى دهشته وتعجبه من هذا الطلب العجيب الغريب! ذلك أن كل طرف منهما يعنيه في العادة الاطمئنان على نفسه فقط! وبعد إلحاح منها شديد ودموع من عينيها غزيرة ، وافق الطبيب على الأمر قائلاً: سأفعل ولكن إن اضطررت يوماً إلى قول الحقيقة فسوف أقولها! وانتهى الأمر على ذلك الاتفاق من أنه وعدّ معلق بشرط! وذهبت الزوجة إلى دارها منتوية أن تتحمل عبء المعارك التي ستخوضها من الأهل والمعارف والجيران ولا ذنب لها ولا جريرة! وعندما عاد الزوج إلى الطبيب أخبره بأن العيب فيها ، وأنها لن تنجب أبداً إلا أن يشاء الله تعالى! وذلك حسب الاستقراء الطبي للتحليل! وعاد الزوج مهموماً حزيناً. ولم يبال واستسلم لقضاء الله وقدره. غير أن أهله مازلوا به حتى تزوج عليها. واشترط أهل الزوجة الجديدة طلاق الأولى العاقر! فطلقها بناءً على طلبهم. بينما هي لم تدافع عن نفسها وتكشف الحقيقة المرة! وتزوجت الزوجة المطلقة من رجل آخر. وبينما هي في أشهر حملها الأولى يكتشف زوجها الأول أنه عقيم ، وذلك بعد إجراء الفحوصات والتحاليل عند طبيب آخر! فقرر الزوج العقيم التوجه مباشرة للطبيب الأول ، ليخبره بنتيجة تحليل زميله ، وهنا نطق الطبيب الأول بالحق ، وأشهر الحقيقة سيقاً في وجهه! وبين له أن زوجته هي من طلبت منه ذلك! وأدرك أن زوجته الأولى قد حافظت على شعوره ، وأبقت على عشرتهما ريثما يأتي الله بأمره! وأنها ضحّت بسلامتها من العيوب من أجل زوجها! وعندئذٍ قرر الزوج العقيم أن يطيب خاطرها وأن يكافئها على شعورها النبيل ، فأرسل أهله إليها بطلبين: الأول أن تُسامحه وتعفو عنه. والثاني أن تقبل منه هدية يهديها إليها! فقبلت الزوجة المطلقة مبدأ المسامحة والعفو قائلة: أما العفو والمسامحة فهذا أملكه ، وأعلن أمامكم أنني قد سامحته وعفوت عنه ابتغاء الأجر والثوبة من الله تعالى! وأما المطلب الثاني والذي هو قبول هديته ، فيستحيل لأنني لا أملكه ، وذلك حفاظاً على شعور زوجي الذي أنا في عصمته! فسأل الأهل: وما الحل إذن؟ فقالت: استأذنه فإن قبل أتى زوجي الأول إلى بيتنا وأنتم معه ضيوف ، وقابلوا زوجي ، وقولوا ما تريدون ، واطلبوا ما تطلبون! فقال الأهل: وهل ستكونين معنا لتسهلي لنا تلك المهمة؟ فقالت: لا ، بل أنا سوف أخرج من المشهد تماماً وأترك لكم المجال! واعلموا أن زوجي هذا طيب الأخلاق ، يحب الضيوف ويرحب بهم ، ولا يؤذيهم ولا يجرح شعور أحد منهم أبداً! وهذا أمر أعلمه عنه بالتجربة والممارسة! فوافق الأهل ، وطلبوا من زوجها اللقاء ، وتحدد الموعد ، وجاءوا جميعاً ضيوفاً على الرجل ، وعرفوه بأنفسهم ، فرحب بهم! وقال الزوج الأول العقيم: إن الزواج قسمة ونصيب ، وعسى الله أن يرزقكم الذرية الصالحة ويبارك زواجكما! فأمن الزوج الثاني على دعائه وشكره ، وانتفى الشعور بالغيرة والشك تماماً ، والله الحمد ومنه الفضل والسداد والتوفيق! ولقوة شخصية الزوج الجديد لم

يجراً الأول على إعلان مطلبه الثاني! ولا الأهل جرأوا على ذلك! وطال المجلس وانتهى الكلام! ولأن الزوج الثاني ذكي ولماح وحساس ، باغت الجميع قائلاً: مرحباً بكم وأهلاً وسهلاً ، ولكنني أشعر أنكم تريدون مني شيئاً ، فهلا أفصحتم وصارحتم؟ فقالوا جميعاً نعم ، ولكننا نستحيي برك الله فيك! فقال: أنتم في داري ، وأنتم ضيوف عليّ فقولوا بما تريدون ، وستجدونني إن شاء الله من الصالحين! فقال الزوج العقيم: هل تأذن لي في إيراد قصة قصيرة بين يدي طلبتي؟ قال: تفضل! فقال: هل تعرف لم طلقت فلانة (وذكر اسم زوجة المطلقة)؟ فقال: نعم ، وأهل القرية يعرفون هذا! وتلك إرادة الله فكم من زوج عقيم تزوج من أخرى ورزقه الله من الثانية ، على حين لم يرزقه من الأولى! والعكس كم من زوجة عاقر تتزوج من غير زوجها ويرزقها الله تعالى! وتلا الزوج قول الله تعالى: (لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إنثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليمٌ قدير). فأثنى الزوج العقيم عليه ، وذكر له الحقيقة ، وبين له كيف ضحت زوجته من أجله! وطلب منه أن يقبل مطلبه الثاني فقال: قبلت! وكان المطلب الثاني أن أهدى الزوج العقيم لزوجته الفيلا التي كانت تسكنها معه مسلماً إياه صك الملكية موقعاً مختوماً مشهوداً! فلما علمت الزوجة الأولى المطلقة بذلك ، اتفقت مع زوجها أن يسمى المولود باسمه رداً لجميله! فوافق على الفور! وأنا أنشد هذه القصيدة مبيناً قيمة الوفاء ومنقبة الإخلاص! ألا إن الزوجة الوفية المخلصة عملة نادرة جداً في هذا الزمان! والحقيقة أن المرأة أساس المجتمع فإن صلحت صلح المجتمع! وإن فسدت فسدت المجتمع! كتبت الأستاذة الفاضلة ياسمين محمود عن المرأة فذكرت أن المرأة هي أساس المجتمع ، فهي تلك المخلوق الرقيق الذي خلقه الله سبحانه وتعالى لتكون كل شئ في الحياة ، فهي الأم ، وهي الزوجة ، وهي الأخت ، وهي البنت ، وهي مربية الأجيال! (لذلك لها تأثير مهم في حياتنا ، ومن خلالها تتقدم الأمم وتزدهر ، ولا أحد من الممكن أن ينكر دور المرأة في كل المجتمعات ، فعلى الرغم من هدر حقوق المرأة في الكثير من المجتمعات إلا أن الاستغناء عنها أمر مستحيل ، لذلك فإن الحفاظ على كيان المرأة أمر مهم للغاية ويعتبر من أصعب المهام ، وقد قال الحكماء والأجداد عن المرأة أقوال ماثورة باتت تتوارثها الأجيال ، إن المرأة لم تخلق المرأة من رأس الرجل لنلا تتعالى عليه ، ولا من رجله لنلا يحتقرها ، بل استلها من ضلعه لتكون تحت جناحه فيحميها و قريبة إلى قلبه فيحبها و تكون مساوية له).هـ. ولقد عظمت السنة النبوية شأن المرأة في أحاديث كثيرة أذكر منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت واستوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. إن ذهب تقيمه كسرته ، وكسرها طلقها ، وإن تركته لم وفي يزل أعوج. استوصوا بالنساء خيراً). متفق عليه. ونعم الموصي ، ونعمت الوصية! صحيح مسلم. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يفرك مؤمن مؤمنةً. إن كره منها خلُقاً رضي منها آخر). أو قال غيره! ومعني لا يفرك مؤمن مؤمنةً أي: لا يبغضها لأنه يتنافي مع حسن العشرة. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلُقاً. وخياركم لنسائهم). رواه الترمذي وصححه. وعن انس هذا هو الإسلام يا فتیان الإسلام ویا فتيات الإسلام فالإسلام جاء بكل خير وسعادة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما النساء شقائق الرجال). رواه الإمام البزار. ورمز له السيوطي بالصحيح ورواه الإمام احمد وأبو داود والترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال صلى الله عليه وسلم: (خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي). رواه الترمذي من حديث عائشة ورمز السيوطي في الجامع الصغير لصحته. وروى الحاكم وصححه. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم خيركم للنساء). جاء في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ، وضم أصابعه). ورواه الترمذي ولفظه من عال جاريتين حتى تُدركا دخلتُ أنا وهو الجنة كهاتين! ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام كهاتين أي: يقرنُ عليه السلام بين إصبعه السبابة والوسطي. وروي الحديث أبو داود ولفظه: (من عال ثلاث بنات فادبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءني امرأة ومعها ابنتان لها فسألتنني ، فلم تجد عندي شيئاً غيرَ تمرٍ واحدة ، فأعطيتها إياها ، فأخذتها فقسمتها بينهما ، ولم تأكل منها شيئاً ، ثم قامت فخرجت وابنتها فدخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته حديثها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من ابتلي من البنات بشيء ، فأحسن إليهن ، كن له ستراً من النار). رواه مسلم والإمام أحمد والبخاري والنسائي. نعود إلى بطلنة قصيدتنا حافظة سر زوجها متشبهة بالصالحات في حفظهن للأسرار والغيب!

قال الإمام الطبري في تناوله لقوله تعالى من سورة النساء (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله): {حافظات للغيب} فإنه يعني: حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن عنهن في فروجهن وأموالهم ، وللواجب عليهن من حق الله في ذلك وغيره. حدثنا بشر بن معاذ ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة: {حافظات للغيب} يقول: حافظات لما استودعهن الله من حقه! وحافظات لغيب أزواجهن. عن السدي: {حافظات للغيب بما حفظ الله} يقول: تحفظ على زوجها ماله وفرجها ، حتى يرجع كما أمرها الله. عن ابن جريج ، قال: قلت لعطاء: ما قوله: {حافظات للغيب}؟ قال: حافظات للزوج. وعن حبان بن موسى ، قال: أخبرنا ابن المبارك ، قال: سمعت سفيان يقول: {حافظات للغيب} حافظات لأزواجهن لما غاب من شأنهن. وعن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك" قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {الرجال قوامون على النساء}. الآية. قال أبو جعفر: وهذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على صحة ما قلنا في تأويل ذلك ، وأن معناه: صالحات في أديانهم ، مطيعات لأزواجهن ، حافظات لهم في أنفسهن وأموالهم. بما حفظ الله. وأما قوله: {بما حفظ الله}. فإن القراء اختلفوا في قراءته ، فقرأته عامة القراء في جميع أمصار الإسلام: {بما حفظ الله} برفع اسم الله على معنى: بحفظ الله إياهن إذ صيرهن كذلك. قال ابن جريج: سألت عطاء ، عن قوله: {بما حفظ الله} قال: يقول: حفظهن الله. عن ابن المبارك ، قال: سمعت سفيان يقول في قوله: {بما حفظ الله} قال: بحفظ الله إياها أنه جعلها كذلك. وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني: "بما حفظ الله" يعني: بحفظهن الله في طاعته ، وأداء حقه بما أمرهن من حفظ غيب أزواجهن ، كقول الرجل للرجل: ما حفظت الله في كذا وكذا ، بمعنى: راقبته ولاحظته. قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك ما جاءت به قراءة المسلمين من القراءة مجيباً يقطع عذر من بلغه ويثبت عليه حجه ، دون ما انفرد به أبو جعفر فشد عنهم ، وتلك القراءة ترفع اسم الله تبارك وتعالى: {بما حفظ الله} مع صحة ذلك في العربية وكلام العرب ، وقبح نصبه في العربية لخروجه عن المعروف من منطلق العرب. وذلك أن العرب لا تحذف الفاعل مع المصادر من أجل أن الفاعل إذا حذف معها لم يكن للفعل صاحب

معروف. وفي الكلام متروك استغني - بدلالة الظاهر من الكلام عليه - من ذكره ومعناه: {فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله} فأحسنوا إليهن وأصلحوا ، وكذلك هو فيما ذكر في قراءة ابن مسعود. وعن طلحة بن مصرف ، قال: في قراءة عبد الله: "فالصالحات قانتات للغيب بما حفظ الله فأصلحوا إليهن واللاتي تخافون نشوزهن". وعن الإمام السدي: {فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله} فأحسنوا إليهن إحساناً. وعن ابن عباس ، قوله: {فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله} فأصلحوا إليهن. وعن ابن عباس ، قال: (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله يعني إذا كن هكذا ، فأصلحوا إليهن). هـ. وقال الشيخ السعدي: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ أَي: مطيعات لله - تعالى - . {حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ} أَي: مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلمها بنفسها وماله ، وذلك بحفظ الله لهن وتوفيقه لهن ، لا من أنفسهن ، فإن النفس أمارة بالسوء ، ولكن من توكل على الله كفاه ما أهمه من أمر دينه ودنياه). هـ. وأما ابن كثير فقال: (فالصالحات) أي: من النساء (قانتات) قال ابن عباس وغير واحد: يعني مطيعات لأزواجهن (حافظات للغيب). قال السدي وغيره: أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله. وقوله: (بما حفظ الله) أي: المحفوظ من حفظه. قال ابن جرير: حدثني المثني ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا أبو معشر ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك". قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (الرجال قوامون على النساء) إلى آخرها. ورواه ابن أبي حاتم ، عن يونس بن حبيب ، عن أبي داود الطيالسي ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، به مثله سواء. وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عبيد الله بن أبي جعفر: أن ابن قارظ أخبره: أن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت). هـ. إن الوفاء من الأخلاق الكريمة الفاضلة ، والخلال الحميدة الطيبة ، وهو صفة من صفات النفوس الشريفة العفيفة ، يعظم في العيون ، وتصدق فيه خطرات الظنون. والوفاء من أعظم الصفات الإنسانية ، فالناس مضطرون إلى التعاون ، ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة العهد والوفاء به ، ولولا ذلك لتنافرت القلوب. والوفاء في حقيقته أن يلتزم الإنسان بما عليه من عهود ووعود والتزامات وواجبات. وقد أمر الله - تعالى - بالوفاء بالعهد ، فقال جل شأنه: (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً). وقال تعالى: (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم). إن الوفاء صفة من صفات الخالق - سبحانه وتعالى وعز وجل - فليس هناك أوفى ولا أصدق في إنجاز وعده من الله جل جلاله قال تعالى: (ومن أوفى بعهده من الله؟) إن الوفاء صفة من صفات الرسل عليهم السلام. قال تعالى في مدح سيدنا إبراهيم: {وإبراهيم الذي وفى}. الوفاء صفة من صفات المؤمنين الصادقين ، قال تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه). وهو خلق أولو الألباب ، قال تعالى: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ). وتحت عنوان: (ثمرات الزواج من الزوجة الصالحة) يقول الدكتور عصام بن هاشم الجفري ما نصه: (والزوج لا يغضب بل يطير فرحاً بامرأة أعانته على صلاة ركعتين في جوف الليل ، عليها تكون منجية له غداً يوم القيامة. والمرأة الصالحة ليست حريصة على الدنيا فترهق زوجها بالمطالب التي لا نهاية لها ، ولكن همها الآخرة ، فهي توصيه عند الخروج كما كانت تلك المرأة من نساء السلف توصي زوجها

فتقول له: يا فلان اتق الله ولا تطعمنا من كسب حرام ، فإننا نصبر على حر الجوع ولا نصبر على حر النار ، وإذا رأيت من زوجها تقصيراً في أداء عمله الذي يكسب منه عيشهم دفعته لإصلاح ذلك التقصير ، حتى يحل لقمة عيشهم لا كما يحدث من بعض النساء التي تحت زوجها على التقصير والغياب ليلبي لها رغباتها المرأة الصالحة تكون عوناً لزوجها ، فإذا ما شغل عنها بأمور الدعوة إلى الله وتبصير الناس بأمور دينهم وأنفق من ماله في سبيل الله كانت مشجعة له على ذلك وقوتها في ذلك خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، التي وقفت إلى جوار خير البرية وواسته بنفسها ومالها فرضي عنها زوجها رسول الأمة صلوات ربي وسلامه عليه ورضي عنها قيوم السموات والأرض ، فأرسل إليها العظيم من فوق سبع سموات ملك من أكرم ملائكته جبريل عليه السلام يحمل لها سلام من رب العالمين ، ويبشرها بجائزتها بيت في الجنة من قصب لا تعب فيه ولا صخب! أخرج ذلك البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معاً إناءً فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب). ولقد حفظ لها النبي صلى الله عليه وسلم ووقفها حتى بعد موتها! تقول الصديقة رضي الله عنها: (ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ، هلكت قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعته يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب وإن كان ليدبح الشاة فيهدي في خللها منها ما يسعهن). نعم هكذا تكون الزوجة ، وهكذا يكون الوفاء من الزوج ، فكم من داعية إلى الله اختار الجمال على الدين فقعدت به زوجته عن ركب الصالحين فتاه مع التانهين! وكم من ناجح في حياته جذبت زوجته إلى حياة الكسالى الخاملين! المرأة الصالحة عون لزوجها في كل ما يقرب إلى رضوان الله ، تفعل ذلك محبة لزوجها. فهي تعلم أنها إن عاشت مع زوجها طوال الحياة الدنيا ، فلا بد من لحظة فراق! فمن ذكائها وفطنتها أنها تحرص أن تكون مع زوجها في حياة النعيم السرمدى في جنات الخلد عند الله ، وثاني تلك الثمرات ، أنها تكون سبباً في استقرار حياة زوجها الأسرية ، فهي دائمة الزينة لا يراها زوجها إلا في أبهى حلة ، ولا يشم منها إلا أطيب ريح ، لا كما يحدث من بعض النساء اللواتي لا يعرفن الزينة ولا العطور إلا عند الخروج للمناسبات أما في البيت فهي في صورة منفرة مفززة نفوح منها روائح العرق والطبخ ونحوها ، والزوجة الصالحة إلى جوار ذلك تستقبل أوامر زوجها بكل رحابة صدر ، ما لم يأمرها بمعصية الله الواحد الديان ، تفعل ذلك لأنها ترجو من أن كون ممن شهد النبي لهن بالخيرية. ففي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي النساء خير قال: (التي تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه فيما يكره في نفسها ولا في ماله). المرأة الصالحة تتكلم مع زوجها بكل أدب واحترام لعلمها بعظيم حقه عليها متذكرة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت امرأة أحدنا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) ، والمرأة الصالحة تسعى لكسب رضا زوجها بشتى الوسائل ، لأنها تعلم أن في رضاه رضى الرحمن ، وفي سخطه سخط الجبار. علمها ذلك خير البرية حينما أوصى تلك المرأة فقال لها: (أدأت زوج أنت؟ قالت: نعم. قال: كيف أنت له؟ قالت: ما ألوه إلا ما عجزت عنه. قال: فأنظري أين أنت منه ، فإنما هو جنتك ونارك). علمها هذه القضية خير البرية يوم أن قال: (أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة). المرأة الصالحة تكون عوناً للرجل على بر والديه فهي ترى أن أمه أولى بالبر منها ، لأنها تذكر سؤال الصديقة للنبي صلى الله عليه وسلم من أحق الناس بحسن صحابة

المرأة؟ فقال زوجها ، فقالت: من أحق الناس بحسن صحابة الرجل؟ فقال أمه ، فمع هذا الفهم يسلم الرجل من الدخول في دوامة الخيار المر بين أمه وامراته. وثالث تلك الثمرات أنه يتحقق لمن تزوج بذات الدين العفاف ، الذي يمنعه من السقوط في أوحال الرذيلة ، لأن زوجته لا تمنع نفسها عنه ، لعلمها لما يترتب على ذلك من عقوبة وسخط من الله أخبرها بذلك رسولها صلى الله عليه وسلم حيث قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا). وكَم من النساء الجاهلات بأحكام الدين أصبحن يتخذن من هذه القضية سلاحاً يبتزرن به أزواجهن ، وما علموا فداحة ثمن ذلك العمل ، وكَم من الرجال تمنعت عليه زوجته فهوى في الخطيئة أو كاد لرقه دينه وسيطرة الشهوة عليه. ورابع تلك الثمرات: أن من يتزوج من امرأة صالحة يكون بإذن الله قد ضمن راعياً أميناً لبيته وأولاده في غيابه ، لأن المرأة الصالحة تجعل نصب عينيها قوله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا). (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا). هـ. وهكذا يلعب الوفاء والإخلاص الدور الأكبر في الحياة الزوجية الناجحة! وإذا غاب أحدهما اختلت تلك الحياة وأضحت هي والجحيم صنوان لعملة واحدة! وتحت عنوان: (السعادة والحقوق الزوجية) يقول الأستاذ يحيى بن موسى الزهراني ما نصه: (لقد كانت المرأة في الجاهلية لا دور لها ولا قيمة لها البتة ، فهي كالمتاع تباع وتشتري بل وتدفن حية ، وعند اليهود كانت إذا حاضت عزلوها فلا يواكلونها ولا يشاربونها ولا يتحدثون معها ، بل توضع في معزل عن الناس ويغلق عليها الباب حتى تطهر ، لأنها قدرة نجسة في رأيهم ، وكانت لا تراث ولا يؤخذ برأيها ، وقد تطلق أكثر من عشر مرات ويراجعها زوجها متى شاء ومتى أراد دون إذنها أو رضاها ، إنها حياة تعيسة شقية كانت تعيشها المرأة في الجاهلية الأولى ، وعند الجهلة من الناس في هذه الأزمنة عند كثير من الدول التي تدعى العلم والتقدم والتطور ، وهم في الحقيقة يتخبطون في ظلمات عظيمة ، وتتلاطم بهم بحار الجهل المتفاقمة ، فالمرأة تنن عندهم وتصرخ ولا ناصر لها ولا معين من البشر. ولما جاء الإسلام ، وأشرق نوره ، وعم ضياؤه ، وأعطى كل ذي حق حقه ، أعز المرأة ، ورفع شأنها ، وعرف الناس مكانتها في هذه الشريعة العظيمة ، التي لا ظلم فيها فالمرأة شقيقة الرجل كما قال صلى الله عليه وسلم: "النساء شقائق الرجال". رواه الترمذي. عن أم سلمة قالت: حَضْتُ وَأَنَا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْخَمِيلَةِ ، فَأَنْسَلْتُ فَحَرَجْتُ مِنْهَا ، فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حَيْضَتِي فَلَبَسْتُهَا ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنْفَسْتِ" ، قُلْتُ: نَعَمْ ، فَدَعَانِي فَأَدْخَلَنِي مَعَهُ فِي الْخَمِيلَةِ". أخرجه البخاري. وجاء القرآن الكريم من رب العرش العظيم مبيناً حقوق المرأة وأنها الأم والبنت والخالة والجدة والعممة والأخت والزوجة ، وحث على معاشرتها بالمعروف ومعاملتها بالحسنى. قال تعالى: "وعاشرهن بالمعروف" وحذر من ظلمهن أو التعدى عليهن ، فمن فعل ذلك فالله له بالمرصاد ومن دعت قوته وسطوته وجبروته وغطرسته على ظلم زوجته فليذكر قدرة الله عليه ، فالله هو الولي وهو النصير. قال صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالنساء خيراً". [متفق عليه]. وقال صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم". (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح). ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الزواج بالزوجة الولود ، وذلك بأن تكون من نساء يعرفن بكثرة الأولاد ، فقال صلى الله عليه وسلم:

"تزوجوا الولود الودود فإني مكاتر بكم الأمم يوم القيامة". [رواه النسائي وغيره]. وأيضاً فقد جاء الحث على الزواج لما فيه من المنافع الجمة الكثيرة ومنها بقاء النسل البشري ، وتكثير عدد المسلمين ، وإغاظة الكفار بإتجاب المجاهدين في سبيل الله والمدافعين عن دينه. إغاف الفرج ، وإحصائه ، وصيانتته من الاستمتاع المحرم ، الذي يفسد المجتمعات ، ولهذا حث النبي صلى الله عليه وسلم على الزواج ، وأوجد طرقاً أخرى لمن لم يستطع ، فقال عليه الصلاة والسلام: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". رواه البخاري ومسلم. القيام على المرأة بالرعاية والإنفاق ، فالمرأة قد تكون أرملة أو يتيمة لا مال لها فهي بحاجة لمن ينفق عليها ، فذلك كان النكاح وسيلة لذلك ، وهدفاً سامياً له ، قال تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم). حماية للمجتمعات من الوقوع في الفواحش ، التي تهدم الأخلاق وتقضي على الفضيلة ، وأعظم ذلك الزنا ، فالزواج درع متين من الوقوع في هذه الفواحش والرذائل ، التي نهدم البيوت ، وتهتك الأستار ، وتضيع الأمم والأفراد. حفظ الأنساب ، بالزواج الشرعي وفق الكتاب والسنة ، تحفظ الأنساب ، ويعرف الأب والأم ، وكذلك الأبناء وأين انتماؤهم ، ومن أبواؤهم). وعن أهمية دور المرأة في الإسلام ، كتب الأستاذ أحمد السيد كردي تحت عنوان: (دور المرأة في التواصل الحضاري بين الشعوب) مقالاً مطولاً نقتطف منه هذه الزهرة: (قال تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم". وفي الأثر: "ما أكرم النساء إلاكريم وما أهانهن إلا لنيم". أخرج ابن عساكر عن سيدنا علي رضي الله عنه. وفي الآية السابقة تأسيس رباني في الحياة ، وصلة قوية في أن للأنثى دوراً كبيراً في تنوع وانتشار الشعوب وهمزة وصل بين أصناف البشر على اختلاف ألوانهم وألسنتهم بل ومعتقداتهم. فهذه من أسس الخلقة بل من أسس الفطرة التي فطر الناس عليها ورسم بها نواحي الحياة. ولخص الحياة في ثلاث نقاط أساسية وهي: (الخلقة: من ذكر وأنثى وهي أساس البناء ، والغاية: وهي التعارف والتألف "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا" ، وهي أداة البناء ، والهدف: التقوى "أتقاكم" وهي روح البناء. والمرأة من حيث: هويتها ومكانتها وإمكاناتها ودورها وحقها). فأما جسدياً فهي مغايرة "مختلفة" للرجل ، وأما روحيها فهي مثل الرجل ، وعلمياً فهي أنفع من الرجل ، وتأثيراً فهي أشد من الرجل ، وعددأً فهي أكثر من الرجل ، ونفسياً فهي أصفى من الرجل ، وفكرياً فهي أعمق من الرجل وعاطفياً فهي أوسع من الرجل). فسبحان من وهب الأنثى تلك الصفات وأرقى المواصفات. ولذلك فالتعامل معها حساس ، ومراعاتها ذوقاً وإحساساً أمرٌ تتطلبه طبيعة خلقها! فمن الظلم للمرأة معاملتها جسدياً وإهمال بقيتها. فالإسلام رفع هويتها العاطفية والروحية والفكرية والعلمية والتربوية. وأما مكانتها فهي كـ: أساس وتأسيس وجوهر نفيس. كونها أساساً: فهي أساس السعادة ، وأساس في التربية ، وأساس في العلم ، وإلا لماذا كان دور المرأة الأصلي هو التعامل مع الجنس البشري كتربية الأولاد وإنتاج الأفكار والعلوم في ذهن أبنائها وبناتها ، ولو لم تكن مؤهلة لتلك الوظيفة لما جعل القوامه على الرجل حتى يوفر لها المناخ المناسب فتكون كالمملكة في قصرها. يقول طبيب مسلم مقيم في فرنسا: سألتني زميلتي في العمل وهي طبيبة فرنسية ، قائلة: ماذا تعمل زوجتك؟ فقال: ربة بيت أي تقوم بتربية أولادي وإعداد طعامهم وتعليمهم! فقالت الطبيبة مستدركة: ومن يشتري لها حاجاتها؟ فقال: أنا! فقالت: ومن يوفر لها مطالبها؟ فقال: أنا. فقالت له: حتى الذهب؟ فقال:

نعم! فقالت له: إذن زوجتك هذه ملكة!..هـ. وهذه هي الحقيقة التي ينبغي تصديقها اليوم من جانب كثير من النساء ، المفتونات بالغرب ودعوته الملعونة ، بمساواة المرأة بالرجل! تلك الدعوى التي لم تعد تنطلي على العاقلات الذكيات! ولقد أعجبتني شخصية بطلة قصيدتنا ، كما أعجبتني كلمتها عندما سئلت لم فعلت هذا كله؟ فقالت: من أجل زوجي! ابتغاء مرضاة الله ربي!

دَعُونَا اللهَ ، والله اسـتـجـابـا
وزوجنا المليك على اتفـاق
وعشنا في بلهنية وخـب
وكان الوصل منقبلة وسـمـتـا
وتقنا للبنين تسر زوجي!
ونغص عيشنا الأهلون حتى
ولاموننا ، وزادوا في التجني
وبعض الشامتين بَعُوا علينا
وبعض الحاقدين لهم عواء
وبعض الحاسدين لهم نباح
وبعض الحاقدين لهم عزيف
وأسأل: ما جنيث أنا وزوجي
وتلك مشيئة المولى تعالى
ونرضى بالذي يقضي علينا
وليس الله يسأل عن فعال
وقال الأهل: نفحص كي نداوى
ونسفتي الطبيب بلا حياء
فإذ بالزوج وأسفى عقيم
وأحمل - فوق رأسي - كل هون

وحقق ربنا المنن الرغابا
بأن نحيا - على الشرع - احتسابا
وقدما الواد المسـتـطـابا
وودعنا الخصومة والعذابا
عليهم أن وانتحب انتخابا
غدا تويخ بعضهم عقابا
وكانوا الشتم يوجع والسبابا
وراموا سـلـم أسـرـتـنا سـرابا
على بيتي ، فهل صاروا ذئابا؟
يؤذينا ، فهل باتوا كلابا؟
يحيل عمار دارتنا خرابا
لتضطرب الحياة - بنا - اضطرابا؟
دعوننا ، والمهيمن ما استجابا
وإن يك ما قضى المولى مصابا
ومن يسأله ضل هوى ، وخابا
ونـدرك - بالمعانيـة - المعبابا
ليخري - بعد تحليل - جوابا
وكان علي أن أرد الصعابا
وأخذ ما أواجهه غلابا

وأنتخب التغبير انتخاباً
وعنه أصد - في البأس - الحرابا
وعني يُشهرُ القول الكذابا
وكاد يصدني لما تغابى
هنالك طالع الزوج الكتابا
ونسئتملي أمانينا العذابا
ونرتجل الدعاء المسـتجابا
فهل نلقي - على القدر - العتابا؟
تديننا نرجعه ارتيابا
على ثقةٍ لكي تجني الثوابا
لقد أمسى تصيرنا الصوابا
إلى إنسانةٍ تُدعى (زبابا)
سواء كان مالا أو ثيابا
بأن زواجه يُخيي الشبابا
ودفّ زواجه الثاني ، وطابا
ولا بابن - عن البيتين - غابا
فعانى القلب - في البلوى - اكتتابا
أزال هموم تائهة صلابا
وباتت قصتي عجباً عجابا
وأطرق للرضا والعفو بابا
يقدم الاعتذار المسـتطابا
من (الدكتور) ، فاختصر الجوابا

وأدرس كل أمر بادكار
وأرفع - عن حياي - كل عبء
فناشدت الطبيب يكون عوني
فوافق بعد لأي واجتهاد
فجاوزت الطبيب إلى بييتي
فقال: نعيشُ تحـدوننا الأمالي
ونجازُ للمهميـن في التـياع
وإن لم نرزق الأولاد يوماً
معاذ الله أن نحيا كـفـاراً
فلا تهني ، ولا تأسي ، وكوني
فقلت له: تزوج ، قال: كلا
ولكن أهله انطلقوا سـراعاً
وأغرؤها بما تصبو إليه
وجاؤوا للحليل ، فأقنعوه
فسلم للأقارب مسـتكيناً
وعامٍ مرّ لم يُرزق بأنثى
وظلقتني لترضى الزوج عنه
فزوجني المليك بخير زوج
وأغناني ، وعوضني إلهي
وأنتظر الوليد بفضـل ربي
وأرسل رسـله زوج عقيـم
فقد سير الحقائق سافرات

جنّاه ، ويرتجى منه المتابا
عليه ، فإنّه - للرشد - آبا
ومِن رب الورى أرجو الثوابا
وأخشى أن أؤخذ ، أو أعابا
وأقرأ سُنتي ، وكذا الكتابا
ويورثه الهزيمة والخرابا
وتنقلب الحياة - له - انقلابا
سأسأله ، وظني أن أجابا
وأحضر قد تلفعتُ الحجابا
ويُهديه الوليمة والشرابا
وما شهد السرور لهم غيابا
عليّ ، وزادني مدحاً وحبابيّ
وتشتمل الملاحق والرحابا
وصرنا بعد فرقتنا صحابا
تفضل محسناً ، وحباً احتسابا
ورغم سُعار غيرته أجابا
عزيز النفس محترماً مُهابا
نجد - على المساكين - انتيابا
على تحقيقه المنن الرغابا

يريد العفو ومعتزلاً بذنب
ويطلب أن يكافئني لحرصى
فقلت: عفوٌ من عام ونصفٍ
وأما عن مكافأتي فعذراً
أنا امرأة ، ولي زوج وبيت
ولا أغشى الحرام يهدّ بيتي
هديتكم ستشعل شك زوجي
ألا اتصلوا به ، ولسوف يرضى
سأخذ موعداً تأتون ضيفاً
ويُكرم ضيفه زوجي جزيلاً
وجاء الكل ، وانعقد التلاقي
وأهدى الضيف إطراءً مشوقاً
وأهداني - أمام الكل - (فيلا)
وزوجي سُرب بالخير احتوانا
فقلت: ابني يُسمى باسم شهم
وزوجي لم يعارض ، أو يجادل!
ولبى مطلبى خُبراً أبيعاً
وبتنا - بعد فقر - أغنياء
ونحمد ربنا المولى تعالى

عزة الخير (عشريات وجدانية)

(المقدمة)

(ابتليت أم عبد الله بأوجاع شتى وأمراض عديدة ، شفاها الله وعافاها! فتوسلت إلى الله بهذه الأدعية الشعرية داعياً الله الشافي المعافي أن يشفيها ويُعافيها! يقول أحد السلف: "ما أصابتنى مصيبة إلا حمدتُ الله عليها لأربع: أن لم يجعلها في ديني ، وأن رزقتي الصبر عليها ، وأن لم يجعلها أكبر منها ، وأن رزقتي الاسترجاع عندها". وإذن فليس للمرض إلا الأخذ بالأسباب والتداوي والعلاج ، ثم الاحتساب والصبر والمصابرة! قال عمر - رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر» ، وقال علي «رضي الله عنه»: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس ، بار الجسد» ، ثم رفع صوته فقال: «ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له» ، وقال: «والصبر مطية لا تكبو». وقال الحسن: «الصبر كنز من كنوز الخير ، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده». وعن يونس بن محمد المكي قال: زرع رجل من أهل الطائف زرعاً فلما بلغ أصابته آفة فاحترق ، فدخلنا عليه لنسليه فيه فبكى ، وقال: وما عليه أبكي ، ولكني سمعت الله تعالى يقول: {كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ} ، فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة فذلك الذي أبكاني. وذكر سلمان الفارسي أن رجلاً بسط له في الدنيا ، فانتزع ما في يده فجعل يحمد الله عز وجل ويثني عليه ، حتى لم يكن له فراش إلا بوري ، فجعل يحمد الله ويثني عليه وبسط للآخر في الدنيا ، فقال لصاحب البوري ، رأيتك أنت علام تحمد الله عز وجل؟ قال: أحمد الله على ما لو أعطيت به ما أعطي الخلق لم أعطهم إياه ، قال: وما ذلك؟ قال: رأيت بصرك ، رأيت لسانك؟ رأيت يدك؟ رأيت رجلك؟!)

شـ فَاكُمُ اللهُ مَوْلَانَا وَمَوْلَاكُمْ
فصـ دَقُّوا دَعْوَتِي: أَجْرٌ وَعَافِيَةٌ
هـ ذَا ابْتِلَاءٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقَنَا
وعـ ند رب الـورى بـلاءه احتسبوا
وكـ شكوتـم من الأوجاع أصعبها!
وكـ تحمـلتـم الأسقام ما رحمت
وكـ صبرتم على مرّ القضا زماناً
فـيم التوجّع والمولى بكم رؤف؟
أهـ اتكم تجتني أفراح عيشتنا
جـهراً دعونا ، وفي الإسرار فرعتنا
وخـ فـ الله بلواننا وبلواكم
وصـ ابروا واصبروا تغفر خطاياكم
فأصـ لخوا كل ما تحوي نواياكم
فكم مرضتم ، ورب الناس عافاكم!
وخـ لق الناس كم لبيى شكواكم!
ضعفاً ، ورب الـورى بالصبر قواكم!
ومـ حص الله - بالتصبير - تقواكم!
هـ ذا التوجّع يُضنينا فرحماكم!
ونسـ آل الله أن تزول شـجواكم!
لقائـل: سـركم عندي ونجواكم!

(الخاطرة الأولى)

(لا بأس يا أم عبد الله فلقد جعل الله المرض كفارة للذنوب والخطايا! فعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: {ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها}. [متفق عليه] واللفظ للبخاري. والنصب: التعب. والوصب: المرض. ومرض كعب فعاده رهط من أهل دمشق فقالوا: كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال: بخير ، جسد أخذ بذنبيه ، إن شاء ربه عذبه ، وإن شاء رحمه ، وإن بعثه بعثه خلقاً جديداً ، لا ذنب له. وعاد رجل من المهاجرين مريضاً فقال له: إن للمريض أربعاً: يرفع عنه القلم ، ويكتب له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته ، ويتبع المرض كل خطيئة من مفصل من مفاصله فيستخرجها ، فإن عاش عاش مغفوراً له ، وإن مات مات مغفوراً له ، فقال المريض: اللهم لا أزال مضطجعاً. وعن أنس قال: كان لأبي طلحة ابن من أم سليم ، فمات ، فقالت لأهلها: لا تخبروا أبا طلحة بابنه ، حتى أكون أنا أحدثه ؛ قال: فجاء ، فقربت إليه عشاءه وشرابه ، فأكل وشرب ، قال: ثم صنعت له ، أحسن ما كانت تصنع له قبل ذلك ؛ فلما شبع وروي وقع بها ؛ فلما عرفت أنه قد شبع وروي وقضى حاجته منها ؛ قالت: يا أبا طلحة أرايت لو أن أهل بيت أعاروا عاريتهم أهل بيت آخرين فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يحبسوا عاريتهم؟ قال: لا! قالت: فاحتسب إبنك! قال: فغضب ثم قال: تركتيني حتى تلطخت بما تلطخت به ، ثم تحدثيني بموت ابني؟ فانطلق إلى رسول الله - عليه السلام - فقال: يا نبي الله ، ألم تر إلى أم سليم ، صنعت كذا وكذا؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «بارك الله لكما في غابر ليلتكما» ، قال: فتلقيت تلك الليلة فحملت بعد الله ابن أبي طلحة. حلية الأولياء. أقول لأم عبد الله: أزعجنا الخبر وندعو لك بالشفاء!

يا عزة الخير عاتٍ ذلك النبأ
ومذ سمعناه ، والقلوب لأعجاة
وبالعيون دموع لا يكفكفها
وبالخواطر أحزان تجن دلهما
وعزمتي وهنت ، وليس يصقلها
تجادبثني هموم لا حدود لها
إنالما أنت فيه اليوم في شجن
نهفو إلى خبر يُعيد فرحتنا
(بلقيس) أنت ، وهذا البيت مملكة!
شفا المليك لهذا البيت (عزته)!

والمشتكى - لمليك الناس - واللجأ
وبالنفوس أسى يبدو ، ويختبئ!
تجادنتقي به ، وندرئ!
والصبر - من ثقل الأواء - يهترئ
جدّي ، وقد غالها الوسواس والصدأ
ياليت شعري فهل تطوى وتجتزئ؟
عسى سراباً وزيفاً ذلك النبأ
فلا يزلزلنا طيش ، ولا خطأ
وكم تحنّ إلى بلقيسها (سبأ)!
إننا - إليك إله الخلق - نلتجئ

(الخاطرة الثانية)

(يا أم عبد الله المسألة مسألة ابتلاء واختبار ، وإذن فلا بد إذن من الصبر والتصبر! قال عمر - رضي الله عنه -: «أفضل عيش أدركناه بالصبر ، ولو أن الصبر كان من الرجال لكان كريماً». وقال عمر بن عبدالعزيز «رحمه الله»: «ما أنعم الله على عبد نعمة ، فانتزعها منه ، فعوضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه». وقال علي بن الحسن: كان رجل قد ذهب نصفه الأسفل لم يبق منه إلا روحه في بعض جسده ، ضرير على سرير مثقوب ، فدخل عليه داخل فقال له: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال: ملك الدنيا منقطع إلى الله عز وجل ، ما لي إليه من حاجة ، إلا أن يتوفاني على الإسلام. عن زهير الباني قال: مات ابن لمطرف بن عبد الله بن الشخير ، فخرج على الحي - قد رجل جُمته (أي مشط شعره) ، ولبس خُلته - فقيل له: ما نرضى منك بهذا ، وقد مات ابنك ؛ فقال: أتأمروني أن أستكين للمصيبة؟ فوالله لو أن الدنيا وما فيها لي ، فأخذها الله مني ، ووعدني عليها شربة ماء غداً ، ما رأيتها لتلك الشربة أهلاً ؛ فكيف: بالصلوات ، والهدى ، والرحمة. حلية الأولياء (2 / 199). وعن يونس بن يزيد قال: سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: أن يكون يوم تصيبة المصيبة ، مثله قبل أن تصيبه. حلية الأولياء (3 / 261 - 262). وعن سفیان الثوري قال: أتدرون ما تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ يقول: لا يعطي أحد ، إلا ما أعطيت ؛ ولا يقي أحد ، إلا ما وقيت. حلية الأولياء (7 / 140). وعن سفیان بن عيينة قال: قيل لبعض الحكماء: ما الصبر؟ قال: الذي يكون في الحال ، الذي إذا نزل به ما يكره: صبر ؛ وكان مثل حاله الأول: إذا لم يكن أصابه البلاء. حلية الأولياء (7 / 280). وهنا نتذكر عزة أم عبد الله صاحبة حلقات العلم والذكر!

يا عزة الخير عز العلم والأدب!
قد كنت فينا لهذي المصطفى سبباً
فكم أقمت لنا للعلم من حلق
وكم دعوت إلى الخير الألى انصرفوا
وسورة الكهف في الجمعات ما تليت
وظالنا الجهل والتقصير أجمعنا
كنت السراج إذا ما خيمت ظلم
كنت الأمان لنا في شر مغترب
والأنس كنت إذا ما استوحشت همم!
عساك أدركت ما نحياه من كُرب!
والأنس عز ، وعز السعد والطرب!
وبالفراق وهى الوصال والسبب
تسر طالبه ، حتى خبا الطلب!
وجرهم للشورور اللهو واللعب!
أما الأحاديث عنها الكل قد رغبوا
أبئس بجمع - إلى الأهواء - ينقلب!
ولم تحل بيننا ونورك الخُجب
وبعدك ابتلع الجميع مغترب
ومذ رحلت رأيت الجمع ينتحب
عسى تفارقنا الأناث والكُرب!

(الخاطرة الثالثة)

عزى ابنُ السماك رجلاً فقال: إن المصيبة واحدة: إن جزع أهلها أو صبروا! والمصيبة بالأجر ، أعظم من المصيبة بالموت. حلية الأولياء (8 / 208 - 209). وعن ميمون بن مهران قال: ما نال رجل من جسيم الخير ، نبي ، ولا غيره: إلا بالصبر. حلية الأولياء (4 / 90). وعن ابن ذر - أبو ذر عمر بن ذر - قال: من أجمع على الصبر في الأمور ، فقد حوى الخير ؛ والتمس معاقل البر ، وكمال الأجر. حلية الأولياء (5 / 111). وعن سفيان الثوري قال: ثلاثة من الصبر: لا تحدث بمصيبتك ، ولا بوجعك ، ولا تزك نفسك. حلية الأولياء (6 / 389). وعن أبي سليمان الداراني قال: ثلاثة من أعلام الصبر: التباعد عن الخلطاء في الشدة ؛ والسكون إليه مع تجرع غصص البلية ؛ وإظهار الغنى مع حلول الفقر ، بساحة المعيشة. حلية الأولياء (9 / 362). وعن عمر بن عبد العزيز قال: الرضا قليل ، والصبر معول المؤمن. حلية الأولياء (5 / 342). وعن صالح المري قال: لو كان الصبر حلواً ، ما قال الله عز وجل لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : اصبر ؛ ولكن قال له: اصبر فإن الصبر مُر. حلية الأولياء (6 / 171). وعن عبد الواحد بن زيد قال: من نوى الصبر على طاعة الله: صبره الله عليه وقواه لها ؛ ومن نوى الصبر عن معاصي الله: أعانه الله على ذلك ، وعصمه منها. حلية الأولياء (6 / 163). وعن سفيان الثوري قال: إنما الأجر على قدر الصبر. وعن سفيان بن عيينة قال: لم يعط العباد أفضل من الصبر ، به دخلوا الجنة. حلية الأولياء (7 / 305). وعن إبراهيم بن سعد قال: سمع علي بن الحسين ناعية في بيته وعنده جماعة ؛ فنهض إلى منزله ثم رجع إلى مجلسه فقيل له: أمن حدث كانت الناعية؟ قال: نعم ؛ فعزوه وتعجبوا من صبره فقال: إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ونحمده فيما نكره. حلية الأولياء (3 / 138). وهنا قطعنا أم عبد الله ، فانقطعت أخبارها عنا!

يا عزة الخير إني لسئ أفئتث	وليس - في كل ما نظمته - نكت
فيم انقطاعك عن وصل يمتعنا؟	فهل يسرك أحبباً إذا انكبتوا؟
أما تفكرت في أحوال (فاطمة)	يكاد يقتلها - في الغربة - العنت؟
أما تساءلت هل في عيشها انتظمت؟	وهل - إلى كل ما نوصيه - تلتفت؟
أما تساءلت عن أبنائك احتملوا	مُر افتراقك؟ أم لطيفك التفتوا؟
أما تساءلت هل نأوي لمصالحة؟	أم نحن نحو الهوى والهزل ننفلت؟
أما تساءلت من يزور ضيعتنا	ويحتفي بأناس بالجوى كبتوا؟
لم يأت آت يسألهم ويضججهم	حتى تناسوا صوى الكرام إذ سكتوا
في غربة سلبت فحوى سعادتهم	فعاينوا كنهها ، لذاك قد بهتوا
فعللهم بوصل يظربون له	ويفحمون الذي عليك يفتت

(الخاطرة الرابعة)

(وعن علي بن الحسين قال: إذا كان يوم القيامة ، ينادى مناد: أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس من الناس ، فيقال: على ما صبرتم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله ، وصبرنا عن معصية الله عز وجل ؛ فيقال: صدقتم ، أدخلوا الجنة. حلية الأولياء(3/ 138 - 139). ولقد نظر إبراهيم بن أدهم إلى رجل: قد أصيب بمال ، ومتاع ، ووقع الحريق في دكانه ؛ فاشتد جزعه ، حتى خولط في عقله ؛ فقال: يا عبد الله ، إن المال مال الله ، متعك به إذ شاء ، وأخذته منك إذ شاء ؛ فاصبر لأمره ، ولا تجزع ، فإن من تمام شكر الله على العافية: الصبر له على البلية ؛ ومن قدم: وجد ، ومن آخر: فقد ندم. حلية الأولياء(8/ 32 - 33). وعن وهب بن منبه قال: أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحوم الخنازير ، فلما أتى به ، استعظم الناس مكانه ، وساءهم أمره ؛ فقال له صاحب شرطة الملك: انتني بجدي نذبحه ، مما يحل لك أكله ، فاعطنيه ، فإن الملك إذا دعا بلحم الخنزير ، أتيتك به ، فكله ؛ فذبح جدياً ، فأعطاه إياه ، ثم أتى به الملك ، فدعا له بلحم الخنزير ، فأتى صاحب الشرط باللحم الذي كان أعطاه إياه - وهو: لحم الجدي - فأمره الملك أن يأكله ، فأبى! فجعل صاحب الشرطة يغمز إليه غمزاً ، ويأمره بأكله ، ويريه: أنه اللحم الذي دفعه إليه ؛ فأبى أن يأكله ، فأمر الملك صاحب شرطته أن يقتله ، فلما ذهب به ؛ قال: ما منعك أن تأكل ، وهو اللحم الذي دفعت إلي؟ أظننت أنني أتيتك بغيره؟ قال: قد علمت أنه هو ، ولكن: خفت أن يقتاس بي الناس ؛ فكل من أراده على أكل لحم الخنزير ، قال: قد أكله فلان ، فيقتاس بي ، فأكون فتنة لهم ؛ فقتل. حلية الأولياء(4/ 55 - 56). والقصد من هذا أنه لا بد من الفتنة والابتلاء! والحياة بعدك يا أم عبد الله ملل لا يطاق!)

يا عزة الخير غالى دربك الوعث
والشوق أوقد - في القلوب - جذوته
كل يرى فيك آمالاً يتوق لها
وكم تعرقنا الأحداث جارية!
يا ليت شعري إذا عيناك أبصرتنا
أين الأمومة - بالتحنان - تغمزنا
أين الأمومة تُهدي الطفل فرحتهم
أين الأمومة لم نشهد لها أثراً؟
أين الأمومة بالأطاف تشمنا
والناس - من حولنا - لا يأنسون بنا
ولم يعد بنوى الأحاباب يكثر
والوجد أمسى - من الضرام - ينبعث
ولو تحقق - من مجموعها - الثلث
وكل يوم له - في دارنا - حدث
عيشاً يُصارعه الملال والعبث!
وبيتنا دونها كأنه الجـدث!
إن زايلا البيت ، أو في أمه مكثوا؟
أين الأمومة فيها الخيرُ يبتعث؟
تضمّ طفلاً - إلى ونامها - لهثوا؟
هُم كالبائث ، تسعى حولها خبث!

(الخاطرة الخامسة)

(وعن إبراهيم بن مته السمرقندي قال: سألت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن عن أحمد بن حنبل ؛ قلت: هو إمام؟ قال: إي والله ، وكما يكون الإمام ؛ إن أحمد: أخذ بقلوب الناس ، إن أحمد: صبر على الفقر سبعين سنة. حلية الأولياء(9/ 176). ولما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وسهل بن عبد العزيز ، ومزاحم مولى عمر - في أيام متتابعة - دخل الربيع بن سبرة عليه ؛ وقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين ، فما رأيت أحداً ، أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة ؛ والله ، ما رأيت مثل ابنك ابناً ، ولا مثل أخيك أخاً ، ولا مثل مولاك مولى قط ؛ فطأ عمر رأسه ، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت عليه ، قال: ثم رفع رأسه ، فقال: كيف قلت الآن يا ربيع؟ فأعدت عليه ما قلت أولاً ، قال: لا والذي قضى عليه - أو قال: عليهم - بالموت: ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن. حلية الأولياء (5/ 330). وعن محمد بن عمرو قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب ، قال: ما أنعم الله على عبد نعمة ، ثم انتزعها منه ، فعاضه مما انتزع منه الصبر ؛ إلا كان ما عاضه خيراً مما انتزع منه ؛ ثم قرأ هذه الآية: { إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } . حلية الأولياء (5/ 298). وعن أحمد بن محمد التستري قال: ذكروا: أنه مر عليه - يعني: أحمد بن حنبل - ثلاثة أيام ، ما كان طعم فيها ؛ فبعث إلى صديق له ، فاستقرض شيئاً من الدقيق ، ففرفوا في البيت شدة حاجته إلى الطعام ؛ فخبزوا بالعجلة ، فلما وضع بين يديه ؛ قال: كيف عملتم خبزتم بسرعة هذا ؛ فقيل له: كان التنور في دار صالح ابنه مسجراً ، وخبزنا بالعجلة ؛ فقال: ارفعوا ، ولم يأكل ، فأمر بسد بابه ، إلى دار صالح. حلية الأولياء (9/ 177). فاصبري يا أم عبد الله شفاك الله وعافاك!)

ودارنا حل فيها التيه والدلج	يا عزة الخير شهر غبته حجج
وصابروا ، ريثما يأتيهم الفرج	وأهلها - في دروب الخير - ما ارتحلوا
ونحن - بالسيرة العصماء - نبتهج	إن غبت عنا ، ففي الوجدان صورتكم
وللوصايا - بها - عطر له أرج	في كل ركن نرى ذكراك ماثلة
وإن علا فوقه التراب والرهج	نراك في الثوب ، ما انفكت أساوره
وليسست النفس - مما قلت - تعتلج	نراك أمرة فينا ، وناهيمة
وتسألين الألى - من بيتنا - خرجوا	وتسألين أناساً عندنا دخلوا
وإن تمحك بعض القوم ، وانزعجوا	ولا تمرر أمور دون غربلة
ولم يعد - في مسمى الطبخ - يندرج	نراك - في مطبخ - تاهت بشاشته
طغى عليها - به - الفساد والخمج	تتأثرت فيه أطباق وأطعمة

(الخاطرة السادسة)

(قال بشر الحافي: لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، إلا من يصبر على الأذى. حلية الأولياء (8 / 337). ووعنه قال: النظر إلى الأحمق سخنة عين ، والنظر إلى البخيل يُقسي القلب ، ومن لم يحتمل الغم والأذى ، لم يقدر أن يدخل فيما يحب. حلية الأولياء (8 / 350). وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: تعوّدوا الصبر ، فأوشك أن ينزل بكم البلاء ؛ أما أنه لا يصيبكم أشد مما أصابنا نحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. حلية الأولياء (1 / 283). ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ناصحاً للأمة: (قاربوا وسددوا) ، ولما نزل قول الله: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) ، شق ذلك على المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قاربوا وسددوا ، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها). ومعنى النكبة مثل العثرة التي يعثرها برجله ، فربما جرحت أصبعه ونحو ذلك ، حتى هذه فيها كفارة من الذنوب والخطايا ، والشوكة فيها كفارة كذلك ، والخُمى فيها كفارة أيضاً. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا بها؟ قال: (كفارات) ، قال أبي بن كعب رضي الله عنه: وإن قلت؟ قال: (وإن شوكة فما فوقها). قال: فدعا أبي على نفسه أن لا يفارقه الوعك حتى يموت ، شريطة أن لا يشغله عن حج ولا عن عمرة ولا جهاد في سبيل الله ، ولا صلاة مكتوبة في جماعة. واستجاب الله دعاءه! فما مسه إنسان إلا وجد حرّه حتى مات. وهذا الحديث حسنه الدمياطي وابن حجر وغيرهما رحمهم الله تعالى. وإننا نحسن الظن بالله أن تعود أم عبد الله معافاة لا تشكو ألماً ولا وجعاً ، وأن يكون ما أصابها كفارة لها من الذنوب والخطايا!)

يا عزة الخير بُشِّرِي بعدها فرح
وأن نراكِ كمثل الشمس ساطعة!
وأن نراكِ بلا سُقم ولا مرض
وأن نراكِ وقد جاوزتِ مرحلة
كم طاردتُك هنا إذ أصبحتِ شبحاً!
وأن نراكِ - على الشفاه - بسمتها
وأن نراكِ بوجهٍ ناضرٍ غردٍ
وأن نراكِ كمثل الصبح مسفرة
وأن نراكِ بثواب مزرکشةٍ
وأن نراكِ هنا بخير عافيةٍ
أن لا يصيبك مكرورة ولا ترخ
أما أشعتها فاليسرُ والمنح
في عيشةٍ ملؤها الهناء والمرح
من الرزايا ، فنستقوي ونفتح
واليوم زال الغما لما قضى الشبح
والثغر تغمره النكات والمزح
وصدر مؤمنةٍ باليمن منشرح
نمسي على نوره الزاهي ، ونصطح
وفوقها حُجبٌ من فوقها وُشج!
وعيشةٍ يعتلي سفينها الفرح

(الخاطرة السابعة)

(قال ابن كثير رحمه الله: (إن الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب محتومات ، فلا بد منها!) ومن ابتلاه الله بالبأساء والضراء فقد رزقه رزقه مثلاً فليس هذا إهانة له ، ليس تضيق الرزق ، وفقدان الوظيفة ، ونزول المرتب ، وخسارة التجارة ، إهانة من الله للعبد ، وإنما هو ابتلاء وامتحان ، فمن أطاع الله في ذلك كان سعيداً ، ومن عصاه كان شقيماً. وكذلك الأمراض والأوجاع والأسقام كلها حتمية الحدوث ولو كان فيها استثناء لكان أولى الناس بها أنبياء الله ورسله! قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزداد ذلك على عشرة آلاف موضع ، مع قصور أذهاننا ، ونقص عقولنا ومعارفنا ، وتلاشيها وتلاشي علوم الخلاق جميعهم في علم الله كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس. قال عبد الملك بن أبجر رحمه الله: ما من الناس إلا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره أو بلية لينظر كيف صبره. وكلنا يذكر دعاء أبي بن كعب رضي الله عنه على نفسه (وهو اجتهد صحابي على أي حال) ، والمأمور به شرعاً أن لا يدعو الإنسان على نفسه بالبلاء، ومن فقهه أن قال: لا يمنعني ذلك عن حج ولا عمرة ، ولا جهاد ، ولا صلاة جماعة ، فهو يريد أجر المرض ولا يريد أن يقطعه ذلك عن هذه الطاعات ، وعلى أية حال نحن أمرنا أن نسأل الله العافية ، ولم يشرع لنا أن نأمر الله بأن يوقع بنا البلاء والمرض ، وهذا فعله صلى الله عليه وسلم. فلقد قال مطرف بن عبد الله رحمه الله: لأن أعافى فأشكر أحب إليّ من أن أبتلى فأصبر. والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (سلوا الله العافية). والشاهد من الحديث السابق أن الأمراض كفارات. وقال قيس بن عباد رحمه الله: ساعات الوجد يذهبن ساعات الخطايا. فطهوراً يا عزة!)

يا عزة الخير أبنائي هنا اصطرخوا
فقلت: كلا ، فإن القول متزن
وما تجاوزت في حق التي رحلت
فعنفوني بألفاظٍ تفيض جفا
كأنتي لست - في هذا الجدل - أباً
ماذا فعلت لكي يُزرروا بمغضبتي؟
عليك أعتب أن أهملت نصحتهم
قولي: أبوكم له - شرعاً - مكانته
وعقد إمرته لا شيء يفسد حقه
ما زال يدب - في الدنيا - لرفعتم

أنني جهرت بقول شابه الوسخ
ونصه بكلام الله مرتسخ
وقبل كوني حليلاً ، إنني لأخ
وفي سعير خلافاتي لقد نفخوا
إذ بعضهم هزئوا ، وبعضهم صرخوا
سُقيا لأبناء - من أبوتي - انسلخوا!
إن الجميع إذا ناصحتهم رضخوا
ولا يجوز بأن تلوا ، وتصطرخوا
من هؤلاء الألى - لعقده - فسخوا؟
أنتم شباب ، وهذا جيله شيوخ!

(الخاطرة الثامنة)

قال عبد الرحمن بن سعيد عن أبيه: كنتُ مع سلمان رضي الله عنه وعاد مريضاً ، فلما دخل عليه قال: أبشر فإن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتباً ، وإن مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عقل ولم أرسل. أخرج البخاري في الأدب المفرد. والمنجد يرى أن معنى أن يكون المرض مستعتباً للمؤمن أي: أن يكون سبباً في محاسبة نفسه ورجوعه عن الإساءة ، ويقظته من غفلته بخلاف الفاجر والكافر ، فإن مرضه لا ينفعه ، وهو لا يزال مُصِراً على المعصية ، ولذلك هو كالبعير الذي أمسكه وربطه أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم أمسك ولم أرسل ، الكافر إذا مرض لا يدري لماذا مرض وما هي الحكمة من المرض ولا يحتسب أجراً ولا يرجع إلى الله. قال ابن القيم رحمه الله: إن انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحس به إلا من فيه حياة ، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها ، ولولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلوب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وأجلاً ، فمن رحمة أرحم الراحمين ، أن يتفقد عبده في بعض الأحيان بأنواع من الوصايا تكون حمية له من هذه الأمراض الخطيرة ، وحفظاً لصحة عبوديته واستفراغاً لهذه الأدواء الفاسدة الرديئة ، فسبحان من يرحم ببلانه ، ويبتلي بنعمانه. قال يزيد بن ميسرة رحمه الله: إن العبد ليمرض وما له عند الله من عمل خير ، فيذكره الله سبحانه بعض ما سلف من الخطايا ، فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدمع من خشية الله ، فيبعثه الله إن يبعثه مطهراً ، أو يقبضه إن قبضه مطهراً ، ولذلك فإن هذه الأمراض في الحقيقة نعمة من الله تعالى. فعسى الله يا أم عبد الله أن تخرجي من هذه المحن وليس عليك خطيئة ولا ذنب!

يا عزة الخير أذاني الألى انتقدوا
وبالنقائض والمثالب انفردوا
يقول قائلهم إذ ساق أسئلة
قوامها الحقد والتشوية والحسد
يقول: هل تدعي جهراً محبتها؟
أجب ، ويسمعك المهيمن الصمد!
وهل تُقدر مجهوداً تقوم به؟
كي يسعد الزوج في الحياة والولد
وهل تريد لها دوام عشرتها
زوجاً تحبك يُقري عيشها الرغد؟
أم أنت تكرهها ، ولا تُكين لها
حباً به تذهب الأوجاع والعقد؟
لا غرور قلها لنا ، بلا مواردٍ
كي يستريح الألى لاموك ، وانتقدوا
إن كنت تأمل أن ينأوا ، ويبتعدوا
قلها ، وأجرك موفور ومذخر
إن الشهد - عليك - الواحد الأحد
فقلت: فلتسألوها عن علاقتنا
إذ ليس ينقصها عقل ، ولا رشدا!

(الخاطرة التاسعة)

(إن ابتلاء الله للعبد المؤمن ولأمة المؤمنة صارف له ولها عن الزهو والخيلاء والغرور! قال ابن القيم رحمه الله: (لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً أو آجلاً! وبالمرض تتم معرفة العبد ذلّه وحاجته وفقره وافتقاره إلى الله تعالى ، فأهل السماوات والأرض محتاجون إليه سبحانه ، فهم الفقراء إليه ، وهو الغني عنهم جميعاً سبحانه ، ولولا أن سلّط على العبد هذه الأمراض وتلك البلايا لنسي نفسه ونسي خالقه! قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله). ومن هنا تأتي صحة الأثر: رب طاعة أورثت كبراً ورب معصية أورثت ذلاً وانكساراً! ونحن نقول: رب نعمة وصحة ونعيم وسعة أورثت عُجبا وزهواً ، ورب نعمة ومرض وحرمان وضيق أورث انكساراً لله وتذلاً له سبحانه! وعن أبي مسعود قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: {ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حظّ الله به من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها}. [متفق عليه]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: {ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها}. [متفق عليه]. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: لما نزلت: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {قاربوا وسددوا ، ففي ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها ، أو الشوكة يشاكها}. [رواه مسلم]. وأسأل هل هنث عليك لهذه القطيعة ، وهنث على أبنائك لهذه المواخذة؟! والأصل هو الثبات على الحق مهما حيكت المؤامرات!)

يا عزة الخير أين النصر والنقد
من جوقه قلبوا القرار ، واتخذوا؟
عليك هنث ، وهانت سُمعتي تبعاً
وصرت نهباً لمن عابوا ، ومن نبذوا!
لم يُحسنوا الظن في الأقوال بحث بها
بل أولوا القول ، والأسياف قد شحذوا
شتان بيني وبين السارقين غدي!
لا يستوي الليث في الميزان والجرذ!
قولي الحقيقة ، لا تخشي تطاولهم
ولا تخافي من الجذر الذي أخذوا
إني أحبك ، والأحوال تشهد لي
مهما تطاول من مشاعري جبنوا
إني أحبك ، والماضي يُسجلها
حقيقة لم تعد تُطوى وتنتبذ!
إني أحبك ، مهما قيل يكرهها
وإن دهاني الشقا والخذل والعوذ
إني أحبك ، مهما شككت فئنة
مما افترثه سيأتي الفوز والنقد
وساتلي كل من أنجبت من ولد
لقد يخصك – بالحقيقة - الفلذ!

(الخاطرة العاشرة)

(عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على أم السائب فقال: {مالك يا أم السائب تزفزين؟} ، قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال: {لا تسبني الحمى ، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكبر خبث الحديد}. [مسلم]. ومعنى تزفزين: ترتعين. وعن أم العلاء رضي الله عنها قالت: عادني رسول الله وأنا مريضة فقال: {أبشري يا أم العلاء ، فإن مرض المسلم يذهب الله به الخطايا ، كما تذهب النار خبث الذهب والفضة}. [أبو داود وحسنه المنذري]. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله ، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة} [الترمذي وقال: حسن صحيح]. وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله عليه وسلم: {ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة} [الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: {ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ، ومحيت عنه بها خطيئة}. [مسلم]. وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: {صداع المؤمن ، أو شوكة يشاكها ، أو شيء يؤذيه ، يرفعه الله بها يوم القيامة درجة ، ويكفر عنه ذنوبه} [رواه ابن أبي الدنيا ورواته ثقات]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يصب منه). رواه البخاري. والحقيقة أنني أحببت في أم عبد الله خصائص وشيماً وردت في هذه الخاطرة الشعرية ولا أكرر! وميزة لم ترد هي الصبر على الشدائد والمحن والآلام! وأشهد الله أنها أصبر مني وأقوى! فأرجو الاحتساب!)

يا عزة الخير أهل العذل قد مكروا
فأذريني على إخماد فتنتهم
ويشهد الله أنني في محبتكم
أحبّ فيك التزاماً صادقاً وثقياً
أحبّ فيك رداءً سابغاً تفلأ
أحبّ فيك خشوعاً لا يضارعه
أحبّ فيك قناعاتٍ يُدعمها
أحبّ فيك ذكاءً ليس ينقصه
أحبّ فيك عفاف النفس تصحبه
أحبّ فيك تدابير الأمور إذا
وأنت أعلم بالكي الذي نذروا
فلا يكون الذي عليه كم سهروا!
دوماً أضحي ، أنا إليك مفتقر!
ودمع عين همى يراه مقتدر!
من فوقه وضعت وفق الهدى خُمراً!
خشوع قوم بما هم فرطوا اعتبروا
نور من الوحي في طياته العبر
فراصة ليس تُبقي الحدس ، أو تذر
شرافة قد قلاها اللوم والتبر!
ما احلوكت ظلم ، أو داهم الخطر!

(الخاطرة الحادية عشرة)

(قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط). رواه الترمذي. وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله يقول: (إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده أو ماله أو في ولده ، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل). رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبراني. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرءاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). رواه مسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الرياح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد). رواه ومسلم. الأرز هي شجرة السنوبر وقيل شجرة السنوبر الذكر خاصة وقيل شجرة العرعر. وعن عطاء بن أبي رباح - رضي الله عنه - قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء! أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع وإني أتكشف ، فادع الله تعالى لي! قال: إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك! فقالت: أصبر! فقالت: إني أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها). رواه البخاري ومسلم. وأذكر أم عبد الله بأيام شعري الخوالي! وقد كانت أول من يسمع لأي قصيدة أكتبها! وتدلي بدلوها في النقد والتعديل والحذف والإضافة! لكنها هذه الأيام بل ومنذ فترة ليست بالقصيرة لا تأخذ أمر الشعر على الجادة! فهل زحمة حياة أو انشغال بمرض أو غربة أو سفر! على كل حال لم يكن شيئاً من ذلك صارفي عن الكتابة والتأليف ، فلم انشغلت هي عن القراءة والنقد؟)

يا عزة الخير عز الشعر والرجز
وأنت أغلى من القريض أنظمه
أنت الحياة ، وإن أزمعت راحلة
والشعر أنت بما يحويه من صور
هل تذكرين عقود الشعر أربعة
أصغي إلى نقدك الدقيق في شغف
فكم أشرت برأي طاب رونقه!
وبات عندك إمام وتجربة
وما اشتكيت طويل الشعر ، أو هزجاً
وما مللت من الأشعار أنشدتها
وناز عثني ذكائي الآه واللغز
وإن أكن في بغيض الوقت أرتجز
والعيش يسقم إن أودى به العلز
فإن عييت فماذا تحمل الصور؟!
وعبرها كنت في رؤياك أرتجز!
فهذه فرص سبى وثنتهز
وصائب الرأي يسبى ثم يكتنز!
شأن العماليق - في أشعارنا - برزوا
ولا اشتكى منك كامله ولا الرجز!
ولم يملك صدر فيه أو عجز!

(الخاطرة الثانية عشرة)

(عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت: (يا رسول الله إنك توعك وبعكاً شديداً. قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجالن منكم. قلت: ذلك أن لك أجريين. قال: أجل ، ذلك كذلك ، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها). رواه البخاري ومسلم. الوعك: مغث الحمى وقيل الحمى. وعن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال: (اتقي الله واصبري. فقالت: إليك عني ، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم! فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك. فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى). رواه البخاري ومسلم. وعن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما ، أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده ، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: ما يكن من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر). رواه البخاري ومسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين فقال: انظروا ما يقول لعوداه! فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول: لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أكفر عنه سيئاته). رواه مالك وابن أبي الدنيا. فلا تقولي يا أم عبد الله لعودك إلا كل خيراً! لأنك إن فعلت غير ذلك تكونين قد شكوت الرحيم الذي يملك شفاعك ، إلى الذي لا يرحم ولا يملك شفاعك! والحقيقة أن شعري حزين هذه الأيام لفراقك ومرضك! أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ويعافيك ويباركك ويردك! وتعودين إلى حلقات العلم والذكر والشعر!)

يا عزة الخير شعري اليوم مبتئس
وأنت أهملت ما أنشدت عامدة
إني لأسأل من تُصغي لمسألتي
أين انتقذك للأشعار أكتبها؟
أين اصطفائك للأبيات في ملاء
لذا وعيت من الأشعار أعذبتها
وكنت باهيت بالأشعار من جهلوا
وكنت عوناً بما تُبتدين من زبد
وكنت ناصحة تُزجي نصيحتها
أنا المدين بأبيات بأكملها

إذ جُل ما قلت في القرطاس محتبس
فصرت نقادي الأفذاذ ألتمس
أراك أنسيته ، مثل الذين نسوا!
وأين عقل حصيف نابه مرس؟
تلقى فتطرب من هوى ويأتس؟
ولم يكن جرسها عليك يلتبس
قدري ، وقلت قصيد زوجي القبس!
في ظلها تبتني - في شعري - الأسس
فبورك النصح ، والإرشاد ، والنفس!
ولا أراها مدى الأيام تندرس!

(الخاطرة الثالثة عشرة)

(قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرصت بالمقاريض). رواه الترمذي وابن أبي الدنيا. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً). رواه البخاري. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني! قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبادي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟) رواه مسلم. وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون! اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله تعالى في مصيبتيه وأخلف له خيراً منها). قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم! فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله صلى الله عليه وسلم). رواه مسلم. إن الدنيا دار بلاء وأمراض ، وهي على كل حال ظل زائل ومتاع منته! وما من إنسان في هذه الدنيا إلا ولا بد أن يواجه فيها مرضاً وعافية ، وسروراً وغماً ، وفرحاً وترحاً ، وسعداً وحزناً ، وسراء وضراء ، ونسأل فنقول: كل هذا من الابتلاء بالخير والشر لماذا؟ والجواب قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) ، وقوله: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) ، وقوله: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا). أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يبدلك من مرضك صحة وعافية ، ومن قلبك قلباً صحيحاً معافىً ومن شرابينك شرابين أخرى معافاة ومن دمك دماً صحيحاً معافىً ، ومن نفسيتك القلقة المطربة نفسية متفائلة راضية بقضاء الله وقدره! فلتسعدى بغفران الذنوب! وليسعد عوادك بسبعين ألف ملك يستغفرون لهم!)

يا عزة الخير أبنائي هنا دُهِشُوا
لَمَّا جَهِرَتْ بِحَبِي انْتَابَهُمْ دَهْشٌ
صَارِحَتُهُمْ إِنَّمَا حَبِي لَهَا قَدْرٌ
مِنَ الْمَلِيكَ بِهِ الْفَوَادُ يَنْتَعِشُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ قَلْبِي كَمَا يُكِنُّ لَهَا
مِنَ الْوُدَادِ صَفَا ، فَمَا بِهِ غَبْشُ!
لَكِنَّمَا سُنَّةُ الْخِلَافِ بَاقِيَةٌ
وَنَحْنُ دَوْمًا عَلَى الْأَرَاءِ نَحْتَمِشُ
نَرْغِي وَنَزْبِدُ إِنْ نِيَلَتْ شَرِيْعَتُنَا
كَمْ مِنْ رِعَاعٍ جَنَوْا عَلَى عِلَاقَتِنَا
مَا بَيْنَ قَوْمٍ عَلَى تَدْمِيرِنَا اتَّفَقُوا
وَأَخْرَيْنَ عَلَى الْعَدْوَانِ قَدْ جُبِلُوا
وَعَرَضْنَا انْتَهَكُوا ، وَلَحْمِنَا نَهَشُوا
حَاكُوا الدَسَائِسَ فِي سِرِّ وَفِي عَلَنٍ
وَأَفْكَهُمُ رَغْمَ أَنْفِ الْكَلِّ مُنْتَفِشُ!

(الخاطرة الرابعة عشرة)

(إن كثيراً من الناس قد يواجه المرض والسقم ، ولكنه ينسى الصبر والاصطبار عليه ، وينسى ما في المرض والبلايا من فوائد جمّة في الدنيا والأخرى. ذلك أن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا وفيه نعمة ، ولولا أن الله خلق العذاب والألم لما عرف المتنعمون والمترفون قدر نعمة الله عليهم. ومن الترح يولد الفرح ، ومن الضيق يولد الفرج ، ومن الهم والغم يولد السرور والحبور ، ولولا الليل لما عُرف قدر النهار ، ولولا المرض لما عُرف قدر الصحة والعافية ، وأهل الجنة يفرحون ويزداد فرحهم عندما يتفكرون في آلام أهل النار ، بل إن من نعيم الجنة رؤية أهل النار وما هم فيه من عذاب. وحوار أهل الجنة وأهل النار مسطور في سورة الأعراف لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً! والمرض كما يصفه أستاذنا أمير بن محمد المدري فيه فوائد كثيرة منها: أولاً: المرض تهذيب للنفوس ودرية لها وتصفية من الشر الذي استقر فيها جرّاء الإقبال على الدنيا والتعاطي معها! قال الله تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير). فإذا أصيب العبد فلا يقل من أين هذا؟ ولا من أين أتى؟ فما أصيب إلا بذنب (والمعنى هنا إلا بذنب ارتكبه فكلنا خطايا ، أو لرفع درجة وكف خطيئة)! فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما يصيب المؤمن من وصبٍ ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها). متفق عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: (ما اختلج عرقٌ ولا عين إلا بذنب ، وما يدفع الله عنه أكثر). والاختلاج هو الحركة والاضطراب ، وتعجيل العقوبة للمؤمن في الدنيا خيرٌ له من عقوبة الآخرة حتى تكفر عنه ذنوبه. وأناشد أم عبد الله أن تجتهد في الصبر والتصبر والاحتساب! وذلك لنوال الأجر الجزيل عند الله! ولتوقن أن الله أراد بها الخير! (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (والله يريد أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً) ولتحذر من أهل الدنيا وعبيدها!)

يا عزة الخير جافي كل من حرصوا
واسـتقبلي أمـركِ الدنـيا سـتـهـلكنا
أما نظرتِ لها تُعـلي الألي سـفلوا
أما تفرستِ في قوم بها افتتوا
لذا استكانوا لدنياهم وزخرفها
ولست منهم ، فإن الحرص مُهلكهم
أعيذكِ اليوم من دنيا لنا قلبت
فلا تبوحي لنا برخصةٍ وهنت
وخففي اللوم ، إن النفس تمقتله
ومن علمت بلا وزر ومعصية

على الخلافات تأتي بعدها الغصصُ
فاز الألي من حظوظ النفس قد خلصوا
وأخـرين - على أعقابهم - نكصوا
وكلمـا عـاينوا فريسة ، قنصوا
ولم يُصـبهم بها ضيقٌ ولا نغص!
والزهـدُ طابـعٌ من على الهدى حرصوا
ظهـر المـجـنّ ، فأضحى الحق يختبص
خذي العزائم ، ماذا تنفع الرخص؟!
إن لم تحن لدفاع الشبهة الفرص
وكل عبد له - من الخطا - حصص

(الخاطرة الخامسة عشرة)

(عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة). رواه الترمذي وقال حسن صحيح. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حظ الله بها سيناته كما تحط الشجرة ورقها). رواه البخاري. ومن الناس من له ذنوب وليس له ما يكفرها فيبتليه الله بالحزن والمرض لتصفيته وتنقيته من الذنوب إن صبر واحتسب. فعن عائشة أن رسول الله طرقه وجع فجعل يشتكي ويتقلب على فراشه! فقالت له عائشة: لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الصالحين يُشَدَّد عليهم ، وإنه لا يصيب مؤمناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حُطت عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة). وثانياً: من فوائد المرض أنه يعقبه لذة وسرور في الآخرة. فإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة والنعيم لا يدرك بالنعيم وكما قال صلى الله عليه وسلم: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر). وإن الإبتلاءات سنة ربانية اقتضتها حكمة الله سبحانه في هذه الدار ، لتكون داراً لامتحان في الشهوات والفقر والمرض والخوف والنقص في الأموال والأنفس والثمرات ، كما يكون الإبتلاء بكثرة الأموال والأولاد والصحة قال تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنةً وإلينا ترجعون). ومن جملة الإبتلاءات: الأمراض حيث يبتلي الله بها من شاء من عباده. وإذا نزل بالعبد مرض أو مصيبة فحمد الله واسترجع وصبر ، إلا أعطاه الله من الأجور ما لا يعلم قال تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب). وإذن فكل الأعمال قد تجد لها أجراً معيناً إلا الصبر لعظمته. ولتوقني يا أم عبد الله أنك قد تزوجت من زوج مبتلى محتسب صابر! ابتلينا في الدار فأغتربنا ، وابتلينا في النفس فصبرنا! وابتلينا في الأهل فصبرنا ، وابتلينا في المال والصحب والأصدقاء فصبرنا! فاصبري!)

يا عزة الخير بعض العترة امتعضوا
ولم أقصر ، ولكن ضيق ذات يدي
أوهى قواي فلم أهنا بمقربة
أنا الذي كنت أجزلت العطاء لها
وكنث روجعت في بذلي ومكرمتي
وعشت أخلص ، لم أبخل بعارفة
ثم استدار لي الزمان ، فأنحسرت
فعاقبوني على جودي ، وما رحموا
وعايروني بما كنت ابتليت به
بئس القرابة لا أخلاق تحكمها!

مني ، وعهدي كما ترين قد نقضوا
وحسن ظني الذي كم عشت أترض
لما أسد لها ما كنت أترض
وكما طلبت ما كنت أترض
فعبث من راجعوا ، وعبث من رفضوا
لله بذلي ، فلا دنيا ولا غرض
يد العطاء ، وجادور الألى قبضوا
ضعفي ، ومالههم علي ما عرضوا
فقلت: كُفوا عن التعيير ، فامتعضوا
وفي سواها من الأبعاد العوض

(الخاطرة السادسة عشرة)

(إن المصائب والألام ملازمة للبشر ولا بد لهم منها لتحقيق العبودية لله قال تعالى: **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**). وقال بعضهم: لولا حوادث الأيام لم يعرف صبر الكرام ولا جزع اللئام! وثالثاً: من فوائد المرض أنه يُعرف به صبر العبد على بلواه ، وأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط! نعم ، إذا صبر العبد إيماناً وثباتاً كتب في ديوان الصابرين ، ويكفي الصابرين شرفاً أنهم في معية وحفظ الملك جل وعلا قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)**. فإذا حمد العبد وشكر كتب في ديوان الشاكرين ، ويكفي الشاكرين شرفاً أنهم أهل الزيادة قال تعالى: **(ولئن شكرتم لأزيدنكم)**. والصبر المأجور صاحبه هو الذي لا بد أن يتدبر فيه أموراً: منها أن يعلم أن المرض مقدر من عند الله (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ، وأن يتيقن أن الله أرحم به من نفسه ومن والده ووالدته والناس أجمعين ، وأن يعلم أن ما أصابه هو عين الحكمة من الله ، وأن الله أراد به خيراً ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: **(من يرد الله به خيراً يصب منه)**. رواه البخاري. وأن ما أصابه علامة على محبة الله له ، وأن يعلم أن الجزع لا يفيد ، وإنما يزيد آلامه ويفوت عليه الأجر ، ولذا قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: **(إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور ، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور)**. ورابعاً: إن المرض سببٌ للدعاء واللجوء والانكسار بين يدي الله. قال تعالى: **(فأخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون)**. والصبر اليوم أجره مضاعف لأن حال الأمة يشبه العبادة في الهرج التي هي هجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. حيث عم الجهل وغربت السنة وألفت البدعة وأصبح أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع! وإذن فالقبض على الدين والإيمان اليوم فضل من أي زمان مضى! فاصبري واحتسبي يا أم عبد الله!

يا عزة الخير عمّ الجهل واللغظ
والدين أمسى غريباً في مرابعنا
وأصبح الحق مَبغوضاً ومُنْتَبِذاً
والسنة اليوم تلقى مَنْ يُبَدِّعُهَا
ولى زمانٌ به ازدهت شريعتنا
وهم ورب السورى شرٌّ مخالطة
لا يعرفون لهم ديناً ولا رشداً
لا يُدركون من الإسلام خردلة
إلا قليلاً عُرى إيمانهم كتموا
أما الضحايا فهم أبناء جلدتنا
وقل قوم بهذي المصطفى ارتبطوا
وأغلب الناس – بالكبائر - اغتبطوا
من الخلائق في أهوانهم خبطوا
وفي الأناسي من البدعة اعتبطوا
وحل عهدٌ به يستأسد الشرط
وضل قوم بفرد منهم اختلطوا
إذ في الضلالة والكفران قد سقطوا
وفي التعنت والسواى لهم خطط
ولم يُبالوا بقوم بينهم قسطوا
الصالحون هم ، والأمة الوسط

(الخاطرة السابعة عشرة)

(ها هو عروة بن الزبير من أفاضل التابعين وأخيار التابعين ، كان له ولد اسمه محمد من أحسن الناس وجهاً ، دخل على الوليد في ثياب جميلة ، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش ، وما دعا له بالبركة ولا ذكر الله تعالى! فقالوا أنه أصابه بالعين ، فخرج محمد بن عروة بن الزبير من المجلس فوق في اصطبل للدواب فلا زالت الدواب تطأه حتى مات ، ثم بعدها مباشرة وقعت الأكلة في رجل عروة بن الزبير والده ، وقالوا لا بد من نشرها بالمنشار وقطعها ، حتى لا تسري في أماكن أخرى من الجسد فيهلك ، فنشروها فلما وصل المنشار إلى القصبية (وسط الساق) ، وضع رأسه على الوسادة فغشي عليه ثم أفاق والعرق يتحدّر من وجهه وهو يهزل ويكبر ويذكر الله ، فأخذها وجعل يقلبها ويقبلها في يده وقال: (أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أنني ما مشيت بك إلى حرام ولا إلى معصية ولا إلى ما لا يرضي الله) ، ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت ، وأمر بها أن تقدم إلى المقبرة ، ولما جاء من السفر بعد أن بترت رجله وفقد ولده قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، ولما قالوا: نسقيك شيئاً يزيل عقلك؟ قال: إنما ابتلاني ليرى صبري ، ورفض. وهاهو أبو قلابة التابعي الجليل ممن ابتلي في بدنه ودينه ، وأريد على القضاء وهرب إلى الشام فمات بعريضة ، وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره ، وهو مع ذلك حامدٌ شاكراً ، وعندما سئل على ماذا تحمد؟ فقال: ألم يعطني لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وبدناً على البلاء صابراً؟) وإذن فالبلاء والابتلاء سنة ماضية لا تتبدل ولا تتحول ولا تتخلف! والإنسان يا أم عبد الله عندما يطالع هذه السير العظيمة تهون عليه بليته ويرزق القدرة على الصبر والاحتساب! ومن يتصبر يصبره الله! والعاقل من وعظ بغيره! وأنت ذات بصيرة وفهم ووعي فاصبري!)

يا عزة الخير إن الفذ يتعظ
من الذين هدى الإسلام قد لفظوا
إن الثبات على الإسلام منقبة
يحظى بها المسلم المسترشد اليقظ
والناس أعداء من دعا جحافلهم
للحق فيهم ، فكم يهدي وكم يعظ!
كم أقسموا أن يتوبوا عن كبائرهم!
فهل جموع الورى أيمانهم حفظوا؟!
وكم تشبه من سادوا بمن رحلوا!
برغم أن دعاة الخير ما انفعلوا
فما استكانوا ، وما فؤوا لما وعظوا
وبعضهم ناوا الدعاة في صلف
وما اعترى صدعهم زجر ، ولا غلظ
وبعضهم ناوا الدعاة في صلف
وعمت القوم فوضى تعالي شبيهاً
وزاحمت بدعة الإرجاء عليهم
وغيرهم جاهلهم ، ياليتهم لحظوا!
وأوذوا ، وذوو الأوهام ما اتعظوا
من الذين - بأخذ الجذر - ما احتفظوا!

(الخاطرة الثامنة عشرة)

(وتحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد: (يا من منعك المرض من الذهاب إلى بيوت الله في الأرض ، الحذر الحذر من ترك الصلاة خلال فترة المرض أو التهاون في أداؤها في أوقاتها ؛ لأن ذلك ذنبٌ عظيمٌ وأمرٌ جسيم ، فترك الصلاة عمداً كفر – والعياذ بالله – كما أفتى بذلك علماء الإسلام ، كما أن التهاون في أداؤها ذنبٌ كبيرٌ يكون الإنسان منه على خطرٍ عظيم. فعليك بالمحافظة على أداء الصلاة في وقتها قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً أو مستلقياً أو على قدر استطاعتك. وليس هذا فحسب بل عليك أن تُدكّر من هم حولك من المرضى بعظم شأن الصلاة ، وأهمية المحافظة عليها لا سيما وأن المرضى أحوج ما يكون إلى ذلك في حال مرضهم).هـ. وتحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصريف زهيد: (نعم الله تعالى تنرى لا تُعدّ ولا تُحصى! المرض ابتداء كما أشعر به! اصطفاء تمر الأيام والشهور ويعيش العبد حياته في روتين شديد. وربما أنسته الدنيا ذكر الله أو حمده. ولربما انشغل بهومومه ومسؤولياته وضغوطه حتى إذا ما شطّ ألزمه ربه جل وعلا لباس المرض أن: عُد. ألم تحنّ إلينا؟! فهو إذاً رحمةً يمنّ الله جل وعلا على عباده ليذكروه ويبتهلوا إليه بالدعاء “لعلهم يتضرّعون”. وحين يسمع الأتئين يتجلّى بالشفاء ويمسح الحزن. أو يكون غير ذلك بأمره وحكمته فالموت حق. قدرٌ مكتوبٌ في طياته كل الخير إن أحسن العبد القراءة والتمعن. ولقد هالني حقيقة ما سمعت ذات مرة من عبارات لا تليق بمؤمن أن ينطق بها. “حزناً لأجلك. فأنت لا تستحقين ما يحدث لك”. أو يحزن مؤمن لقدر مؤمن إن صبر فاز؟!هـ. والمقصود من هذا كله أن يستمر المسلم في الطاعة مهما كان من عذاب ونصب!!)

يا عزة الخير عمت دارنا البدع
والمحدثات غزت أرحاب ضيعتنا
وللضلالات شأنٌ عز جانبه
وشريعة الغاب سادت في غياب ثقي
ماذا هنالك؟ قالوا: أمة تركت
وحاربت أولياء الله في شُبهه
وهدمت دور أقوام بلا سبب
ومارست سنة الإرهاب تُتقنها
لم ترحم الطفل في أحضان والدته
فأخر الله نصراً كان يرصدها
وغاص في لجج الأحوال مجتمغ
وأصبحت سناً تُرجى وتُتبع
وأغلبُ الناس في دروبها اندفعوا
واليوم كشر عن أنيابه السبع
دين الإله ، فعمت أرضها البدع
وسالمت زمراً تطغى وتبتدع
وأهرقت دم من لربهم ركعوا!
وأحرقت عُزلاً في الساحة اجتمعوا
بل غاله حقدُها المروع البشع
إذ أهلها باب حرب الله قد قرعوا

(الخاطرة التاسعة عشرة)

(تحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصرّف زهيد: (من زعم أن المرض هو بلاء وشرّ كله أو أنه عقاب يفتك بأجساد السيئين من البشر؟! أليس المرض هو علامة حب الله جل وعلا فإذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه؟! أليس فيه تقرب من الله جل وعلا؟! ألسنت حين تمرض توقن أن النفع بيد الله تعالى فيسجد القلب قبل الجوارح بين يديه جل في علاه؟ ويشعر بضعفه وحاجته لهذا الرب الكريم؟ أليس المرض ابتلاءً من الله جل وعلا ليمحص الإيمان؟ ويا له من شعور حين يسلم المريض الأمر لله جل وعلا ويقول: هذا جسدي وقلبي ونبضي ولحمي بين يديك. فافعل ما تشاء فإني راض راض! أليس تكفيراً للخطايا والذنوب كما أخبر الحبيب عليه الصلاة والسلام حيث قال "حطّة يحطّ الخطايا عن صاحبه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها"؟ أليس رفعاً للدرجات ويُعداً عن النار؟! فلم نخشى المرض إذن ونرهبه؟ ووالله إن أول ما يتبادر إلى ذهن المؤمن حين يُبتلى بجسده هو الحمد والشكر أن من الله جل وعلا عليه بالمرض ليقربه منه. ويُعَدِّق عليه بالخيرات والرضا. ففي كل آهة أو ألم أو وجع تكفير ذنب وقرب من الرب وحمد وتوُّب ولين قلب. وهل أكثر من ذلك من عطاء؟! نبضات الأصدقاء الصادقة. أنجع من كل العقاقير والأدوية! وقبل الأصدقاء الأهل!). ومن هنا أناشد أم عبد الله أن تعلم يقيناً أن ما يحدث حولنا من ابتلاءات لأهل الإيمان إنما يحدث على عين الله وبيارادة منه سبحانه ويقدر! وليعلم كل منا أن أهل الباطل إنما يعيشون فترة الإملاء والإمهال فقط! وسوف يأتيهم من الله قدرهم في أخذ الظالمين! (ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) (إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته!) (أيحسبون أننا نمدّهم به من مال وبينين نَسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وأنت أهل لمعرفة الواقع وإنزال الآيات والأحاديث عليه! لذلك فاصبري!)

يا عزة الخير أهلّ السوء قد بلغوا
وأشربتْ ظلمها الجموعُ مكرهة
تستهجنُ العيرُ ما قالوا وما فعلوا
غدا الحرامُ حلالاً ، والصوابُ خطا
ونفذوا كل ما أعدوا رسماً
وراهنوا في الدنا على مذلتنا
وعقدوا عيشة ما كان أيسرها!
ويؤاد العيشُ إمّا أمرَ السفها
لا يُدركون من التأمير جوهره
وهل حياة إذا ما ساد من هزلوا؟
وهدوا في سوادهم ما سادوا
وهدوا في سوادهم ما سادوا
وهل حياة إذا ما ساد من هزلوا؟

(الخاطرة العشرون)

(تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد: (يا من أحاطت بك الآلام والأوجاع ، احتسب ما تشتكيه من مرض عند الله تعالى فلعن ذلك مقدّر منه سبحانه لرفع منزلتك في الدار الآخرة متى صبرت واحتسبت. ولأن ذلك قد يكون ابتلاءً من الله سبحانه وتعالى ، فالمؤمن مُبتلى لقوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}. فعليك أن تصبر وتحسب الأجر على ما أصابك ، وأن ترضى به امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم: " فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ". يا من تنشد الصحة وتبحث عن العافية لا شك أنك تبحث عن أي علاج يمكن أن يُعالج مرضك ويُريحك مما تجده من الآلام والأوجاع ، وهذا أمر مشروع ومأمور به شريطة أن لا يكون حراماً أو غير جائز ، لما روي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله خلق الداء والدواء ، فتداووا ، ولا تتداووا بحرام". (رواه الطبراني). فإذا كان العلاج بما أباحتها الشريعة فهو أمرٌ جائزٌ شرعاً ، أما إذا كان غير ذلك مما فيه سحرٌ أو كهانةٌ أو شعوذة ونحو ذلك مما حرّم الله تعالى فلا يجوز أبداً لما فيه من احتمال الوقوع في الشرك ، أو الكذب والخداع ، والتدليس والاحتيال ، ولما في ذلك من الشر والفساد وأكل أموال الناس بالباطل ؛ إضافةً إلى كونه أمراً يقدر في عقيدة الإنسان وصدق إيمانه – والعياذ بالله – فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أتى كاهناً أو عرافاً فصدّقه فيما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد". (رواه أحمد). فإن كان الواقع من حولنا يضغط على أعصابنا ويستفزنا كثيراً فلنعلم أن هذا كله يحدث على عين الله ، فنسأل الله العفو والعافية كما نسأله أن يفرج عنا ما نحن فيه وما تمر به أمتنا من المحن والبلاءات!)

يا عزة الخير أمسى الطفل يُختطفُ
إذ يُسرقُ الطفلُ كي يُباعَ تجزئة
في قريةٍ بطرت عمداً معيشتها
فلم تعد قِيَمٌ فيها ، ولا مُثَلٌ
أمسى الأطباء جزارين تحسبهم
إلا التجارة في الأعضاء في وطن
طغأته جرّعه الكيد عن رَغم
بل قد غدا عنهم أضل مرتبة
لذا تفيأ محكومٌ وحاكمٌه
ودولة العدل تبقى الدهر صامدة
في عالم بغياب الأمن يُتصفُ
كما يُباع متاع البيت والتحف!
وفي مراتبها الإجرام يُحترف
وأهلها جُلهم بالجور ما اعترفوا
لما تعد مهنتهم ولا وظف
إلى الضلالة والإجفاف ينجرف
ولم يعد عن ديار الكفر يختلف
إذ حققوا العدل ما جاروا ولا احتلفوا
ظلال عدل ، فما هانوا وما ضعفوا
ودولة الظلم يطوي بأسها الجَنَف!

(الخاطرة الحادية والعشرون)

(تحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصرف زهيد: (فأحياناً نجد الأهل في صخب ونصب. فدعاء ودعاء ودعاء. وزيارات مكوكية للاطمئنان. واتصالات متوالية لمواكبة كل تطورات الحالة المرضية. حتى ليكاد المريض يشعر أن العالم توقف عنده هو فقط! فيشعر - بالرغم من ضيقه لاستنفاد طاقات الأهل بالسؤال - أنه بعمق نعمة الله جل وعلا ، وأنه قد رزقه أهلاً يهتمون بأمره ويتابعونه بحب وخوف ورجاء! ومن مثل الأم في عطفها وتفانيها أمام فلذة كبدها مهما بلغ من العمر؟ فهو يبقى الصغير الذي لا يكبر أبداً في عينيها المحبتين! تداريه برموشها وتغمره بدفء قلبها. تنن قبل أن ينن ، وتمده بالرعاية والحنان حتى يقوى على المرض ويستعيد صحته. وتظل تداري ألمها وخوفها حتى لا يعتريه الضيق. وقد تتألم أكثر من ألم مريضها إلا أنها تُخرس أي صوتٍ يعلو على صوت الأمومة الحقّة. ويأتي الغوّاد ابتغاء الأجر ، وترجمة لمعاني الأخوة الراقية وتجسداً لأسمى رابطة قدسية قد تجمع بين بشر وهي "الأخوة في الله". تلك المفردات التي لا يعرف كنهها إلا من عاشها وسبر أغوارها فانتشى كلما قرب. يشعر المريض وإخوانه إلى جانبه كأنهم غمامة تقيه حر الألم. وتظلمه حتى إن غابوا عن ناظره. فابتهالاتهم ودعواتهم تحوم حول سريره الذي يقبده. فترفعه مكاناً علياً من السعادة والظفر. وأيّ مشاعر تعلو ما يعيش؟! ثم يقولون: المرض شرٌّ مستطر؟! كلا وربّي!). هـ. وأنا أشعر أن هذا شعورك الدائم وإحساسك القديم الجديد يا أم عبد الله! وهو أنك وسط أهلك وقرابتك يهون عليك كل مرض وبلية! وتعلمين أن جل أصحابي وأصفيائي قد سبقوا وأنا بهم لاشك لاحق! وهذا مما يزيد ألمي حزني ووجدي عليهم!)

يا عزة الخير أصحابي لقد سبقوا
وَحُزْنُ قَلْبِي عَلَى الْأَحْبَابِ يَقْهَرْنِي
وَحِكْمَةُ اللَّهِ فِي الْحَالِينَ بِالْغَةِ
يَبْقَى فِرَاقِي لَهُمْ طَيْفًا أَضِيقُ بِهِ
وَكَلِمًا جَاعَنِي نَعْيٍ رَثِيثٌ لَهُ
أَنْ يَأْتِيَ الدُّورُ مَأْمُورًا لِيَحْصِدْنِي
لَكِنْ أَمُوتُ ، وَأَشْعَارِي تَمُوتُ مَعِي
وَلَا تَلَاقِي الَّذِي يَهْوَى قِرَاءَتَهَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي إِذَا نَاحَ الْقَرِيضُ عَلَيَّ
وَشَيَّعَ الشَّعْرُ جُثْمَانِي بِفِرْطِ جَوِي
إلى القبور ، وأعدائي الغتاة بقوا
طواهم الموت واستحيا الذين شقوا
ونحن فيما قضى إلهنا نثق!
نرعاً مريراً ، له الأعصاب تحترق
وانتابني الوجد والإجاع والقلق
هذا قضاء - على الأحياء - ينطبق!
هل بعد وصل بها يحين مفترق؟
وقد تمزق هل تطالع اللزق؟!
رحيل صاحبه وضيق الأفق!
ودمغ عينيه مثل السيل يندفق!

(الخاطرة الثانية والعشرون)

(اقرني واسمعي يا أم عبد الله لكي يهون المرض! تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب)
يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد: (عليك أن تحرص على قراءة القرآن الكريم لحصول
الطمأنينة ، كما أن عليك أن تحرص على مطالعة الكتب النافعة والانشغال بقراءتها والاطلاع
على محتوياتها ؛ فإن لم تستطع فلا تهمل سماع المصنفات الإسلامية التي تشتمل على التلاوات
المباركة ، والمحاضرات النافعة ، والدروس المفيدة ، والخُطب العظيمة التي يمكن أن تُشغل
بها وقتك ، وتنسى بها. • يا من صبرت على ما أصابك واحتسبته عند الله تعالى ، اعلم أن في
مرضك خيراً كثيراً لك لما فيه من تطهيرٍ لقلبك وجوارحك من الذنوب والخطايا ، ونيلاً لعظيم
الأجر وجزيل الثواب. وليس هذا فحسب بل إن من كرم الله جل جلاله عليك أن يُجري لك الأجر
والثواب على أعمالٍ لم تعملها ، ولكنك كنت تُحافظ عليها قبل مرضك ، فقد روي عن أبي
موسى الأشعري رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مرض العبد أو سافر
كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً". (رواه البخاري). • يا من مسك الله بضرٍ لا يكشفه إلا
هو سبحانه ، اصبر على ما قضاه الله تعالى وقدره عليك ، فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم
يكن ، وإياك أن تياس أو تقنط من رحمة الله تعالى ؛ فإن ذلك مُخالفٌ لهدي الإسلام وتربيته
وأدابه ، واحذر من تمنى الموت متى اشتد عليك المرض لما روي عن أبي هريرة رضي الله
عنه أنه قال: سمعت رسول الله يقول: "لا يتمنين أحدكم الموت إما مُحسناً فلعله يزداد خيراً ،
وإما مسيئاً فلعله يستعقب". (رواه ابن حبان). هـ. فاحرصي على ما ينفعك يا أم عبد الله من
القراءة والصحبة! عندما استعرضت أصفينائي وأحبابي وجدتهم قد رحلوا فمن لشعري هذا؟!!!)

يا عزة الخير أمسى الشعر يرتبك	أن الرفاق الألى يهوننه هلكوا
فأين للشعر (شـربيني) رفقتنا؟	وأين للشعر (حُسنِي) الناقد المَحِك؟
وأين للشعر (بغدادِي) صُحبتنا؟	وأين للشعر (إسماعيلِي) يشترك؟
وأين للشعر (عدنان) بما سطرث	يذُ القريض تحاكي شعر من سَبكوا؟
وأين (سالم) للأشعار ينقدها	نقداً به يذهبُ الإبهامُ والخال؟
وأين لي كـ (أبي عبد الوهّاب) أخاً	يهدي الطريق إذا ما استشكلت طرق؟
وأين لي كأخي (المتوكل) اكتملت	رواه في الشعر ، كالأفذاذ الألى حبكوا؟
وأين (خالِد) للأشعار أنشدها؟	حسبته لأداة النقد يمتلك!
كانوا جميعاً أساطيناً أتية بهم	وكل فردٍ - إذا ما جنته - ملك!
لكنهم رحلوا ، والشعرُ يذكُرهم	ويذكر النفع والخير الذي تركوا

(الخاطرة الثالثة والعشرون)

(تحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصرف زهيد: (محرومٌ والله من مرض صاحبه ولم يعد. ومن استطاع زيارته فلم يفعل. جلستُ قبالتى وقالت: قبل أن أسألك عن صحتك دعيني أقول الدعاء كما ورد “أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك”. رددتها ثلاثاً وحين فرغت من الدعاء سألتني كيف هو الألم. رددت عليها: قد غاب! وتيقنت أنني لا بد معافاة من هذا المرض! فالحبيب عليه الصلاة والسلام قد صدق! وبقدّر تعبي من الزوار إلا أنني كنت مفعمة بالسعادة سابحة في محيطاتها. أن قد حباني الله جل وعلا كل هذه القلوب المحبة. وحين يجنّ التعب أغمض جفني وأنام. لأفبق على نبرات ودودة وأصوات رقيقة من جديد. بت أعرفها جيداً وأحفظها عن ظهر قلب! ومن لم يستطع الزيارة فلم يبخل بالاتصال. من كل بقعة من الأرض قلوب تتفقّد وتسال وتطمئن. يا لهذا الكون ما أوسعها بما حوى! وكم دمعت العيون وفاضت الجفون محبة وحنيناً. حتى إذا ما مررت على موقع فيه أمل للأمة أو عنوان بريدي. أو شبكة اجتماعية تعرفت من خلالها على أناس يستحقون الأخوة ركنتُ ودعوتُ لهم مخلصاً أن يجمعنا الله جل وعلا في الفردوس الأعلى كما جمعنا في دنيانا هذه. ويبقى لبعض الناس نكهة خاصة. أصواتهم كالماء البارد على الظمأ. يُواسون ويدعون ويعدون الأيام سنيناً حتى أعود. ومن أجلهم إن شاء الله سأعود!). هـ. وأكد أجزم أن هذا شعورك يا أم عبد الله فرحة بالأهل والصدقات! ولكنني أعود بالذكرى إلى الوراء حيث تذكرتُ الآباء والأمهات الذين هم في الدنيا الرحماء! وتذكرت تقصيري غير المتعمد والله! وإنما فرضته ظروف ومقادير! وتذكرت أنني لم أغسل ولم أكفن ولم أصل ولم أشيع فبكيت!

يا عزة الخير والذكرى لها طللٌ
بوالـديّ ووالـديك يتصلن
إذ مات من مات لم أشهد جنازته
ولم أشيخ ، ولم أحق بمن حملوا
ولم أعز كما عزى الألى حضروا
كما قضى شرعنا والعرف والمثل!
فقال قوم: يُرى قد باع عشرته
وقال قوم: غدت دنياه قبلة
ويشهد الله لم أبغ مودة من
يـبش إن أقبلت ، وبعذ يحتفل
وما انشغلت عن الأحباب ، بل قدر
وما احتفلت بدنيا ، أو بششت لها
وما غدت قبلي دنيا ابتليت بها
ليغفر الله تقصيراً رميتُ به
بهم تبلغت ، حتى كان لي أمل
أفضى إلى غربة مصابها جـل
وذات يوم أنا عنها سارتحل
هذي وربى - على التحقيق - معتقل
وكم بهذا الدعاء الفذ أبتهل!

(الخاطرة الرابعة والعشرون)

كم من أناس عندما مرضوا أعرضوا عن اللجوء إلى الله والدعاء والانتكسار بين يديه جل وعلا. فليتهم إذ مرضوا لجأوا إلى الله خاشعين منكسرين! وأهل التوحيد إذا أصيبوا ببلاء أو مرض صبروا ولجأوا إلى الله وحده واستعانوا به وحده جل جلاله. فلنتأمل البلاء العظيم الذي ابتلي به أيوب – عليه السلام – فقد ابتلاه الله في أهله وماله وولده وجسده لله حتى ما بقي إلا لسانه وقلبه ، ومع هذا كله كان يُمسي ويُصبح وهو يحمد الله ولم يشكَّ حاله إلا إلى الله جل وعلا! وبعد سنين من البلاء والمرض رفع يديه إلى الله بكل ذل وانكسار: (رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) ، فجاء الجواب من الجواد الكريم: (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمةً من عندنا وذكرى للعابدين) ، ومدحه ربه سبحانه بقوله: (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب). وتحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد ما نصه: (إن من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى على عباده أن متعهم بالعافية ورزقهم الصحة والسلامة ؛ كالتاج على رؤوسهم لا يراه إلا المرضى الذين يرقدون على فراش المرض يننون ويتوجعون ، ويتألمون أثناء الليل وأطراف النهار ، وهم تحت رحمة الله جل وعلا ؛ ثم عناية من حولهم من الأهل والأطباء والممرضين لا يملكون لأنفسهم حيلة ، ولا يجدون مهرباً مما هم فيه إلا بفضل الله ورحمته).هـ. وكنت قد شردتُ بخيالي في تهم رماني بها المغرضون من بيع العشرة والإقبال على الدنيا والعزم على اللادعة ومجافاة الأهل والأحباب والأصدقاء! تلك التهم الشنيعة التي سببها الاغتراب الجبري الطويل! ونعود بإذن الله تعالى وقد أزال الله الغمة وأزاح الطغمة ورفع شأن البلاد والعباد! إنه سبحانه لما يشاء قدير!

يا عزة الخير حامت حولي التهمُ
وكم أسوقُ من التبرير ملتمساً
أقول: ساحة أهلينا لقد برئت
غزا الديار طغاة لا خلاق لهم
فأصبحت عودتي للدار معجزة
أعودُ رافع رأس لا أطأطنها
أعودُ أصنع مجداً عشت أحرسه
أعودُ أكملها مسيرة بُدنت
أعودُ أنشرُ شعراً قلّ ناشره
أعودُ أحملُ أفكاري لعاشقها
كأنني لم أعش بالدين ألتزم
عفو القضاة الألى قد حكموا!
والعيبُ في الدار إذ حلت بها النقم
والله من تقم من الألى ظلموا
حتى تُزايها الداءات والإزم
إلا لرب به في الكرب أعتصم
من الضياع ، فلا يُودي به العدم
من أربعين مداها الطرس والقلم
لأن زبدته الأخلاق والشيم
حتى تُغرّد في أصقاعنا القيم!

(الخاطرة الخامسة والعشرون)

(تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد: (لأن الأمراض والأوجاع مما يُبتلى به عبادُ الله في أجسامهم وأنفسهم فلا ينعمون بطعم الحياة ولذّة الصحة ، وربما حُبسوا على فراش المرض دونما قيامٍ أو قعودٍ أو حركةٍ ، الأمر الذي تثقل معه الأجسام ، وتتعطل معه الحركة ، وتقلّ به الصُحبة ، وتضيق معه النفس ؛ فقد رأيتُ من واجبي أن أكتب هذه الرسالة لإخواني المرضى مُواسياً لهم ومُشاركاً ، فعسى أن يكون بين أسطرها تخفيفاً لآلامهم وأوجاعهم ، وتذكيراً لنا جميعاً بفضل الله ورحمته. وفيها أقول مستعيناً بالله وحده: • يا من تعلم أن ما أصابك ليس إلا بقدره الله تعالى ، أحسن الظن بالله سبحانه حتى يُهَوّن عليك ما أنت فيه من مرض ، فإن الله لطيف بعباده. واعلم أنك متى أحسنت الظن بالله سبحانه شعرت بالرضا ، وهان عليك مرضك لأنك على يقين تام بأن الله لا يُقدّر إلا الخير ؛ ثم إن من قدّر عليك المرض ليس إلا أرحم الراحمين الذي هو أرحم بخلقه من الأم بولدها. • يا من ابتليت في صحتك وعافيتك ، أحمد الله تعالى أن ما أصابك من مرض أو ابتلاء لم يكن في دينك فإن المصيبة في الدين هي الخسران المبين. واحذر من التسخط وإظهار الجزع ، وعدم الرضا بالقدر فإن ذلك مما لا يليق بالإنسان المسلم ولا يجوز له بحال من الأحوال. • يا من تطمع في رحمة الله تعالى وفضله ، لا تنس أن المرض كفارة – بإذن الله – للذنوب والخطايا ؛ فاستبشر خيراً بلطف الله تعالى ورحمته ، واعلم أن مُصيبتك أهون من مصيبة غيرك ؛ وأن هناك من هو أشد منك بلاءً ، وأكثر ألماً ووجعاً).هـ. فاستمسكي بالتقوى يا أم عبد الله ، واستعيني بالله واصبري! وأحسني الظن بالله تعالى ، ولا تركني لأي ظالم مغرض! والله معك ناصرًا ووكيلًا!)

يا عزة الخير تقوى الله والسنن
فاستمسكي بغرى التوحيد ، واتبعي
واسترجعي دائماً في كل نائبةٍ
وراجعي النفس في كل الأمور ، فلا
وادعي الإله إذا مسّتك نازلة
إياك أن تركني إلى الألى ظلموا
واستكثري من فعّال الخير أجمعها
وأحسني الظن بي ، إما أتى خبرٌ
أراك أكبر من قوم بنا مكرّوا
فبادليني شعوراً عشنت أبنائه
حبّل النجاة لنا إن سادت الفتن
هُدى النبي إذا عمّ الورى دخن
وحوقلي ريثما تُطوى لنا المحن
تعصي المليك ، ولا يحلو لها الوهن
فليس تبقى إذا طال الدعا إحن
خاب العباد لعات ظالم ركنوا!
إن الثواب بفعل الخير مُقترن
إني - بما يفتري الوشاة - ممتحن
سرّي لديك ، وطبعاً عندك العن
حتى يزول أسى في القلب محتقن

(الخاطرة السادسة والعشرون)

(تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد: (يا من فقدت طعم العافية ، لا تُكثر من الشكوى والأنين ، فقد كان السلف الصالح يكرهون ذلك لما فيه من الضعف وعدم الصبر. وعليك بكثرة الذكر تسبيحاً وتحميداً وتكبيراً وتهليلاً ، واحرص - شفاك الله - على لزوم الاستغفار واللجوء إلى الله سبحانه ، فإن في ذلك فرجاً لك ومخرجاً مما أنت فيه من ألم وهم ووجع وضيق ، فقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب". (رواه أبو داود). وعليك أن تُكثر من الدعاء الصادق والإلحاح في الطلب ، فإن الله جل جلاله يُحب من عبده أن يسأله ، ومتى علم سبحانه وتعالى من العبد الصدق والإخلاص أجابه وحقق رجاءه ، ورفع عنه ما يشتكىه بعزته وقدرته سبحانه. • يا من كثرت همومك وزادت أوجاعك ، تذكر أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وإياك والوقوع فيما يسؤله الشيطان لبعض المرضى الذين يظنون أن السبيل إلى نسيان الآمهم ، والتخفيف من أوجاعهم ، والترويح عن أنفسهم لا يكون إلا بسماع الموسيقى والغناء المحرم). هـ. فيا أم عبد الله جدي في كل أمورك وقولي الحق وإن كان مرأً واعلمي به ولو كان صعباً! وفاصلي أهل الهزل والاستهتار والنزق! وآثري أهل الآخرة ومن يعملون لنيل كرامة الدنيا وشرف الآخرة بالعمل الصالح وتقوى الله! والزمي طريق الفضيلة ولا تضرك قلة السالكين! وابتعدي عن طريق الرذيلة ولا تغرك كثرة الهالكين كما قال ابن القيم - رحمه الله-!)

يا عزة الخير لا يغررك من سفهوا
ضلوا الطريق إلى الرشاد ، فاحرفوا
وحاربوا الحق حرباً نارها استعرت
عليك بالحق مهما كان مغترباً
هم السبيل لنيل الخلد جائزة
وأن أهل التقى خير ملازمة
هم قد أحلوا الذي أحل خالقهم
وحرّموا كل ما المليك حرّمه
وغلّبوا الزهد في الدنيا وزخرفها
بل جلّهم عملوا فيها لآخرة
من الذين إلى الضلالة انتبهوا
واستعذبوا السوء يزكي ناره البله
وقودها القهراً والتضليل والعَمّه
وصاحبي القوم دين الله قد فقهاوا
عاشوا وكان لهم بربهم وآله
إذ لم يعكّر صفا إيمانهم شُبّه
وللحنيفة - في تشريعها - أبهوا
وزايلوا الناس في تفكيرهم سفه
فلم يكن لفتى منهم بها شره
شأن التقاة - إلى نجاتهم - نبهوا

(الخاطرة السابعة والعشرون)

(تحت عنوان: (بلاء المرض وكيفية العلاج) يقول الدكتور عصام بن هاشم الجفري ما نصه بتصرف بسيط: (اتقوا الله عباد الله واصبروا على ما أصابكم من البلاء فإن الله لا يضيع أجوركم. هذه الدنيا دار ابتلاء ومن الناس من يبئلى بالسراء ومنهم من يبئلى بالضراء أخبر عن ذلك ربنا بقوله: {كُلُّ نَفْسٍ دَانِقَةٌ الْمَوْتِ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا تُرْجَعُونَ}. وأكثر البلاء تكراراً على الإنسان هو المرض ، وذلك لحكمة ربانية بالغة حتى لا ينسى الإنسان الصفة الملازمة له التي ذكرها له ربه في كتابه بقوله: {..وَأَخْلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا}. فهو مهما بلغ وزنه واشتدت عضلاته وغرته صحته يصرعه مخلوق صغير لا يرى ويجعله طريح الفراش لا يقدر على الحركة ، وقد يكون سبباً في أخذه إلى المقبرة وتختم حياته على هذه الأرض ، والإنسان إذا مرض ذهب للطبيب وتناول الدواء ، وقد تجرى له جراحة أو جراحات ، كل هذا أسباب مأمورون بالأخذ بها ، لكن من الشافي؟ من المعافي؟ إنه الله ، ولا يمكن أن يشفى مريض ولو اجتمع له أحذق أطباء العالم إذا لم يأذن الله في الشفاء ، وتعالوا واسمعوا معي لإيمان الأنبياء الذي خلده الله في كتابه عن إبراهيم عليه السلام بقوله: {وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}. ليس هذا في حال المرض فقط ، بل كل بلاء أو ضراء تصيبك فلا يكشفها إلا الله قال سبحانه مخبراً عن ذلك: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. هـ. فاغتنمي أوقاتك يا أم عبد الله فإنها خزانك! واعلمي أن كثيراً ممن حولك فنة من فنتين: إما عالقات فتعلمي منهن العلم ، وإما جاهلات فعلميهن مما علمك الله سبحانه! ولا تنتظري سؤالهم بل ابدنيهم بالسؤال وحدّثي عن ربك ونبيك ما تعلمين من العلم!

يا عزة الخير لا يلعب بك الزهو
جدي كما جدّ أسلافنا سلفوا
وأسديهم حُـبِّ لفاظهم
تخولي القلب بالذكير تبصرة
وناصحي الأهل ، لا ترضي ترهلهم
وعلمهم من القريض أعذبه
ونظمي حلقات العلم تُـحفهم
ولقتيهم أصول العلم دون هوى
لا تكتمي العلم يحتاج الجهول له
وسامحي من نأى حيناً بجانبه!

ولا يملك عن المثوبة اللهو
وطاب عيش صواهُ الودّ والصفو!
والخوف منه ، وأسّ بعده الرجو!
جهرراً إذا استشكل الإسرار والنجو
أودى بهم جهلهم والصد والغفو
ولا يكن صارفاً عن ذلك النحو
حتى يزول ردئ القول واللهو
حتى يُـزين بالحقائق الجو
حتى يكون له بين الورى شأو
زين النساء العطا والجود والغفو

(الخاطرة الثامنة والعشرون)

تحت عنوان: (بلاء المرض وكيفية العلاج) يقول الدكتور عصام بن هاشم الجفري ما نصه بتصريف بسيط: (من نعمة الله أن من ابتلاه الله ببلاء أو مرض فإنه يكون كفارة له ورفعته في درجاته. أخبر عن ذلك الصادق المصدوق بقوله: (لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ ، فِي جَسَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يُلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ). (الأدب المفرد ، كفارة المريض ح(494)[صححه الألباني]) ، الله أكبر ما أعظم تأثير هذا الحديث في تحمل البلاء والمرض فهل هناك أعظم وأسعد من أن تلقى الله وليس عليك خطيئة ، إنها السعادة الكبرى، فليعمل المبتلى بها نفسه ، وعليه فإنه كل ما كان مرضك أكبر وألمك أشد كان أجرك عند الله أكبر متى ما احتسبته ، وكم من الناس من يتسخط عياداً بالله حال البلاء أو المرض ولا يصبر على قضاء الله فيرسب في الامتحان فينفذ فيه قدر الله ويحرم الأجر! والحبیب صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ) (الترمذي - ماجاء في الصبر ، ح(2320). فليعلم كل مريض أنه في نعمة من الله وأن هذا المرض قد يكون من دلائل محبة الله له ، فليصبر وليحتسب ولينتظر الفرج ، فكم من مريض بداء لا نهاية له إلا القبر عافاه الله وعاد يدب في هذه الحياة ، وكم ممن دخل المستشفى في مرض بسيط عاد أهله ليتسلموه من ثلاجة الموتى ، فالله الله في الصبر والاحتساب فإن الله وعد والله لا يخلف الميعاد بقوله: {إِنَّمَا يُؤَفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}! وهنا أتخيل أم عبد الله ظبية أنهكها الجري في رحلة طالت! ولم تكن وحدها التي أنهكت ، بل أنك ظبيها العدو معها في اغتراب طال عن الحد لحكمة يعلمها الله تعالى!

يا عزة الخير أوهى ظبيتي الجري
أعيتته همته عن اللحاق بها
وزادها الناس من عيونهم حسداً
لم يرحموا غربة أدمت كرامتها
فكابدت ظبية في عيشها شظفاً
في الأربعين وتسجدي تحملها
في عيشة قلبت ظهر المجن لها
وتحت إمرتها الطبيبات طيعة
دهى السقام بلا رفق شبيبتهما
فلتصبري ظبيتي في مرر معترك
ومن تتبعتها ترهل الظبي
فهذه الوهم والإيلام والأي!
حتى طواهم أذى العيون والعي
وزاد ضنك الحياة الظلم والبغي
والسير أنهكها ، وقبله الجري
إذ ليس يسعفها عدو ولا مشي
وغربة هي عن أوطانها نفي
واليوم لما يعد أمر ولا نهى
والطب ما عنده لبرئها هذي
مهما حلا للظبا من حولك الرعي

(الخاتمة)

(روى الطبري وصححه الألباني عن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما اختلج عرق (أي اضطرب ولا تحرك عرق) ولا عين إلا بذنب ، وما يدفع الله أكثر". وقال ابن سيرين - رحمه الله - : "إني لأعلم الذنب الذي حرمت به قيام الليل أربعة أشهر ذاك أني قلت لرجل: يا مفلس!" قال أبو سليمان الداراني: "قلت ذنوبهم فعرفوا من أين أتوا وكثرت ذنوبنا فلم ندر من أين نؤتى". وروي أنه كان في زمن حاتم الأصم رجل يقال له: معاذ الكبير. أصابته مصيبة ، فجزع منها ، وأمر بإحضار النائحات وكسر الأواني. فسمعه حاتم فذهب إلى تعزيتة مع تلامذته ، وأمر تلميذاً له. فقال: إذا جلست فاسألني عن قوله تعالى: {إن الإنسان لربه لكنود}! فسأله فقال حاتم: ليس هذا موضع السؤال. فسأله ثانياً ، وثالثاً. فقال: معناه أن الإنسان لكفور ، عداد للمصائب ، نساء للنعم ، مثل معاذ هذا ، ان الله تعالى متعه بالنعم خمسين سنة ، فلم يجمع الناس عليها شاكرًا لله عز وجل. فلما أصابته مصيبة جمع الناس يشكو من الله تعالى؟! فقال معاذ: بلى ، إن معاذاً لكنود عداد للمصائب نساء للنعم. فأمر بإخراج النائحات وتاب عن ذلك. وسار أحد العلماء ومعه أحد طلابه فمرت امرأة فأطلق الطالب بصره فيها ، فقال الشيخ: "والله لتجدنَّ غيها ولو بعد حين" فنسي القرآن بعد أربعين سنة ، وقد كان حافظاً له. نعوذ بالله من سخطه وعقابه. وذكر ابن القيم - رحمه الله - بعضها في إغاثة اللفهان: ومنها: حصول الإخلاص في الدعاء ، وصدق الإنابة إلى الله ، والالتجاء وشدة التضرع بمن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ...} ومن فوائد الابتلاء: تمحيص الذنوب ، وبلوغ الدرجات العلية في الجنات".

يا عزة الخير حرّكتِ الجوى فينا
وبات سُقْمكِ آلاماً تعزينا
شفاكِ ربكِ يا نبراسُ أسرتنا
أمنية تلك من أغلى أمانينا
آهاتك اليوم من آهاتنا انبثقت
ونارُ جرحكِ رغم الأنف تكويننا
هذي الشرابين لو تدري مصيبتنا
لقاومتُ ، واتقت رب السما فينا
وقلبك الغضّ يضمننا توجعه
شفاه رب البرايا ، والشرايينا
وغدتِ سالمة من كل موجعة
فلا تُعانين مما عشته حيننا
وبؤتِ بالخير جلو ما ابثليت به
حتى نراك هنا في خير عافية
تستوعب الدين والحياة والدينا
كي تنعمي بحياةٍ كلها رغد
يكون طابعها التيسير والليننا
وأختم الخاطرات الغيد منتظراً
رضاك عنهنّ ، قلبي قال: آمينا

أنت أدري بما جرى

(هناك في الصف السادس الابتدائي من المرحلة التأسيسية ، قام أحد الطلاب بوضع ساعة زميله التي تركها على طاولته في جيبه عازماً على أن لا يردها له ثانية! ولما عاد الثاني صاحب الساعة لم يجدها ، فسأل الحاضرين عنها بما فيهم السارق فأنكر الكل! فعمد معلم اللغة الفرنسية إلى حيلة بسيطة وهي أن يفتش كل طالب بحثاً عن الساعة المفقودة! فقام بوضع ضمادة على عيني كل طالب ، وتظاهر أنه قد وضع ضمادة على عينه هو وإن لم يُحكمها! وقام بتفتيش الكل تفتيشاً ذاتياً فوضع يده في جيب كل واحد منهم ، ولما وصل إلى الساعة في جيب أحدهم أخذها ووضعها خلف الباب قريباً من الطالب صاحب الساعة! وستر على السارق مبتغياً وجه الله تعالى! وبعد قليل عادوا إلى أماكنهم ، وأمر المعلم أحدهم أن يغلق باب الصف ، وعندها اكتشف أن الساعة ملقاة خلف الباب فأعهاها إلى صاحبها وأغلق المعلم ذلك الموقف التعليمي بتربوية فائقة سلم فيه الجميع بما فيهم السارق! ومرت السنون وتخرج الطالب السارق هذا في الجامعة والتقى بالمعلم ذاته في إحدى الحفلات التي دعي إليها كل منهما! وسأل الطالب المعلم مماًزحاً: أما زلت تذكر قصة الساعة وسارقها؟ فقال المعلم: بلى! فقال الطالب: أنا السارق فهل تعرفني؟ فأجاب المعلم: وإن كنت أعرفك فهل أجيب بنعم؟ لقد سترت عليك صغيراً فهل أفضحك كبيراً يا بني؟! فعقب الطالب قانلاً: لقد توقعت يومها أنك سوف تفضحني وسوف تكشف أمري لهم! والعجيب في هذه القصة أن المعلم كان يعرف السارق منذ البداية ، ولكنه استمر على ستره في جموع الحاضرين! وأضاف الطالب: لقد كانت آخر سرقاتي يا معلمي! فلقد تبت عن أخذ ما ليس لي إلى الأبد! وبرغم اعتراف الطالب وتعقيباته ظل المعلم على ثباته من أنه كان يعرف الطالب السارق! فتخيلت نفسي ذلك المعلم أقول للطالب هذه الكلمات التي صغتها في قالب شعري على بحر الرمل!)

وحدك العارف بالأمر فقلن	وأنا أفهم ما تحوي الجملن!
وحدك الحاكي لأندى قصة	عن طفيل عابه ما قد فعل
وحدك المدرك للرمز خبا	نجمه عنا ، فأعيثنا الحيل
وحدك القارئ تاريخاً مضى	وغدا الموقف يُروى كالمثل
وأنا السامع ما تلقى على	مسمعي ، والقلب يحدوه الأمل
جبل عمري اليوم ولي مدبراً	ثم إن الرأس بالشيب اشتعل
فاعذر الأستاذ ، هذا حقه	واسأل الرحمة ، إن حان الأجل
قد سترت العيب ، هذا واجبي	وتجاهلت الفتى يأتي الزلزل
أثراني اليوم أفشي عامداً	ما عليه السترُ دهرأ منسدل؟
من علمت دون عيب ظاهر	منه بين الناس يغشاه الخجل

ثم قال الناس: هذا يُعْتَزَل؟
حيث لغزُ ما له بالعقل حل
خون الكَلِّ ، ونادى: ما العمل؟!
أنه آتٍ بهما مهما حصل!
ضارباً ذا ، وعلى ذاك انفعَل!
استرق البعض ، والبعض استنل
وتمهل في الدعاوى ، واحتمل
إنها في القلب مني والمقل
فقدُها لا ، ليس بالأمر الجلل!
وبها بين صحابي أحتفل
واحقن الغل ، فنصف العجز غل!
مغمض العينين كيلا أستدل!
أحقت درسَ (الفرنسي) بالشلل!
لست أدري جيبَ مَنْ كيلا يُزل!
عند مولانا المُعز والمذل

مَنْ علمت لم تفحُ أخطاؤه
حيله بين الصغار احتلتها
كيف ضاعت ساعة صاحبها
وتحدي سارقاً خبأها
واعتدي بالقول والفعل معاً
وكان الكل عُبدانٌ له
قلت: يا هذا تصبر ، واحتسب
قال: أحضرها ، وجنبي الخطا
قلت: كلا ، ساعة مهما غلت!
قال: ذي من والدي جائزة
قلت: صدقني ، ستلقاها ، فثق
ثم فتشيت الجميع عامداً
فالتست ساعة اليد التي
ثم في جيبك أمسكت بها
وسترت الأمر أرجو أجره

الشعر قواعد وقضايا (حروف الجر)

(وعدت بلبل الجزيرة العربية وشادي الضمانر وحادي الأرواح ومنشد القلوب الأستاذ ظفر بن راشد النتيفات بكتابة هذه القصيدة للمساهمة في مجموعة قصائد الأسرة النحوية متأثراً في ذلك بابن مالك والسيوطي قديماً حيث ألفية كل منهما هذا في النحو وذلك في الحديث! ومتأثراً بالشاعر الأستاذ زياد المنيفي حديثاً ، فلهم السبق! ولي شرف المحاولة بإذن الله!)

دونما إكفاءٍ ولا إصـرافِ	مين قديم والقلبُ يهوى القوافي
تنشد الرمز ما بدا ، والخافي	والى الشعر النفسُ ترتاحُ دوماً
سالياً بالأوزان ، والأطيفاف	عين قضايا يُعنى بها كل فـذٍ
ذوق شـادٍ ، ولا تـرنم هـاف	وعلى بحر مـاتع لا يُجافي
إن ربي - على التقى - كم يكافي!	فى التزام بشـرع رب البرايا
واعتصم بالمستعان الكافي	بـاتباع لهـذي أسـمى رسـول
مسلمين في سؤددٍ وطـراف	كـالألى هم أصحاب (أحمد) عاشوا
فأعزوا من بعد الاستضعاف	لـرضا المولى أخلصوا واستكانوا
زين - والله - بالسنا والقوافي	إن شـعراً يُطـريهم لشـريف
يبتغي ما عند المليك الشافي	فاز تـبـا الله العبدُ يكتبُ شعراً
ثم ذكرى عن خيرة الأسلاف	رُبَّ شـعر أبياتـه مـخضُ ذكـر
من معين سام ونبع صافي	مسـتهل القصـيد حتـى ختام
لفظة ، أو يعمد إلى الإسفاف	مـذ تـلا النـص شـاعرٌ لم يُطـوع
مثل هذا يحيا بالاستعفاف!	فـعدا نص في الهدى ليس يتلو!
حب دنيا مذمومة الأوصاف	مثل هذا حاشيا ه أن يعتريه
لم يصف (ليلي) بعد وصف (عفاف)	مـنذ دهر خطـثه يُمنى يراع
أن يزين مسامع الأشراف	إن شـعراً خيلا من السخف أولى
موقظاً فينا كل ساهٍ وغاف	فـمع الشـرع الشـعرُ يسـمو ، ويصفو

حجة مكتوبة

(استطاع ذلك الطبيب أن يدخر المال الذي يؤدي به حَجَّتَه الأولى ، ذلك الأمل المنشود منذ سنين عدداً! فإذا به يُبتلى بطفل مريض فقير يحتاج علاجه ذلك المال الذي نذره لحجته. فضحى بماله ذلك الطبيب الذي يعمل في عيادة خاصة ، وذلك بعد أن رفض المدير العام بالمستشفى علاج الطفل مجاناً. وشكرت أم الطفل الفقير هذا الجميل من الطبيب. واستقبلت المستشفى الخاصة الطفل ليستأنف العلاج. ودعا الله تعالى ذلك المتصدق بأن ييسر له الحج ، ولو من قابل إن شاء الله. واستجاب الله تعالى حيث قرر مدير المستشفى الحج مصطحباً معه طبيبه الخاص المرافق الذي اعتذر ليحل محله الطبيب المتصدق! فإيا لها من مفاجأة سارة! ويفرّح المدير بموافقة الطبيب المتصدق هذا ، ويُصدر قراراً بعلاج الفقراء مجاناً على حساب المستشفى ، ويرد المال للطبيب المرافق المتصدق ، بل ويقرر المدير أن كل فقير يقدم أوراقه الثبوتية التي تستدل بها المستشفى على حالته وعجزه عن الإنفاق ، يعالج في المستشفى مجاناً ابتغاء وجه الله تعالى! فكانت حَجَّة الطبيب المتصدق مكتوبة ومجانية وإن شاء الله مقبولة! وهذا أحد المسافرين رأى شاباً غضاً ممدداً على سيارته غائباً عن شعوره لا يرى عليه أثراً لحادث أو سبباً مباشراً لهذه الحال ، لم يتح لنفسه كثيراً من التساؤلات ، بل قطعها باغاثة هذا المسكين ، فما أن أمسكه بيده ، حتى أحس بحركة بطينة في يدي هذا الشاب ، يشير بيديه إلى أنفه وفمه ، مبيناً له بذلك أنه لم يعد له نفس يعيش به ، فرح صانع المعروف بحياته ، وأحس بأن الله أرسله إليه لينقذه على يده تحرك بسرعة لأخذه إلى طبيب حاذق في شأن أمراض الصدر بمدينة قريبة ، فما إن وصل إلى هناك قام الطبيب بالأمانة الملقاة على عاتقه خير قيام ، وصانع المعروف واقف على رأسه يرقب ذلك النفس المتقطع والصدر المتحشرج نسي سفره الذي خرج من أجله وترك الدنيا من ورائه ، وأقبل على إنقاذ روح كادت أن تفارق صاحبها ، ليعيدها بأمر الله إليه ، لا لمعرفة سابقة ، ولا لمصلحة دنيوية لاحقة ، إنما حب صنيع المعروف الذي أكرمه الله به ، وما زال كذلك يرقب الشاب بعينه ، ويحيطه برعايته ، ويلهج لسانه بالدعاء له ، أن يمن الله عليه بالشفاء ، ويعيده إلى الحياة ، وشيئاً فشيئاً حتى سمع الأنفاس تتراجع ، والأزمة تخف ، والأطراف تتحرك ، وبدأ نور العينين يخفق ببصيص من الحياة ، وصانع المعروف يحدق في وجه الطبيب يبحث عن الأمل في وجهه ، يتلمس ابتسامة النجاة على ثغره وبدأت الحياة تدب في أوصال ذلك الشاب ، وبدأت أسارير وجه الطبيب تتهلل بشراً ، وتبشر بالحياة من جديد ، حينها تعرّف صانع المعروف على هاتف منزل أهل المصاب من المصاب نفسه ، واختفى من المستشفى حتى لا يتعرف عليه أحد ، وذهب ليتم معرفته بنجاح وحكمة ليتصل على أهل المصاب فأخبرهم خبير ابنهم ومكانه. ولكن: من أنت أيها المتحدث؟ من أنت وفقك الله؟ من أنت يا صانع المعروف؟! أخبرنا باسمك ، دعنا نحدّث الناس بشهامتك ، دعنا نصف للناس معروفك ، دعنا نردُّ لك شيئاً من جميلك ، وأي جميل يمكن أن يُرد لمثلك وقد كنت سبباً في رد الحياة إلى ابننا بإذن ربه سبحانه ، أما لنا نصيب من إكرامك ، والإحسان إليك؟ فاعل خير. فقط. كلمتان أجاب بهما صانع المعروف محتسباً أجره على الله الرحمن الرحيم ، ألا بوركت يا صاحب الخير كفاك ، وسددت خطاك ، وحفظك الله من كل سوء ورعاك ، وبارك الله لك في صحتك ، وحياتك ، وذريتك ، وجعل الجنة مأوانا ومأواك. ينبغي على المسلم ألا يتردد أن يقضي حاجة لأخيه ، ولو على حساب وقته أو جهده! إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ). رواه البخاري. ويقول كذلك: (وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهِ أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةً). متفق عليه. ونعود للطبيب الموفق!)

نفسُ جوودي بالحمد في كل خطبٍ واشفعي التقوى عن خشوع بتوبٍ

واذكري حَجّاً فاتني باختياري بل يقيناً هذي إرادة ربي

والمقـاديرُ صُنـعه دون ريب
ليس أمرٌ - على المليك - بصعب!
كي أحجّ من خـر مالي وكسبي
كي أرى خلماً كان يسكن قلبي
وأنا أسعى كي أحقق إربي
بأئين يـأوي لغـوثٍ وطـب
مُدلياً دَلوي مُخرجاً ما بقلبي
كي يزول - عن صاحبي - شر خطب
فاحتواني همّي وغمّي وكربي
والفقيرُ المعوذ لا يأتِ صوبي
مع تقديري واحترامي وحببي
ومداواة الطفل والله حسبي
ويقول: أرجو رفيقاً بجنبي
فيقول المديرُ: قد طال دربي!
وعليّ الإنفاق في خير ركب
وهو أولى من أي خل وترب
بقرار فصل ورأي عذب
قبل أن أمنى - في حياتي - بشيب
ليس فقرُ الإنسان يوماً بعيب
حيث قال: الله المهيمن حسبي

إن ربي لما يشاء قديرٌ
إن يشأ فالأقدارُ تأتي تباعاً
إنني قد نذرتُ مالي لحجي
والألوفُ تمّت ، وتكفي لحجي
من عقودٍ مرّت كمثـل قرون
فابتليتُ بالطفل يخالع قلبي
فانتويتُ أن أخدم الطفل جهدي
قد مددتُ كف العطاء احتساباً
عندما المستشفـى قلنّه بعيداً
أعلنتها: بالمـال أفتح بابي
قلتُ: كلا ، علاجه بنقودي
ليس حجي مما يعاني بأولى
وإذا بالمدير يقصدُ حجاً
وإذا بالرفيق يُبدي اعتذاراً
ثم أوصى تخيروا لي رفيقاً
قيل عني: تصدق اليوم طوعاً
فاصطفاني المديرُ من دون غيري
قلتُ: مرحى بمن يُحقق حلمي
يا مديرٍ رفيقاً بأهل البلايا
فارحم الطفل ، واحتسبْ وتحملن

الإحسان أسمى عبادة (أفعال تنصب مفعولين)

(مساهمة مني في الأسرة النحوية التي أنشد أغلب قصاندها منشدنا الكبير الأستاذ ظفر بن راشد النتيفات ، أنشدت هذه القصيدة في تحديد ثلاثين فعلاً تنصب مفعولين! جمعتها من كتب النحو العربي في القديم والحديث! وتعمدت أن لا أورد إلا الأفعال التي عليها إجماع أو شبه إجماع من النحاة واللغويين والمناطق العربية الخالص! وكنت قد فعلت ذلك كيلا يستظل الشعراء الآخرون بهذه الشجرة وقد حُرمت ظلها! إن كل مساهمة في إثراء اللغة العربية تعتبر مساهمة في خدمة القرآن الكريم لأنها لغته! ومهما بذل علماء العربية في خدمة لغتهم ، فأراهم مقصرين في خدمة العربية مقارنة بأختها الإنجليزية! وإننا لنفتخر بلغتنا العربية ونسأل الله أن يغفر لنا تقصيرنا في حقها! وعسى الله أن يعينني على نظم أبياتٍ أخرى تسهل على الدارسين فهم اللغة العربية والإلمام بنحوها وصرفها! والإخلاص لله تعالى صنو الإحسان ، فإن المسلم يعمل العمل ، ويظن أنه على شيء وليس كذلك. قال سبحانه: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخَلِّفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ). وإن أقواماً يأتون يوم القيامة ، فيبدوا لهم ما لم يكونوا يحسبون ، كما قال الحق سبحانه: (وَيَدَّأ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ). وإن آخرين يظنون أنهم يحسنون صنوعاً ، وليسوا كذلك. قال سبحانه: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا). وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة. متفق عليه. فإذا لم يكن العمل خالصاً لله عز وجل كان سبباً في ضلال وانتكاس صاحبه ، وكان وبالاً على صاحبه يوم القيامة. قال سبحانه: (وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ). وقال جل جلاله: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمًا) والاعتصام بالله يكون بالتمسك بحبل الله المتين ، التمسك بالقرآن العظيم. قال صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله). رواه مسلم. وكذا التمسك بالسنة. والقرآن يهدي للتي هي أقوم في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فواضح مما تقدم. وأما في الآخرة فلقلوله صلى الله عليه وسلم: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها). رواه أحمد وأصحاب السنن. وتكرر في الكتاب العزيز وصف القرآن بأنه هدى ورحمة للمؤمنين.)

المحسَنُ مَنْ يُعْطِي الْفَقْرَ	لا يعرِفُ بُخْلًا أو بَطْرًا
يَمْنَحُ	محتاجاً درهمه
يَهْبُ	المسكين بلا ضجر
يَكْسُو	العريان ، ويسـتره
يَلْبَسُه	من خير ثياب
وَيُسَمِّي	الفقراء (نشامى)
ويزِيدُ	لهم في منتهه
والصـدقة لا تـنقص	مـالاً

وبحـال ضـحاياها خـبـرا
فاشـتغل بها ، ولها ادخـرا
يبلغها العبد إذا ادكـرا
وتسوق الجناة والنهـرا
درباً لا يسأل عنه سـقرا
ويحبب الله المقتـدرا
إذا فتنت - بالوهم - البشـرا
فله يسعى ، وبه بصـرا
فتوقى السيء والخطـرا
فسعى فيه ، وبه ابتشـرا
كي ينجو ، لا يصلى سـغرا
وذنوب العبد لقد غفـرا
أن يجنوا العزة والظفـرا
وأعد المـطعم والسـزرا
إذا كانوا - في الطاعة - صـبرا
ينظم البهجة والسـمرا
ورأوا حقاً تلك البشـرا
يا فرحة محظوظ عـرا
وعلى قلب فتى ما خطـرا
ونعيم أشرق وازدهـرا
والحور ، ومن بعد الثمـرا!

والمحسنُ قد علِم الدنيا
وجيد الآخرة هي الأولى
ودرى - بالحسنى - منزلة
ألفاه تعشق صاحبها
وتعلم راغبها التقوى
ويظن الخير بخالقه
لا ييزعم دنياه ووطنه
ويخال الخير طريقته
حسب الأعمال موصلة
هو عند الإحسان سبيلاً
واعتبر الحق ذخيرته
ما رد الله له طلبه
والمولى وعند أولي التقوى
جعل الفردوس لهم نزلاً
واتخذ من الأمة شهاداً
صيرهم في أطيب عيش
تخذوا الغرفات لهم مأوى
والمولى أبى لهم داراً
فيها مالم تيره عين
فيها مالم أذن سمعت
رباه أنلنا أطيبها

خاب ظني في الأميرة

(إحدى الأميرات الميسورات المليارديريات كانت قد نصبت حولها هالات الكرم المزعومة المفتراة المدعاة! وقصدها أحد الفقراء المساكين الذين تعرفهم هذه الأميرة بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً ، وهم أيضاً يعرفون هذه الأميرة بشحها وبخلها رغم هالات الكرم المزعومة وطقوس الجود المفتراة ومراسيم التفضل المدعاة! أراد هذا الفقير المسكين أن يضعها في اختبار في مبلغ لا تتجاوز قيمته شراء إحدى مواد ماكياج الأميرة ولا إحدى قنينات عطرها! فسقطت في الاختبار وفشلت فشلاً ذريعاً! وراح صاحبنا يقولها لمن ينافقون الأميرة مُعَرَّضاً بنفاقهم لها ، وقد أشهدهم منذ البداية على الاختبار: (خاب ظني في الأميرة!) والأصل أنه لم يخب ظنه فيها ، فهو يعرف حقيقتها ويُدرك كنهها جيداً! ولكنه أراد أن يُثبت لمن ينافقون ويمسحون الجوخ ويحرقون البخور ويقرعون الطبول ويدفون الدفوف وينفحون المزامير ويضربون الودع ويقرأون الكف من حفنة المرتزقة حول الأميرة ما كرمها وما جودها وما تفضلها؟ فهذا من باب التنزل للخصم على ما يزعم ويدعي! وقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم محذراً أمته من البخل والشح: «إيَّكُمْ والشَّحُّ ، فَإِنَّهُ دَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَسَقُّوا دِمَاءَهُمْ ، ودَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَفَقَطَّوْا أَرْحَامَهُمْ ، ودَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَاسْتَحْلَوْا حُرْمَاتِهِمْ». (صحيح الترغيب). - وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة بخل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة». (حسنه الترمذي) ، وفي رواية «ولا جبار» وفي رواية "«ولا منان»". - وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث مهلكات ، فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه». (صحيح الترغيب ، وحكم المحدث: أنه حسن لغيره). وقال صلى الله عليه وسلم: «مثل البخل والمنفق ، كمثل رجلين عليهما جُبتان من حديد ، من لدن تديبهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق: فلا ينفق شيئاً إلا مادته على جلده ، حتى تُجِنَّ بَنَانُهُ وتَعْفُو أثره. وأما البخل: فلا يريد إلا لزمته كل حلقة موضعها ، فهو يوسعها فلا تتسع. ويشير بإصبعه إلى حلقة». (صحيح البخاري). وقال صلى الله عليه وسلم: «خلصتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق». (صحيح الترغيب ، وحكم المحدث: أنه صحيح لغيره). وكان صلى الله عليه وسلم يستعذ بالله تعالى من البخل فيقول: "«اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر». (صحيح النسائي). وقال صلى الله عليه وسلم: «إيَّكُمْ والظُّلْمُ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، والشَّحُّ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الشَّحُّ! أَمْرَهُم بِالْكَذِبِ فَكَذَّبُوا ، وَأَمْرَهُم بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا ، وَأَمْرَهُم بِالْقَطِيعَةِ فَفَقَطَّعُوا». (تخريج الحنائيات ، حكم المحدث: أنه مشهور ، وهو حسن من حديث أبي حفص عمر بن عبد الرحمن). وقال صلى الله عليه وسلم: «شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع». (صحيح ابن حبان). وكما قال الناس عن البخل وعرفوه بقولهم: (البخل هو أن يكون الشخص معه أشياء أعطاه الله إياها ولا يستغلها ولا يستخدمها لمجرد إحساسه بأنها لن تأتي مرة أخرى!) ومعلوم أنه هذا الشعور كان الدافع إليه الحرص الزائد عن الحد كما لا يخفى! ويعتبر البخل مرضاً كامراًض أخرى كثيرة ، ومن الصعب جداً علاج الإنسان من هذا المرض اللعين! فهو يُولد بهذا المرض بالفطرة ، والعياذ بالله من ذلك! ويلاحظ ذلك علي الطفل منذ صغره ، وهذا ليس له علاقة بالتربية ، وليكن معلوماً أن هناك فرقاً شاسعاً بين البخل والإسراف والإنفاق بالمعقول! فالبخل مرض ، ويولد مع الإنسان كما أوردنا ووضحنا! وليس له دخل أبداً بالتربية! إنما الإنسان المسرف المبذر أصبح كذلك من التربية! فلم يجد من يقوم سلوكه أو يرشد إنفاقه بالتوجيه والتفهيم والتعليم علي الحسن في الإنفاق قط

(لا أب ولا أم ، ولا خال ولا عم). ولكن يمكن تقويم الإنسان المسرف المبذر ببعض الدروس والنصائح والتوجيهات والتعاليم! والإنسان المدخر والمقتصد والحريص في الإنفاق بطريقة معقولة هو الإنسان الطبيعي حيث ينفق علي ما يحتاج! وعلي من هو مسؤل عنهم دون بذخ أو إسراف ودون بخل أيضاً! ويقول الحكماء: (البخل أن يرى الرجل ما أنفقه تلفاً وما أمسكه شرفاً). وعموماً من جاد ساد ، ومن بخل رذل ، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه. والمتكبر والبخيل مهما تكن مزاياهما ، لا يستحقان الاهتمام ولا الاحترام ولا التقدير. والجبان يزعم أنه حذر ، والبخيل يزعم أنه مقتصد. واليد المضمومة لا تستطيع أن تصافح أحداً. والبخيل شخص يعيش طيلة حياته دون أن يتذوق طعم الحياة. والبخيل لماله ، أما ماله فليس له. وصدق من قال مبيناً أن حرص الزائد عن الحد والطمع المفرط يؤدي إلى الفقر:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وصدق من قال في وصف أبي عمران ذلك الرجل البخيل الشحيح المقتر:

رأيت أبا عمران يبذل عرضه وخبز أبي عمران في أحرز الحرز

حين إلى جاراته بعد شبعه وجاراته غرثى تحن إلى الخبز

وإنه لمن قمة الجنون أن يعيش المرء فقيراً ليموت غنياً. فهو يكثر المال ويعيش ربما على الكفاف ليستمتع بهذا المال ورثته من بعده ويذهب إلى الله فقيراً من حسنات كان سينالها بالإنفاق والبذل! (هذا إن سلم له أصل التوحيد وكان كافراً بالطاغوت مؤمناً بالله ، كما اشترطت آية سورة البقرة المباركة). وصدق الشاعر العبقرى الحكيم الذي ذم البخل ومن يمتدحه فقال:

لا يُحمد البخل إن دان الأنعام به وحامد البخل مذموم ومذحور

والبخل من سوء الظن ، وخمول الهمة ، وضعف الروية ، وسوء الاختيار ، ونكران الخيرات التي أنعم الله بها على خلقه. والشاعر يقول في ذم البخيل المقتر على نفسه وعلى أهله:

إن البخيل وإن أفاد غنى لترى عليه مخايل الفقر

وقد أصاب شوقي عندما ذم البخل في قصيدته: (سلوا قلبي) إذ قال ذاماً البخل والبخلاء:

ولو لا البخل لم يهلك فريق على الأقدار تلقاهم غضابا

تعبت بأهله لوماً ، وقبلي دُعاة البر قد سئموا الخطايا

وعموماً كنوز البخيل توول إلى اللصوص والملوك! وصدق الشاعر إذ يحض على الخير بقوله:

لا تُخبأن لغد رزقاً وبعد غد فكل يوم يوافي رزقه معه

وأنخرُ جميلاً لأدنى القوت تُدرُكه وللقيامة تعرف ذاك أجمعه

وقديماً قالوا: (أنفق ما في الجيب ، يأتك ما في الغيب). ومن لا يغذي الكلب يغذي السارق. وغني بخيل أفقر من متسول. والبخيل فقير لا يؤجر على فقره. والبخيل يوفر مسماراً ليفقد حصاناً. والبخيل على استعداد أن يبيع حصته من الشمس التي هي لكل. والمبذر شحاذ المستقبل والبخيل شحاذ خالد. فما أسهل الدفع من جيب الغير. ولأب البخيل ابن مبذر يحسره على ماله الذي بخل به على الآخرين. وحسنة البخيل بعد موته. والبخلاء جمال عطشانة ، والمياه محملة على ظهورها. كقول الشاعر يصف البعران والنوق تحمل الماء وهي عطشانة:

كالعيس - في البيداء - يقتلها الظما والماء - فوق ظهورها - محمول!

وشاعر آخر حكيم راح يدعو أهل البخل والإمساك والتقتير هؤلاء إلى الإنفاق واعدأ إياهم أن الله تعالى سوف يخلف عليهم ويعوضهم ، ولكنهم أثروا الشخ والبخل فقال ينتقدهم:

إني أحرض أهل البخل كلهم لو كان ينفع أهل البخل تحريضي
ما قلّ مالي إلا زادني كرمأ حتى يكون - برزق الله - تعويضي
والمال يرفع من لولا دراهمه أمس يقآب فينا طرف مخفوض
لن تخرج البيض عفواً من أكفهم إلا على وجع منهم وتمريض
كأنها من جلود الباخلين بها عند النوائب تحذى بالمقاريض

ألا إنه عندما تشيخ كل العيوب يبقى البخل شاباً. ولأن يموت المرء محتاجاً معوزاً أفضل من أن يموت وهو يأكل المال. وشاعر آخر قد ابثلي بغنية ميسورة بخيلة شحيحة كأميرة قصيدتنا! فنصحها فلم تستجب ، بل راحت تأمر الآخرين بالبخل وتحض عليه وتمتدحه لهم! وراح الشاعر يبين لها أن البخيل يكرهه الله تعالى كما يكرهه الناس! وأن الكريم يحبه الله تعالى كما يحبه الناس ، ولكنها أيضاً أصرت على موقفها ، ورأت في البخل غايتها القصوى فقال لها:

وأمرةً بالبخل ، قلت لها اقصري فليس - إلى ما تأمرين - سبيل
أرى الناس خلان الكريم ، ولا أرى بخيلاً له - في العالمين - خليل
ومن خير حالات الفتى لو علمته إذا قال شيئاً ، أن يكون يُئيل
فإني رأيت البخل يُزري بأهله فأكرمت نفسي ، أن يقال بخيل
عطائي عطاء المكثرين تجملاً ومالي - كما قد تعلمين - قليل

وصدق الشاعر الفذ الذي يبين لنا أن البخل مرض لا دواء له قط وليس له طبيب! فقال:

سقام الحرص ليس له شفاء وداء البخل ليس له طبيب

والبخل جامع المساوي والعيوب ، وقاطع المودات من القلوب. يقول الأستاذ جلال عبد الله المنوفى - حفظه الله - في ذم البخل والبخل ما نصه: (البخل رذيلة عواقبها وخيمة وآثارها سيئة على الإنسان في حياته وبعد مماته وفي آخرته. وقد أورد القرآن الكريم في ذم البخل سبع آيات في ست سور. وقد عبر القرآن الكريم عن البخل بستة ألفاظ مشتقة من الفعل الثلاثي "بخل" وهي كالتالي مع ذكر عدد مرات تكرارها وهي: بخل [1] ، بخلوا [2] ، تبخلوا [1] ، يبخل [3] ، يبخلون [3] ، البخل [2] ، وقد ورد أيضاً في القرآن الكريم لفظ الشح في سورتين في قوله تعالى: {وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. ويقول البعض إن كلمة الشح تعنى البخل ، لكن الشح أعم وأشد من البخل ، لأن البخل ينشأ عنها. ويعرف البخل بأنه قبض اليد عن الإنفاق وهو عملية حركية تنشأ نتيجة مواجيد راسخة في النفس الإنسانية هي مشاعر الشح التي تدعو صاحبها لعدم الإنفاق. ولذلك قال الله تعالى: {وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. وينبغي أن نفرق بين البخل والشح: البخل: أن يبخل الإنسان على غيره لكنه كريم على نفسه ، أما الشح فيبخل الإنسان على نفسه وعلى غيره ، والبخل معناه أيضاً مشقة الإعطاء ويتجاوز الحد بطن الشخص بالذي لا يضر بذله ، ولا ينفع منعه لأنه لا يريد أن يعطي! وهذا البخل والشح يكون في نفس البخيل ، لأنه أولاً قد بخل على نفسه ، ومن بخل على نفسه لا يوجد على الناس ، وهناك في اللغة العربية أسماء للامتناع عن العطاء وهي بخلٌ وشحٌ وكزازة ، ولكن منازل العطاء والبخل تختلف فهناك ثلاثة مراحل للعطاء: رجل يعطي من غير سؤال ، ورجل يعطي بسؤال فيه أسباب مثيرة ومهيجة للعاطفة ، ورجل يعطي بمجرد السؤال. وأما الشح فهو أفظع درجة للبخل ، وهو أن يبخل الرجل على من يسأله مسألة مسببة بإحداث تهيج العواطف ، ومع هذا لا يرق قلبه ، والبخيل هو الذي انصرف عن العامل الذي جاء يأخذ الصدقة وتولى وأعرض عنه. وقد بينت آيات القرآن الكريم عما ينتظر البخيل من عنت في الدنيا ، وعذاب مهين في الآخرة ، ومن هذه العواقب ما يلي: - العسرى للبخيل {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ} ، فأما من بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالجنة أو بلا إله إلا الله {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ} أي يعسر الله عليه أسباب الخير والصلاح ولا ينفعه ماله إذا هلك وهو في نار جهنم. - والبخل شر وليس خيراً!). هـ. والعرب تقول: (زينة الغني الكرم ، وزينة الفقير القناعة ، وزينة المرأة العفة). والعازفون على الكمان ، والكلاب والذئاب يفدون إلى اللواتم بدون دعوة. ألا إن ما تتخلى عنه وتتركه أيها الإنسان هو لك ، وما تخبئه وتتحفظ عليه يذهب لغيرك. وليس الجود أن تعطيني ما أنا أشد منك حاجة إليه ، وإنما الجود أن تعطيني ما أنت أشد إليه حاجة مني. والكريم يرى نفسه غنياً دائماً. فاحذرو صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع. وإن النجدة نوع من الكرم. والكرم كذلك استضافة رأي الآخرين. وإن حسن التلقي فن. وإن من الحق على الأغنياء الكرماء أن يعرفوا البخلاء كيف يكون الكرم والجود بسلطان الانتصار على شح الأنفس ، فإذا لم يصدر الكرم عن يقظة الضمانر وحياة النفوس فلا قيمة له. وخاب قوم ظنوا أن الكريم الحق لا يحزن إذا يرى الفقراء البائسين من حوله ، كما ظن قوم أن الشجاع لا يخاف أبداً ولا يحب الحياة ، وأن الكريم لا يعرف قيمة المال ، ولكن القلب الذي لا يعرف قيمة المال لا فضل له في الكرم ، والقلب الذي لا يخاف لا فضل له في الشجاعة ، والقلب الذي لا يحزن لا فضل له في الصبر. فأعطني أيها الجواد الكريم ، ولا تذكر ما أعطيت. والكرماء ينقصهم المال ، والأغنياء ينقصهم الكرم. والكرم أثناء الحياة مختلف جداً عن الكرم في ساعة الموت ، وينشأ فردٌ من التسامح الأصيل والخير ،

بينما ينشأ الآخر من الغرور أو الخوف. فلنحاول تعليم الكرم والإيثار لأننا ولدنا أنانيين حريصين. ويكمن الكرم الحقيقي تجاه المستقبل في إعطاء الحاضر بأكمله. ولا تظهر الأفعال دوماً معدن الرجال ، فمن يقوم بعمل كريم ليس شرطاً أن يكون كريماً جواداً. ويقول الأستاذ جلال عبد الله المنوفى – حفظه الله – في ذم البخل والبخل ما نصه: (يقول الله تعالى: {وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۚ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} ، وهنا يجعل الله للبخل مما بخل به طوقاً حول عنقه ، فكلما منع البخل نفسه من العطاء ازداد الطوق ثقلاً. - والبخلاء جعل الله عاقبتهم رسوخ النفاق في قلوبهم إلى يوم لقائه: {وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَأْتِيَنَّ مِنْ فَضْلِهِ لِنَصَّدَّقَنَّ وَلِنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخُلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} أي فلما رزقهم الله - أي المنافقين - بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، أي بخلوا في الإنفاق ونقضوا العهد وأعرضوا عن طاعة الله ورسوله {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ}. - إخراج ما في قلوب البخلاء من بخل وكراهية ، ذلك لأن الإنسان جُبِلَ على محبة الأموال لقوله تعالى: {إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ}. - يعاقب الله من دعاهم للإنفاق فبخلوا بأن يخلف مكانهم قوماً آخرين يكونون أطوع لله منهم ، ثم لا يكونوا أمثالهم في البخل عن الإنفاق ، بل يكونوا كرماء أسخياء لقوله تعالى: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ ۚ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}. - العذاب الأليم مع الخزي والإذلال في الآخرة: فقد هيا الله للجاحدين بنعمة الله ممن بخلوا ، وأمروا الناس بالبخل ، وأخفوا ما عندهم من المال والغنى {الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} ، وقوله: {وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} أي فإن الله مستغني عنه وعن إنفاقه ، محمود في ذاته وصفاته لا يضره الإعراض عن شكره ، ولا تنفعه طاعة الطائعين وفيه وعيد وتهديد {الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}. أما قوله: {وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}: {الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۗ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَطِيعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} أي من سلم من البخل والشح والطمع الذي تدعو إليه النفس ، فقد فاز بكل مطلوب والمفلحون هم الفائزون بالدرجات العالية في جنات النعيم). هـ. والكرم الحقيقي هو أن تقوم بشيء لطيف لشخص لن يكتشف ذلك أبداً. والرحمة أعمق من الحب وأصفي وأظهر ، ففيها الحب ، وفيها التضحية ، وفيها إنكار الذات ، وفيها التسامح ، وفيها العطف ، وفيها العفو ، وفيها الكرم ، وكلنا قادرين على الحب بحكم الجبلة البشرية ، وقليل منا هم القادرون على الرحمة ، والصدق ، والإخلاص ، والوفاء ، والبساطة ، والتواضع ، والكرم ، وغياب الغرور ، والقدرة على خدمة الآخرين – وهي صفات في متناول كل نفس – هي الأسس الحقيقية لحياتنا الروحية. وإنما الفضل في الحزن والغلبة عليه ، وفي الخوف والسمو عليه ، وفي معرفة المال والإيثار عليه. والكرم الحقيقي هو أن تفعل فعلاً محموداً لشخص لن يعرف أبداً بما فعلته. والكرم قوتنا ، حتى لو لم يكن الحب كذلك. وإن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ،

وأوحش الوحشة العُجب ، وأكرم الكرم حسن الخلق. ولقد تنازل الكثيرون عن الكرم من أجل الإحسان. فلنحاول تعليم الكرم والإيثار ، فنحن نولد أنانيين كم قدمنا. وصدق من قال:

ومن كان ذا جود وليس بمكثر فليس بمحسوب من الكرماء

وصدق الشاعر الذي في بيتين اثنين بين أن الحرص المفرط يصيب النفس بالبخل فقال:

رأيت سخي النفس يأتيه رزقه هنيئاً ولا يعطى على الحرص جاشع

وكل حريص لن يجاوز رزقه وكم من موفى رزقه وهو وادع

وشاعر آخر وضع لنا أن الجود والكرم من أسباب الإخلاف على العبد فقال:

إن الكريم ليخفي عنك عسرتة حتى تراه غنياً وهو مجهود

وللبخيل - على أمواله - علل زرق العيون عليها أوجه سود

وبين لنا شاعر آخر أن جود المقل أفضل من جود المستكثر ، فقد سبق درهم ألف درهم فقال:

ليس جود الفتيان من فضل مال إنما الجود للمقل المواسي

والسقاء شيمة كريمة شريفة ، أكرم بها من شيمة فضيلة تنشر في الأفاق. وصدق الشاعر الذي بين لنا أن الكريم الجواد هو السيد الحقيقي ، بل ويراه الناس سيداً عليهم! وبمفهوم المخالفة يكون البخيل الشيخ هو العبد الحقيقي كذلك! ويراه الناس عبداً لماله ، فقال:

كل السيادة في السقاء ، ولن ترى ذا البخل يدعى في العشيرة سيدا

والسقاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة إن سلم للسخي الكريم أصل التوحيد. والكرم الحقيقي هو أن تكون للبذل فيما لا يتحدث عنه الناس أسرع منك للبذل فيما يشتهر أمره بينهم. إن الكرم بالوعود هو أتفه أنواع الكرم وأقلها عناء وكلفة. والحقيقة أن أحب العباد إلى الله أنفعهم لعباده سبحانه! وتعدى الخير للغير سمت الصالحين والصالحات من هذه الأمة. والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول فيما صح عنه عند الإمام مسلم: (من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه)! وإذا كنا زائلين عن هذه الحياة لا محالة ، فلنترك الآثار الطيبة الكريمة من بعدنا! والأستاذ محمد المنجد يقول في مقدمة محاضراته: (اترك أثراً قبل الرحيل) ما نصه: (إن نفع الأنبياء للناس لا يشمل أمور الآخرة فقط ، بل كذلك أمور الدنيا: فيوسف - صلى الله عليه وسلم - يوم تولى الخزائن لعزير مصر: - فقال - صلى الله عليه وسلم - لعزير مصر: (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليم) ، فكان في ذلك الخير والنفع والنجاة من سنوات القحط والجذب التي أصابت البلاد. وموسى - صلى الله عليه وسلم - لما ورد ماء مدين وجد عليه جماعة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين مستضعفتين ، فرفع الحجر عن البئر وسقى لهما حتى رويت أغنامهما. ونبينا - صلى الله عليه وسلم - كانت أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها تقول في وصفه - صلى الله عليه وسلم -: (كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل

الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق). وعلى هذا النهج القويم سار الصحابة والصالحون: فأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - كان يصل الرحم ويساعد المحتاجين ، ولذلك لما أراد قومه أن يخرجوه قال له ابن الدغنة المشرك: (إن مثلك لا يخرج ولا يخرج ، فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق)! وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يتعاهد الأرملة ، ويسقي لهن الماء ليلاً. وعلى بن الحسين - رحمه الله - كان يحمل الخبز إلى بيوت المساكين في ظلام الليل ، فلما مات فقدوا ذلك ، قال ابن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون ، ولا يدرون من أين معاشهم ، فلما مات علي بن الحسين ، فقدوا ذلك الذي كان يأتيهم في الليل. وهكذا الصالحون من هذه الأمة إذا وجدوا فرصة لنفع الخلق ، فرحوا بها فرحاً شديداً ، وعدوا ذلك من أفضل أيامهم! وكان سفيان الثوري رحمه الله ينشرح إذا رأى سائلاً على بابهِ! ويقول: (مرحباً بمن جاء يغسل ذنوبي). وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: (نعم السائلون ، يحملون أزوادنا إلى الآخرة ، بغير أجر حتى يضعوها في الميزان). هـ. والعالم من حولنا مكوّن من الكرم والدناءة معاً ، لذلك يستحيل أن نطلب الإجماع ، وإلا كنا واهمين لا نعرف حقيقة الأشياء. فإلى الأميرة البخيلة الشحيحة التي تملك من أسباب الكرم والجود ما الله به عليم ثم هي تؤثر البخل والشح والإمساك والتقتير ، أنشد هذه القصيدة التي أعتذر للقراء عن طول مقدمتها!

جنى على الخير فيك الشح والبخل	يا من نهرت الألى من حاجة سألوا
توسّموا فيك خيراً لا حدود له	شأن الذين هموم الغير قد حملوا
وأعلموك بما يحيون من عوز	وفي الكتاب بدت - للقارئ - العلل
وإن شكوى البلايا - للأنام - شقا	ما - من تحملها - بدّ ولا حول
إنني بلوثك فيما صُغث محتسباً	وبُحث بالسر ، إذ ضاقت بي السبل
وذعت ما كان مخبوءاً ومُنكتماً	ولم تُجبنني التي أودى بها البخل
وكنت أزعم أن تجيب مسألتني	وحول زعمي دار الطعن والجدل
وكنت أحلم - بالخير - وافرة	لكنّ خلّمي دهى أطيافه الفشل
وكنت أحسب أن ألقاك باذلة	كف العطاء يُصافي بذلها الأمل
قال الألى خبروا ما فيك من عوج	بأن بخلك فيهم ما له مثل!
فشككوني ، فلم أعبأ بفريرتهم	إذ ليس يلوي يقين الواثق الجهل
قالوا: تريث أخى ، لا تفترض خلاً	ففي روك الخطا والعيب والخلل
قالوا: لقد جربت في الضيق ، واخترت	والكل يُدرك ما تأتي ، ويحتمل

ثم التشفي ، يليه اللوم والعذل
وغرّها الوهم والتخييل والضلل
والمدح يأكل الباب الألى سفلوا
شأن الذين على حب الغنى جُبلوا
وسربلتها حظوظ النفس والنحل
أصدّ هجمة قوم لحمها أكلوا
طالت جناباً تمطى - فوقه - الوحل
ويح الجراح! متى تبرأ وتندمل؟
حتى مللنا ، وما أعيأكم الملل؟!
والصيث يُسعفها ، والبذل والعمل؟
وبعض فخركم التشبيب والغزل؟
لم التناقض؟ يا أقوامنا اعتدلوا!
وتلك صورتها - للعين - تكتمل
لا يستوي التمر في المذاق والدقل!
والقصر والعز والأملاك والفيل
ونحن نحتال ، لكن تعجز الحيل!
وكل فردٍ يقول الحق يُعتقل!
والسارق احتاط ، والتفتت به الغيل
وبالمكائد والدسائس اشتغلوا
وعن حقوقهم - في المال - قد غفلوا
به الخزائن ، بنس الريخ والنفل!

قالوا: طبيعتها الخذلان إن سُئلت
قالوا: توهمت الدنيا تدوم لها
قالوا: استكانت لمطريها ومادحها
قالوا: تعالت بدينار ومنزلة
قالوا: استبدت بما ارتأته من فكر
فقلت عنها أذود اليوم محتسباً
وقلت: كُفوا عن التشهير ، حربته
وقلت: ماذا دهاكم تفتكون بها
أما ذكرتم لنا أسمى مناقبها
أما أشدتم بما تزجيه من منح
أما افتخرتم بها في كل مصطدم
واليوم تُبدون شيئاً من حقيقتها!
هي الأميرة عزتها صنانعها
لما يكن - في رياض الجود - منبتها
غناك أغناك عنا يا أميرتنا
سموت بالمال عن دنيا سُسربلنا
زوراً تصدقت ، والآثم شاهدة
أموالنا تلك من أجدادنا سُسرقنت
وجنّده حرسوا البنوك قاطبة
تغلبوا عندما أجدادنا رضخوا
وخولوك من الأموال ما امتلأت

حقوق ناس - إلى أهوائهم - وكلوا
ومن يُعارضك قالوا: ذا به خبل
وكم يُعزّر - بما يبدوله - رجل!
فيها الشواهدُ ، والأشعارُ ، والجمل
والناسُ من وقع ما أنشدتهُ ذهلوا
من بعد أن كنتُ - بالإحسان - أكتحل
واليوم صارت تُجافينا وتنفعل
وضاق ذرعاً بما اعتقدته الخجل
والنفسُ يضطرها - للمحنة - الغل
وإن دهركِ يا أميرتي ذول
ومن ترفعه الفرعونُ ينتقل
وأنت يومئذٍ - بين الورى - ظلل
وعشتِ ذلك قبل يأتى الأجل
وغاب عقلك إذ أودى به الهبل
من بعد أن لم يعد وزنٌ ولا ثقل
وعشتِ عيشةً من تُزوى وثبتذل
ومن يصفك يقل: أميرةٌ عطل!
وبتّ في جمعٍ من بالحاجة ارتذلوا
وكان منك الخطا والطيشُ والزلل
عليك ، غدته التجريحُ والخطل
إننا - بهذا الدعا - لله نبتهل

ومأكوك بلا حق ولا ثمن
وأمروك علينا في مراتبنا
خديتُ فيك خداعاً لا حدود له
وقلتُ فيك مقالاتٍ مزخرفة
وصغتُ شعري بأوزانٍ ودندنه
أحسنتُ ظني بمن في نكبتى شمتت
بالأمس كانت تُجازينا وتكرمننا
خابت ظنوني ، وتخميني اصطليتُ به
أميرة الوهم كم بالقلب من غصص!
لا لن يدوم نعيمُ العيش فانتبهي
وذات يوم يزول العز منتحراً
حتى نراك بلا جاهٍ ولا شمرط
أذاقك الله ما نلقاه من عوز
فلا ترين هنا أدنى بلهنية
وقد مددت يداً - للخلق - في ضعة
وملك الناس في سر وفي علن
وزال عنك حلي صيغ من ذهب
وخصّك الله بالفقر ابتليتُ به
ونلت - في الخلق - ما نلقاه من كدر
وسلط الله من يؤذيك مجترناً
ونحن نأمل أن نراك في كمدٍ

وجاء دور المشيب

(عجوز متصابية كانت قد ضحك عليها الشيطان! وراح يزين لها التبرج بشتى صورته من غري وماكياج وخضوع بالقول ومشى التفتيح والتكسر ومزاحمة الرجال في الأسواق! على أن شيئاً من ذلك لا يشتهي من هذه العجوز المتصابية! فرُحْتُ أقول لها: لقد فاتك القطار وجاء دور المشيب! ولذا فإنه ينبغي عليك الاستعداد للرحيل! إنها الساعة الحاسمة. والأحرى بك هو الاستعداد الحثيث لهذا الرحيل المزمع وإعداد النفس والجوارح لها! وليس اللعب واللهو والمعصية! والذي يزيد المبلّة طيناً أنها عجوز مبتلاة بشلل نصفي يجعلها تتحرك من مكان إلى آخر على الكرسي ذي العجلات! وإذن فحال الناظر لها هو حال المشفق لا المشتهي! وإن لا يكن ذلك كذلك فماذا يشتهي؟! ومع ذلك كله أراها لا ترحم نفسها كما لا ترحم الناظرين إليها عن هذه الممارسات التي لا تناسب حالها ومآلها. كما أنها لا تناسب المسلمة في أي سن كانت وفي أي مكان كانت إلا المكرهة! وبخاصة في المشيب الذي يفرض قيوده على صاحبه أو صاحبتة فضلاً! فكان الأحرى بعجوز قصيدتنا تلك أن تنتبه لمشيبيها وتستعد للرحيل الوشيك! يقول الله تعالى: (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ). والقواعد من النساء هن اللاتي بلغن سن اليأس وقعدن عن الحيض والولد لكبرهن ، بحيث لا يبقى لهن مطمع في الزواج ولا يرغب فيهن الرجال. وليس المراد بوضع الثياب أن تخلع المرأة كل ما عليها من الثياب فتصبح عارية ، فلأجل ذلك قد اتفق الفقهاء والمفسرون على أن المراد بالثياب في هذه الآية: الجلابيب التي أمر الله أن تخفى بها الزينة في آية سورة الأحزاب (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ). وقوله: (غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ) أي غير مظهرات لزينتهن. وحقيقة التبرج: التكلف بإظهار ما يجب إخفاؤه إلا أن هذه الكلمة قد اختلفت بالمرأة بنهيها أن تتكشف للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها. فمعنى الآية ليس هذا الإذن في وضع الجلابيب والخمر (ومناطق الجمال والفتنة الوجه ولذا أمرت بستره شابة وكانت لها رخصة في كشفه عجوزاً)! فأولئك النساء اللاتي لم يعدن يرغبن في التزين ولم يعدن يرغب فيهن الرجال ، ومع هذا فإن استعفافهن بعدم وضع جلابيبهن خير لهن. فإذا كان هذا الحكم في العجوز فكيف بالشابة التي تفتن الرجال ويفتنون بها؟ ولهذا قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء) متفق عليه. وقال: (اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) رواه مسلم.)

مبتلاة - في الغي - ليست ثبالي	أين من هذي مفردات الجمال؟
هدّها الشيب ، ثم صارت عجوزاً	ورجوع الجمال عين المّحال
ذهب الحسن ، واستحالت رتوشاً	وأصبيت - بين النساء - بابتذال
ويح سوءاً سُوقها اليوم فضّت	ثم باءت - فيها - بأسوأ حال
حيزبون لم تستسغها عيون	ثم ضمّت للقيح سوء الخلال
درديس - بالمعصيات - تدنت	والمعاصي درب لأعتى الضلال

صورة كم تزري بذات الجبال!
قلت: سُحْقاً! قالت: أنا لا أبالي!
قالت: ان المطلب صعب المنال
سوء خلق ، وبعد سوء فعال!
جرّ - قسراً - وهنّ القوى والمحال
وجمال الوجه انتهى للزوال
ذهب البدر مُعقباً بهلال!
بل يصيب مستنصتاً بخبال!
جدة أنت تؤوي عيال العيال
وبتوك في زمرة الأخوال
واذكري القبر - فيه - شرّ المال
واذكري ذل المنتهى والسؤال
من أناس تُوعّدوا بالنكال
إن هذا من أقباح الأفعال
جاء يجتث مَعْقِدَ الآمال
جاء يُزجي قرانن الإرتحال
واستجابوا لربهم ذي الجلال
لم يقوموا بطيب الأعمال
كيف يحظى بالترك والإهمال؟
والحتوف تأتي بدون جدال
رُب تفصيل في ثنايا مقال!

لم تزل في درب التبرج تسعى
ثم تُبدي ما حقه أن يُواري
قلت: إن الحجاب أولى! استجيبني!
قلت: شوها ، ما فيك شيئ جميل
نحل الجسم ، وابتليت بشيب
والقوام أولى إلى غير عود
لم تعودي أنثى تُثير ، وتغري
لن يُفيد لئى الخضوع بقول
أسبغى الثوب ، أنت بالثوب أحلى
قاعد أنت مالها في التصابي
اذكري الموت ، يجتني كل لهو
واذكري يوماً فيه بعث البرايا
واذكري النار ، وهي ترجو مزيداً
أتلاقين الله بالعزيز سامتاً
إن هذا المشيب أقوى رسول
إن هذا المشيب نعمة ربي
حاملاً بشري للذين أطاعوا
ونذير هذا المشيب لقوم
إن دور المشيب دور عظيم
إن هذي الأنفاس عذت علينا!
فادرسى يا شمطاء زبدة قولي

حادي القلوب

(إنني أعني بحادي القلوب ومنشد الأرواح وبلبل جزيرة العرب المنشد الأستاذ الأديب ظفر بن راشد النتيفات الدوسري. وأفاخر بسليل قبيلة الدواسر ، تلك القبيلة العربية الأصيلة التي كم جادت بالعمالقة والعلماء والأدباء والقراء والشعراء والفقهاء والمفسرين منذ القدم! وأخص العصر الحديث ابتداءً بالعالم النحير عبد الرحمن الدوسري صاحب (صفوة الآثار والمفاهيم) رحمه الله ، وانتهاءً بالأستاذ المنشد الأديب ظفر النتيفات. وكم عجبٌ للدوسري الذي غزا قلوب الطبييين والمتدوقين للشعر والإنشاد في العالم بصوته العذب الرخيم في فترة وجيزة جداً! ففي الوقت الذي يظل المنشد سنين من الإنشاد والإبداع والتنويع مخافة الملل والسامة ، إذا بالدوسري يختصر المدى ويكون له ذلك الشأن وهذا من فضل الله عليه! فرحُتُ أعبر عن حبي للرجل بهذه القصيدة السبعينية الأبيات ، المعلقة المنهاج ، الملحمية النبيرة ، الأخوية الرغبة ، من باب إعلان وإشهار حبي للرجل وإعلامه بذلك ، بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - . وعندنا حديث أبي كريمة المقداد بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال: إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه ، رواه أبو داود والترمذي ، وقال: حديث صحيح. وعندنا حديث معاذ أن النبي ﷺ أخذ بيده ، قال: يا معاذ ، والله ، إنني لأحبك ، ثم أوصيك يا معاذ ، لا تدعن في دبر كل صلاة. تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك. أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لِأُحِبُّ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعَلِمْتَهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَعَلِمَهُ. قَالَ: فَحَقَّقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ. فَقَالَ: أَحَبُّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ). رواه أبو داود. وصححه النووي في قال الخطابي رحمه الله: مَعْنَاهُ الْحَتُّ عَلَى التَّوَدُّدِ وَالتَّأَلُّفِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أُخْبِرَهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ اسْتَمَالَ بِذَلِكَ قَلْبَهُ وَاجْتَلَبَ بِهِ وَدَّهُ ، وَفِيهِ أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُحِبٌّ لَهُ وَوَادَّ لَهُ قَبْلَ نَصِيحَتِهِ وَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي عَيْبِ إِنْ أُخْبِرَهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، أَوْ سَقَطَ إِنْ كَانَتْ مِنْهُ ، وَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ مِنْهُ لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَسُوءَ ظَنَّهُ فِيهِ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ قَوْلَهُ وَيُحْمَلُ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى الْعِدَاوَةِ وَالشَّنَانِ. وها أنذا أعلم أخي في الإسلام ظفر النتيفات أنني أحبه في الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - والإسلام. كما أنني كرامة لحبه أحببت شعراءه الأجلاء الذين عندما استمعت إلى أشعارهم أدركت أنني لا أزال أحبو في درب كانوا فيه سراعاً مهرولين! فليعلم الأساتذة: زياد المنيفي ومحمد حسن ظافر الشهري وسفيان العثماني ومحمود بن كابر الشنقيطي والدكتور ماجد الشيبية ومحمود أبو الحسن الكردي وسعود الشريم وأحمد محمد بن مسرع القرني والحسين بن أحمد النجمي وغيرهم ممن لم أعلم ، أنني أحبهم في الله! وأسأل الله أن يبارك فيهم وأن يحميهم من كيد الحاقدين! وأن ينفع بكلماتهم الجميلة ونفحاتهم المخلصة وهمهم الوفية! فالنشيد الإسلامي اليوم بحاجة إلى مزيدٍ وتطوير بكل ما تعنيه الكلمة!)

يا بلبلأ ماله غود ، ولا وتر
ورغم ذلك يهوى صوته البشُر
هذي الملايين سلاهم وداعبهم
ما كان أنشده محبوبهم (ظفر)!
ساق الأناشيد في سر وفي عن
وحبّر اللحن حتى يغذب السمر
واختار ما تشتهي النفوس إن سنمت
ضنك الحياة ، فزال الحزن والضجر
فأطربت ملكات النفس نبرثه
في كل مقطوعة صفت بها الفكر

حتى يؤثر في قوم به سُجروا
فيها لمن يبتغي درب الهدى دُرر
سلوى فؤادٍ دهى خُبورَه الكدر
إلى الأناشيد ، فيها النورُ مزدهر
فما استلذ به سمعٌ ولا نظر
وجلهم - للغنا - نفوسهم نذروا
فكيف كِياتٌ لهم ألقابٌ من طهروا؟
منهم وفيهم فهل عليه قد فطروا؟!
وبالمعاصي - بلا أدنى حيا - جهروا
والجاهلية - بالقطعان - تفتخر
وغرهم - في الحياة - اللؤمُ والدبّر
من الحضيض ، وفي فسوقهم فجروا
لا تستوي الأسدُ في القياس والخُمر!
من المغاوير ممن بالهدى انتمروا
بدمع عين - على الخدين - ينهمر
عن كل أغنيةٍ ، يسلو بها الغجر
حتى غشتها طيوفُ السعد والبُشُر!
هذي الأناشيدُ فيها الفن والفكر
كسيرة ، فإذا بالكسر ينجبر!
فيها جمالُ أداء اللحن يستتر!
لحناً به يُستطابُ اللهو والسهر؟
لحناً بألّة عزفٍ بات يُستطر؟

نعم الخُداء به الأذن مولة!
فأنصتوا للذي يتلوه من زبدٍ
واسستمعوا بتيرانيم مُرجعةٍ
يا ابن النتيفات رفقاَ فالقلوب هفت
في عالم شوّه الغناء منظره
من كل فج عميق مطربون أتوا
وصيتهم عفونٌ ، ولا خلاق لهم
قالوا: العنادلُ ، والنشاذ يدمغهم
قالوا: البلابلُ ، والنعيقُ ديدنهم
وكوفنوا بنياشيين وأوسمةٍ
والمعرضون - بهم في الناس - قد فتنوا
واسثقلوا طاعة الرحمن تنقلهم
يا ابن النتيفات خالفهم تزدُ شرفاً
سدّد وقاربُ ، وأنشد شعر كوكبةٍ
وأطرب الصيّدَ من سمعوك عن رغب
أغناهم الشعرُ ، والألحانُ تُتحفه
كم سامرتُ نفاتُ النظم منتصتاً
كم أثرتُ في نفوس السامعين لها!
كم لامستُ طبقاتُ الصوت أفنّدة
كم أشرقتُ دنوناتُ من رنيم صدى
ما (الموصلِي) وما (زريابُ) إن عزفا
ما (اللذقي) وما (الكندي) إن عزفا

لحنأ نشاذأ - لدى الأذواق - يُحتقر!
لحنأ يُرددُه الأوباشُ إن سكرُوا؟!
وما (ابن سنباط)؟ كلُّ مالِه أثر!
وهو الذي في اللحون الشمسُ والقمر!
إنني أراه خَطَا خَطَا الألى كَفَرُوا
بين الأنام همُ قبورهم حفروا
هذا أطاع ، وهم أخراهم خسروا
وهؤلاء سبيل المصطفى هجروا
وللغفاة حوارٌ ، حيث هم بقر
هل يستوي الغلبُ إن قارنت و(الظفر)؟
لا يستوي الصيْدُ في المقياس والنور!
من اللحون بلا دفٍ ولا وتر
كان حاديها - في النظم - مبتكر!
والعقل - من دقة الألفاظ - ينبهر
حتى يكون به وعظ ومعتبر
فتارة يجعل النفوس تبتشر
فهل دنا أجلٌ؟ أو انتهى عُمر؟!
حتى يكاد سنا الآمال ينتحر!
وبعض علم من التفريط يندثر
حتى نكون الألى إسلامهم خبروا
حتى نكون الألى بشرعهم بصُروا

وكم تكلفَ (فارابيهم) وشدا
وما (بليغ) وما (الموجي) إن وضعا
وما (القصبي) في أسمى مكانته؟
وما (ابن درويش) والإيقاع يطربه؟
كما يقولون! لا كما أقول أنا
أمواتاً القومُ ، عاشوا لا حياة لهم
وابنُ النטיפات صدقاً ليس يُشبههم
هذا استقام على منهج خالقه
هذا الأناشيدُ أولاها بنبرته
همُ الهزائم والغلبُ اجتنى غدنا
شتان بينهما إن قيل يُشبههم
يُزري بهم (ظفر) بما يُقدّمه
كم تصقلُ السمعَ الحاناً يُرجعها
يشدو فيطرب مَنْ يُعيره أذنأ
وينتقي الشعرَ ، لا يُلقيه مرتجلاً
وحالنا - بعد إصغاءٍ له - عجبٌ
وتارة - بحاول الموت - يُشعرنا
وتارة سكرات الحزن تقهرنا
وتارة نستقي ثقافة ندرت
وتارة بدقيق الفقه يُتحفنا
وتارة - ببيان الحق - يغمزنا

ولا يُثَمَّنْ نصحَ طيّبٍ عِطْرًا!
مستنكراً بأَسَ مَنْ - بأهلنا - مكروا
بأكْبُدِ - من دواعي الوجد - تنفطر
أحوال قوم من الأفذاذ قد سخروا
أمسى - بتزويره في الناس - يتجر!
تكاذ - في قيم الإسلام - تنحصر!
كأنما - بغموض اللغز - يختبر!
كالأتقياء إذا لربهم جأروا!
شأن الأبية - من الأعداء - قد ثأروا!
ونحن نسمع ما يُلقى ، ونفتخر!
جداً قصير ، وقد أحاطك البصر
حتى غدا بنشيد الشعر يشتهر
وقد يُطيل نصوصاً ، ثم يختصر
ومن لمنشده القريض يدخر
وكل نص بتقوى الله يأتزر
من الأهازيج ، منها القلب يدكر
شداً يُداعب مَنْ - بنبضه - شعروا
بطيب الوعظ يشجينا ، ويبتدر
وضاعف الأجر - للجهود - مقتدر
ومن - بأحقادهم بين الورى - غدروا

وتارة بعطير النصح يشمانا
وتارة يشتكي من حال أمتنا
وتارة - بدموع الشعر - يُغرقنا
وتارة ينشد الأشعار منتقداً
وكم يُصنح تاريخاً مؤرخه
وكم يُضيف مفاهيماً لها ألق
وكم يسوق - لنا - الألغاز غامضة
وكم يكيل دُعا الرحمن مبتهلاً
وكم يجاهد من نالوا شريعتنا
وكم يُرَجِّعُ أحياناً يُنقحها
يا دوسري ملأت السمع في زمن
واسأل (زياداً) وقد لان القريض له
و(ابن الشريم) فحدث عن لباقتة
و(ماجد الشيبية) الدكتور شاعره
ولـ (ابن ظافر) الأشعار طيعة
وإن للجهبند (النجمي) حصته
وبـ (ابن مسرع) الشعر الأريب شدا
وشعر (سفيان) وافاننا ، وأمتعنا
جوزيتم الخير في دنيا وأخرة
وقاكم الله من ضلوا ، ومن حسدوا

المال وسيلة لا غاية

عمدت تلك الزوجة إلى ادّخار المال الزائد عن حاجتها وحاجة بيتها وأسرتها ، فكان معها بذلك مبلغ من المال مكنوز ومدّخر! وعندما سُئِلَتْ عن ذلك ، قالت: إنني أدخره لوقت الشدة أو لظرف طارئ! وإلى هنا فالكلام معقول وسليم وموزون! ولكن عندما كان زوجها مستديناً لقوم لم يكن يعرف حقيقتهم ولم يسبر غورهم ولم يدرك كنههم يوم استدان منهم! حيث اكتشف أنه قد استدان من قوم عَجْر لا خلاق لهم ، فهم لعبادة المال أقرب منهم لعبادة ذي العزة والجلال! فلا دين يحكمهم ولا قيم عفيفة تسيطر عليهم ، ولا آداب تلزمهم التعامل مع الآخرين بالحسنى! وأخذوا يطالبون الرجل بديون حانت مواعيدها ، ولسنا ننكر عليهم مطالبتهم بالديون فهذا حقهم ، ولكن الطريقة التي طلبوا بها الدين هي المستنكرة المستهجنة! فإذا بالزوجة لا تتقد زوجها ولا تؤدي عنه هذا الدين ليسد أفواه هؤلاء الأوباش الأراذل ، ولو على سبيل المُداينة! بل تركته ضحية لألسنتهم الحداد: تلوك سُمعته وتنهش عرضه. أخرج البخاري ومسلم في (صحيحهما) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسولنا أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض» ، قيل: وما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا» ، فقال رجل: أيأتي الخير بالشر؟ فصمت النبي حتى ظننت أنه سينزل عليه ، ثم مسح النبي جبينه ، وقال: «أين السائل؟» ، فقال الرجل: ها أنا يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يأتي الخير بالشر ، لا يأتي الخير بالشر ، وإن هذا المال خضرة حلوة وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يُلْمه إلا آكلة الخضر حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت الشمس فاجترت فثلثت ثم بالث ثم أكلت ، وإن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بحقه ووضع في حقه ؛ فنعم المعونة هو ، ومن أخذه من غير حقه ؛ فهو كالذي يأكل ولا يشبع». والله عز وجل يقول عن الإنسان الكفور الجحود: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} ، ويقول الله سبحانه وتعالى عن نبي الله سليمان: {إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} ، والرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - يقول لأصحابه: (ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تفتح الدنيا عليكم كما فتحت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم» ، وفي رواية قال: «كيف أنتم؟ إذا فتحت خزائن الروم والفرس؟» فقال عبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله ، نقول بالحق والذي أنزل ، فقال رسول الله: «أو غير ذلك ، تنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم». (رواه البخاري ومسلم). وفي رواية يقول: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض» ، فقال رجل: "يا رسول الله ، وما بركات الأرض؟" فقال: «زهرة الحياة الدنيا» ، {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۗ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ. وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ}. فقال: «زهرة الدنيا» ، أي: بركة الأرض هي زهرة الدنيا. قال الرجل: يا رسول الله ، أيأتي الخير بالشر؟ أتأتي البركة بالشر ، فصمت ، وقال: «أين السائل؟» فقال الرجل: ها أنا يا رسول الله ، فقال: «لا يأتي الخير إلا بالخير ، لا يأتي الخير إلا بالخير ، لا يأتي الخير إلا بالخير ، وإن هذا المال خضرة حلوة». ثم يضرب النبي مثلاً للشراة والتكالب على هذا المال ، وأخذه من كل مكان من غير مراعاة حرمان الله ؛ يقول: «وإن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطاً أو يُلْمه». «يقتل حبطاً» تمتلأ بطونها بالأعشاب التي أكلت ، فمن شدة الأكل ومن كثرت تموت هذه الدواب ، وإذا لم تمت هذه الدواب فإنه يُلْمُ بها مرضٌ يقربها من الموت ، «وإن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطاً أو يُلْمه» أي: يلم بمرض فتاك ، وهكذا المال إذا أقبل عليه

الإنسان فإنه يأكل ويأكل! لهذا قال بعد هذا: «وإن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بحقه ، ووضعها في حقه ؛ فنعم المعونة هو» ، يقول: «ومن لم يأخذه بحقه فإنه كالذي يأكل ولا يشبع». والحديث عند البخاري وغيره ، ولما جاءه حكيم بن حزام أعطاه النبي ثم سأل فأعطاه ثم سأله فأعطاه ، فقال: «يا حكيم إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بحقه بورك فيه! ومن لم يأخذه بحقه أو باستشراف نفس فإنه لا يبارك له فيه». فما سأل حكيم بن حزام بعدها أحدًا أبدًا ، بل كان الخليفة يرسل إليه بعطيته فيرفضها. إن المال وسيلة وليس غاية ، ولا يمكن للمال أن يشتري القيم ولا الأخلاقيات ، بل يشتري متاع الدنيا. وعندما أصبح المال غاية فضاعت القيم والأخلاقيات والمبادئ والمعايير! وهنا تساءلتُ شعراً عن قيمة المال ، إذا كان الأمر هكذا؟

ما قيمة المال مكنوزاً ومُدخراً	إن لم يردّ - عن الأشاوس - العجرا؟
إن لم يسُدّ ديوناً حان موعدها	كي يُخرسَ البُله والأوباشَ والنورا؟
إن لم يكن من شرار الخلق مُنقذنا	إن لم يُزل عن حمانا البأسَ والخطرا؟
إذ لم يُراعوا مقاديراً ولا قيمًا	ولم يُراعوا قراباتٍ ولا عُمرًا؟
ما قيمة المال إن ديست كرامتنا	ودمعنا - من لظى مأساتنا - انهمرا؟
وكمال وبشّ - لنا - الألفاظ جارحة	مستصحباً ترّهاتٍ فجّة أخرا؟
مستعذباً ما استباح من النعوت حلت	كأن مطلقها بغيته اشتهرا؟
فهل غدا المال أعلى من شرافتنا؟	أم الأناسي أمسي جُلهم تترا؟
ما نفع درهمنا إن كلبه نبحت	على أناس هم - بين الوري - أمرا؟
ويح النباح تُصلّينا حرارته	إذ يُرسل النيّل ، والتوبيخ ، والشررا!
فهل أكلنا حقوق الداننين ، وهم	على ديونهم قد أشهدوا البشررا؟
وعندهم ورقّ فيه النصوص زكت	من أن (زيداً) حبا أمواله (عَمرا)
وفي القراطيس خط القذُر والأجل!	فأصبح النص في القراطيس معتبرا
ما بالها أصبحت أنكي مُداينة؟	لقد تداينت - من أقوامنا - مررا
هل أصبح الدّين نيراناً تُحرّقنا	فلانجاة لنا منها ، ولا وزرا؟
هل أصبح الدّين كابوساً يُروّعنا	فيعقب الخوف والإرجافَ والضررا؟
إنني تأخرت ، ديني فوق مقدرتي	وألتقي دائني الملحاح معتذرا

بادٍ ، ويعرفُ هذا الدائنُ الخبرا
فليعذر النذلُ عبداً رزقه قدرا
أريد قرضاً يُداوي الموقفَ العسرا
فقلتُ: أفعَلْ مهما قلَّ أو كثرا
أبدى الذي كان مخبوعاً ومستترا
بها غدا - في البرايا - دانناً أشيرا
بل بات بركانَ تعبيرٍ قد انفجرا
وذات يوم به - بين الورى - افتخرا
جزاؤه اليوم أن يُزوى ويُحتقرا
كأنما نفسَه لقبجه نذرا
وغدره ذاعَ بين الناس ، وانتشرا
بكل عجرفةٍ ما كان قد عذرا
ويُلقمُ السفهاءَ السوطَ والحجرا؟
وعن تعففتنا يُجاهد الخورا
لجلب نفع بنقدي كان مذكرا
إلا إذا وازعُ التقوى قد انحدرنا
أن نعبُد الله خلاقاً ومقتدرا
حتى نحوز العُلا والعز والظفرا
من المليك على من جدّ وابتدرا
بل نعبُدُ الله ، مَنْ أعطى ، ومَنْ فطرا!

وليس يلتمس الأعدار مَخبُرُها
عليه وَسَّعَ ربي في مُعايشةٍ
قد كنتُ أحسنُ ظني يوم قلتُ له
فقال: عندي بشرط القيد في ورق
لكنه عندما وافى بموعده
وخصني باتهاماتٍ مزيفةٍ
ولم يعد وادعياً يُبدي تطففه
وسببَ صاحبه برغم عِشْرته
مَنْ كان قدوته في كل معتركٍ
وأفصح الوغدُ عن فساد نيته
وأسفرتُ ذاته عن خبث منبتها
لولا مُداينة أمسى يَدلُّ بها
ما قيمة المال إن لم يُخرس الجُهلا
يُقيم حُجَّتنا إن قيلَ قد عجزوا
وسيلة هذه الأموال نجعلها
ولا أراها - مدى الأيام - غايتها
إننا خلقنا لأسمى غايةٍ وُجدتْ
هذي العبادة - بين الناس - ترفغنا
وقد وُعدنا عليها جنة ورضا
لا نعبُدُ المال! هذا شأنُ مَنْ فسقوا

لتبلون في أموالكم وأنفسكم

(إن سنة الله في ابتلاء عبادة ثابتة لا تتبدل ولا تتخلف ولا تتحول! ومما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله قال: (ما يصيب المسلم من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها)! وعلى هذا الأساس فالمسلم المؤمن الموحد المحتسب يفوز باحتسابه عند الله ويربح! وفي تعليقه على هذا الحديث قال الإمام الغزالي رحمه الله: قال عيسى عليه السلام: (لا يكون عالماً من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض عليه لما يرجوه من ذلك من كفارة خطاياها)! (وَلَنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ). وإنني لأقطع بأن حياتنا كلها قائمة على الابتلاء ، حيث قال تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} ، وقال سبحانه: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} ، أي: في مكابدة ومعاناة منذ مولده في دار كلها بلاء وعناء وكدر ، ولقد أحسن في وصفها الإمام علي رضي الله عنه لمن سنل عنها فقال: (الدنيا دار أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء). ولقد وصفها أبو الحسن التهامي وصفاً دقيقاً تفرد به بين الشعراء الأقدمين فقال يصفها:

جُبِلت على كَدَرٍ ، وأنت تريدها صَفواً مِنَ الْأَلَامِ وَالْأَكْـدَارِ
وَمُكْأَفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ!

وللمسلم حلاوتان يذوقهما في حياته معاً ؛ حلاوة الإيمان المترتبة على حبه لله ولرسوله والجهاد في سبيل الله ، وحبه لعباد الله دون سواه ، وكراهيته الكفر بعد الإيمان كما يكره أن يلقى في النار ، فهو يكره الكفر وسدنته ورؤوس طواغيته وعبيدهم. فمن ذاق حلاوة الإيمان المترتبة على هذه الخصال ، كان أهلاً لنيل حلاوة التضحية في سبيل الله ، وبذل الغالي والنفيس من النقيير إلى القطمير في سبيل الله. فلا يلوي ذراعه بلاءً ولا تلين قناته أمام الشدائد والعناء! أما من أعرض عن ذكر ربه: (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) ، ألم تر أيها المسلم المؤمن كيف ابتلى الله أبا البشر آدم عليه السلام بالسراء فكرمه وأسجد له الملائكة ، وسخر له الجنة بنعيمها وحلاوتها وطلوتها؟ ثم ابتلاه بالضراء فأهبطه من جنة عدن إلى دار الهم والغم والحزن! وذلك بعد أكله من الشجرة التي نهاه ربه سبحانه وتعالى عن الأكل منها! وابتلى نوحاً عليه السلام في أهله وولده بكفرهم وصددهم عن سبيل الله وإعراضهم عن دعوته إلى دين الله ، وأي ابتلاء أعظم من أن يرى الأب ابنه يغرق أمامه في موج كالجبال مع من كفر من قومه ، وهو لا يملك صرف الضر عنه ولا تحويلاً؟! إنه بلاء لا يثبت فيه وعليه إلا الله! وابتلى إبراهيم عليه السلام في أبيه الذي كان يصنع أصناماً تعبد من دون الله ، وابتلى في جسمه فقذف في النار ، وابتلى في ولده وفلذة كبده فأمر بذبحه ، وابتلى إلى ذلك بابتلاء من نوع خاص ، هو تحميلة أمانة الإمامة ، حيث قال تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} فيا له من بلاء شديد! ويا لها من أمانة ثقيلة وابتلاء عظيم على من تصدر له فأناط بعنقه مسؤولية أمة أو طائفة من العباد! وخرج إبراهيم عليه السلام من البلاء معافاً قوياً المراس شديد البأس في الإيمان! وابتلى أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام بأقوام لا يرعون إلا ولا ذمة ولا حرمة فقتلوا أنبياءهم وورسلهم ، وحرفوا كتبهم وشرائعهم ، وكان من آخر من قتلوا يحيى وزكريا عليهما السلام!

وابتلي نبي الله يوسف عليه السلام بالطعن في أماته حينما قال إخوته: {إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَه مِنْ قَبْلٍ} ، وألقى في غيابة الجب كما تلقى الأحجار ، وبيع في سوق النخاسة كما يباع العبيد ، وشري بثمن بخس دراهم معدودة ، وكان من اشتراه فيه من الزاهدين ، وخدم في البيوت كما يخدم العبيد ، واتهم في عرضه تهمة يتنزه عنها العقلاء فكيف بالأنبياء؟ وألقى بسببها في السجن ، كما يلقي المجرمون ، فلبث فيه بضع سنين! كل ذلك وهو صابر محتسب! وما أبلغ ما قال الرافي: (ما أشبه النكبة بالبيضة ، تُحسب سجناً لما فيها وهي تحوطه ، وتربيته وتعينه على تمامه ، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة ، والرضا إلى غاية ، ثم تفقس البيضة ، فيخرج خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وما المؤمن في دنياه إلا كالفرخ في بيضته! فطوبى للصابرين ، والعاقبة للمتقين). وصدق أستاذنا الدكتور إحمد عبد الكريم نجيب في تصويره الرائع للابتلاء عندما أورد في خطبته في محاضرة ملقاة في مسجد دبلن بإيرلندا يوم السبت الواقع في غرة ذي القعدة عام 1423 هـ الموافق للرابع من يناير - كانون الثاني - 2003 م ، وذلك لمن أرادها بطولها وتمامها! وإنما اقتبسنا منها بتصرف ما يعيننا على التقديم لهذه القصيدة التي كان الباعث عليها والداعي إليها ما حكاه الأستاذ الدكتور خالد إسماعيل أستاذ ورئيس قسم الجراحة بطب كفر الشيخ ، على صفحته على الفيس بوك حيث يقول ما نصه بتصرف: (استحييت من ربي ، وعرفت ضعف إيماني عندما حضرت لعيادتي أسرة برفقة ابنتهم التي انتشر في جسدها الورم الخبيث وتغلغل ، وسقط شعرها من جرّاء التداوي بالعلاج الكيماوي ، وتعاني من التهاب جلدي شديد جاءت لتعلاج منه عندي! وأدركت أن البلاء على قدر الإيمان حقاً وأن الصبر والرضا عليه يختص الله به عبداً أحبهم! والأسرة مكونة من أب في أواخر الثلاثينات متوسط الحال ، وأم في أوائل الثلاثينات ، وكلاهما لا تفارق لسانه كلمة الحمد لله ، وابتسامة الرضا على وجه كل رغم ما هما فيه من البلاء الشديد! فلقد مات لهما ابنان (سعيد ومصطفى) بذات الداء العضال (السرطان)! والابنة الوحيدة ذات السنوات السبع ستلحق بهما قريباً! والثلاثة يتبادلون الضحك والمزاح ، وكأنها مصابة بنزلة برد! ويهونون عليها الأمر! تلك الطفلة التي هي أجمل من القمر بمراحل! ووالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه لقد زلزلت كياني ، وأبكتني عندما قالت بفرحة تغمرها: (يا دكتور ، بابا وماما اشتريا لي فستاناً جديداً لأنني قريباً سوف أزور أخوي سعيداً ومصطفى في الجنة!) وابتسم الأب وقال: هكذا تعودنا على رحلة العذاب: تشخيص وعملات وعلاج ونستعد في نهاية كل مرة بتسليم الأمانة إلى خالقها! ولقد تعاهدت أنا وأمها منذ رحيل الطفل الأول وإصابة الثاني وها هي الطفلة الثالثة أن نلقي في قلوب أبنائنا الأمل ونفهمهم أنهم سوف يسبقوننا إلى جنات النعيم عند الرب الكريم! وأن في الجنة ما يعوّضهم عن رحلة العذاب في الدنيا! ونحن مستيقنون بأن الموت ضيف يحل علينا كل حين ، فنحسن استقباله بالرضا مُسلمين لمن أرسله لنا سبحانه وتعالى راضين بقضائه ومستسلمين لقدره! يقول الدكتور خالد يخاطب نفسه ، ونحن نورد كلماته كما هي: (ما أصغرك يا عم خالد! وأستغفرك يا ربي ، أيقنت الدرس وتعلمته وأدركت أن الشكوى لغير الله مذلة ، وأن الصبر على البلاء درجة عالية اختص الله بها بعض عباده أولئك العباد ، الذين لم أرتق بعدُ إلى عُشر درجة أحدهم! حقاً لا يشعر المرء بتفاهة نفسه وضآلتها ، إلا عندما يرى الصابرين!) ومن هنا أمسكت بقلمتي ، بعد اطلاعي على قصة الدكتور خالد ، وكانت قصيدتي هذي ترجمة! وعموماً من أراد أن تهون عليه بليته فليتذكر بليته في النبي - صلى الله عليه وسلم -! ألا إن كل مصاب بعدك هين يا رسول الله! وكنا قد ضربنا الذكر صفحاً عن إيراد صور

من البلاء الشديد الذي تعرض له النبي - صلى الله عليه وسلم - في مسيرة دعوته! بل منذ ولادته حتى رحيله للرفيق الأعلى - تبارك وتعالى-! وأعلم يقيناً أن قصيدتي دون مستوى القصة بوجدانياتها وظلالها ، ولكنه شرف المحاولة التي أردت بها مشاركة الدكتور خالد إسماعيل شعوره وإحساسه بهذه الأسرة المنكوبة المبتلاة الصابرة المحتسبة! وكم من أطباء تعرض عليهم القصص والعبير والعظات ولا هم يتوبون ، ولا هم يذكرون ، ولا هم يعتبرون!)

لولا الثبات لما تميّز مبتلى
ولما استمى - في صبره - متصبرٌ
ولما تجلد - في الدغاول - واثقٌ
ولما اعتلى متنّ التحمّل مؤمنٌ
ولما تمسّك - بالفضائل - مسلمٌ
ولما رأيت ذوي التفضل في الذرى
ولما حلت - للطيبين - معيشة
ولما تقاعس فاشل عن قيمة
ولما ترهل - عن عبادته - الغشا
إن اصطبار المرء شامة رُشده
دكتورنا هاجت مشاعرنا لما سطرته
وفصاحة تهدي العقول رجاحة
وإبانة عمّا احتوته قريحة
ومروعة تسمو بحس السامعي
وحكاية منها تسيل دموعنا
ورواية تدمي القلوب حروفها
أرأيت يوماً مثل هذي أسرة
ولو أعج المقدر تقهّل عزمها

ولذا استساغ أولو المثابرة البلاء
حتى يُجاوز - في ترقيه - الغلا
من نصره بين الخلائق والملا
والله بارك ما أجاد وما اعتلى
متخوفاً - في سعيه - أن يفشلا
يستهجنون المُسكين المُيلا
رغم المكائد والحوائج والغلا
إذ بالمعالي مثله لا يُبتلى
لولا الجهالة ما انتفى وترهلا
إذ بينه والصبر أشطان الولاء
ببلاغة ، كان الجمال لها الطلاء!
أمسّت أجل - لدى النقاش - وأجملا
عنها فؤاد الشهم ما يوماً سلا
من المنصتين ، وحس دكتور تلا!
مجبورة ، فالعين لن تتحملا
فلقد حوت حدثاً عجيباً مُذهلاً
ثمسي وتُصبح في العذاب وفي البلاء؟
لكنما إيمانها لن يُقتلا

من ذا الذي مثل المليك تفضلاً؟!
أوليس هذا - للصغيرة - أفضلًا؟!
يا ربنا اكتبها لنا أن ندخل!
ماذا بوسع طبيبتنا أن يفعلنا؟
من ربك الشافي الشفاء مُعجلاً
ليصير وعيك - بالمقادر - أكملًا
إما استطعت ، وشاكراً من أرسلنا
هل يستطيع الطب - قل - أن يفصلنا؟
روحاً لعبد في الرُّبَا ، أو في الخلا؟
هم ألبسوها من ثياب ما حلا
والموتُ خيرٌ للصغيرة مأملاً
والنطق لم يكُ مبهماً ، أو معضلاً
إنني لأوشك عنكم أن أرحلا
ولسوف ألقى كاملين وكُمَّلاً
ومن الذي أنا فيه خيراً أبداً
بيّ لاحقون ، مُعجلاً ومُوجلاً
سبحان ربك - بالعباد - تكفلاً!

تالله تثبيتُ المهيمن واضحُ
ستزورُ إخواناً لها في جنّةٍ
أوليس - في الجنات - مُتعة داخل؟
جاؤوك تنقذهم ، فكننت ضحية
أنت الذي تصف الدواء ، وترتجي
هذي المريضة عبّرة ، فلتعتبرُ
والله أرسلها إليك ، فداوها
ما الطب إن حكم القضاء بفعله؟
ما الطب إن حل الحمائم ليجتني
هم عشموها بالجنان وعيشها
حتى يهون الخطب رغم عُتوّه
فإذا بها تُلقى الكلام ، ولا تعي
سأزور إخواني بجنّة ربنا
نفسني تتوقُّ إلى لقاب رب السما
وهناك يُكرمني المليكُ بجووده
ولئن سبقتُ إلى القبور ، فكاكم
وتموتُ نفسٌ ، ثم تولد غيرها

سابقة غير معهودة

(ذهبت هذه الموفقة إلى مصلى النساء لتصلي العشاء في جماعة. في حين ذهب زوجها للصلاة مع الرجال في مُصلاهم الذي يفرقه عن مصلى النساء جدار واحد! فلما انتهت الصلاة كانت أسبق إلى الخروج منتظرة زوجها! وبينما هي في الطريق إلى السيارة ، فإذا برجل تعرفه ويعرفها ، ولكن حال الحجاب دون معرفتها الآن ، إذ لم يكن يبدو منها سوى جلبابها الظاهر فقط. فإذا به يخرج عن وقار صلاته وكأن هذه الصلاة لم تأمره بمعروف هو غض البصر عن محارم الله ، ولم تنهه عن منكر هو النظر المحرم للأجنبيات! وطفق يناديها ويطلب إليها أن تستقل معه سيارته! وتعجبت هذه الصالحة من جرأته العجيبة الوقحة السيئة المسيئة التي لم يكن لها أبداً عشر معشار مبرر واحد! إنها لو كانت متهتكة سافرة فلربما كان هناك ما يدعوه إلى مغازلتها على منهاج الجاهلية وشريعتها طبعاً. فراحت المرأة تستغفر الله لما رأت هذه الجرأة الوقحة ، وعابنت هذا السلوك الغريب الشاذ. ويزيد حبات الطين بلة أنه كان قد خرج لتوّه من المسجد حيث الصلاة والتسبيح والذكر! ولم يكن قد خرج من طبخانة أو خمارة أو بار. وأنكرت المرأة سمعها وبصرها مما تسمع من الكلمات البذيئة السخيفة ، وترى من السابقة غير المعهودة بالمرّة! إذ الذين يخرجون من الخمرات والبارات والطبخانات يستحون ولو تكلفاً وتصنعاً من الأخوات المؤمنات! فكان أمراً غريباً أن يجترئ هذا المصلي على ما يتورع عنه أهل الفجور! فأنشدت هذه القصيدة أتخيلها تعتب عليه فعلته وتستنكرها وتستهجنها وتدعوه للتوبة! وتلومه وتوبخه من أن مثلها كانت تدخر مثله ليذود عنها إن تعرض لها سفيه من السفهاء أو فاسق من الفساق بمثل ما تلفظ به! فكيف إذ مارس هو دور الفاسق أو السفيه؟ إنها حقاً سابقة غير مألوفة وواقعة غير مبررة ولا حتى في منهاج الجاهلية!)

أكادُ أَكْذِبُ هَذَا الْخَبْرُ!	فهل أخطأت مُقلّتي أي النظْرُ؟
وهل سمعتُ أذْناي الصّدى؟	أم السَّمْعُ مما اعتراه انتحر؟
وهل خاتني الوعي مسـتكثرأ	عليّ الذي قال هذا الأشر؟
حسبـتـك مسـتـعـفـاً مؤمناً	تخاف من القاهر المقتدر
وتعبـدُ رب الـورى موقناً	بما عنده من جميل الأجر
تصلي وتُحسـنُ أن تتقي	ولست كمن بالمعاصي جهـر
وتدعو إلى الله عبداً عصي	وتتلو الكتاب لكي يزدجر
وترعى الذمار ، وتحمي الحمى	وتصدعُ بالحق بين البشر
وتأمر بالعُرف أهل الهوى	ببرهانك الواضح المعتبر
وتنهى الخلائق عن منكر	ولست بآتيانه تنبهـر

تصحّ بمن - للهّدى - يفتقر
وهاجت همومي ، وحل الضجر
وصلّى ، وبعد الصلاة ذكر
أما كان أولى بأن يذكّر؟
وغازل مستأنساً بالسمر
يريد الحقيقر قضاء الوطر
فهل يتحمّل مسنّ سقر؟
لكيلا أصاب بأدنى خطر
فأرجع - عبر الزجاج - البصر!
وأسدلت - خلف الزجاج - الستر
غويّ هو العبدُ إما فجر!
فيا سواتاه لقيح (الخبير)!
ومن أسرةٍ عفةٍ ينحدر
وليس - بأهوائه - ينبهر
وبالشيب - يا صاح - فلتنجر
ودونك أجداثهم ، فلتزر
وأنت - على دربهم - بالأثر
وإن - إلى ربك - المسـتقر
فراجع ضميرك كي تبتشر
ودمعي - على وجنتي - ينهمر

وخابت ظنوني التي خلتها
وخلفني الظن في حيرة
إذا خرج العبدُ من مسجدٍ
وأصت حيناً ، وحيناً تـلا
ولكن تجاوز في خسةٍ
ونادي ، فلم أكتـرث بالندا
فأنشأ يُغري بأمواله
فغلت أبواب سيارتي
وظاوع إبليسـه راعناً
فأبدت رفضي لما يرتجي
وأسأل: ماذا دهى عقله؟
إذا كان هذا هو (المبتدا)
كلنا برب السما مؤمن
كلنا يحكم شرع الهّدى
دع الفسق يُودي بأصحابه
صاحبك بالموت قد جندلوا
ألا إنهم قد قضوا نحـبهم
فأقصر وتب ، ثم أحسن تفـز
ينبأ كل امرئ ما أتى
نصحتك - إي - شاهدي ربنا

طبيب الغلابة

(إنه الدكتور الفاضل محمد عبد الغفور المشالي ، رحمه الله تعالى! حيث توفاه الله تعالى يوم 28 يوليو 2020م عن عمر يناهز 76 عاماً ، قضى خمسين منها في خدمة الفقراء والمحتاجين والمساكين والمعوزين الذين عجزت جيوبهم وإمكاناتهم المادية عن التداوي والعلاج عند غيره من الأطباء الذين هدف معظمهم الأول والأخير هو جمع المال والتربح من وراء الطب! والجدير بالذكر أن الدكتور مشالي ولد في محافظة البحيرة سنة 1944م! وكان قد تخرج في كلية الطب – قصر العيني تخصص باطنة وأطفال! وافتتح عيادته الخاصة في طنطا سنة 1975م وكان ثمن الكشف خمسة جنيهات مصرية ، وزاد إلى عشرة جنيهات منذ عهد قصير! وتفاني الرجل في خدمة الفقراء والمحتاجين! وذهب إلى الله تعالى ولم يؤذ أحداً ، ولم يكن سبباً في التضيق على أحد! بل نفع الله به الناس ، وشفى عليه يديه وبوصفاته العلاجية خلقاً كثيراً! وكان قد ابتلي بموت أخيه مخلفاً له أبناء أيتاماً فتكفل بهم ، وعاش لهم أباً بعد أب ومرشداً ومعيناً على قوارع الدهر وريب المنون! وكان حياة الرجل مجموعة من محطات البلاء والابتلاء! وتأخر زواجه بسبب رعايته الكاملة لأبناء أخيه! أين هذا من الذي يقتل أخاه اليوم ليجهز على حياته ليتيتم أبناء أخيه؟! وأين هو ممن يتسبب في التضيق على أخيه ليشرد يميناً ويسرة! إن عزاءنا أن الرحمن الخالق حي لا يموت ، وأنه يسمع ويرى ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن بيده خزائن السماوات والأرض ، وأن بيده ملكوت السماوات والأرض! لقد سخر الله الدكتور مشالي لأبناء أخيه أباً ومرشداً ومُعِيلاً ، كما سخره للناس طبيباً ومُدَاوِياً ، فله دره! نسأل الله أن يرحمه ويتجاوز عن سيئاته ويدخله الجنة ونلتقي به في جنات النعيم! اللهم آمين! وأنا أجعل هذه القصيدة الرثائية في تأبينه وراثته عرفاناً بجميله على الفقراء والمساكين! ولتكن هذه القصيدة المعلقة من البحر الطويل أيها الشعراء هي أول الغيث ، واجتهدوا معي في أن تقدموا عزاءه شعراً نفع الله بكم! ونفع بشعركم وجعلكم مطيعين له نافعين لخلقه المؤمنين!)

تفردت بالأمجاد تترى تفرداً
وكنت مثلاً يرفع الرأس أصيداً
وعشت تؤدي للحرانى حقوقهم
وسعيك بالخيرات كم كان أمجداً!
تفضلت حتى قيل: أشرفُ بآذل
وأعطيت حتى بت في الناس سيدياً
بهممة مفضال ، وجُود مناول
وأعدت للمولى ببذل له صدى
وجُدت بما طالبت يمينك مشفقاً
وكنت لأهل الفقر والحاجة الفدا
وأسديت معروفاً تعاضم وصفه
ولم تنتظر رد الجمال أزيدياً
وزكيت بالأوقات والمال جسبة
فقد عشت شاباً كان بالبذل أغيداً؟!
وعاونت أقواماً شقاءً حياتهم
فكنت غياثاً عبقرياً ومُرفداً
وأكرمت من جاؤوك يسعون للشفاف

ووفيت لم تبخل ، ولم تك مُقْتِرًا
وخمسون عاماً شاهداً بلا مرا
ومن عجب هذي (البحيرة) فاخرت
وبات مثلاً في المروعات يُحتذى!
وأست بطنطاً مكرّمات وسُـمعة
فزايل أهلاً بالبحيرة شوقهم
تخصّصت في بطن وطب طفولةٍ
وأجلت عُرساً كي تربّي يَتَمّاً
فمن ذا يُعيل الطفل إلا عُمومة؟
فيا طب (قصر العيني) جدي وفاخري
وحُق لأبناء الفقيد تَفَاخِرُ
(مشالي) رأينا أن مثلك نادرٌ
ترفعت عن قوت الفقير وماله
وقلت: أدوي علة علقنتُ به
وأغسل أطماع الأطباء ، بعضُهم
وأقسمتُ أني للمعوذ نصيرُه
وأبذل ما اسطعتُ ، الحياة قصيرة
وأزهد في مال المساكين قانعاً
وأحيا لخلق الله أووي فقيرهم
وأعنى بداءات البطون جميعها
ولستُ أبالي بالإشاعات لفقنتُ!
وهل يُلجَمُ الباغين صمتي وعزمتي؟

وإن الوفا خيرٌ ثواباً ومختداً
بأنك خيرٌ - في البليات - مقصداً
بذُكُرتُ (مشالي) ابناً بحسنى ترشّداً
وأسمى سراجاً في الدجّنات فرقداً
هنالك نادت ، ثم ذا وقرّ النداء
لمن فارق الأهلين بالملتقى شداً
فأمسيت في كلٍ مُجيداً ومُفرداً
أبوهم قضى فرداً ، وخلف أولداً
فكنت الذي أعني مُعيلاً ومُرشداً
بهذا الطبيب الفذ ما أشرق المدى
بوالدهم ، إذ عاش فذاً ممجداً
ولسنا نركي إي على الرب أعبداً
وقلت: فقيرٌ بات بالفقر مُجهداً
ولمّا تُطب عيشاً لديه ومرقداً
على فقراء الحي راهن واعتدى
ليحيا من الميسور أهنأ وأسعدا
لعلي ألقى الموت يا صحبتي غداً
ويسمو الألى عاشوا كراماً وزهداً
أعالج أمعاءً تُقاسي وأكبداً
بها يغتدي المسكين في الناس مُقعداً
فقلبي ببذل الخير دوماً تفرداً
وبابي لمرضاي اعلموا ليس مُوصداً

علاجاً لمرضى أصبحوا الآن سُهداً
على كل محتاج تجلبب بالردى
بكم تحتفي ، إذ ترسلُ الود كالندى
فلسْتُ الذي يهوى شروطاً وموعدا
رسالةً طبّي إذ تُسامِرُ رُوداً
فيرحمُ محتاجاً بسِحتته بدأ؟!
تُبَاع بأموال تُزهقها سُدى؟!
على جسمه السُقمُ العتيّ تأسدا؟!
كأنّي به بالمال قايض وافتدى
سرايا من المرضى يُصارعها الردى
بما كنت تُزجي من عطايا مُوطدا
وتتعي جوى من كان للخير مَوردا
وقد صار أخباراً يُردها الصدى
تراه انبرى صوب اليراع ، وقصّدا
ويدعوك الرحمن إما تهجّدا
يسِخّ على القرطاس إن راح أو غدا
وسَمّتُك يبقى في قرانا مخلدا
بقدرك ، يا رباه فارحم (محمد)!
تفوق الذي قد كان فيه ، وأزيدا
بهذا دعونا راعيين وسُجّدا

وأسعدُ وقتي ما أفضيه باذلاً
وتطربُ روعي إن بذلتُ تفضلي
ألا أيها المرضى هلموا عيادتي
فزوروا بلا قيدٍ ، ولا جل موعدي
أباهي بكم بين الأطباء ما وعوا
وما الطب إن لم يلتزم مبدأ الإخا
وما الطب إن بات سلعة تاجر
وما الطب إما عز عن كل مُعدَم
وهل هو أمسى للمُديلِ بماله؟
وتزحلُّ يا دُكُتِر (مشالي) مُتاركاً
وتبكيك في الدنيا قلوبٌ تعلقت
وتحزنُ أرواحٌ عليك كسيرة
وتلتاغُ أكبادٌ لفقْد طبيبها
ويرثي لذكراك الجميلة شاعرٌ
ويرثيك شِعراً لا تجفّ دموعه
حنانيك هذا الدمعُ بعضُ جَميالكُم
فجعنا بأخبار تؤكّد موتكم
وفخرٌ لشعري أن يُؤيّن راحلاً
وأبدله داراً ، ثم أهلاً وعِزوة
وسامحه ، واقبل توبه ، وتولّه

ها قد عرفتنى! فمن أنت؟

(أراد شاب ساقط أن يُغازل فتاة لم يكن يعلم حقيقتها ، فأرسل لها عبر الخاص قائلاً: هل من الممكن أن نتعرّف؟ فكان ردها: بالطبع ممكن! ولكن دعني أقدم لك نفسي ، فإن عرفتنى فقدم لي نفسك ، وبعدها تقرر أنت وأقرر أنا استمرار التعارف من عدمه! فوافق وقال: قدمي نفسك إذن! فقالت: أنا حواء التي خلقت من ضلعك كيلا تؤذيها ، فلا تنس أبداً أنها قطعة منك. أنا التي أهداني الله تعالى لك حين كنت وحيداً حزيناً في الجنة تبحث عن يونس وحشتك. أنا أمك وأختك وابنتك وزوجك التي تصون بيتك. أنا سورة النساء والمجادلة والنور والأحزاب والطلاق. أنا الجنة التي تكون تحت قدمي حينما أكون أمك. أنا التي أعطاني الله سبحانه نصف إرثك لا استهانة بي ، ولكن لأنك تتولى جميع أموري. أنا التي أوصى بي الحبيب – صلى الله عليه وسلم – وقال: استوصوا بالنساء خيراً. أنا من قال لها ربها: (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً). أنا التي أنشأ في الحلية وفي الخصام لست أبين. أنا التي إذا كنت صالحة فأنا أفضل من ألف رجل غير صالح. أنا التي سمع الله تعالى قولي من فوق سبع سماوات وأنزل فيّ قرآناً وأحكاماً! إن كنت تبحث عن اللهو واللعب فاذهب إلى اللاهيات اللاعبات فأنا ومثيلاتي دخلنا وسائل التواصل لإعلاء كلمة الله ونشر فضائل رسول الله ولتهذيب سلوك الذين باعوا أنفسهم للشيطان. فمن تكون أخي؟ فقال: أنا التائب إلى الله ، وهنيئاً لأم أنجبك ولأب رباك! فلما أعجبنى ما دار بين هذه الأخت وهذا الأخ الذي كان ساقطاً ، ترجمت إعجابي شعراً ، فكانت هذه القصيدة أنشدها حكاية على لسان هذا الأخ ، فتخيلته يقول لها:)

حنانيك يا أختي الهادية	فقد سُقت لي الضربة القاضية!
عرفتُك شمساً تذرّ الضايا	فتنتحرّ الظلمة الداجية
وداعية قومها للهـدى	ومَن - في النسا - تعدلّ الداعية
وإنسانة عفة ، سَمَّتها	مناصرة الفنة الهادية
ومقدامية لا تخاف العدا	وليس تَحطمها داهية
وأبلغ من واعظٍ مُصلق	يسوق براهينه الهادية
ومعطاة تبتغي خيراًنا	وليس أنانية جاسية
وتدعو الأنام إلى ربهم	وتسعى بهمتها العالية
وثقاع من عنده شُبهة	وثُدلي بحجتها الواعية
وإنني اتصلت أريد الأذى	لأسقط - بالطوع - في الهاوية
حسبتُك من بائعات الهوى	من الطغمة الفجة الخاوية

فجارية بعهدها جارية!
وتسحر إماتكن غاوية
يُندن في الليلة الساجية
وشس معني أهة حانية
فتذهب حيرتنا القاسية
يرانا من الفنة الغاوية
سُلوكي والرغبة اللاهية
لتسفع - والله - بالناصية
بأفاظها الفذة الحامية
برغم طبيعتها الحانية
لنفهمه الشئلة الغافية
أعرت النداء أذناً صاغية
وكنت المحكم أهوانيه!
إلى الفسق والأكلب العاوية
بأختت مبادئها سامية
ونفسي على ما مضى باكية
على متعة أصبحت نائية
أخالف عن عيشة الماشية
إلى أن أتت أختنا الغالية
وكانت لجسمي كالعافية
وأدخلها الجنة العالوية!

فقلت: ألا أممة تشتهي؟
تسلي الخواطر أطيافها
أدعُبها بالكلام الذي
وتعرب لي عن مدى عشقها
إلى أن نرتب أحلى لقا
ويبعدنا الحب عن عالم
وفوجئت بالرد مستهجناً
وصاحبة الرد باحت به
وتصدع بالحق مهما جرى
ولم تترفق بمس تهتر
ولقنتِ الدرس عبداً غوى
فأيقنت أني سأسمو إذا
وكنت الكريمة في نصحتها
لهذا استنقمت بلا عودة
وأحمد ربي ، فقد خصني
أبانت لي الدرب فاجتزته
وقلبي تسامى بإيمانه
لقد كنت في الجاهلية لا
ولم ألتزم بهدى ربنا
فكانت لروحي أكسيرها
جزاهها المهيمن خير الجزا

وكلكم مسئول عن رعيته

(إحدى المعلمات المثقفات كانت تدرس أبناء الصف الرابع اللغة العربية. وهناك في حصة التعبير والإنشاء طلبت من طلابها أن يكتبوا موضوعاً عن سؤال مضمونه: (بم تدعو الله أن يجعله في المستقبل؟) وشمر كل منهم عن ساعد الجد وبدأوا يكتبون. هذا يريد أن يكون طبيباً ، وذلك مهندساً ، وذاك صيدلانياً! وكان ابنها بين طلابها. وكان طبيعياً أن تهتم به مرتين: الأولى عامة لأنه تلميذها ، والثانية خاصة لأنه ابنها. وبهذا الاعتبار تكون لهذا الطالب على وجه الخصوص رعايتان واهتمامان رعاية عامة وأخرى خاصة ، واهتمام عام وآخر خاص! وراحت تناقشه عن الذي تمناه. فلم تتوقع جوابه الذي قال فيه: إنني أدعو الله أن يجعلني هاتف في يد كل فرد من أفراد عائلتي خاصة الأب والأم! فسألته لماذا؟ فأجاب لأن اهتمامكم به أكبر مني بكثير! إن أحداً منكم لا يكلمني ولا يهتم بي ولا يسأل عن أحوالي! فأحست الأم ولأول مرة بمقدار جرمها وزوجها الذي هو أبوه كما أحست بمدى تقصيرها وزوجها في تربية هذا الابن المهمل ورعايته! فلما انتهى اليوم الدراسي وعادت إلى بيتها ناقشت زوجها في الأمر مبتدأة بحكاية المشهد ، ولم تخبره بأن الطالب الذي تمنى أن يحوله الله إلى هاتف هو ابنهما! فكان تعليق الأب: وماذا في الأمر! إن هذا الطفل مهمل وعلى أبيه وأمه وعائلته الاهتمام به وحسن رعايته! فقالت له: أتدري من هذا الولد؟ فقال لا. فعقبت إنه ولدنا فلان! فأدرك الوالد مقدار إهماله وتقصيره في حق ابنه! يقول الدكتور الشيخ علاء الدين زعتر وتحت عنوان: (من حقوق الأبناء على الآباء) ما نصه باختصار: (إن الأبناء هم حديث اليوم وحديث كل يوم ، بهم تقر عيون الآباء والأمهات ، وبهم يزدان الكون والحياة ، وقد علمنا القرآن الكريم في الدعاء أن نقول: [ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً]. نعم ، إن هؤلاء الأبناء والشباب أمانة ومسؤولية في أعناق الآباء والأمهات ، وفي أعناق المرابين والمربيات ، فماذا قدّمنا لهم ، وإلى أي مدى وإلى أي عمر وسن نقدّم لهم من العطاء؟! إذا بدأنا بالشباب نبدأهم من طفولتهم ، فالطفل نبتة صغيرة تنمو وتترعرع ، فتصير شجرة نافعة ؛ ثمرة أو وارفة الظلال ، أو قد تصير ضارة غير نافعة ؛ شجرة شائكة أو سامّة والعياذ بالله. وكل يتمنى أن يكون ولده شاباً قوياً نافعاً ، يحمل رسالة ويبني حضارة ، فتعالوا نتعرف كيف يكون بناء هذا الإنسان؟! إنه حتى نربي جيلاً من الأشجار المثمرة ، أو وارفة الظلال ؛ فإنه علينا أن نعني بهم منذ البداية ، مع حسن التوكل على الله تعالى والاستعانة به في صلاحهم. فمن واجبك تجاه ولدك أن ترعاه وتحسن إليه ، وتكرمه وتعطف عليه. ولا شك أنّ كل أب يتمنى لابنه النجاح في دراسته ، فهو دائماً يدعو الله بتوفيقه وتسديده وتثبيتته ، يعدّه ويؤمنيه إن نجح في دراسته ، ويتوعده ويهدده إن رسب في دراسته ، ولكن أي نجاح تريده لابنك؟ وأي استمرار وبناء تبغيه من ولدك؟! المسألة أيها الأب الحنون ليست مسألة نجاح أو رسوب في الدراسة فحسب ، بقدر ما هي مسألة نجاح أو رسوب في الحياة. ما أحوجنا في هذا الزمن العصيب أن نربي أبناءنا ، وننشئ جيلاً قوي الإيمان يثبت على الحق ، ويحمل لواء الإسلام ، ويدافع عنه بكل طاقته. كلنا يردد بأن الإسلام دين العلم ، وقد جاء القرآن ثورة ضد الجهل والتخلف ، ولكن الواقع يشير إلى أن المسلمين في قمة الجهل والتخلف. فهل العيب في المصدر أم في المتلقي؟ هذا ، وإن بداية أي إصلاح تبدأ من إصلاح التعليم وحسن التربية. وليس المقصود بالتربية: الدينية والأخلاقية فقط ، أو التربية الوطنية فحسب ، بل يضاف إلى ذلك: التربية العقلية والنفسية ، فهي التربية الكاملة الشاملة. فمن ذا الذي يقوم بذلك؟ إنه أنت أيها الأب الكريم ، يا من تهتم بولدك لتعده

ليصبح شاباً ، يا من تقدم لولدك من الطعام أطيبه ، ومن الثياب أجملها ، وتشتري له من السيارات أحدثها ، وتحاول أن تبني له من البيوت أفخمها ، فهلا تأملت وتوقفت مع ذاتك: ماذا قدمت له ليتعلم الحياة ، ماذا أعطيته ليكون نافعا في دنياه ناجحاً في آخرته؟! لذا كان اهتمامك بولدك ، وقيامك بهذا الدور من أوجب الواجبات ، وأعلى القربات ، وأجل المهمات ، وأشرف المقامات ، بل يقول علماء التربية: إنه شرط ضرورة ، ويقول علماء الشريعة: إنه فرض عين على الجميع. فرض العين هو الذي لا يجوز للمسلم أن يتركه أو يتخلى عنه. أليست الصلاة مفروضة عليك فرض عين؟! بلى. أليس الصيام مفروضاً عليك فرض عين؟! بلى. فلا يصلي أحد عن أحد ، ولا يصوم أحد عن أحد. وبالتالي: فإن إعداد ولدك للحياة هو فريضة بعد الفريضة ، وتعليم ابنك فريضة عين كما فريضة الصلاة ، فلا تهملها. ألا واعلم أخي المسلم أن اهتمامك بتربية أبنائك هو فرض عين كفرض الصلاة المكتوبة ، وأداء الزكاة المفروضة. وعندما نسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" ، والخطاب يتوجه إلى المكلفين بأعيانهم ، وإلى الآباء والمربين إذا كان الإنسان حقيقة قبل سن التكليف ، من الذي يسمع الخطاب وينفذه؟! أنت أيها المسلم المكلف ، فما دمت قادراً على أداء الصلاة لأنك مكلفٌ بها ، فيجب أن تكون قادراً على التعلم لأنك مكلف به. أما قبل بلوغ سن البلوغ والتكليف ، فمهمة التربية والتعليم على الآباء ، فقد وجهنا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع" [خرجه جماعة من أهل الحديث وهذا لفظ أبي داود]. لقد توجه الخطاب إلى صاحب التكليف ، لمن ترجح عقله لأن يؤدي واجبات ربه ، واعلم أيها الأخ الكريم ، والأب الرؤوف ، أن مستقبل أبنائك مرهون بحسن إعدادك لهم. أخي المسلم يوصيك الله في ولدك ، والآية وإن كان بدءاً لآيات الميراث إلا أن معناها عام في كل شأن من شؤون الحياة ، يقول تعالى: {يوصيكم الله في أولادكم}. يوصيكم الله في أولادكم ؛ إعداداً وتربية وتهينة حتى يصبحوا في سن التكليف والبلوغ قادرين على تحمل المسؤولية. أما اليوم ، وللأسف الشديد ، ماذا نرى في حياتنا ، نرى أن المسؤولية على الآباء في الطعام والشراب والتعليم تستمر إلى ما بعد سن التكليف سن البلوغ ، وهذه المسؤولية ليست دينية ، بل اجتماعية تعود للعادات البالية والتقاليد الواردة إليها من شرق وغرب ، ولم تنبع من ديننا. انظروا إلى تاريخنا وقرأوا فيه يوم سادت حضارة الإسلام ، وكان المسلمون قادة وسادة الدنيا ، وتأملوا في الوسائل التي امتلكوها ، والطرق التي سلكوها. إن المتأمل الناظر: يلحظ أن الاهتمام كان بالإعداد السليم والتهيئة الصحيحة ، لتقديم الأجيال وإعدادهم لسن التكليف. اسألوا: هل كان الواحد منهم يبحث عن علم ليحصل به على شهادة؟! هل كان الواحد منهم يتابع دراسته ليحصل على وظيفة؟! كانوا يتعلمون شؤون الحياة ، كانوا يتربون تربية صالحة ، كان الأب ينشئ ولده تنشئة إيمانية ، حتى إذا ما وصل إلى سن التكليف كان الحد الفاصل بين مسؤوليته وواجبه تجاه ولده ، وبين أنه قد انتقلت المسؤولية الآن من الولد تجاه أبيه. إن سن التكليف هو الحد الفاصل بين عطاءك وعطاء ولدك ، فإذا كنت ممن يحسن لولده ويرعاه ، ويعطف عليه ويكرمه ؛ فإن هذا في المراحل المتقدمة من عمر ولدك ، لعدم اكتماله ونضجه ، أما أن ننظر إلى أبنائنا بأنهم ما زالوا صغاراً يحتاجون إلينا وإلى عطانا ، وهم تحت رعايتنا وفي كنفنا ، فماذا بعد؟ والشاب الذي يستمر في علمه التقليدي يتزاحم مع زملائه ليجد فرصة عمل. أيها المؤمنون: راجعوا أنفسكم واعلموا أن التعليم الذي يحتاجه الأبناء ليس بتحصيل الشهادات فقط ، ولا بالانضمام إلى

الجامعات فحسب ، وإنما التعليم تعلم الحياة. هذا وإن من أكبر الأخطاء أن يصل الولد إلى سن البلوغ (التكليف) ولم يتعلم الحياة بعد. يمضي ثلث عمره منفقاً مستهلكاً ، متكأ على مساعدة أبويه أو مجتمعه من أجل التحصيل العلمي. لاحظوا معي شباب اليوم وقد امتلأ عقولهم بمعلومات لا يستخدمون منها إلا النزر اليسير. وهو عالة على آباءهم ينفقون عليهم ويصرفون الأموال الطارئة في سبيل الحصول على شهادات ، ثم ماذا بعد؟ انتظار فرصة عمل وقد لا يجدونها إلا بشق الأنفس. وإذا وجدوها قد لا يحسنون القيام بها ، لأن دراستهم في واد والعمل في واد آخر. لذا ؛ ومع وجود الملل وقلة فرص العمل اتجه الشباب في ملاء أوقات فراغهم إلى اتباع شهواتهم وتعويض نقصهم بالأغاني الماجنة والأفلام الخادعة تعبيراً عن تمردهم على واقعهم المأسوي. وكما تعلمون أحبتي أن المجتمع يُغالبننا على أبنائنا بمغرياته البراقة ، ووسائله اللماعة ؛ لملء فراغهم ، بما لا ينفع ولا يغني عنهم من الجدِّ شيئاً ، ولا يحبب إليهم وللأسف العلم ، ولا يبني لهم مستقبلاً ، ولا يشدهم إلى عزائم الأمور ، ومطامح ذوي الرشاد. فإن أنظمة التعليم المستوردة ممسوخة ؛ لم تستطع أن تنشئ جيل الحداثاة والتطور الموجود في بلاد المصدر ، ولم تستطع أن تجعل التعليم في خدمة المجتمع. وليت القائمين على أمر التعليم أدركوا حاجات الطلبة النفسية والعلمية ، ولكن الهدف يبدو أنه غير واضح في الأذهان ، وأنه غائب عن الأعيان ، أو مغيب عن الواقع دون حجة أو برهان ، ولو علموا الهدف ، وتوضحت الغاية لسهلت عليهم الوسائل ، عندها قدموا لهم ما ينفعهم وما يفيدهم. فكما تحرص على طعامهم وشرابهم وثيابهم ومسكنهم فاحرص على إعدادهم الإعداد الجيد المفروض عليك وتربيتهم الأخلاقية وتنشئتهم الإيمانية. واهتمامك هذا له زمن محدد ، وإعداد الأبناء لا يكون طوال أعمارهم ، بل له سن محددة ، ألا وهي سن التكليف الشرعي ، سن البلوغ. لأن الولد بعد هذا السن مسؤول عن نفسه شرعاً ، فإن ترك الصلاة حوسب ، وإن ترك الزكاة عوقب ، ولا ينفعه التجاؤه بأبيه أو أمه ، قال تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَغْنِيهِ}. لأن الوالد علم ولده الأحكام الشرعية المفروضة وهو في سن السابعة ، وأدبُه عليها في سن العاشرة ، وهياهُ لتحمل مسؤولية التكليف الشرعي في سن البلوغ. فإذا كان الأمر كذلك في شأن الخطابات الربانية ، فما بالناس نرهق أجسادنا وأجساد أبنائنا ونجهد أنفسنا ونهدر أموالنا زيادة عن الحاجة والضرورة ، بإطالة زمن التعليم والدراسة؟! هل تحاسب عن ولدك إن ترك الصلاة بعد سن التكليف ، هل تعاقب عوضاً عن ولدك إن أخطأ بحق المجتمع ، أم إن المسؤولية الدينية والمدنية يتحملها كل بنفسه ، {ولا تزر وازرة وزر أخرى}. إن الشريعة لم تجعل محلاً للمسئولية إلا الإنسان المكلف. وهو من ترجح اكتمال عقله ببلوغه سن النكاح ، قال تعالى: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ" رواه أحمد أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم. يا من ترعون أبنائكم ، ويا من ترومون منهم الخير والصلاح لكم ولمجتمعاتهم ، احرصوا على خيرهم بدفعهم إلى ما يحقق مصالحهم في الدنيا والآخرة ، ومن هنا كان الواجب الشرعي: إعداد الطفل لحياة علمية عملية يستشعر بها مسؤوليته في المجتمع الصالح النافع. ألا ولنلتم أيها الأحبة في الله: أن للولد حقاً على الوالد قبل حق الوالد على الولد! فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى ، فقد أساء غاية الإساءة ؛ وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء ، وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وشرائعه وسنته ، فأضاعوهم

صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم قط ، ولم ينفعوا آباءهم كباراً. واسمع إلى هذا الطفل يجيب والده الذي عاتبه على العقوق ، قال: يا أبت! ، إنك عققنتني صغيراً ، فعققتك كبيراً ؛ وأضعتني وليداً ؛ فأضعتك شيخاً. أيها المؤمنون: لنتأمل فيما يريده منّا القرآن ، ولنعمل ما يطلبه منّا الإسلام ، بتنشئة الأجيال والأبناء تنشئة صالحة ، إعدادهم لسن التكليف والبلوغ ، تربية وعلماً وعملاً ؛ فالخطاب يتوجه إلينا جميعاً، {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}. فسيرى الله عملك أيها الأب. سيرى الله عملك أيها الشاب المكلف. سيرى الله علمك يا من تتولى مسؤولية التربية والتعليم. وسيحاسب الله عزّ وجلّ المجتمعات المقصرة إذا لم تعطِ المجال لأبنائها في الحياة).هـ. ويقول الأستاذ سالم صالح أحمد بن ماضي وتحت عنوان: (ثلاثون خطوة عملية لتربية الأبناء على العمل لهذا الدين) ما نصه بتصريف يسير – طبعاً سنقتصر على عشر منها تقريباً :- (حيث إنّ الأبناء هم زهرة هذه الأمة وأملها القادم وكنزها المدخر وقوتها الكامنة ، لذا فقد كان واجباً علينا أن نحرض على استغلال تلك الطاقات والمدخرات وتسخيرها في سبيل خدمة هذا الدين وحبّه والعمل له. فلا ينبغي أن نُهمَل جيل الأبناء ونستهين به ، وننظر إليه وكأنه لا رسالة له ، فهذا من الخطأ الجسيم الذي يرتكبه كثيرٌ من الآباء والأمّهات والمربّين. وما هذه الأفكار والخواطر إلا تصحيح لذلك الفهم والتصور الخاطئ. لذا حرصت على أن تكون تلك الأفكار والخواطر عبارة عن خطوات عملية ، يسهل فهمها وإدراكها واستيعابها ، وتتماشى مع خصائص الأبناء ، وحسب مداركهم العقلية والنفسية ، وتوجبها في خدمة هذا وأول تلك الخطوات إنه «صلاح الوالدين» ؛ فبصلاحهما يصلح الأبناء ، وينشأ الدين وحبّه. ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّد أبوه. وقد بدأت بالأُمّ قبل الأب ؛ لأنّ العبء الأكبر في تربية الأبناء يقع على عاتق الأم من خلال طول مكثها معهم ، وانشغال الأب في طلب الرزق ، وحتى ينشأ الأبناء على حبّ هذا الدين والعمل له ، لا بدّ لتلك الزهرة من تربة صالحة نافعة ، فهي المدرسة الأولى التي يتخرّج فيها العلماء والأدباء الأفذاذ والدعاة والمجاهدون الأبطال. لذا لمّا كان للأمّ الصالحة (الزوجة) أهمية كبرى في بناء المجتمع وتخريج الأفذاذ ؛ فقد رغب فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: (تُكح المرأة لأربع: لِمالها ، ولِحسبها ، وجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك). وتربت يداك يا من حرصت على الزوجة المجاهدة فأخرجت لنا الأبطال. وتربت يداك يا من حرصت على الزوجة الدّاعية فأنجبت لنا الدعاة. وتربت يداك يا من حرصت على الزوجة العابدة فأنجبت لنا العُباد. وتربت يداك. لذا على الأمّهات دورٌ كبيرٌ وعظيمٌ في بناء شخصية الأبناء وتربيتهم على العمل لهذا الدين ، وكذا الآباء فلهم دورٌ كبيرٌ لا يقلُّ أهميةً عنهنّ. والخطوة الثانية هي التسمية: إنّ للأسماء عاملاً مهمّاً في بناء شخصية المرء وسلوكه ، بل وحتى المجتمعات ، فهذا النبي - صلى الله عليه وسلم - حينما قدم المدينة كان اسمها في السابق «يثرب» فأبدلها بـ «طيبة» أو «المدينة» ، وهي أسماء كلّها تدلُّ على الحُسن في معناها ، وذلك لِما للاسم الحُسن من دلالاته النفسية في بدء حياة جديدة مصدرها الفأل الحُسن. لذا كان لزاماً على الوالدين اختيار الاسم المناسب حتى ينعكس إيجاباً على الأبناء. وهكذا متى أردنا صلاح أبنائنا فعلينا القيام بالخطوة الثانية ، وهي اختيار الأسماء الحسنة لهم ، لِما لها من تأثير في شخصية الأبناء كما رأينا في النموذجين السابقين. والخطوة الثالثة أنه يجب أن يتعلّم الأبناء منذ نعومة أظفارهم أمور الشرع التي لا بدّ منها ، كالصلاة والصيام ونحوها ، وذلك حتى ينشأوا نشأةً صالحة ، وكما قيل: التعلم في الصغر كالنقش في الحجر والخطوة الرابعة تعليم الأبناء في الصغر حيث يتميّز الأبناء في مراحلهم الأولى بذاكرة الحجر.

حادة آلية ؛ فعلينا أن نُوجِّههم لطلب العلم وتعليمهم أمور الشرع ، ومن ذلك حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة وترسيخ العقيدة الصحيحة. فالأمة بحاجة إلى العلماء الأقوياء والدعاة المتبصّرين بنور الكتاب والسنة ، ولا يتأتّى ذلك إلا بطلب العلم منذ الصّغر. ولا تقل إنّ هذا صعبٌ أو مستحيل. والخطوة الخامسة وهي أحد أهمّ الخطوات وأكثرها نفعاً وحرصاً في نفوس أبنائنا ، وذلك لما يتميّزون به من شدّة في التقليد في مراحلهم الأولى ، فترى الطفل يُقلّد أمه في صلاتها ، فهو يركع عندما تركع وتسجد حين تسجد ، إلى غير ذلك من صور التقليد التي نلاحظها صباح مساء ، فعلينا أن نُوجِّه ذلك التقليد ونستغلّ تلك الفترة بما يُحيي في نفوسهم حب والخطوة السادسة اللعب وكثرة الحركة فهما أحد خصائص الأبناء ، فقم اللعب لهذا الدين. بتوجيه ذلك والخطوة السابعة أنه يحب الأبناء في مراحلهم الأولى - بشكلٍ خاص - كلمات وعبارات المدح والثناء ، ولها تأثير عجيب في نفوسهم وإقدامهم على معالي الأمور ، وهكذا كان هدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تربية أصحابه على معاني الدين. والخطوة الثامنة هي أنه يتميّز الأبناء في مراحلهم الأولى بالتفكير غير الواقعي والتخيّلات الكثيرة ، لذا علينا ألاّ نتهمهم بالكذب أو تحطيم خيالاتهم أو السخرية منهم ، لما في ذلك من نتائج سلبية على شخصياتهم ، بل نقوم بتوجيه ذلك الخيال من خلال مجموعة من القصص الهادفة التي تُشبع تلك الخاصية في نفوسهم ، والمتوفّرة في المكتبات الإسلامية ، فتسري تلك الأخلاق بأسلوب غير مباشر ومُحبّب في ذات الوقت لنفوسهم. والخطوة الثامنة هي توجيه الابن المخطئ عند خطئه مباشرة ، حيث إنه يصعب على الأبناء في مراحلهم الأولى التمييز بين الصواب والخطأ ، وذلك لقلّة معرفتهم وعملهم بالأمر ، وهذا يدعونا لتوجيههم عند الأخطاء وتحسينهم من بعض الشرور ، من مثل: «الغزو الفكري» أو «الغزو الثقافي» ، وعليهم إيجاد البديل المناسب بما يخدم الدين في ظلّ هذه الحملة الشرسة من أعداء الدين في العالم كلّه. والخطوة التاسعة أنه يجب الجواب الفوري لكل سؤال ممّا يتميّز به الأبناء في مراحلهم الأولى هي أسئلتهم الكثيرة والمملّة ، فعلى جميع الآباء والأمهات ألاّ ينهروا أبناءهم في ذلك. والخطوة التاسعة هي حب التنافس فيتميّز الأبناء في مراحلهم الأولى بحبّ التنافس فيما بينهم، فعلينا أن نُوجِّه ذلك التنافس في معالي الأمور {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون}.هـ. وتحت عنوان: (عقوق الآباء للأبناء انتكاسة للفطرة وآلام لها صدى تؤثر على نمو الأولاد وتفكيرهم) يقول الأستاذ عبد الله متولي ما نصه بتصريف زهيد: (ما أكثر ما يشكو الآباء من عقوق الأبناء. ولكن من يرفع شكوى الأبناء من عقوق الآباء. إنه لتناقض عجيب أن يتلقن الأبناء البر كلمات وشعارات وهم يرون مشاهد الإهانة ليل نهار. ألا إن حقوق الأبناء على الآباء كثيرة والقرآن الكريم والسنة النبوية مليان بالحث عليها ، غير أنها تأخذ صوراً وأشكالاً شتى. ففيما يطالب كل الآباء أبناءهم بأن يبروهم ويعاملوهم بالحسن ، وتنطلق دعاوى العلماء والشيوخ والدعاة محذرة الأبناء من عقوق آبائهم ، لا يلتفت أحد من هؤلاء جميعاً إلى قضية حقوق الأبناء على آبائهم. بينما يصرخ العديد من الأبناء شاكين منددين بعقوق آبائهم لهم. كثيراً ما سمعنا أو قرأنا أو استنكرنا عقوق الأبناء لآبائهم أو سوء معاملتهم أو تنكرهم لهم أو قيامهم بفعل مسيء بحقهم يرفضه الدين والمجتمع إلا أنه نادراً جداً أن تطرق أحد أو ناقش أو طرح أو تناول موضوع عقوق الآباء أو بمعنى أصح وأدق ظلم الوالدين لأبنائهم أو التسبب بإيذائهم مادياً أم معنوياً ، ولا نعلم السبب في تجاهل كثير من الناس لهذا الأمر! بل وقد تمادى البعض لتعزيز فكرة أن الوالدين لمجرد أنهما والدان فلهما على الأبناء حقوقاً مهما فعلاً أو لم يفعل ، وبغض

النظر عن التزامهما بالقيام بواجبهما على أكمل وجه أم لا! رغم أنه في الإسلام للابن حق على أبيه كما للأب حق الرعاية والتقدير والاحترام. لقد جعل الآباء آية (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما) سيقاً مصلتاً على الأبناء يرهبونهم به ويؤذونهم بحجة أنهما والدان! عجباً هل تحول الدين إلى سلاح يمارس القوي فيه سلطاته على الضعيف؟ صحيح نحن لا نملك الحق في محاسبة أهلنا مهما فعلوا ، وليس ذلك هو ما نهدف إليه بل نرجو لو يضع الأهل سلوكهم ومعاملتهم لأبنائهم تحت المجهر ، ويراقبون مدى التزامهم بأداء الدور المرجو منهم ويحاسبون هم أنفسهم. ترى هل يعي جميع الآباء أن لأبنائهم حقاً عليهم؟ الوالدان هما من يعهد إليهما بتربية أبنائهما وبالتالي يعتبران مسؤولين بنسبة كبيرة عن تصرفات أبنائهما ، ولكن الأبناء لا يختارون آباءهم ولا أهلهم ولا يملكون تربيتهم أو تغييرهم أو تصحيح توجهاتهم الخاطئة ، وبالتالي فإن مشقة العيش مع والدين أو احدهما يسيء لأبنائه لهي أصعب بكثير من تحمل العيش مع ابن عاق. فكم من أب ظلم أبنائه أو قصر باحتياجاتهم أو مارس عليهم أسلوب القمع والديكتاتورية في التربية دون أن يحاسب نفسه بما فعل أو يتقي الله بهم؟ وكم من أم أضاعت مستقبل أبنائها بتهورها واستهتارها؟ ما أكثر ما يشكو الآباء من عقوق الأبناء. ولكن من يرفع شكوى الأبناء من عقوق الآباء؟ هل من معتبر قبل وقوع الجناية؟ أو مستدرك قبل إنه فوات الأوان؟ إنه لا بد من أخذ العبرة والعظة لأن العاقل الفذ الزكي من وعظ بغيره! لتناقض عجيب أن يتلقن الأبناء البرّ كلمات وشعارات. وهم يرون مشاهد الإهانة وسوء الخلق ليل نهار! فمن أين يأتي البر المنشود؟ إنها سلسلة ذات حلقات. بالسلب أو بالإيجاب. تتوارثها أجيال عقب أجيال. وفق سنة لا تتخلف (الجزء من جنس العمل). كما في الأثر: «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم. فمن ورث البر كابرأ عن كابر. ورثه لمن بعده. وورثه هو «قرة عين» تهنأ بها حياته وتسعد بها أيامه ويضمن النجاة في الآخرة. لم ينتبه الكثير لظاهرة عقوق الآباء لأبنائهم على الرغم من أنها ظاهرة قديمة ، غير أنها تأخذ صوراً وأشكالاً شتى. بينما يصرخ العديد من الأبناء شاكين منددين بعقوق آباءهم لهم. فكما أن للوالد حقاً على ولده ، فإن للولد حقاً على والده ، ولو أن كليهما عرف حق صاحبه وأداه لازداد خيرهما وذهب عنهما ما يسوؤهما ، وعمتهما رحمة الله في الدنيا والآخرة ، وهذا ما حثنا عليه ديننا الحنيف. وعقوق الآباء لأبنائهم ظاهرة يتجاهلها كثير من الآباء رغم أنها خطيرة جداً. فنجد أن بعض الآباء يكذب أمام ابنه الصغير وهو لا يبالي ، والبعض الآخر لا يهتم بابنه إلا في المأكل والمشرب ، ولا يسأل ابنه هل صلى في جماعة ، أم كم حفظ من كتاب الله ، ومن هم أصدقاؤه ، والبعض الآخر يتشاجر مع زوجته أمام ابنهما. وهذا كله عقوق للأبناء. جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو ولده فأرسل عمر رضي الله عنه إلى الولد وقال له: أما تتقي الله في والدك الشيخ الكبير فحقه على ولده كذا وكذا؟ فقال الولد أليس لي حق عليه ، قال: نعم ، وعليه أن يحسن اسمه ويختار أمه ويعلمه القرآن. فقال لم يفعل يا أمير المؤمنين فقد سماني جعلها أي جعراناً (حشرة مقرزة) ، وأمي امرأة زنجية كانت أمة لرجل مجوسي ، ولم يعلمني من القرآن شيئاً. فنظر عمر إلى الوالد وقال له: أجنبت تشكو عقوق ولدك وقد عققته قبل أن يعقك؟ إليك عني. إن حقوق الأبناء على الآباء كثيرة والقرآن الكريم والسنة المطهرة ملينان بالحث عليها ومنها تربيتهم ، تربية صالحة ينجو بها من النار ويسعد في الدنيا والآخرة ، قال تعالى لرسوله: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} ، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَادُوا لَكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

عَلَيْهَا مَلَانِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ} أي: مروهم بالمعروف ، وانهوهم عن المنكر، ولا تدعوهم هماً فتاكلهم النار يوم القيامة. وتبدأ العناية بالطفل قبل أن يدخل إلى رحم أمه ؛ ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: (بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فقضى بينهما ولد لم يضره). ومنها: تسميتهم بالأسماء الحسنة ، والإحسان إليهم في المعاملة ، وتعليمهم ، والعدل بينهم في العطية ، والإحسان والحنان والعطف ، لحديث النعمان بن بشير المتفق عليه: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم). ومنها: وجوب النفقة عليهم إن كانوا فقراء ، قال الله تعالى: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} ، وقال تعالى: {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلًا فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} ، وقال صلى الله عليه وسلم: (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول) ؛ رواه أحمد وأبو داود وصححه الإمام النووي. ومنها: تربيته على الفضائل وإبعاده عن الرذائل ، ويعلم علوم الدين ، ويدرب على الصلاة وعلى العبادات الأخرى ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع). رواه أبو داود. ومع التوجيه والإصلاح ؛ قال صلى الله عليه وسلم الله : «كلكم راع وكلم مسئول عن رعيته، فالأب راع في بيته ومسئول عن رعيته» ؛ متفق عليه. ومنها: اختيار الأم الصالحة الطيبة ذات الأصل الطيب والخلق القويم ، ففي الصحيحين وغيرهما قال صلى الله عليه وسلم: (تتحم المرأة لأربع وذكر منها: ذات الدين فقال: فاطفر بذات الدين تربت يداك). إن الله تعالى من عدله بين عباده أوجب على الأبناء حقوقاً تجاه آبائهم ، وأوجب كذلك في المقابل للأبناء حقوقاً على الآباء ، فكما أن على الأبناء الإحسان إلى الآباء ، وطاعتهم وبرهما ، والإنفاق عليهما عند القدرة إذا كانوا فقراء ، فكذلك للأبناء على الآباء حقوق. وليعلم أن تقصير الآباء في حقوق الأبناء لا يبرر عقوق وتقصير الأبناء ، فإذا كان كفر الوالدين بالله العظيم لا يسقط حقهم في البر والإحسان ، فبالأحرى ألا يسقطه تضييعهما لحق الولد وإنما على الأبناء الاجتهاد في طاعتهم وكسب رضاهما. يرى بعض العلماء أن هذه الظاهرة انتكاسة للفتنة ، فعندما يجد الأبناء الآباء لا وظيفة لهم في الحياة ، فقد يصل هذا إلى حد الكره والرفض لهم. وإن كان الله تعالى قد طالب الأبناء بالدعاء لأبائهم كما قال تعالى: {وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً). وهذا من رحمة الله بنا أن علمنا كيف ندعو لوالدينا! فأين هذه التربية لكي يرحمهما الله؟ هؤلاء آباء عقوا أبناءهم ، والعقوق هنا مختلف ، فالمعروف عقوق الأبناء للآباء ، ولكن ما يحدث العكس. لذلك يصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليعن ولده على بره». فالمطلوب من الأب إعانة ولده على بره ؛ وإلا فإنه سيحاسب على عقوقه لولده ، كما يحاسب ولده على عقوقه سوء المعاملة ، إلا أن فريق من علماء علم الاجتماع لا يرون أن ما يحدث من الآباء للأبناء عقوق ، بل هو نوع من سوء المعاملة. و من أهم أسباب سوء المعاملة أن كثيراً من الناس غير راغبين في الإنجاب مما يؤثر على سلوكهم مع أبنائهم ، وأن بعضهم يرى أن الأبناء يتربون فعلاً بدون أحد ، فالدنيا تربيهم ، ولا حاجة لهم في أن يتعبوا أنفسهم ، وأن بعضهم مشغولون بمشاغل الحياة من الطعام والشراب ، ولا وقت عنده للاهتمام بعملية التربية ، وأسباب اجتماعية أخرى. ويشير أصحاب هذا الرأي إلى أن التربية الآن كثيراً ما يغلب عليها انعدام لغة الحوار بين الآباء والأبناء ، وسادت لغة الأمر الواجب تنفيذه بدون مراجعة ، ولكن من المهم أن يسمع كل منهما للآخر ، فالزمن غير الزمن ، والجيل غير الجيل ، واللغة غير اللغة ، وعند هذا الاختلاف يكون

الحوار والتفاهم والسماع والإقناع من أهم وسائل التربية الحديثة. كما تشير الدكتورة سهير العطار في كتابها «علم اجتماع عائلي الخوف الشعوري واللاشعوري: أما الدكتور وائل أبو هندي- أستاذ للطب النفسي بجامعة الزقازيق ، فيرى أن هذه الظاهرة تعود غالباً إلى نوعين من الدوافع ، دوافع شعورية ، ودوافع لا شعورية. ففي النوع الأول: يسيطر خوف الآباء من التغيرات الحاصلة في المجتمع علي طريقة التعامل مع الأبناء. أما في النوع الثاني فيظهر خوف فقدان السيطرة ؛ فالشباب الذي يكبر يمكن أن يكشف عن بعض نقاط الضعف في والده الذي لم يحب أن يعرفها ابنه عنه. التغيرات المتلاحقة في كافة أوجه النشاط الإنساني في المجتمع وما يصاحبه من تغيرات في القيم والاتجاهات والعادات: فلا شك أن لهذا أثره على أداء الأسرة لدورها التربوي والأخلاقي ؛ إذ إنها تواجه العديد من التيارات الفكرية التي تتناقض مع القيم التي يعمل الآباء على دمجها في شخصية أبنائهم. وهذا ما حدث في حالة الفتاة الملتزمة خوف أبيها من الاندماج في أي تيار إسلامي ولهذا نجد التشدد في المعاملة عليها ، زيادة المتطلبات الأسرية نتيجة الانفتاح علي العالم: وتدني المستوى الاقتصادي للأسرة يلجأ الآباء إلى السفر لتوفير متطلبات أبنائهم المادية ؛ وينسون أهم مطلب وهو الحاجة المعنوية للأبناء كما يرى الأستاذ عبد الباسط عبد المعطي في كتابه «نظرية في علم الاجتماع». وهذا ما حدث مع الشباب الذي فقد أباه نتيجة لسفره بالخارج ، خروج المرأة لمجال العمل أدى إلى تغير في توزيع الدوار بين أفراد الأسرة: فبعد أن كان الأب مسؤولاً على الإنفاق في الدور الأول والأم مسؤولة عن التربية ، أصبح دور التربية يقوم به مؤسسات وحضانات ؛ فبالتالي فقد الابن لغة الحوار مع أهله ، حسب رؤية الدكتور حسن الخولي في كتابه (علم اجتماع المرأة): ورغم تلك الدوافع التي جعلت الأسرة تفقد جزءاً كبيراً من وظيفتها ، وهي التربية ، مما نتج عنه عقوق الآباء للأبناء ، فتبقى المشكلة كما هي ، فهل يعي الآباء الخطر الذي يحيط بهم ، أم يستسلموا لدوام الحياة ، وعواصف العولمة التي تجتاح مجتمعاتنا؟! عليهم أن يختاروا. إما المقاومة وإما الاستسلام. وتعالوا بنا في جولة سريعة نرى بها مجموعة من عقوق الآباء لأبنائهم. سوء اختيار الأم هو أهم دليل على عقوق الأبناء لوالديهم. عندما يختار الأب إما لاهية لا هم لها سوى تضيئة الوقت في النوادي أو التجول في الأسواق مع صديقاتها أو الاهتمام بالزينة والموضة مهملة أبناءها تاركة الاهتمام بهم للخادمة. عندما تكبر هذه الأم فلن تجد أبناءها إلى جانبها كي يساعدها ، بل قد يضعونها هي أو والدهم في دار المسنين. الأبناء محتاجون إلى عطف الأم واهتمامها. وكما من كوارث حصلت بسبب عدم حصول الابن على الرعاية اللازمة من أمه. الابن عندما يرى أمه لاهية فإنه يبحث عن يعوضه عن الفراغ العاطفي الذي خلفه غياب الام فنجد هذا الابن قد انضم الى رفقة السوء ويقضي جل وقته في الخارج ولا يعود إلا ليلاً. إذا كانت الأم قد تخلت عن أمومتها عندما كان الأبناء بحاجة لها فكيف تطلب منهم الاهتمام بها؟ لن يقبل الأبناء بذلك أبداً. ومن يذهب إلى المحاكم النظامية والشرعية فسيرى من القضايا ما يشيب له الولدان ، وكلها دعوى من الأم أو الأب على أبنائهم يتهمونهم بالتقصير في حقهما. ولو تأملنا تفاصيل تلك القضايا لعرفنا أن الوالدين قد أهملوا حقوق أبنائهم فكيف يطلبان حقهما ممن أهملوهما؟ وكذلك الأب إذا كان مستهتراً يقضي أغلب وقته مع أصدقائه ويهمل أبناءه بحجة أنه وفر لهم ما يحتاجونه من مأكلاً ومشرباً وملبس ، ونسي أنهم يحتاجونه هو كأب وليس كحصالة نقود! الابن بالذات يحتاج إلى أبيه ، فإذا تخلى عنه الأب فلماذا تلوم الابن عندما يتخلى عن أبيه فيما بعد؟ ومن الأمثلة كذلك

الإيذاء البدني والنفسي الذي يمارسه الآباء بحق أبنائهم الذين لا حول لهم ولا قوة. فعندما يخطئ أحد أبنائهم تجد سيلاً من الشتائم ينهال على رأس هذا الابن مع جمل الإهانة والتنقيص منهم كجملة أنت غبي أو طول عمرك جاهل منذ متى وأنت تعرف شيئاً؟ ولكن الوالدين لا يوجهانه إلى التصرف الصحيح أو ردة الفعل اللازمة لكل موقف. بمعنى آخر يعاقبونهم ولا يوجهونهم بل ويطلبون من الابن أن يعرف كيف يتصرف وكيف يرد! كيف يعرف هذا الابن ما عليه إن لم يعلمه أحد؟ ومن الأمثلة التي نراها كثيراً في مجتمعاتنا المعاصرة هي رغبة الآباء أن يكون الأبناء نسخة عنهم وهذا محال. فللأبناء شخصيات مستقلة يقوم الآباء بتسلطهم ورغبتهم في السيطرة واعتقاداً منهم أن أبناءهم ملك لهم يحق لهم أن يفعلوا بهم ما يريدون! يقوم الآباء بسبب ذلك بسحق شخصية أبنائهم ومحوها من الوجود. فالآباء يعتقدون أن ما تربوا عليه يجب أن يطبق على أبنائهم ونسي الآباء أن الزمان غير الزمان وأن المكان غير المكان. فقد تغيرت القيم والمفاهيم وفقدت معانيها القديمة واكتسبت معاني جديدة لم تكن في زمان الآباء. وهنا ينشأ الأبناء في صراع مستمر بين بناء شخصيتهم المستقلة وبين رغبة الآباء المتسلطة. وبسبب هذا تهتز شخصية الابن وينمو وقد صار عاملاً مفسداً في المجتمع لا عامل بناء. بل قد يتدخل الوالدان في حياة أبنائهم حتى في القرارات المصيرية ويفرضون عليهم ما يريدون لا ما يريده الأبناء. ومن الأمثلة كذلك هي ما يمارسه الكثير من حرمان بناتهم مما يبيحونه لأبنائهم بل وصل الأمر في بعض الدول إلى قتل البنت كي تحرم من الميراث ويتم اتهام البنت بشرفها للتغطية على هذه الجريمة. وقد يتآمر الوالدين مع أبنائهم الذكور بمنحهم ما لديهم من متاع الدنيا وحرمان البنات منها ، وحجتهم في ذلك أن مال البنت سيذهب إلى غريب أي زوجها! أي أنهم يحرمون أن يذهب نصيب ابنتهم إلى رجل غريب ويبيحون أن تأخذ امرأة غريبة أنصبة أبنائهم! أليس هذا منطوق أعوج؟ بعد كل ذلك ألا يوجد عقوق الآباء؟ ألا يجدر بالآباء الاعتراف بحقوق أبنائهم واحترامها وتحمل مسئولية واجباتهم؟ ومنها التفرقة في المعاملة بين الأبناء فتورث الضغينة:- فبعض الآباء والأمهات يجد بعض الأبناء أقرب إلى قلوبهم ، فيظهرون هذا في معاملتهم ؛ وهو ما يولد حقداً وكرهاً من الولد للأب والإخوة أيضاً يقول الله تعالى في محكم التنزيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}.

فكم من أب ظلم أبنائه أو قصر في احتياجاتهم أو مارس عليهم أسلوب القمع والديكتاتورية في التربية دون أن يحاسب نفسه بما فعل أو يتقي الله فيهم؟ وكم من أم أضاعت مستقبل أبنائها بتهورها واستهتارها؟ وما أكثر ما يشكو الآباء من عقوق الأبناء. ولكن من يرفع شكوى الأبناء من عقوق الآباء؟ لو فتحنا المجال لسماع قصص وحكايات عن عقوق بعض الآباء لأبنائهم لاحتجنا إلى صفحات تفوق الحصر ولسمعنا العجب العجاب. لكننا سنعرض في هذه المساحة البسيطة لبعض النماذج على سبيل المثال فقط. تحكي إحدى الفتيات وتقول: (ولدت في أسرة لا تحب إنجاب البنات ؛ قاموا معي بأشد أنواع القسوة من الضرب والإهانة ، كان لي أخ يصغرني بثمانى سنوات ، فكان يتحكم في ، كان يضربني ويحاسبني ولا أحد يكلمه. وعندما أتكلم وأحتج على ما يحدث معي يتم ضربي وإهانتي ؛ مما يجعلني أتكلم معه بقسوة محاولة مقاومة هذا الظلم! وتقول فتاة أخرى ، وكان من المفروض أن تكون في الفرقة الرابعة ، غير أن معاملة البيت لها كانت السبب في تأخرها في الدراسة حسبما ترى هي! وتعتبر فتاة عن عقوق أمها لها فتقول: ما شعرت يوماً بحنان الأب والأم ؛ فالأم لاهية في شؤون البيت والعمل ، وكذلك الأب لا

يسأل عني ، كنت أتمنى أن يكون لي أب وأم ، فهما موجودان معي ، لكنهما غائبان دائماً! وتقول فتاة أخرى ، وتتعجب من رفض والدها من تدينها ، وتحكي عن نفسها قائلة: «الحمد لله. أنا ملتزمة ، ولدت في أسرة لا تعرف أي نوع من أنواع الالتزام. كان أحب إلي والدي أن أقول له: أنا سأذهب إلى النادي ولا أقول له: إنني ذاهبة إلى مسجد ، وعندما أحتج على هذا يتم ضربني وسبني ، فكنت أكذب لكي أنزل إلى المسجد أو أحضر درس علم ، وأقول أنا ذاهبة إلى النادي ، أو إنني سأذهب إلى إحدى صديقاتي ننتزه وسأرجع متأخرة. ليس هذا فقط ، بل عندما يتقدم لي شاب ملتزم يتم رفضه وطرده ، لأنه ملتزم! وهذه فتاة تقول أنها كانت تجد الحنان لدى أمها دون والدها ، لكنها فقدت أمها بعدما ماتت ، ولم يبق إلا الوالد الذي لم ينجح أن ينشئ حواراً بينه وبينها ، فهو دائم الصراخ فيها ، شديد العصبية معها ، بل تكاد الفتاة تبكي حين تذكر لشبكة «إسلام أون لاين.نت» أن أباهما لم يقبلها مرة في العمر. والأمر ليس حصراً على البنات ، فهذا شاب طالب بكلية الطب يبث همومه فيقول: (أنا شاب نشأت في أسرة لا أرى فيها أبي كثيراً ، فهو كثير السفر ، كل همه أن يأتي بالمال ، اشترى لنا شقة في مكان مميز ، واشترى لي سيارة. كل شيء أريده معي ، غير أبي ، تعرفت على رفاقي وأصحابي ، ألهو وأعبث معهم ، أسهر الليالي ، أنجح في دراستي «بالعافية» ، غير أنني سئمت الحياة ، كرهت الغنى ، ليتني كنت فقيراً ومعني أبي). هذه نماذج نعتبر أنها غيظ من فيض ، وقليل من كثير ، ولو كشف الغطاء عن عقوق الآباء لأبنائهم لرأينا عجباً).هـ. وإننا لنعتذر عن طول مقدمة هذه القصيدة غير المتعمد ، ونعود إلى المعلمة المحترمة ، فتخيلتها تقول لولدها:

إنني سألتك بيديهم لأكفافي	فجرحتنني بجوابك المتجاف
وجعلتنني فيمن أخطب مُسخة	أبكي على شخصيتي وعفافي
وكسرت قلبي ، والدموع سواجم	ويح البكا بالمدمع الذراف!
وأزحنت عن عيني ستائر غفلة	بذلتها برقائق الأفواف
فبصرت بالأخطاء تغمر عيشتي	وتحيل بيتي بصورة الإحفاف
وعلمت أنني كم جهلت رسالتي	ونأيت عن درب الصواب الصافي!
وعرفت ما يدعو له هذا الفتى	من حكمة تدعو إلى الإنصاف
يا ليتني أدركت من دهر مضى	لأضم طفلي حسبة ، وأصافي!
حتى أربيه على خلق الصفا	مترفعاً في سُوددٍ وطراف
متفياً ظل الكرامة والوفا	في منزل كالروضه المئناف
متحلياً بشرافة وترفع	عن سيئ الأخلاق والأوصاف
مستمساً بكأ بهدي النبي تعبداً	وموحّداً ربّ الأنعام الكافي

ليقول ما هو في الضمائر خافي
ولدى ضحيته الدليل الوافي
حتى دهى الطفل الصغير تجافي
حتى أصيب بغلظة وجفاف
إن جادت الأعوام باستئناف
إذ لم يقل شيئاً من الأهداف
سمعوه بين موافق ومنافي
ولكي أشيد بمن سما وأكافي
إذ قيل في عز وفي استشراف
أو قيل أعقد من روي القافي
فيها الكثير من الطموح الضافي
ومعاقب الآمال بعد توافي
كل يؤدي الدور في الإشراف
محفوفة بالخوف والإرجاف
ويعيش وسط الأهل في الأكناف
أن لا أعماله كما الأضياف
ليبيت ينعم بالحنان الدافي
حتى نال الأجر بالأضعاف
منها اشفنا ، يارب أنت الشافي!

يا ليتني جادته بصراحة
لأرى جريمة والى وأد ابنه
مازال يدأب في التجافي والنوى
مازال يُمعن في تجاهل طفله
هو غاير الأولاد فيما أملاوا
أزرت به بين الصغار مطامح
ورأيتهم يتندرون على الذي
وأنا التي ساءلتهم ليعبروا
وابني تفرد بالجواب له صدئ
مهما بدا كعزيف جن غامض
ورأيته أجوبة الرفاق صريحة
فحياتهم فيها التفاول طابع
والأهل في تلك الحياة نعيمها
لا يتركون الطفل يحيا وحشة
لا يهملون الطفل إذ هم أهله
أنا من صدئ ما قال طفلي أنتوي
بل أصطفية لختي وصداقتي
وأذكّر الأب أن يكون خليته
رباه بصّرنا بكل عيوبنا

دعوها فإنها منتنة

(لقد تكلمنا من قبل عن الجاهلية ودعواها ومنهجها وأهلها! حتى لقد أفردت ديواناً بأكمله عن دعوى الجاهلية وحميتها ومنتها! وجعلت هذا العنوان جزءاً من حديث للنبي - صلى الله عليه وسلم - هو: (فأعضوه ، ولا تكنوا!) واليوم أكتب عن حمية الجاهلية وأجعل العنوان أيضاً جزءاً من حديث للنبي - صلى الله عليه وسلم - هو: (دعوها فإنها منتنة)! لقد أخرج الله رَبُّ الْعَالَمِينَ - سبحانه وتعالى - عَلَى يَدَي نَبِيِّهِ مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، ألا وهي الأمة الإسلامية ، فَصَارُ أَتْبَاعُهَا عَابِدِينَ مُوَحِّدِينَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُتَابِعِينَ لِنَبِيِّهِ - صلى الله عليه وسلم - فيما جاءهم به من ربه - تبارك وتعالى. وَأَعْلَمَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي (مُسْنَدِهِ): (أَيُّهَا النَّاسُ! كُلُّكُمْ لِأَدَمَ ، وَأَدَمُ خُلِقَ مِنَ التُّرَابِ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). وَبَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ - عز وجل - قَدْ أَرَسَى وَثَبَتَ دَعَائِمَ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ دِينَ الْإِسْلَامِ ، وَأَقَامَ أَسَاسَ الْمِلَّةِ الْإِيمَانِيَةِ الْمُتَمِّينَ ، وَجَاهَدَ النَّبِيُّ وَصَحَابَتَهُ وَالتَّابِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، حَتَّى دَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ بِهَذَا الدِّينِ! وَأَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَنْسُ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، كَمَا يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْكَيْدِ وَالْإِنْتِقَامِ مِنْ هَذَا الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، بَعْدَ أَنْ أَرَسَى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَعَالِمَ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَةِ الْغُرَاءِ ، وَبَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ الْمَحَجَّةَ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ ، وَكُنَّ الشَّيْطَانُ الْإِنْسِي وَالْآخِرُ الْجَنِي وَأَعْوَانُهُمَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَمْ يَبْأَسُوا قَطَّ مِنَ التَّخْرِيشِ بَيْنَهُمْ أَيِّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ ، وَلَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - مِنَ الصَّرَاحِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَمَاهُ كَفْرًا لِلتَّنْفِيرِ مِنْهُ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ). وَرَوَى الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ بِسَنَدِهِ وَغَيْرِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: مَرَّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ - وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَسَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ عَظِيمَ الْكُفْرِ شَدِيدَ الضَّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ - عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي مَجْلَسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ ، فغَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ جَمَاعَتِهِمْ وَالْفِتْنَةَ وَصَلَحَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ - يَعْنِي الْأَنْصَارَ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ - ، لَا وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَأُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ ، فَأَمَرَ فَتَى شَابِئًا مِنْ يَهُودٍ وَكَانَ مَعَهُ فَقَالَ لَهُ: ائْتِمْ إِلَيْهِمْ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ فَذَكِّرْهُمْ يَوْمَ بَعَاثَ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنْشُدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ ، فَفَعَلَ ، فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ فَتَنَازَعُوا وَتَفَاخَرُوا حَتَّى تَوَاتَبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَيِّينَ عَلَى الرِّكْبِ فَتَقَاوَلَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنْ شِئْتُمْ رَدَدْنَا الْآنَ جَذْعَةً ، وَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ وَقَالُوا: قَدْ فَعَلْنَا السَّلَاحَ السَّلَاحَ مَوْعِدِكُمُ الْحَرَّةَ فَخَرَجُوا إِلَيْهَا وَتَحَاوَزَ النَّاسُ عَلَى دَعْوَاهُمُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى جَاءَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُ اللَّهُ.. أَبَدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ ، بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَكْرَمَكُمُ بِهِ ، وَقَطَعَ عَنْكُمُ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَاسْتَنْقَذَكُمُ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ تَرْجِعُونَ إِلَيَّ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا؟! فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، فَالْقَوْا السَّلَاحَ وَبَكَوْا وَعَانَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، ثُمَّ انصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ ، قَدْ أَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ شَاسِ بْنِ قَيْسٍ! لَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْظَمِ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ،

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ حُرْمَةَ الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ ، وَنَادَى النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ أَجْمَعِينَ: (أَيُّهَا النَّاسُ!) ، فَتَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْخِطَابِ إِلَى النَّاسِ ، وَمَا كَانَ حَاضِرًا مَعَهُ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَكِنَّهُ ﷺ كَأَنَّمَا يُشِيرُ أَنَّهُ لَا فَلَاحَ لِلْبَشَرِيَّةِ وَلَا سَعَادَةَ لَهَا إِلَّا بِاتِّبَاعِ نَهْجِهِ ﷺ. وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لِبَعْضِهِمُ الْبَعْضُ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوعِ ، كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ ، (مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ). وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ (أَنَّ الْمُسْلِمَ لِلْمُسْلِمِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا - وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ). -) كَمَا حَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْعَصِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَبَيَّنَ أَنَّ (مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عَمِيَّةٍ ، يُقَاتِلُ لِلْعَصِيَّةِ ، وَيُقْتَلُ لِلْعَصِيَّةِ ، فَقَتَلْتَهُ جَاهِلِيَّةً). وَرَوَى الْإِمَامَانِ الْعَظِيمَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عِنْدَمَا ضَرَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (أَبْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ ، دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ) رَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ (دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ) ، وَرَوَايَةُ مُسْلِمٍ: (دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ). مَعَ أَنَّ هَذِهِ "يَا لِلْمُهَاجِرِينَ" أَوْصَافٌ يَحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَمَّى الْمُهَاجِرِينَ بِهَذَا الْاسْمِ ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّى الْأَنْصَارَ بِهَذَا الْاسْمِ فَقَالَ: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ). وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا أَصْبَحَتِ الدَّعْوَةُ هُنَا عَلَى غَيْرِ حَقٍّ ، بَلْ هِيَ تَعْصِبٌ لِلْبَاطِلِ ، أَصْبَحَتِ مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ. لَقَدْ هَدَمَ النَّبِيُّ ﷺ الْعَصِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ مِنْ أُسَاسِهَا ، وَنَسَفَ عُضْرِيَّةَ الْعِرْقِ وَاللَّوْنِ وَالْجِنْسِ! حَيْثُ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ ، وَأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ عَرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ ، وَلَا فَضْلَ لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَطَاعَتِهِ. وَأَعْلَنَ النَّبِيُّ ﷺ حُرْمَةَ الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَفِي يَوْمِ النَّحْرِ ، وَفِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا). وَأَشْهَدُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْبَلَاغِ الْمُبِينِ: (اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ). فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. يَرْفَعُ إصْبَعَهُ السَّبَّابَةَ إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكِتُهَا إِلَيْهِمْ: (اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ ، اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ ، اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ). فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَلَاغَ الْمُبِينِ. وَبَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْعَصِيَّةَ مُنْتَنَةٌ ، وَأَنَّهَا مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانُ فِي (صَحِيحَيْهِمَا) ، عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَأَنَّ لِعَابًا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ - كَسَعَهُ: أَيَّ ضَرْبَةٍ عَلَى دُبُرِهِ أَوْ عَلَى عَجِيزَتِهِ بِيَدِهِ أَوْ بِرِجْلِهِ أَوْ بِغَرَضٍ سَنِيهِ - ، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَى الْقَوْمُ؟ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ! وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ! وَسَمِعَهَا النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ ، فَخَرَجَ ، فَقَالَ: (مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟) فَلَمَّا أُخْبِرَ ﷺ ، قَالَ: (دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ). وَحَوْلَ هَذَيْنِ الْإِسْمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - حَوْلَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ تَدَاعَى كَلْفَيْنِ - تَدَاعَى مَنْ تَدَاعَى عَصِيَّةً ، فَرَفَضَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا ، وَقَدْ مَدَّحَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُهَاجِرِينَ فِي كِتَابِهِ وَمَدَّحَ الْأَنْصَارَ ، وَمَدَّحَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ فِي صَحِيحِ سُنَّتِهِ ، وَمَدَّحَ الْمُهَاجِرِينَ. وَلَكِنْ لَمَّا تَدَاعَوْا حَوْلَ الْإِسْمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ عَصِيَّةً ؛ غَضِبَ ﷺ ، وَقَالَ: (مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، وَكَفَى بِالْمُسْلِمِ إِثْمًا أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ). كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثٍ أُخْرَى لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، بَلْ جَاءَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى صِرَاحَةً فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ. إِنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ

الإسلام لَحْمَةً وَسُدَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمُسْلِمُونَ شِعَارُهُمُ الَّذِي يَتَّعَصِبُونَ حَوْلَهُ هُوَ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ. وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخْبَرَنَا (أَنَّ أَقْوَامًا سَيَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ) ، فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا (هُوَ كَالْجَعَلِ يُوَدِّعُ الْخُرْعَ فِيهِ) ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنَزَلَتَهُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ كَالْجَعَلِ ؛ وَهُوَ الْجُعْرَانُ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعَامَّةِ (الصرصور) ، (يُوَدِّعُ): أَي يَدُخْرِجُ الْخُرْعَ (بِفِيهِ) ؛ مِنْ وَضَاعَتِهِ وَقِدَارَتِهِ وَعَفُونَتِهِ وَحَقَارَتِهِ. وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (لِيُنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا ، وَإِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ ، أَوْ لِيَكُونََنَّ عِنْدَ اللَّهِ أَهْوَنَ مِنَ الْجَعَلِ الَّذِي يُوَدِّعُ الْخُرْعَ فِيهِ). وَهَكَذَا بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطُورَةَ الْعَصَبِيَّةِ ، وَخَطُورَةَ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى الشَّعَارَاتِ الْحَزْبِيَّةِ الَّتِي لَيْسَتْ عَلَى هَدَى مِنْ اللَّهِ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ، وَإِلَى الْإِنْتِمَاءَاتِ الضَّيِّقَةِ الرَّدِيَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَنْ تَعَزَّى بِعَزَائِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ وَلَا تُكْنُوهُ) ، وَفِي رَوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: (فَأَعْضُوهُ بِهَنْ أَبِيهِ وَلَا تُكْنُوا). فَبَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَنْ انْتَمَى أَوْ انْتَسَبَ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ عَصَبِيَّةً بِشِعَارٍ مِنْ شِعَارَاتِ الْعَصَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَهَذَا جَزَاؤُهُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ ، (فَأَعْضُوهُ - فَأَمْصُوهُ - بِهَنْ أَبِيهِ وَلَا تُكْنُوهُ) ، هَكَذَا ظَاهِرًا ، وَمَا أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْعَى لِفُحْشٍ ، وَلَكِنْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا هُنَاكَ مِنْ قُبْحِ الْعَصَبِيَّةِ بِإِنْتِمَائِهَا. إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ بَيَّنَّ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لِأَدَمَ ، وَأَنَّ أَدَمَ قَدْ خُلِقَ مِنَ التُّرَابِ ، (كُلُّكُمْ لِأَدَمَ ، وَأَدَمُ مَخْلُوقٌ مِنْ تُرَابٍ ، فَلَا يَفْخَرَنَّ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ). قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَلَا إِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَحَتَّى لَا يَتَكَبَّرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ ، وَأُورِدَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ النَّارَ). وَإِذَنْ فَمِيزَانُ التَّفَاضُلِ فِي التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ هُوَ التَّقْوَى وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ الْمُوَافِقُ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالَّذِي أَخْلَصَ فِيهِ صَاحِبُهُ فَادَّاهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى! إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّعَصِبُونَ إِلَى الْعَصَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، مَقَّتَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، (إِذْ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارَاتِ وَالْبَيْعِ) ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ وَالرَّسُولُ الرَّحِيمُ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَهُوَ يَرُدُّ الْأَمْرَ إِلَى نِصَابِهِ ، وَيَعِيدُ الْقَوْسَ إِلَى بَارِيهَا ، وَيُضَعُ لِلنَّاسِ الْمَعْيَارَ الدَّقِيقَ الَّذِي يَتَفَاضَلُ بِهِ النَّاسُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. وَلَمَّا عَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِإِلَّاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، عَيْرَهُ بِلُونِ أُمِّهِ ، فَقَالَ: يَا ابْنَ السُّودَاءِ. وَاشْتَكَى بِإِلَّاءِ أَبِي ذَرٍّ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ ، فَقَالَ: (إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ). وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَّ أَنَّ (مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْعَصَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ أُوْرِدَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ النَّارَ). قَالُوا: وَإِنْ صَلَّى وَإِنْ صَامَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَإِنْ صَلَّى وَإِنْ صَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ). لَا انْتِمَاءَ إِلَّا إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ ، أَعَزَّنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ ، وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْتَمِي إِلَى عَائِلَةٍ وَلَا قَبِيلَةٍ وَلَا شَعْبٍ وَلَا وَطَنٍ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ أُنْسَابِنَا مَا نَصِلُ بِهِ أَرْحَامَنَا ، فَقَالَ: (تَعَلَّمُوا مِنْ أُنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ). وَلَكِنْ لَا عَصَبِيَّةَ ، وَلَا انْتِمَاءَ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ لِلْعَصَبِيَّةِ ، وَإِنَّمَا الْإِنْتِمَاءُ إِلَى دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي أَخْرَجَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ؛ لِكَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ أَنَّهُمْ لِأَدَمَ ، وَأَنَّ أَدَمَ مَخْلُوقٌ مِنْ تُرَابٍ ، وَأَنَّهُ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ ، إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ. وَنَبِيُّكُمْ ﷺ يُخْبِرُكُمْ مُنْذِرًا وَمُحَدِّرًا ، فَيَقُولُ ﷺ: (مَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسْبُهُ). وَقَدْ نَادَى النَّبِيُّ ﷺ الْعَبَّاسَ - عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - وَنَادَى عَمَّتَهُ صَفِيَّةَ ، وَنَادَى ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَعَنِ الصَّحَابَةِ وَالْأَلِ أَجْمَعِينَ - : (اعْمَلُوا لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا فَاطِمَةُ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتَ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا). لَا أَحْسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا أَنْسَابَ ، وَإِنَّمَا هُوَ الدِّينُ ، فَمَنْ جَاءَ رَبَّهُ مُسْلِمًا مُوقِنًا مُحْسِنًا ؛ فَلَهُ الْمَقَامُ الْأَسْنَى عِنْدَ رَبِّهِ ، وَهُوَ مُعَزَّزٌ مُكْرَّمٌ ، وَمَنْ جَاءَ - وَلَوْ كَانَ شَرِيفًا قَرَشِيًّا - بِالْعَمَلِ الطَّالِحِ ؛ فَلَهُ الْمَكَانُ الْأَرْدَى وَلَا كَرَامَةٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا تَفَاضُلَ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ. وَالْقُرْآنُ هُوَ الَّذِي قَضَى عَلَى الْعَنْجَبِيَّةِ ، وَدَعَاوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَضَى عَلَى التَّفْرِقَةِ الْعَنْصَرِيَّةِ وَالنَّسَبِيَّةِ وَاللُّونِيَّةِ ، وَوَضَعَ أُسَاسَ الْمَسَاوَاةِ بَيْنَ النَّاسِ كَافَّةً ، فَالنَّاسُ رَبُّهُمْ وَاحِدٌ وَكُلُّهُمْ لِأَدَمَ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِيٍّ ، وَلَا لِعَجْمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَبْيَضٍ عَلَى أَسْوَدٍ وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَبْيَضٍ ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِالتَّقْوَى ، وَالتَّقْوَى جَمَاعٌ كُلُّهُدَى وَحَقٌّ وَخَيْرٌ. وَصَدَقَ اللَّهُ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ، فَالنَّاسُ مَهْمَا تَعَدَّدَتْ شُعُوبُهُمْ ، وَتَبَايَنَتْ أُمَّمُهُمْ فَيَجْمَعُهُمْ رِبَاطٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ رِبَاطُ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَامِ ، وَهَذَا أَسْمَى مَا يَطْمَعُ فِيهِ مِنْ تَشْرِيعٍ! وَقَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ). وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي صَلَحَتْ بِهِ الدُّنْيَا ، وَحَوْلَ مَجْرَى التَّارِيخِ ، وَأَقَامَ أُمَّةً كَانَتْ مُضْرِبَ الْأَمْثَالِ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِخَاءِ وَالْعَدْلِ وَالْوَفَاءِ ، وَالْوَفَاقِ وَالْوَنَامِ ، وَأَظْلَمَ الْعَالَمَ بِلُؤَاءِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ حَقْبَةَ مِنَ الزَّمَانِ ، وَصَيَّرَ مِنَ رِعَاةِ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ عُلَمَاءَ حُكَمَاءَ رَحْمَاءَ ، وَسَادَةَ قَادَةَ فِي الْحُكْمِ وَالتَّوْجِيهِ ، وَالسِّيَاسَةِ وَالسَّلْمِ ، وَالْحَرْبِ ، عَقَمَتِ الدُّنْيَا عَنْ أَنْ تَجُودَ بِمِثْلِهِمْ. وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي لَا تَفْنَى نُخَانِرُهُ ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا يَزِيدَادُ عَلَى التَّكْرَارِ إِلَّا حِلَاوَةً وَطِلَاوَةً. وَتِلْكَ لِعَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى خُصِيصَةٌ مِنْ خُصَائِنِ الْقُرْآنِ وَمَنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا فَلْيَسْتَفْتِ الذُّوقَ وَالتَّوْجِدَانَ وَالقَلْبَ وَالْأَذَانَ ، وَلْيُوزَنْ فِي هَذَا بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ الْإِنْسَانِ ، وَحِينَئِذٍ سَيَتَذَوَّقُ ، وَمَنْ ذَاقَ عَرَفَ ، وَمَنْ عَرَفَ اعْتَرَفَ. طَبْعًا عَلَى مَنْهَاجِ أَهْلِ السَّنَةِ لَا عَلَى مَنْهَاجِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ! وَمَهْمَا تَعَاقَبْتَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الْأَجْبَالِ وَالسَّنُونِ لَا يَزِيدَادُ إِلَّا جِدَّةً وَطِرَافَةً وَلَا يَزَالُ غَضًّا طَرِيًّا كَمَا أَنْزَلَ ، وَكَلِمَا تَقَدَّمَتِ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ الْإِنْسَانِيَّةُ تَكْشِفُ لِلنَّاسِ مِنْهُ الْعَجَبَ الْعَجَابَ! وَصَدَقَ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ: (سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). بَلَىٰ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدِهِ عَنِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ قَالَ: مَرَرْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَىٰ عَلِيِّ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا تَرَى النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الْأَحَادِيثِ قَالَ: أَوَقَدْ فَعَلُوها؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ» قُلْتُ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ ، فِيهِ نَبَأٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جِبَارِ قِصْمَةِ اللَّهِ ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَانِبَهُ ، هُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجَنُّ إِذْ سَمِعُوهُ حَتَّىٰ قَالُوا: (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّا بِهٍ). مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ أَجْرَ ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدْلَ ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ! عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ كَانَ الْبَاعِثُ عَلَىٰ كِتَابَةِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَحَدَ الْعَنْصَرِيِّينَ الْجَاهِلِيِّينَ كَانَ يَجْلِسُ مَعَ صَدِيقٍ لِي ، فَإِذَا بِهِ يَظْهَرُ الْعَنْصَرِيَّةَ وَيَتَحَامَلُ عَلَىٰ بِلَدِي دُونَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّي مِنَ أَهْلِ مِصْرَ! حَيْثُ ظَنَّ أَنَّي مِنَ عَمَانَ عَلَىٰ حَدِّ تَعْبِيرِهِ! فَلَمَّا اسْتَوْتَقَفْتُ مِنْ صَدِيقِي عَنْ رَجُولَةِ هَذَا الْعَنْصَرِيِّ

وأمانته فمدحه لي! واستأذنته في الحوار بصراحة فأذن لي! واشتعل الحوار ناراً بعد أن دارت رحاه! ووضعت داره مع داري في مقارنةٍ منصفةٍ صريحةٍ جريئة! ولما أقر بالهزيمة تعارفنا أكثر ، ونصحت له فقلت: إن نبيك – صلى الله عليه وسلم – قال لأمثالك من العنصريين: (دعوها فإنها منتنة! فإنها قد أهلكت الأمم من قبلكم! ولما علمتُ من صديقي - الذي عزمنا معاً في مطعم حاتم الطائي في دار غربتي في أحد أيام شتاء 1994م ، - أن صديقه الذي كان ثالثنا في المطعم رجل على قدر المسؤولية – طال بنا الحديث واستطرت المقارنات ، وأثبت له بالدليل الواقعي والاستقرائي والتاريخي وشهادة الأعداء قبل الأصدقاء وشهادة المؤرخين والمستشرقين وكتاب التاريخ في القديم والحديث ، أن بلدي مصر هي بلد الـ 7000 سنة حضارة! علم ذلك أم جهله. اعترف به أم لم يعترف! وأن لمصر الريادة في كل شيء! وأنها كما أورد المقرئ في الخطط يمكن أن تستغني عن العالم ، ولا يستغني العالم عنها! وأن بلده يكاد يكون عمر حضارتها نصف قرن لا يزيد! وحتى حضارة بلده لم تصنعها بلده ولا شعبه! بل هي حضارة مشتراة بالمال! أما حضارة مصر فهي صناعةٌ مصريةٌ بأيدي مصريةٍ ابتداءً من الحضارة الإسلامية التي بدأها مصرًا بنوح المسلم المؤمن الموحد ، وإليه نسبت مصر وأخذت اسمها ، وذلك بعد الطوفان! مروراً بالحضارة الفرعونية حضارة أنا ربكم الأعلى ، ما علمت لكم من إله غيري ، ما أريكم إلا ما أرى ، وبئست الحضارة ، مروراً بالحضارة الرومانية حضارة المسيح ابن الله ، ومروراً بالحضارة الإسلامية حضارة لا إله إلا الله! ونعمت الحضارة حضارة التوحيد الخالص والعقيدة الصافية! وأقر لي في النهاية بجمال مصر وريادتها وأستاذيتها في كل المجالات! وناشدته مراراً أن يتخلى عن عفن الجاهلية ودينسها وعفونتها! ووعدني بأن يفعل وأن نحيا صديقين يكتم كل منا سر صاحبه!)

زَنْ مَا تَقُولُ ، وَخَفَ مِنَ الْخَلْقِ
 تُفْتِي خَزَعْبَةَ ، لَتَقْتَعِ سَامِعاً
 وَتُرْقِعُ الثُّوبَ الرَّثِيثَ لِيَزْدَهِي!
 بِالْغَتِ فِي تَصْوِيرِ دَارِكِ جَنَّةٍ
 وَرَفَعْتَ مِنْ قَدْرِ الطَّوَاغِيَتِ الْأَلَى
 وَجَعَلْتَ قَوْمَكَ يَا مَغَالِطَ فِي الذَّرَى
 وَصَنَعْتَ - مِنْ قَاعِ الْحَضِيضِ - شِرَافَةَ
 ثُمَّ انْبَرَيْتَ - عَنِ الْغَثَاءِ - مَنَافِحاً
 وَكَأْتُمَا حَقَّقَ تَسْوِقُ دَلِيلِهِ
 أَثْرَاكَ - بِالتَّزْيِيفِ - تَخْتَصِرُ الْمَدَى؟
 أَثْرَاكَ تَخْدَعْنَا بِلَيْنِ تَصْنَعُ
 لَيْسَ الَّذِي تَهْذِي عَلَى الْإِطْلَاقِ
 وَيَطِيرُ مَا تُفْتِيهِ فِي الْآفَاقِ
 وَدَوَاهُ بَيْنَ الرَّمْيِ وَالْإِحْرَاقِ
 زِينَتُ لِكُلِّ مَتَيْمٍ مُشْتَقِاقِ
 حَكَمُوا بِغَيْرِ شَرِيعَةِ الْخَلْقِ
 وَصَدَحَتْ بِالْأَمْدَاحِ فِي الْأَبْوَاقِ
 وَخَلَعْتَ كَمِ مَنْ طَيَّبَ الْأَعْرَاقِ!
 بَتَكَافٍ مَتَزَلِّفٍ رِقْرَاقِ
 كَالشَّمْسِ إِنْ عَمَدَتْ إِلَى الْإِشْرَاقِ
 إِنْ الزَّيْـوُفِ تُمَيِّتُ كَالْتَرِيَاقِ
 تُزْجِيهِ إِنْ جَمَعَ الْخُصُومَ تَلَاقِي؟

مهما جهرت بلوثة استشرق
وتمرّغت في التيه والإخفاق
بين الورى مرفوعة الأعناق
وتعللت بالكسب والأرزاق
بقبائل عانت أليم شقاق
بل جاهرت بمساوى الأخلاق
ومراجع التاريخ تحوي الباقي
وتحوطه بالحب والأشواق
كم أهكت أمماً بلا إشفاق!
أنت الجديرُ بذلك الإحفاق
من كل شئ في عظيم نطاق
ومن الذي يعطي عطا الرزاق؟
سمت ، ولم يدحض بأي فراق
إن التقدم بعض الاستحقاق
والعلم أين بنهجه الخفاق؟
والشعرُ أين بنظمه الرقراق؟
أم فقهم في السفر والأوراق؟
أمراضكم من دون أي نفاق؟
إما هفا داءً إلى ترياق؟
وتناولوا الأحكام باستغراق؟
ويطوقون البغي بالأطواق؟

إن الحقيقة واضح برهائها
وأراك مفتخرراً بأسباب هوث
لم تحرز المجد الرفيع فتستمي
بل فرطت في الدين والدنيا معاً
حتى أحلوا قومهم دار الفنا
لم تتبع هدي النبي المصطفى
واستسلمت لسؤلومها ، فترهلت
واستمسكت بثراتها تزهو به
يا صاح دع قومية همجية
وأجق حقاً ، ثم أبطل باطلاً
أعطاكم المنان رزقاً واسعاً
وحباكم الثروات يصعب حصرها
من نصف قرن والغنى في شعبيكم
لم لم تكونوا في مقدمة الورى؟
بين البرايا أين هم علماءكم؟
بل أخبروني أين هم أدباؤكم؟
بل أين هم فقهاءكم؟
بل أين كتاب لكم قد شخصوا
أين الصيادلة الألى هم عداة
أين المحامون الألى ضبطوا القضا
أين الجنود يدافعون عن الحمى

وبدون تدليس على الإطلاق؟
والحق فيكم بلاء بالإزهاق!
ومشيتم في البلاد والأنفاق
وجعلتم التطبيع خير صدق
خابت زبائنكم! وخاب الساقى!
حرباً ثبيد مزارع الاسترقاق
ولكم - على التضليل - شر رفاق
بنس التخرص ليك بالأشفاق!
وظفوسها انبثقت من الأعماق
واعمد إلى التفكير والإطراق
فشملتني بالعطف والإشفاق
ببسيط لفظ واضح بزاق
بل كان نصحي بالكلام الراقى
لم أورد التشخيص بعد طباق
كالبدر إما طل بعد محاق
لا يستحق سوى ردى بصاق
من مجد قوم بارز عملاق
أم قد أصبت بلوثة استغلاق؟
ودمياً يُعالج سطة الإيراق؟
يارب أنقذنا من الفساق!

أين القضاة بشرع ربي قد قضيوا
لم تُحرزوا نصراً ، ولم تتقدموا
وسلكتم درب العدا في خسة
وخطبتم وديهم وودتم حكماً
وفتحتم الحانات كي يرضى العدا
وبطشتم بالثائرين لثمعدوا
قد سجل التاريخ أنكم غثا!
تتشدقون بأنكم أهل السخا
حاربتم الإسلام حرباً فجاة
يا صاحبي أقصر ، ولا تك مغرضاً
فلربما أدركت صدق تصوري
إني انفعلت لكي أبين حجتى
لم أتخذ لغة البيان مطية
لم أورد التشبيه بعد كناية
بل كان قولي فاصلاً ومبيّناً
دع عنك تزييفاً تُضالنا به
هبننا وثقتنا بالذي تهذي به
أولا ترى التضليل يغمر داركم؟
أولا ترى حرباً غدت بوكالة
صارخ ، وقلها إنكم أهل الشقا

إلا الذين آمنوا

(إنه ليُفترض فيمن يُشرفون على الإذاعة المدرسية أن يكونوا معلمين مثقفين على درجة عالية في مختلف الثقافات! ولكن للأسف ابتليتُ على مدى حياتي التدريسية بنوعيات بينها وبين الثقافة كما بين السماء والأرض. فلا وعي ولا فقه ولا فهم عند أغلبهم. وقشة قصمت ظهر بعير تحملي كل هذه العقود أن قام أحد الأبناء بقراءة القرآن الكريم قراءة عذبة لخواتيم سورة الشعراء مبتدئاً بقوله تعالى: (قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) ، واستمر في قراءته وأنا أسمع وأتذوق مع المستمعين والمتذوقين للقرآن من المعلمين والطلاب ، فإذا بمشرف الإذاعة يطلب منه الوقوف عند الآية: (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) ، فحزنتُ حزناً عميقاً وأنا شاعر والآية تعيني بالطبع في جملة الشعراء ، وكنت أقول في هذا الفريق من الشعراء المتهمين اللهم لا تجعلني منهم. وانتظر الشعراء المؤمنين لأدعو الله أن لا يجعلني منهم! فإذا بمشرف الإذاعة الجاهل يقف عند قوله تعالى: (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) ولم يكمل الاستثناء في قوله تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا)! فأنشدت هذه القصيدة لأترجم لهذا المشهد المضحك وكأني أقول لمشرفي الإذاعة: دعوه يكمل ليعلمنا أن الشعراء صنفان: مسلمين ومجرمين ، فاسقين ومؤمنين!)

دعوه يُكمل ما يتلوه من دُرر	تزيل كل صنوف الحزن والكدر
تُؤدبُ النفس تهديها حقيقتها	وتغمر القلب بالإلهام والفكر
وتُبهجُ الروح بالأحكام مشرقة	حتى تحن إلى الترويح والبشر
وتستعينُ بها مشاعرٌ ذبلت	على الحماسة والتفريح والسمر
وتستطيلُ الأحاسيسُ العذابُ بها	على حياة تُصيب العبد بالضجر
دعوه يُعلمنا الشعراء مذهبهم	لم يُلَفَ متحداً على مدى العُصر
فبعضهم بكتاب الله قد عملوا	وشِعْرهم في الورى أعلى من الدرر
لَمَّا يصوغوا هراءً في قصائدهم	ومن يطالعُ أصيل الشعر يعتبر
هذي دواوينهم بصدقهم نطقت	تُزجي الضياء لنا كالشمس والقمر
لم تتخذ لغة التطويع ، بل صدعت	بالحق في عالم مضلل أشر
هم مؤمنون ، وتقوى الله طابُعهم	ومن يخفُ ربه يفلحُ وينتصر
والصالحات لهم نهجٌ ومدرسة	لا يعبأون بتبسيطٍ ولا خور
والذاكرون هم في كل مصطدم	نكراً كثيراً بإخلاص على الأثر

من بعد ظلم أتى بالقهر والضرر
ومن تفقدهم يُدرك ويذكر
لمأدهانا بشعر مقرفٍ قذر
في أتعس الحال والسيماء والخبر
من كل منتكس مخادع أشر
ولا مبادئ عند السوقة العجر
حياة كل من البرهان والأثر!
هيام نذل إلى الأخلاق مفتقر!
ألا يخافون يوم الحشر من سقر؟
فهل مغولٌ هم غزوا مع التتر؟
ففي البوادي لهم سواى وفي الحضر
حتى يكون جميع الناس كالنور
هم التوابع كالخرفان والحُمُر!
سُودٌ ، وفيها من الإذلال والقتل
على الأنعام بلا إذن ، ولا نذر
عبدٌ تشبث بالكفران والعور
فلا نكون بهم في شر منحدر
كم نستغيث ، فيارب الورى أجزر!

وجلهم لهدى الإسلام منتصرٌ
ولا يُدائون في جلى ومكرمةٍ
أما الفريق الذي الدنيا به شقيت
فهؤلاء لهم غاؤون تحسبهم
بشعر أهل الهوى يا ويحهم فتنوا
الكاذبون هم في كل معترك
وكم يقولون ما لا يفعلون ، وفي
وكم يهيمون في الوديان تمقتهم
وكم يشيعون في الأصقاع فاحشة!
وكم يدكون ما في الدار من قيم!
وكم يسيحون في الأمصار دون حيا!
يُوصلون لفوضى لا حدود لها
يُمهدون لددجال سيطرقهم
على رؤوسهم أخزى طيالسهم
كانهم خدّم الدجال أرسلهم
سيفتن الناس أشقاها وأعوورهم
أعاذنا الله من شر شعرا
وخصنا الله بالنجاة نحن به

زوجتي

(بناءً عن طلب ابننا أبي تميم كتبت هذه القصيدة بعنوان: (زوجتي) مبيناً لماذا كان الحب؟ وما هي حيثياته؟ وكيف يكون استمراره فلا ينتهي بانتهاء العمر في الدنيا؟ وبيّنت استمراره لما بعد الموت والبعث والحساب ، هناك في جنات النعيم (على سرر متقابلين لا يمستهم فيها نصب ، وما هم منها بمخرجين) ، مُذِلاً ذلك كله بالدعاء لهذه الزوجة الصالحة الراشدة! وإنما عنيتُ بالزوجة هنا أم عبد الله ، التي أحببتها في الله تعالى ، وتزوجتها على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -! ورجوت من ولدي عبد الله أن يحسن معاملة أمه وألا يفرط في الإحسان إلى زوجته على حساب أمه! بل يعطي كل منهما حقها! وليعتبر بسلفنا الكرام! فهذا حارثة بن النعمان ، فإنه كان يفتلي رأس أمه ، ويطعمها بيده ، ولم يستفهمها كلاماً قط تأمر به حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج ، ماذا قالت أمي؟ البر والصلة لابن الجوزي. وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نمت فرأيتني في الجنة ، فسمعت صوت قارئ فقلت: من هذا؟ فقالوا: حارثة بن النعمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك البر ، قال: وكان أبر الناس بأمه». رواه ابن وهب في الجامع. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. وقال أبو موسى الأشعري- رضي الله عنه - شهد ابن عمر- رضي الله عنهما- رجلاً يمانياً يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول: إنّي لها بغيرها المذلل ... إن أذعرت ركابها لم أذعرت ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها قال: «لا ، ولا بزفرة واحدة». الأدب المفرد للبخاري. وعن ابن عون قال: نبتت أن رجلاً دخل على محمد وهو عند أمه فقال: ما شأن محمد أيشتكى شيئاً؟ فقالوا: لا ولكنه هكذا يكون إذا كان عند أمه. الزهد لأحمد ابن حنبل. وبعض أسلافنا كان لا يأكل مع أمه يخاف أن تسبق يده إلى ما سبقت إليه عين أمه! فعن موسى بن عقبة قال: سمعت الزهري يقول: كان أبو الحسن علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهم من سادات التابعين ، وكان كثير البر بأمه حتى قيل له: إنك من أبر الناس بأمك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة ، فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها ، فأكون قد عفقتها. البر والصلة لابن الجوزي. من لا تقضي حاجتها إلا وظهره مطية لها ويوضنها ويصرف وجهه عنها! فعن زرعة بن إبراهيم أن رجلاً جاء إلى عمر فقال إن لي أمّاً بلغ بها الكبر وإنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها وأوضنها وأصرف وجهي عنها فهل أديت حقها قال لا. قال أليس قد حملتها على ظهري وحبست نفسي عليها. فقال عمر إنها كانت تصنع ذلك بك وهي تتمنى بقاءك وأنت تتمنى فراقها. بر الوالدين لابن الجوزي.)

ألا يا زوجتي ، أنيت	بمرضاتي لقد فزيت
عبدت الخالق المولى!	وبالتقوى تزينت
وتابعيت النبي ، وما	بغير الشرع جاهرت
وأحببت الصحابة ، كم	على من هاجهم سرت!
وأثرت الحياة على	يقين ، فيه كم عشت!
بلا لاتي ، ولا غزى	ولا طغيان ، أو جبت!
وعظمت الصلاة ، لندا	على الميقات صليت
وأديت الزكاة ، لندا	بأمر الله زكيت

بمَحَمَتِ الشَّهْرِ عَنْ رَغَبٍ
وَنَبَهَتِ الْأَلْسِي غَفْلًا
وَسِرَّتِ فَمَا رَأَتْ عَيْنٌ
لِذَا أَحْبَبْتُ طَيِّبَةً
وَمَنْ فِي الْخَيْرِ أَغْبَطَهَا
أَحْبَبْتُكَ ، أَنْتِ رَأَشِدَةٌ!
أَحْبَبْتُكَ يَا مُعَلِّمَتِي
وَلَا أَطْرِيكَ فِي وَوَلِيهِ
فَلَسْتُ مَزَكِيًّا أَحَدًا
دَعَاكَ اللَّهُ يَجْمَعُنَا
وَكَمَا الْقَوْلُ مَلْتَبَسًا
فَأَبْعَدَ رَبَّنَا السَّوَاءَ
وَجَنَّبَنَا مَنَاحِرَ فَوَا
وَأَنْتِ تَرِيثِي دَوْمًا
إِذَا جَافَيْتُ فِي خَلْقٍ
فَرَقِي فِي مَعَامَلَتِي
وَلَا أَلْقَاكَ ثَانَةً
وَحُسْنُ الظَّنِّ مَنَقِبَةٌ
وَدَارِكُ لَيْسَتْ الدُّنْيَا
وَلَا نَدْرِي نَهَائِتَهَا
فَسَبْحَانَ الَّذِي يَدْرِي

بمَحَمَتِ الشَّهْرِ عَنْ رَغَبٍ
وَنَبَهَتِ الْأَلْسِي غَفْلًا
وَسِرَّتِ فَمَا رَأَتْ عَيْنٌ
لِذَا أَحْبَبْتُ طَيِّبَةً
وَمَنْ فِي الْخَيْرِ أَغْبَطَهَا
أَحْبَبْتُكَ ، أَنْتِ رَأَشِدَةٌ!
أَحْبَبْتُكَ يَا مُعَلِّمَتِي
وَلَا أَطْرِيكَ فِي وَوَلِيهِ
فَلَسْتُ مَزَكِيًّا أَحَدًا
دَعَاكَ اللَّهُ يَجْمَعُنَا
وَكَمَا الْقَوْلُ مَلْتَبَسًا
فَأَبْعَدَ رَبَّنَا السَّوَاءَ
وَجَنَّبَنَا مَنَاحِرَ فَوَا
وَأَنْتِ تَرِيثِي دَوْمًا
إِذَا جَافَيْتُ فِي خَلْقٍ
فَرَقِي فِي مَعَامَلَتِي
وَلَا أَلْقَاكَ ثَانَةً
وَحُسْنُ الظَّنِّ مَنَقِبَةٌ
وَدَارِكُ لَيْسَتْ الدُّنْيَا
وَلَا نَدْرِي نَهَائِتَهَا
فَسَبْحَانَ الَّذِي يَدْرِي

لتكن طرفتك مائعة

(بينما كان أحد المعلمين يسير في طريق زراعي مع تلميذه المترف الميسور الحال ، التلميذ الذي مصروفه اليومي يعادل راتي المعلم الشهري! غير أن أهل هذا التلميذ كانوا قد عهدوا لهذا المعلم أن يعلمه ويؤدبه. وتصادف بقدر الله أن سار المعلم مع تلميذه في طريق زراعي كما أسلفنا ، وعلى جانب منه وتحت شجرة كان أحد الفقراء قد وضع نعله البالي الممزق هناك ، على أن يعود بعد رحلة عمل شاقة في الحقل ليأخذ نعله ويذهب إلى بيته! فقال التلميذ المترف للمعلم الفقير: ما رأيك يا معلمي في أن نأخذ النعل ونختبئ ونرى ماذا يفعل صاحبه الفقير عندما لا يجده! فإذا احتار في البحث عنه وكلّ وملّ نعطيه إياه! وهي حيلة صبيانية وعابثة غير مسؤولة ولا شك! فقال المعلم ناصحاً وموجهاً ومعدلاً سلوك تلك الطاقة الصبيانية والحيلة الشيطانية الماكرة: وما رأيك أنت في أن نضع في هذا الحذاء كل ما معك الدنانير الكثيرة تلك ، ونختبئ ونرى من بعد ماذا سيفعل الفقير عندما يفاجأ بدنانير كثيرة كانت قد وضعت في حذائه؟! فوافق التلميذ ، ووضع كل ما في حوزته من الدنانير ، واختبأ مع معلمه يرقبان مفاجأة الفقير! وبعد حين عاد الفقير المزارع ليلبس حذاءه ويذهب إلى بيته! وكانت المفاجأة التي أذهلته ، حيث وجد في الحذاء دنانير كثيرة لا يستطيع عدها من هول المفاجأة! وإن كان ليعمل اليوم بأكمله ليحصل على دينار واحد منها! فنظر الفقير حوله فلم يجد أحداً ، وأدرك بقياسه العقلي أن أحد من الطيبين الخيرين كان قد وضع هذه الدنانير له في حذائه البالي هذا إشفافاً على حاله ، وسجد شكراً لله وأخذ يجد في الدعاء لمن وضع هذه الدنانير بصوت يُسمع! فسُرّ الفتى لذلك وشكر لمعلمه هذه الفكرة الجميلة! تلك الفكرة التي جعلت الطرفة مائعة لأطرافها الثلاثة: المعلم والطالب والفقير! يقول الأستاذ صالح بن علي أبو عزاد الشهري وتحت عنوان: (رسالة إلى مازح) ما نصه: (إن المزاح خُلق إنساني وسلوك بشري له ضوابطه وحدوده ، وهو خُلق يشتمل على المداعبة والمضاحكة والمفاكهة ، بقصد الترويح عن النفوس وإدخال السور والبهجة إليها حتى لا تمل ولا تكل. وللمزاح آداب وضوابطه تجعله جزءاً لا يتجزأ من حياة المسلم ، فعن قتادة رضي الله عنه قال: (سئل ابن عمر رضي الله عنهما: هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: نعم ، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال. وهنا أوجه هذه الرسالة إلى أخي المسلم ليضبط مزاحه بضوابط السنة النبوية والتربية الإسلامية فأقول: يا من تُروِّح عن النفس بالمزاح ، احرص على أن يكون مزاحك حقاً لا كذب فيه ولا إثم ، وأن يكون غير مؤذ لك أو لغيرك. فإن بعض ما يسميه الناس مزاحاً يكون مؤذياً للمزاح أو الممزاح أو مؤذياً إلى الغضب والقطيعة ووقوع البغضاء – والعياذ بالله –. يقول بدر الدين أبو البركات محمد الغزي في كتابه (المزاح في المزاح): (إنه ليندب إلى المزاح بين الإخوان والأصدقاء والخلان ، لما فيه من ترويح القلوب ، والاستئناس المطلوب ، بشرط أن لا يكون فيه قذف ، ولا انهماك فيه يسقط الحشمة ، ويُقلل الهيبة ، ولا فحش يورث الضغينة ، ويُحرك الأحقاد الكمينية). يا من تؤنس صاحب وتُسعد الجليس ، إياك أن تُروع أحداً من المسلمين أو تخوفه ولو كنت مازحاً ، كأن تستحدث عليه خيراً شائعاً كاذباً لتفرعه ، أو تخوفه في ظلام ، أو تفاجئه بنبأ غير سار بقصد المزاح ، فإن ذلك أمرٌ منهى عنه في شريعتنا ، لما من التخويف والترويح واحتمال إلحاق الضرر به. فقد روى عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى حبل معه ، فأخذه ففرع ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم (لا يحل لمسلم أن يُرْوَع مسلماً) رواه أبو داود. وهنا نلاحظ أن مراعاة شعور المسلم واحترام حُرْمته أمرٌ واجب في الجد والهزل ، ولا يمكن أن يكون المزاح وسيلة تؤخذ بها الحقوق أو تستحل بها الحرمات ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يأخذن أحدكم عصا أخيه لآعباً ولا جاداً ، ومن أخذ عصا أخيه فليردها إليه). رواه الترمذي. وفي رواية أبي داود: (لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لآعباً ولا جاداً). يا من عُرفت بالمرح والدعابة ، إياك واختلاق القول أو افترائه على الآخرين بحجة المزاح ؛ فإن اصطناع الكلام وتلفيق الكذب وإشاعته بين الناس أمر محرم لا يجوز ، كما أنه سلوك منحرف يترتب عليه الكثير من المتاعب والمشكلات بين الأفراد والجماعات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ويلٌ لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويلٌ له ، ويلٌ له). رواه أحمد والترمذي وأبو داود والدرمي. فالحذر الحذر من الوقوع في هذا الأمر الخطير ولو كان بقصد الإضحاك ، والتسلية ، والمتعة ، فإن في المزاح بالحق والصدق غنية عن ذلك والحمد لله. يا من ترسم البسمة على الشفاه ، ليكن مزاحك خفيفاً لطيفاً معتدلاً حتى لا يمس المشاعر ، ولا يُجرح الخواطر ، ولا يُسيء إلى الغير أو يؤثر عليهم. وليكن مرادك منه التسلية البريئة والترفيه عن النفس ، فإن النفس تمل والقلب يكل. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (روحوا القلوب ، واطلبوا لها طرف الحكمة ، فإنها تمل كما تمل الأبدان). إن للمزاح المعتدل دوراً عظيماً جداً في تربية النفوس وشحن الهمم ، وفتح الأذهان وترويح القلوب ، وطرده السامة والملل ، وإذهاب الهموم عن النفس. يا من تُكثر المزاح والمداعبة ؛ لا تنس أن الإكثار منه يُسقط الهيبة ، ويُزيل محبة الرجل من القلوب ، ويخدش المروعة ؛ ويخل بالوقار. وفي ذلك يقول سعيد بن العاص لابنه: (اقتصد في مزاحك ، فإن الإفراط فيه يفض عنك الموانسين ، ويحش منك المصاحبين). فكان واجباً على المازح ألا يجعل جُلَّ وقته للمزاح والفكاهة والدعابة ، لأن في ذلك ضياعاً للوقت وقسوة للقلب وانشغالاً بالهزل على حساب الجد الذي هو الأصل في حياة المسلم. جاء في كتاب (المزاح في المزاح): (ويذم المزاح إذا وصل إلى حد المثابرة والإكثار ، لأن فيه حينئذٍ إزاحة عن الحقوق ومخرجاً إلى القطيعة والعقوق). هـ. وتحت عنوان: (هدى النبي صلى الله عليه وسلم في المزاح والضحك) يقول الأستاذ مسير الظفيري ما نصه: (أولاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال: "نعم غير أنني لا أقول إلا حقاً. رواه الترمذي بسند صحيح. وثانياً: البعد عن الإيذاء بالفعل: قال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والخذف فإنها تكسر السن وتفقأ العين ولا تنكي العدو". الطبراني واللفظ له وعند البخاري ومسلم بلفظ: نهى] ، والخذف: هو أن يأخذ العصاة والنواة بين السبابتين ويرمي بها ، تنكي: تقتل. (انظر الإيضاح ليعقوب الحمد). وثالثاً: تجنب الضحك فما يصدر عن الإنسان عفويةً لقول جابر رضي الله عنه: "نهى صلى الله عليه وسلم عن الضحك من الضرطة". رواه مسلم وأحمد في مسنده وفي صحيح الجامع. ورابعاً: النهي عن التعدي على ممتلكات الغير: قال صلى الله عليه وسلم: "لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه لآعباً أو جاداً. رواه البخاري في الأدب المفرد. خامساً: قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله: فقد اتفق في مزاحه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشياء ، أحدها: كونه حقاً. والثاني: كونه مع النساء والصبيان ومن يحتاج إلى تأديبه من ضعفاء الرجال. والثالث: كونه نادراً فلا ينبغي أن يحتج به من يريد الدوام عليه فإن حكم النادر ليس كحكم الدائم. وسادساً: والمزاح المباح بلسم لحياة الإنسان المسلم وتخفيف عن مصاعب الحياة ولو بطلاقة الوجه أو حسن الكلام ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم لا تسعون الناس بأموالكم

ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق". رواه الإمام البزار. قال سبحانه وتعالى لنبيه: "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ". أي لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شديداً جافاً مع أصحابه أمراً لهم ناهياً على الدوام لكان حالهم أنهم تركوه ودعوته ولكنه كان مثلاً يحتذى به في كل أحواله ومعاملاته وسلوكه صلى الله عليه وسلم. وسابغاً: وما القصد بمزاحه صلى الله عليه وسلم إلا أن يقرب أصحابه إليه ويستميل قلوبهم فيحفظوا عنه ما يقول ويفهموا كل ما يريد ولكل مقام عنده مقال وما أحسن الجد في موعظة وما أجمل المزاح إلا الألفه ولا يحصل به إلا الإيناس). هـ. فلما أعجبتني القصة ذلك الإعجاب له ، أنشدت حكاية عن المعلم:

رأيتُك بالعطفا فرحاً رضىياً	فأكثرُ من عطائك يا بُنيَا
ولا تكُ في مزاحك ذا افتراءٍ	فإن الله يُخزي المفتريَا
مررتُ بالفقير ، وقد تولى	ليكسب ما يكون به غنيا
وخلف نعله - في الظل - طوعاً	إلى عودٍ يكون به حنيا
فكسبُ المال أصعبُ ما يعانى	ورغم مشقةٍ يحيى رضىيا
يوطن نفسه فرحاً فخوراً	قنوع النفس منشراحاً تقيا
فهذي قسمة المولى تعالى	أيظلم ربنا الرحمن شيا؟!!
وأنت تريد إخفاءً لنعل	ألا إنني أكذب مسمعيا!
وهل في وسع ذلك أن يُقاسي	عناء البحث؟ ردّ السؤل هيا!
ألا املاً نعله مالاً ، وراقب!	رأيتُ الرأى هذا عبقرىيا!
وعند الله فاحتسب العطايا	وعشُ لله - يا ولدي - وليا
يحب الله من يُعطي ويُقري	فلا تُمسك عن الجلى مليا
وجاء العامل المسكينُ فرداً	وما كذبُ قطعاً مُقتليَا
وكنتُ سمعتُ حمد الله منه	بشوشِ الوجهه مبتهجِ المُحيا
أراك ظفرت بالأجر احتساباً	وكنت بما تجود به سخيا
وقاك الله شر الفقير ، فابذلن	وعشُ لوصيتي المثلَى وفيَا

مكتبة نور مأوى الأدباء والقراء

(أعرف مكتبة نور الإلكترونية من سنين! وكما استمتعتُ باستعراضها والتحميل منها! وكنتُ فخوراً بها أشد الفخر وأعذبه! ولما نقحتُ أشعاري وشعرتُ أنها وصلتُ لمستوى مقبول عند المبتدئين في الشعر اتصلتُ بالمكتبة وعرضتُ ديواني الأول: (نهاية الطريق) وبعد أيام ثلاثة أبدت المكتبة استعدادها لنشره ، فكانت بادرة خيرا! فوعدتُ المكتبة في بعض رسائلي الإلكترونية بأن أهديها والقائمين عليها قصيدة مئوية معلقة مذهبة أسبوعية بدلاً من حولية ، تشيد بجهودهم وتحفزهم وتشجعهم! فكم خدمت المكتبة شعراء نحارير وأدباء صناديد وكتاباً عمالقة عباقرة ، ولم يفكر أحدهم - فيما أعلم - أن يخصها بمثل هذا العمل: مقالة أو قصيدة! حتى أتى الدور على شاعر في أول طريقه مثلي من صغار الشعراء كما وكيفاً ، وذوقاً وطبعاً ، وهوية وسجية ، وبضاعة وصناعة! فشمرتُ عن ساعد الجد وكتبت هذه القصيدة بعد صلاة فجر يوم 25 - 6 - 2020م ، محتسباً عند الله تعالى الأجر! وزودتُ القصيدة بمقدمة هامة في بيان أهمية القراءة والكتاب! ماذا ينبغي أن نقرأ ولمن نقرأ ومتى نقرأ وأين نقرأ وما الذي ينبغي عمله قبل وأثناء وبعد القراءة! فطالت مني القصيدة التي تجاوزت الأبيات المائة وكأنها حولية مذهبة معلقة ، ولكن في غير زمان الحوليات والمذهبات والمعلقات! كما طال إهداؤها واسترسلتُ مقدمتها وكأنها كتاب يبين فضل الكتاب والكتاب والمكتبات! وهو جهد المقل يا مكتبتنا الميمونة المباركة! ويكفي مكتبة (نور) فخراً أنها لا تفرق بين الكتاب والعلماء والفقهاء والنقاد والشعراء والأدباء ، بل عرضت الكل وعلى القارئ أن يختار ما يشتهي ويرغب! ففي الوقت الذي تجد القطب (صاحب الظلال) والمودودي (صاحب التفهيم) والندوي صاحب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) والدكتور قنبيبي والأستاذ الحوراني في (تعليم اللغة الإنجليزية) ، تجد كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والمجدد بعدهما ابن عبد الوهاب ، وتجد عبد الرحمن رأفت الباشا المؤرخ وصاحب السير والتراجم والأستاذ محمد بن صالح المنجد وابن العثيمين وابن باز والطحاوي أبا جعفر وغيرهم! ناهيك عن المكتبة النسائية التي تضم المصنفات والشواعر والأديبات والروائيات والمفكرات شقائق الرجال! من هنا كانت كتابتي هذه المعلقة الهدية عن (مكتبة نور) ، تاركاً وصية للقادرين على دعمها وإقالة عثراتها المادية والمعنوية أن لا يدخروا جهداً وأن لا يبخلوا عليها! محتسبين الأجر عند الله تعالى! وعلى الله جزاء المحسنين! كما أشدتُ بدور المكتبة الرائد الرائع في تقديم الكتاب في مختلف مواد معرفته وطرق تحميله بإذن كاتبه فيما عدا كتب التراث! وأما تسميتها «مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء» فجاءت قَدراً ، وهي على أي حال ترجمة لما عشته من معانٍ! وانعكاس لما في قلبي من مشاعر ، وإيحاء لما في نفسي من خواطر ، وترجيع لما في روعي من العواطف! تجاه مكتبة نور الميمونة المباركة! وأصدق الشعر ما يكون عن تجربة عاشها الشاعر! وكنت قد بدأت تأليف هذه القصيدة منذ صبيحة يوم الخميس الموافق 25 - 6 - 2020م! إلى أن كان الفراغ منهما ومن مقدماتها في يوم 28 - 6 - 2020م! ووضعت البصمات الفنية والصف والإخراج والرتوش والتدقيق والتحقيق أمسية يوم 30 - 6 - 2020م! ألا وإني لأسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضاه ، وأن تنال هذه القصيدة المتواضعة رضا واستحسان قارئها! وقد كانت رحلة جاهدة ممتعة للارتقاء بدرجات العقل ومعراج الأفكار ، خرجتُ بعدها بهذا النص. فما هذا إلا جهد مقل ولا أدعي فيه الكمال ، ولكن عذري أنني بذلتُ فيه قصارى جهدي ، فإن أصبتُ

الحقيقة التي أريد فذاك مرادي ، وإن أخطأت فلي شرف المحاولة والتعلم والتدريب والتمرين! وعساي أن أدرك المراد والإجادة معاً في مرتي القادمة ولا أزيد على ما قال العماد الأصفهاني: (رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه ، إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن! ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل! وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)! إنَّ قصيدة «مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء» ترجمة حقيقية لموقف عشته ولا شك! ولقد عشت أبياتها بيتاً بيتاً ، بل عشتها لفظاً لفظاً وحرفاً حرفاً. نعم ، عشتها وهي فكرة في الوجدان والخاطر! كما عشتها نصاً يولد على القرطاس! ويطيب لي أن تكون بين يدي كل قارئ تذكرة وذكرى لكل عبد منيب! وأسأل الله أن يتقبل هذا العمل المتواضع وأحتسب أجر كتابته وأجر قراءة القارئ له عند الله تعالى! وكنت أتمنى أن أستزيد من الأشعار المفيدة النافعة ولكنها غاية كانت تحذوني! وأسأل الله أن يبارك في هذه القصيدة الميمونة المباركة! ألا وإن أعلى ما يجود به الشاعر شعره! لأنه بضاعته التي اجتهد في ادخارها لليوم الذي تكون بين يدي قرانها ليقطفوا ثمرتها وليشاركوه نظرتة ورأيه وتصوره! فقد أعدنا لهم من البداية! كمثل الأب يربي ابنته ويعلمها ويؤدبها حتى إذا جاء عريسها خطبها وأخذها من بيت أبيها لتعيش في داره! وتكون علاقتها ببيت أبيها علاقة الضيف! وتكون طاعتها لأبيها مستحبة لا واجبة! وإنما الطاعة الواجبة للزوج! وتلك شريعة الله! فكما يسعد العريس بعروسه يسعدني أن يقرأ شعري غيري! والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل! إن الكتابة بالنسبة للكاتب كالماء بالنسبة للسمك ، والقراءة بالنسبة للقارئ أيضاً كالماء بالنسبة للسمك! فهي عالمه الذي لا يستغني عنه أبداً! وإذا فارقه فإنه يموت! وهذا هو رأيي واعتقادي الذي أدين به! وأما الرأي القائل بأن القراءة بالنسبة للإنسان الذي لم يعد لديه وطن ، تصبح الكتابة مكاناً له ليعيش فيه ، فهو لثيودور أدورنو! وعلى هذا يكون الكتاب هو الوطن بالنسبة له! وأما رولان بارت الناقد الجيولوجي وخبير الزلازل المعروف فيرى بأن اللسان والأسلوب هما قوة عشواء ، أما الكتابة فهي فعل تضامني تاريخي! ويرى الأستاذ عبد الله عبد الدائم بأن تعليم القراءة والكتابة ممل بعض الشيء! فعلى المعلم أن يخفف هذا الملل باصطناعه طرقاً مشوقة! وصدق والله هذا الفيلسوف ، ومن هنا كانت طرق التدريس متنوعة جداً! وصدق الدنيماركيون في مثلهم المعروف القائل: (القلم يجرح غالباً أكثر من السيف)! وقد سبقهم أبو تمام حبيب بن أوس الطائي عندما نشد: (السيف أصدق أنباءً من الكتب)! وهذا هو فيكتور هوجو الشاعر الفرنسي يقول: (كل صخرة هي حرف وكل بحيرة هي عبارة ، وكل مدينة هي وقفة ، وفوق كل مقطع وفوق كل صفحة لي هناك دائماً شيء من ظلال السحب أو زبد البحر! وهو هنا يقصد أن الكاتب يتذكر عبر كتابته ما تركه من إرث الذكريات! والإيرلنديون يقولون في مثلهم: (عندما تمتلك الإنسان حكمة الكتابة ، لا يشفيه منها سوى كشطها بالقلم!) وهم هنا يشيرون إلى أن القراءة ملكة ، وكذلك الكتابة ملكة وهوية في الوقت ذاته! والكاتبة المعروفة الأستاذة بثينة العيسى تصف الكتابة بقولها: (الكتابة ليست وسيلة لتفريغ الاحتشاد النفسي ، بل هي تصنع الاحتشاد وتؤكد. والكتابة فائقة على الحياة. إنها تجاوز لها. والكتابة ليست إشارة إلى الجرح ، بل صناعة مستمرة له). وفلاديمير لينين يرى بأن يعيش الإنسان الثورة أمر أكثر متعة وإفادة من الكتابة عنها). والمعنى الذي يقصده لينين هو أن الكتابة التي تكون وليدة الموقف أفضل وأكثر حياة من الكتابة التي تكون بمعزل عن الموقف! والأديب الأستاذ محمد حامد الأحمر يزيد التوضيح للفكرة عن الكتابة فيقول: (إذا

كانت الكتابة هي الطريق إلى الشعور بالحرية ، فإن أول ما قد يواجهه الكاتب هو الخوف من هذه الحرية الخوف من مواجهة اللغة ، لأن أول منازل الكتابة اللغة). ويتساءل كثيرون عن العلاقة بين الكتابة والقراءة! بمعنى هل كل كاتب لا بد وأن يكون بالضرورة قارئاً! وأنا أوافق على ذلك ، فما من كاتب إلا وهو يأخذ أو يقتبس أو يضيف أو يوضح أو يفسر أو ينتقد كلاماً قرأه لآخرين! يقول أوسكار وايلد: (إن شغفي بالقراءة يجعلني أزهد في الكتابة). ويقول إلياس فركوح: (الحياد جريمة. والسكوت جريمة. والكلام أمضى من القتل. لنكتب إذن ، فالكتابة صلاة الكلمات بالكلمات). ويقول إنريكي جارديل بونشيللا: (إذا تمكنت من قراءة مادة مكتوبة دون جهد يذكر ، فهذا معناه أنه تم بذل جهد كبير عند كتابة هذه المادة). والحقيقة أن الكلمة يمكن أن تضطهد وتبقى حبيسة سطورها ودفاترها عشرات السنين عندما يملك الطواغيت دور النشر وأرقام الإيداع ودور التوزيع وعيون وقلوب وأدمغة القراء! وصدق خالد بيومي إذ قال: (عندما يتحول المشهد السياسي إلى مشهد إباحي يتوقف القلم عن الكتابة ويكتفي بالفرجة). وتقول سلمى مهدي: (الكتابة حالة إنسانية يمتزج فيها الواقع بالخيال. نهرب بها من سوء الواقع إلى مثالية الخيال). وكما سمعت من الأهل والأقارب والأصدقاء والجيران بل ومن الراسخين في معرفتي أنني أغلب المثالية التي خلقها لي عالم الشعر والأدب ، بعد أن فررت من عالم الواقع المعاش! وكأني قد حُبسْتُ في مقصورة شعري ومشربية مثالياتي! والأستاذ مريد البرغوثي (وكم في عائلة البرغوثي من عبقرية) يقول: (إن واقعا المأساوي لا يُنتج كتابة مأساوية بحتة. نحن في هزل تاريخي وجغرافي أصيل أيضاً! أليس كذلك؟) وأنا أجيب على سؤاله ببلي! ونحن معشر الكُتاب والأدباء والشعراء والنقاد نحسّ بذلك الواقع أكثر من غيرنا بما عندنا من أدوات! كما أننا أقدر الناس على تشخيص ذلك الواقع بما أودعه الله تعالى فينا من هبات وقدرات وملكات نعجز عن شكر الله تعالى عليها! والأستاذ عزيز نيسين يعود بي إلى ذكرياتي مع أمي الراحلة – رحمها الله رحمة واسعة – حيث يقول: (لم تكن أمي تستطيع القراءة ولا الكتابة ، إلا أنها كانت سيدة غاية في رقة المشاعر والإحساس ، إن كل الأمهات هن أفضل نساء العالم). أما لماذا يعجبني قوله هذا وإلماحه إلى ملكتي القراءة والكتابة ، فلأنني عندما تأملتُ قوله تذكرتُ صيف 1978م ، وكنت في الصف الثالث الإعدادي ، وعمرى 15 سنة ، وعندما ذهبتُ إلى دار الثقافة بمركز كفر سعد – دمياط ، وإذا بي أمام مرجع عظيم عنوانه: (معجم الكلمات والألفاظ العامية المصرية ودلالاتها العربية) للأستاذ محمد عبد المنعم خيال. ويتجاوز المعجم الـ 600 صفحة! وأسئلة تعتمل في نفسي: متى سأتم قراءته؟ كيف أمتلك الكتاب؟ ولا شك أنه مهم جداً لأنه يثبت أن أهل مصر بلهجاتهم المختلفة هم أقرب إلى اللغة العربية من غيرهم من بلاد الدنيا وأن عروبة شعب مصر فرع من شجرة إسلام ذلك الشعب! فلقد تعلم اللغة العربية وبلاغتها وأدبها ونحوها وصرفها من أجل الإسلام! وهذا تثبته المعاجم التاريخية قبل الأدبية! نعود إلى الكتاب: ماذا أفعل؟ ذهبتُ إلى الوظيفة لاستعارة الكتاب ، فاعتذرتُ وقالت: لا. فقلتُ: ما من حل؟ فقلتُ: اقرأ هنا. قلتُ: أريد النص. وطبعاً لا تصوير ولا آلات في ذلك الزمان من القرن المنصرم! فقط كنا نرى الحواسيب وماكينات التصوير في المجلات ، ونعرف أنها تستخدم في ديار أخرى! فعدتُ إلى أمي فوجدتُ الحل. قالت لي: ألم يكتبه كاتب بيده أول مرة؟ فقلتُ: بلى! فقلتُ: اكتبه كما كتبه ذلك الكاتب! وكتابتك له أهون من كتابته إياه. حيث إنه كان يؤلف ، بينما أنت تنقل! فقررتُ - بعد أن أقامت أمي الحجة عليّ وكان جوابها مفحماً - نسخ الكتابة ، وكان إنجازاً عظيماً حيث أتمه الله عليّ في أشهر ثلاثة! والله الفضل والمنة! ومن هنا كان النقاش

والجدال إثراءً للكتابة! ألا وإن أغلب قصائدي كانت إفرزات لنقاشات فرضت نفسها عليّ! ولذلك قال توماس أديسون صاحب الـ 1200 اختراع: (النقاش يصنع الرجل المستعد ، والكتابة تصنع الرجل الدقيق). وكان أغلب أفكاره قد تضمنتها كتابتي! وكم من أفكار لم أقلها قالها قلّمي واستودعتها أوراقي! والأمر كما تقول الأستاذة رباب كساب: (الكتابة ما هي إلا أحلام كثيرة عجزنا عن تحقيقها فتولت الأوراق تحملها). فهل استطاع الكتاب صياغة ما يفيد الناس من كل بنيات أفكارهم؟ والجواب أن لا! ولنصغ إلى ميخائيل نعيمة حيث يقول: (كم من ناس صرفوا العمر في إتقان فن الكتابة ليذيعوا جهلهم لا غير)! ومن هنا يكون الاستمرار في الكتابة وعدم التوقف! وشارلوت برونتي يقرني على هذا فيقول: (سأقوم بالكتابة لأنني لا أستطيع التوقف). وفرنسيس بيكون يحدد ما بين القراءة والكتابة من علاقة فيقول: (القراءة تصنع إنساناً كاملاً ، والمشورة تصنع إنساناً مستعداً ، والكتابة تصنع إنساناً دقيقاً)! وإن كنا لا نقر كمال الإنسان الذي ذكره ، ولكن هذا المعنى يريد به المعنى المثالي الذي يصنعه الأديب شاعراً أم كاتباً لنفسه! فما يدعو إليه من قيم يريد أن يتمثله واقعا ، ومن هنا يحتدم الصراع بداخله! وأحيانا لا يكون العيب في الأديب ، بل يكون فيمن يقرأون له إن كان جُلهم حاقدين أو جهلاء! يقول أحمد خالد توفيق: (كان ينصحنني أن اتقي الله وأكف عن الكتابة ، لماذا لا يتقي هو الله ويكف عن القراءة)! وربما قال الأستاذ توفيق ما قاله لأنه عانى من القراء الذين يقرأون ، ولكنهم لا يفهمون من القراءة ما يريد كاتبها ولا ما يتجلى واضحا كالشمس من النص! وأحيانا يعمد الكاتب إلى التأنق والتكلف نسبياً في كتابته ، زاعماً أن هذا النمط من الكتابة يستميل القارئ ويستهو به! ويصدق في هذا النوع من الكتاب والقراء ما قاله إيزابيل الليندي: (الكتابة مثل الشعوذة: لا يكفي إخراج أرنب من القبعة ، بل يجب عمل ذلك بأناقة وطريقة ممتعة)! ولقد تتأنق دور النشر وتبدع هي الأخرى في الترويج للكتاب ، فضلاً عن زخرفته وتلوينه على حساب المضمون للأسف! وسرعان ما يذهب المطر الماكياج والألوان والمساحيق ، وتظهر حقيقة المرأة الدميمة التي كان المكياج يجملها! فلما زال عنها بدت حقيقتها! وظهر الكتاب الذي ليس فيه مضمون ولا فكرة! وصدق الأستاذ جلال الخوالدة عندما عرّى هذا النوع من الكتاب بقوله: (الذي لا يجيد كتابة كلمة واحدة مكونة من 4 حروف لكنه يتقن إيجاد 4 أخطاء فيها ؛ يستحق لقب تافه بجدارة). ولذا كان الشاعر من شعراء الجاهلية تبقى معه قصيدته حولا كاملاً ، وسميت من هنا بالحوليات لأنه خلال هذا العام أو الحول ، يعيد النظر فيها بعدد الأيام ، وربما يزيد ويراجعها عند أصفياه وأوليائه من أهل الفن ، وينقحها ويحققها ويدققها ويحذف منها ويضيف إليها ويستبدل بعض ألفاظها بأخرى! وبعد ذلك يعلقها على جدار الكعبة ومن هنا سميت بالمعلقات! فلا يستطيع أحد بسهولة أن يلتبس فيها عيباً أو خللاً! ولكن الكتابة مع ذلك ليست مطلقة عند الأديب المسلم المؤمن الموحد المتأدب بأدب التوحيد والمتخلق بخلق العقيدة! فعنده خطوط حمراء حددتها الشريعة ، وقننها التوحيد ، واشترطتها العقيدة ، لا يمكنه أبداً تجاوزها! وصدق الأستاذ جلال أمين عندما قال: (وحرية الفرد في الكتابة لا بد أن يكون لها حدود ، مثلها مثل حرية الفرد في إطلاق الرصاص على الناس). والكاتب الذي هو حامل للكتابة يختلف عن الكاتب الذي هو محمول عليها! فالأول يحمل هم الكتابة ، ويحاول أن يفيد الناس ويأتي لهم بالجديد الذي ينفعهم! بينما الثاني هو عبء على الكتابة ، لأنه ابتداء ليس من أهلها ، بل هو أحد المرتزقة بالكتابة أو المدسوسين عليه! ولا يُحسب عند العقلاء من أهل الكتابة طرفة عين ولا أقل من ذلك! تقول الأديبة رضوى

عاشور: (الدقة شرط من شروط الكتابة ، واختزال الحياة إلى مأساة خالصة ، منزلق إلى الكذب). والقراء الواعون لا يهتمون الكاتب المحترم إن هو أخطأ مرة أو تجاوز! لأنهم ساعته سيفترضون الخير في كتاباته! ليس ذلك فقط ، بل ربما يهتمون أنفسهم بعدم الفهم! يقول صمويل تايلور كوليردج: (عندما نجد غلطة في كتابة كاتب جيد ، فلنفترض أولاً أننا لم نفهم قبل أن نفترض أن الكاتب جاهل). والشعر كفرع من فروع الأدب له النصيب الأكبر في هذا القياس لأنه فن إنساني بحت عندما يصدق صاحبه ولا يكون مرتزقاً به! يقول فيسوافا شيمبورسكا: (إن الشعر غاية إنسانية بالدرجة الأولى ، ويكفيني فرحاً أن استمر في كتابة الشعر حتي مماتي). وساعتئذ سيكون الشعر بلسماً وستكون الكتابة علاجاً لمن يقرأ! تقول الأديبة ليلي المطوع: (الكتابة علاج لمن أشقى الدهر قلبه). ولا شك أن أديبتنا ليلي لا تعني أبداً المرتزقة الذين يتكسبون بكتابتهم شعراً كانت أم نثراً! والكتابة عموماً تمنح أصحابها الصادقين عالماً من المثاليات هي أقرب إلى دنيا الأحلام منها إلى دنيا الواقع. يقول واسيني الأعرج: (على الكتابة أولاً أن تمنحنا فرصة للحلم ، وإلا فلن تكون إلا مجموعة من الكلمات التي لا شأن لها). ونصيحتي للأديب الذي ليست عنده فكرة يُثري القراء بها أن يكف عن الكتابة ، ويؤثر الصمت فهذا أفضل له ولقرائه على السواء! يقول الأديب يوسف السباعي: (أنا أعلم مشقة الكتابة عندما تعوزنا الرغبة فيها .. كما أعلم مشقة الصمت عندما نتلهف على الحديث). ورأى بنجامين فرانكلين ذات الرؤية فقال كلمته المشهورة التي هي نصيحة لكل أديب مفلس: (إما أن تكتب شيئاً يستحق القراءة ، أو تفعل شيء يستحق الكتابة عنه). والحقيقة أن الكاتب أو الشاعر لا بد لهما من محكات للمحاسبة! بمعنى أن كل كلمة لا يتم الحساب فيها فكأن الأديب لم يقلها! ومن هنا صدقت نوال السعداوي مع خلافي معها في 99 في المائة مما كتبتة إذ قالت تتصح الأديبة ومن ثم الأديب: (لا تحدث الثورات في الخفاء ، الثورة والكتابة كلتاها لا تعرف السرية. حطمي قفل الدرج ، واكتبي في النور ، اغضبي وثورى ولا تستكيني). ومن هنا فالكتابة الصادقة مكلفة لصاحبها ولقارئها على حد سواء! وصدق صاحب الظلال عندما قال على الكلمات التي يكتبها: (إن كلماتنا عرائس من الشمع ، تدب فيها الروح عندما نرويهما بدماننا). ولعمر الحق كأن الرجل قد صدق مع الله فصدق الله معه! إذ إن كلماته قد دبت فيها الروح عندما رواها بدمائه الطاهرة! وقد أراد الطواغيت إنهاء حياة سيد وإنهاء حياة كلماته معاً! فإذا بسيد يُستشهد فيحيا ، وإذا بكلماته تحيا وتنشر وتملاً سمع الزمان والمكان بشتى اللغات! الأمر الذي يشهده الكل في الأرض اليوم! وقرر هذا الأديب الأمريكي إيرنست همنجواي إذ قال: (ليست الكتابة بالأمر الصعب ؛ ما عليك سوى أن تجلس أمام الآلة الكاتبة وتبدأ بالنزيف). وقرر هذا واسيني الأعرج بقوله: (الكتابة لا شيء سوى رعشة الألم الخفية التي نخبئها عن الآخرين حتى لا يلمسوا حجم المأساة وجحيم صرخات الكلمات المذبوحة بنصل صدق). وقرر مثل هذا فريدريك نيتشه بقوله: (إن إعطاء الناس كلهم حق تعلم القراءة سيفسد مع مرور الوقت ليس الكتابة فقط ، بل كذلك الفكر). وهو هنا يعلمنا أن كل الناس قد يقرأون ، ولكنهم ليسوا كلهم يفهمون ما يقرأون! والكاتب والشاعر كلاهما لا يكفان عن الكتابة! وصدق العقاد عندما قال: (إنني لا أتمنى أن أصل إلى سن المئة كما يتمنى غيري ، وإنما أتمنى أن تنتهي حياتي عندما تنتهي قدرتي على الكتابة والقراءة). والمصريون – والعقاد أحدهم – يقولونها بالدارجة المصرية هكذا: (يموت الزمار ويده تلعب!) وهذا فيودور دوستويفسكي الأديب والكاتب الروسي المعروف يقول مبيناً ثمن الكتابة الباهظ الذي قد ينخفض فيكون

(الفصل من العمل) ، وقد يرتفع فيكون (الروح ذاتها): (لدي أحد الخيارين ، إما أن أبقى بمكتب البريد كموظف وأصاب بالجنون ، وإما أن أستقر بالكتابة وأموت جوعاً ، وقد قررت الموت جوعاً). وذهبت بثينة العيسى إلى ذات المعنى فتساءلت: (متى تبدأ الحدود الفاصلة بين الحياة والكتابة ومتى تنتهي؟) وتحت عنوان: (أثر القراءة على الفرد والمجتمع) قالت الأستاذة هدى عبد السلام ما نصه: (وعندما يحرص أفراد المجتمع على القراءة واكتساب الثقافة ، فذلك من شأنه أن يساهم في تطور المجتمع وتقدمه ككل. والقراءة هي السبيل الذي يمكن من خلاله لأي أمة أن تتطور وتتقدم في مجال البحث العلمي والاكتشافات العلمية. والقراءة ترفع من مكانة وشأن الدولة بين مختلف الدول والأمم ، لأنها تساعد على زيادة عدد المتخصصين بها! وبالتالي تطوير كافة مجالات الحياة فيها. ومن الأمور المفيدة في حال وجدت نفسك راغباً في قراءة الكتب ، فيكون عليك تحديد أنواع الكتب التي تريد قراءتها ، وبذلك تكون القراءة ممتعة بالنسبة لك ، حاول الابتعاد عن الكتب التي تشعر بأنها مملّة بالنسبة لك. وإذا كنت مقبلاً على القراءة مؤخراً ، فيجب عليك في ذلك الوقت تحديد هدفك من القراءة ، أو معرفة السبب من رغبتك في القراءة ، أم تريد تضييع الوقت فقط أم من أجل المعرفة؟ وهنا يسهل عليك اختيار نوعية الكتب التي سوف تقوم بقراءتها. ومن المهم جداً أن يقوم الإنسان بالتنوع في قراءة الكتب ، حيث يمكن للإنسان أن يقوم بقراءة الكتب التي تكون في تخصصه أو مجال عمله ، وفي الوقت نفسه يبحث عن بعض الكتب التي تكون في مجالات أخرى متنوعة).هـ. ومن القراءة ونمطها والتنوع فيها إلى الكتابة! تقول الأديبة رضوى عاشور: (الكتابة تأتي ، نعم تأتي من تلقاء نفسها ، فلا يتعين عليّ سوى أن أقول مرحباً وأفسح لها المكان). ومن هنا يبرز لنا دور الأديب المبدع والأديب الصناع! فالإبداع ملكة وابتكار تلقائي ، بينما الصناعة هي الاحتراف دون تذوق أو إحساس. فيكتب الكاتب المبدع في وقت ما لأن الكتابة فرضت نفسها عليه ، لا لأنه يريد أن يكتب! يقول صنع الله إبراهيم: (بكيّت أمس عجزاً. لا أعرف كيف أكتب هنا. ولا بد من الكتابة). يقول الأستاذ وليد صابر مؤسس مجمع الأصالة لتنمية الموهوبين وتحت عنوان: (الشاعر الحقيقي) ما نصه: (قد يتم وصف فلان نفسه بأنه شاعر لأنه يكتب الشعر ، ولا ينتظر من أهل الصلاحية أن يتم منحه صفة شاعر لعدة خصائص فنية دون غيرها وتتهافت الروى في عصرنا هذا ؛ حتى ضج الجميع واستكروا هذا الزمان ؛ ونظر أهل الصحافة للجهة التي تتولى منح ذلك الامتياز فلم يجدوا ، وعلى هذا تترك أولويات الفن في يد الكثيرين دون دراية ، ليس الشعر بأن نرصف بعض الكلمات في وزن معين وهكذا ، إنما الشعر هو نتيجة موهبة في الأول والأخير إلى جانب اللغة والأوزان والخيال والفطنة.. والشاعر ذكي وليس ضئيل ولا واهم ، والشاعر الحقيقي يحتاج أن ينقد ؛ فملكة النقد والتميز من أهم خصائص الشعور الفني ولا يفهم من كلامنا أننا لا نريد وصف شاعر ينتشر ويسود ، ولكن وسط هذه الفوضى نحتاج لمعالم التميز حتى لا نفقد أكثر من ذلك ، ولنتحاكم إلى جهات الذوق الفني العالي ؛ وهذا مطلب الشعراء الحقيقيين ، لا ضير من إثبات الحجة للرقى المنشود).هـ. وعاتب الأديب طلال فيصل نفسه يوماً بشأن الكتابة فقال: (الكتابة أمتع شئ في الوجود ، بل الكتابة معنى الوجود ، فلماذا ضيعت عمرك دون أن تكتب يا طلال؟) ومن هنا فطى كل من آتاه الله في الكتابة ملكة أن يستغلها ويعبر عن نفسه أو عن الآخرين أو عن الواقع المعاش! فليس الأمر مستحيلاً كما قد يبدو للبعض! بل هو ممكن متى توافرت الإرادة والملكة! يقول الأستاذ عزت القمحاوي: (الكتابة لا تعرف المستحيل ، وهذه فضيلة تشترك فيها مع الأحلام ، بينما

الواقع فظ وعنيد). ويقول فضيلة الفاروق: (كان صخب الكتابة يكسر قضبان الداخل ويجعلني أمشي في مناظرة ضخمة تنادي بالحياة). يقول محمد حسن علوان: (امش إلى الكتابة أيها الشاعر. هل مارست الكتابة على الرصيف؟ إن هذا ما تفعله الأقدام التي تدمن التيه ، إن عظامي تبرد إذا جلست مع الآخرين ، ولا بد أن أخلو بنفسني لأشعل حزناً وكتابة). والمعنى الذي يريده علوان هنا هو بذل المجهود من أجل الحصول على نص أدبي ممتع ومفيد ومعبر! ولا بد للأديب شاعراً كان أم ناثراً أن يتحلى بالصدق فيما يكتبه! ذلك أن الصدق هو الأكسير الذي يعطي لكتابته الروح لتحيا بين الأحياء! بينما النص الكاذب صاحبه ليس فيه حياة وإن تحلى بالبديع والمجاز والفصاحة والإبانة والبلاغة! ومن هنا يقول محمد داوود: (الكتابة منطقة الصدق الأنقى في حياتي ، ولا يمكنني تلوينها أبداً). والكتابة بالصدق تخلد بعد موت صاحبها! فكم ماتت نصوص كتبها كُتاب أحياء يعيشون بيننا! وكأني بهم كتبوا نصوصهم ميتة! وكم حيت نصوص مات كُتابها من عشرات إن لم يكن مئات السنين! وكأني بهم كتبوا نصوصهم حية! يقول محمد شكري: (إن الكتابة تبارك من يخلص لها ولا تتخلى إلا عن الانتهازيين ، حسبما قيل لنا). والعلاقة بين القراءة والكتابة والتحدث علاقة وثيقة! ولذلك انظر إلى شاعر صادق واستمع إليه وهو يلقي قصيدة له ، تجدها صادقة صدق شاعرها مهما كان صوته وصورته دون عدوبة قصيدته! على عكس الحال إذا قرأ القصيدة ذاتها من هو أوجه منه صوتاً وصورة! إذ يصبح هذا الثاني كالبيغاء يردد فقط! ولكنه لا يحس ولا يشعر! تقول كاترين العظيمة: (في رأيي عليك أن تقرأ عندما تريد الكتابة والتحدث عندما ترغب في القراءة). والكتابة الصادقة الموحية المعبرة مرتبطة بالواقع المعاش! فكلما توتر الواقع وألقى بمشكلاته ومعضلاته على الكاتب كلما كانت الكتابة متوترة هي الأخرى! وكلما كان الواقع هادئاً كلما كان الكتاب أقدر على صياغة ذلك الواقع بصدق وهدوء كذلك! يقول برتولت بريشت: (لا يستطيع الكتاب أن يكتبوا بالسرعة التي تشعل فيها الحكومات الحروب ، فالكتابة تحتاج إلى بعض التفكير). وإذا كان الكتاب يكتبون عن الناس والواقع فإنه ينبغي لهم أن يكونوا قريبين من ذلك الواقع ومندمجين مع الناس الذين يشخصون واقعهم! يقول الأستاذ محمد حامد الأحمرى: (والحياة مع الناس رافد عظيم للفكر والكتابة ، فلا ينبغ أن يبتعد الكتاب عن الناس ، إلا من كانت له قضية يهتم بها خارج الكتابة ، فله نشاط سياسي أو إنساني أو ديني أو فني أو تعليمي خارج الكتابة ، ثم تكون الكتابة منفذاً للعمل الآخر). وإذن فلا بد من كتابة صادقة واقعية مهما كلف الكتاب من ثمن لها! يقول مثل الحسابان: (قد يفكر الكتاب في العزوف عن الكتابة ، حين يعلمون أنّ كلماتهم تلامس قلوب الآخرين برقة كنسمة باردة في ليلة صيفية حارة ، في حين أنّها تجرح قلوبهم بحدة كالسكين). وفي النهاية لا يزال الكاتب الصادق ينظر إلى كتابته أنها دون ما يصبو إليه من إجادة وطموحات! وأن النص الذي يود أن يطلع عليه الناس – وهو واحد منهم – لم يولد بعد! ومن هنا يقول عبد الفتاح كيليطو: (من مارس الكتابة يعرف أنه لا يرضى ، إلا عن الكتاب الذي لم يكتبه بعد ، الكتاب الذي يحمله في ذهنه على شكل صور وخطوط وأشباح). والنظرة المادية للكتابة تجني عليها ، بمعنى أن الكاتب الصادق يُعلي كتابته على اعتبارات المادة وينأى بها عن منطوق الدرهم والدينار والدولار! ويخسر كثيراً الكاتب الذي يكتب ليتقوت! بينما ينجح كثيراً الكاتب الذي يتقوت ليكتب! يقول كارل ماركس: (على الكاتب أن يجني القليل من المال حتى يعيش ويستمر في الكتابة ، لكن ليس عليه أن يعيش ويكتب من أجل جني المزيد من المال). على أن ماركس شيوعي رأسمالي ولكن كلمته هنا في العمق ،

وأراها في الصميم! والشعراء هم أولى الناس بذلك المنطق! وقليلون هم الشعراء الصادقون الذين أغناهم شعرهم! ولقد استقرأت التاريخ الإنساني بعامه ، وتاريخ الشعراء بخاصة ، فوجدت أن أغلب الشعراء كانوا يتكسبون بشعرهم من عصر امرئ القيس مروراً بصدر الإسلام وعصور الخلفاء والصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى عصرنا هذا! ولقد يكون النص الأدبي شعراً أو نثراً سبباً في إزهاق روح كاتبه! فإذا مات صاحبه في سبيله ، وهبت للنص الحياة ورزق الديمومة بعد موت صاحبه! يقول عبد الله حبيب: (في اللحظة التي تبدأ فيها الكتابة يولد الموت ، ولا تموت الكتابة). ويصدق هذا ما قالتها إميل سيوران: (إذا كانت كُتبي كنيبة ، فذلك لأنني أبدأ بالكتابة حين تكون لدي رغبة بإطلاق رصاصاً على نفسي). فكأنني بها تعتبر سعادة النص الأدبي مستقاة من كآبة الكاتب! وكأنها تريد أن تقول بأن الكاتب السعيد لا يسعد الأدب كثيراً بسعادته! بينما الأديب الكئيب تأتي كتابته أكثر صدقاً وواقعية وترجمة لواقعه ولذلك يسعد الأدب كثيراً بكتابته! يقول الكاتب الأصولي المبدع يحيى حقي: (الكتابة الأدبية ناجمة عن شعور داخلي ، ولكننا لا نستطيع أن ننسى الطلاء الخارجي المتمثل في الاطلاع والثقافة). وهو هنا يرمز إلى أنه لا بد من صقل الملكة الشعرية وإعطائها مادتها وقواعدها ليتحقق الإبداع بعد ذلك. وتأتي غربة النص الأدبي الذي يريد أن يطوع الواقع بما فيه ومن فيه للحق وللحقيقة ، وليس النص الذي يطوع الحق والحقيقة للواقع! يقول الأستاذ مريد البرغوثي: (الكتابة غربة ، غربة عن الصفة الاجتماعية المعتادة ، غربة عن المؤلف والنمط والقالب الجاهز ، غربة عن طرق الحب الشائع وعن طرق الخصومة الشائعة ، غربة عن الطبيعة الإيمانية للحزب السياسي). وعموماً الأدباء المرتزقة الذين يكتبون حسبما تتجه الرياح وحسبما يريد من يمولونهم ، لا تدوم كتابتهم طويلاً! بل تموت كتابتهم في حياتهم ويشيخون جنازتها بأنفسهم! يقول مثل الحسبان: (لا تكن كالعالمية العظمى ، في كونهم ليسوا سوى أقلام رصاص مدببة الرأس يبريها من ينوي استخدامها ، بل كن كالأقلية أقلام حبر جافة ، من أراد إستخدامها أجبر على الكتابة بها كما هي). ولذلك يصعب على الطواغيت استخدام أو استغلال الأدباء الصادقين! ولقد يتطالون على الشعر والأدب فيشترون أشعار غيرهم لينسبوا إلى أنفسهم! ويفضحهم حالهم: إذ القصيدة المنسوبة إلى أحدهم محبوبكة مسبوكة غير مسبوكة ، وعلامة على ذلك هي قصيدة موزونة مقفاة بمعنى الكلمة! ولا يستطيع هذا الطاغوت أو ذاك قراءتها فضلاً عن تأليفها! فهل يخادعون الله رب العالمين؟ فإن الله خادعهم! أم يخدعون جماهيرهم؟ أليس من بين جماهيرهم الغفيرة من يدرك تمام الإدراك ويعلم تمام العلم أن هذه القصيدة أو تلك لا يمكن أن يكتبها مثل هذا؟! وتحت عنوان: (أثر القراءة على الفرد والمجتمع) قالت الأستاذة هدى عبد السلام ما نصه: (وعندما يقرأ الإنسان النصوص ويدقق فيها ويحللها فذلك يساعده على زيادة تركيزه وتقليل تشتته. وتساعد الإنسان على صفاء ذهنه وراحة عقله وبالتالي تخلصه من الأرق ، خاصة عندما يقرأ أي نص قبل النوم. ويعرف من خلالها الإنسان تواريخ الأمم وأهم المعلومات عنها. وعندما يداوم الإنسان على القراءة يتمكن من تكوين وجهة نظر خاصة به ، فيصبح مستقل الشخصية ولا يمكن التأثير عليه. ومن الأمور التي تعم على المجتمع بأكمله بالعديد من الفوائد الاقتصادية ، وذلك من خلال تداول الكتب وبيعها وشراؤها، فذلك يعزز من الحالة الاقتصادية تزيد من عجلة الإنتاج وذلك من خلال عمل المطابع بشكل متواصل من أجل طباعة الكتب وبيعها في الأسواق ، إلى جانب توفير فرص عمل للكثير من الشباب في تلك المطابع. وعندما يداوم أفراد المجتمع الواحد على القراءة يصبحون أكثر

ثقافة ووعياً، وبالتالي يدركوا الدور الواقع على عاتقهم في تطوير بلدهم وتنميتها. والقراءة تفيد أيضاً في توطيد العلاقات بين الناس والتعامل بشكل أفضل مع بعضهم البعض، كما أنها تساعد أيضاً في تكوين العلاقات المختلفة ومنها العلاقات الدولية في حال الحصول على الكتب الخارجية. وتساعد القراءة على زيادة وعي الأفراد وبالتالي نبذ أي سلوكيات تؤدي لتشتت المجتمع وتدهوره). هـ. والأستاذة هدى تبيين لنا مسؤولية الشعراء على وجه الخصوص ، حيث إنهم معيون بتشخيص الواقع ومعالجة قضاياها في أشعارهم! يقول المهاتما غاندي: (نحن لسنا بحاجة لجذب الأتباع عن طريق الكلام أو الكتابة ، يمكننا أن نفعل ذلك فقط من خلال حياتنا ، فلنجعل حياتنا كتباً مفتوحة يدرس فيها الجميع). وإذا كان الأديب صادقاً في أدبه عاملاً بما يدعو إليه من قيم كان ذلك منه أسمى لأن يصدق الناس ويحترموه ويعملوا بما يدعو إليه من قيم! ولما سُئلت أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: (كان خلقه القرآن) (كان قرآناً يمشي على الأرض) ، فإن المعنى الذي تقصده أم المؤمنين هنا هو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمل بهذا القرآن وتمثل ما يدعو إليه من عقائد وقواعد ومن أحكام وإعلام ومن سلوكيات وأخلاقيات ومن أوامر ونواه! فكان ذلك منه أسمى وأدعى لأن يتبعه أغلب القوم! وإذا كتب كاتب نصاً ثم تبيين له أن الحق في سوى ذلك النص ، فعليه أن يعيد حساباته ويستبعد الجزء العطب في نصه! فإذا كان كله عطباً لا يصلح استبعده كله! واستمتعاه بالاستبعاد للعطب يساوي أو ينبغي له أن يساوي استمتعاه بالكتابة ويزيد! قال مريد البرغوثي: (ألا تساوي متعة الحذف متعة الكتابة؟ وهل تستمد الكتابة قيمتها إلا من المحذوف الذي تعمدنا حذفه ليتجلى؟) والكتابة الصادقة الصحيحة المطابقة للواقع والمعالجة له لا تهزمها الحياة ولا الأحياء مهما أوتوا من قوة ومن جبروت! تقول إنا فيربر: (الحياة لا يمكنها أبداً هزيمة الكاتب الذي يشعر بحالة حب مع الكتابة). ذلك أن الكاتب كتب للناس لا لنفسه ومن هنا كانت الكلمة التي تسطر على أغلفة بعض الكتب (حقوق الطبع محفوظة) لا قيمة لها باعتبار قراءة الناس للكتاب ونقدم له ومناقشة مؤاخذاتهم عليه! إنه باختصار صار ملكاً لهم! وإن هم لم يستطيعوا طباعته من الناحية القانونية (التشريعية) أو من الناحية الأخلاقية ، لكن نقد وتحليل ومدارسة النص وتفنيده من حقهم على مر الدهور وتعاقب العصور! يقول بيتر هاندكه: (كتابي ليس ملكي ، إن مجرد اتخاذ قرار الكتابة هو تنازل عن ملكيتنا لأفكارنا ، إذ إننا نشرعها آنذاك للعامة). ودائماً وأبداً نجد المعاني الإنسانية والمشاعرية تخرج عن القيود لتعبر عن ذاتها مهما حاول أصحابها إخفاءها! قال محمد الرطيان: (هل تعلم أن لك أجنحة خفية؟! حاول أن تكتشفها أولاً. وثانياً حاول أن تتعلم كيف تطير. من لم يجرب الحب والكتابة والحلم لن يصدقني). قال أمين معلوف: (إذا قرأت "قراءة فعلية" أربعين كتاباً حقيقياً خلال عشرين عاماً ، فبوسعك مواجهة العالم). والقراءة الفعلية التي يريدنا منها الأستاذ معلوف هي القراءة المتأنية التي تخرج لنا إيجابيات وسلبيات ذلك النص! وتستكمل عملية القراءة الأهداف المرجوة منها. حيث يقوم القارئ بمطابقة النص وما يدعو إليه من قيم على نفسه هو لا على الكاتب وحده! وساعتها يتخيل أن هذا النص يعنيه وأن الكاتب كتبه له وحده! قال إرنست همنغواي: (جميع الكتب الجيدة متشابهة بأنها أكثر صدقاً مما لو كانت تروي ما حدث فعلاً ، ومع ذلك ستشعر بعد الانتهاء من قراءة أحدها أن كل ما حصل بها قد حصل لك أنت وكل شيء ينتمي لك). ولقد يستهجن كثير من الناس ما تحمله بعض النصوص لهم رغم صحة وصدق وشرعية ما تدعو إليه النصوص! وهذا نجده كثيراً في مجتمعات الفساد والانحطاط

والتخلف عن ركب الحضارة (والإسلام هو الحضارة)! وكان الكاتب يخاطب قوماً قد عفا عليهم الزمان! أو يطلب إليهم أقوالاً وأفعالاً هي والمستحيل صنوان لعملة واحدة! قال رينيه ديكرت: (قراءة الكتب الجيدة كمحادثة أفضل الرجال في القرون الماضية). وعموماً لا تزال القراءة سواء في الكتب أم عبر الإنترنت وسيلة من وسائل المعرفة ولا شك! ومرّ علينا زمانٌ كانت البيوت تتفاضل بعدد الكتب فيها! وعشنا اليوم في زمان البيوت تبرأ من الكتب ولا تعني بها ولا تقتنيها أصلاً! قال ماركوس توليوس شيشرون: (البيت دون كتب كالجسد بلا روح). قال فيودور دوستويفسكي: (تعلم وقرأ الكتب الهامة والقيمة. ودع الحياة تتكفل بالباقي). والأصل في أمة (اقرأ) أن تقرأ وتتعلم لتتميز بين سائر الأمم بالعلم! ومهما كانت الشواغل والصوارف فلا بد من أن نقرأ لنتعلم! ولقد تعددت المحاولات لصرف المسلمين عن كتاب ربهم وسنة نبيهم وهي محاولات قديمة جديدة: من فجر البعثة المحمدية – على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم – إلى يومنا هذا! واجتماع جلادستون مع مجلس العموم البريطاني وهو يقول لهم: (لا يمكن أن نسيطر على المسلمين إلا إذا مزقنا هذا الكتاب وحمل المصحف بيده يشير إليه! فقام أحدهم ومزق المصحف! فغضب جلادستون وقال كلمته المشهورة: (ليس هذا هو التمزيق الذي عنيت أيها الأحمق! إنما عنيت تمزيقه في صدور المسلمين!) وتم لهم ذلك بالأفلام بأنواعها والمسلسلات والأغاني وما شابه ذلك! ولكن فريقاً من المؤمنين لم يأكل ذلك الطعم ولم ينخدع به! ولم تؤثر فيه المسلسلات ولم تغييه الأفلام ولم تذهب التمثيليات بعقول أهله! ونسأل الله أن نكون وقراءنا منهم! ومحاولات الضالين هؤلاء في صرف الناس عن القرآن أشار إليها تفسير الظلال بتفصيل! أورد صاحب الظلال – عليه سحائب الرحمة ويواقيت المغفرة – في تعليقه على آية سورة الأنفال "وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا: قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين" بقوله بالنص: (وقد كان الملأ من قريش يعمدون إلى ما في القرآن من قصص الأولين ، وقصص الخوارق والمعجزات ، وفعل الله بالمكذابين وإنجائه للمؤمنين . . . إلى آخر ما في القصص القرآني من هذه الموضوعات ، فيقولون للجماهير المستغفلة: إنها أساطير الأولين ، اكتبها محمد ممن يجمعونها ، وجاء يتلوها عليكم ، زاعماً أنه أوحى إليه بها من عند الله . . . وكذلك كان النضر ابن الحارث يجلس في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتهائه ، أو يجلس مجلساً آخر يجاوره ، ويقص الأساطير الفارسية التي تعلمها من رحلاته في بلاد فارس ، ليقول للناس: إن هذا من جنس ما يقوله لكم محمد. وهأنذا لا أدعي النبوة ولا الوحي كما يدعي! فإن هي إلا أساطير من نوع هذه الأساطير. ولا بد أن نقدر أنه كان هناك تأثير لهذه البلبلة في الوسط الجاهلي عند عامة الناس. وبخاصة في أول الأمر ، قبل أن تتجلى الفوارق بين هذه الأساطير والقصص ، وبين القرآن الكريم. لنذكر لم نادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المعركة في بدر بقتل النضر بن الحارث. ثم لما وجده أسيراً أمر بقتله هو والنفر القليل الذين أمر بقتلهم من الأسرى ، ولم يقبل فيه فدية كالأخرين! على أن الذي انتهى إليه الأمر في مكة أن هذه الأساليب لم تعش طويلاً ، وأن هذا النوع من المناورات قد انكشف بعد حين ، وأن القرآن بسلطانه القاهر الذي يحمله من عند الله ، وبالحق العميق الذي تصطاح عليه الفطرة سريعاً ، قد اكتسح هذه الأساليب وهذه المناورات ، فلم يقف له منها شيء وراح الملأ من قريش - في دعر - يقولون: "لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون!" ووجد كباروهم ، من أمثال أبي سفيان (قبل إسلامه) وأبي جهل والأخنس بن شريق أنفسهم يخالس بعضهم بعضاً ليبيت ليلته يستمع خفية لهذا القرآن ، ولا يملك نفسه من أن تقوده قدماء

ليلة بعد ليلة إلى حيث يستمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خفية عن الآخرين ، حتى تعاهدوا وأكدوا على أنفسهم العهود ، أن لا يعودوا إليها ، مخافة أن يراهم الفتية فيفتنوا بهذا القرآن وبهذا الدين! على أن محاولة النضر بن الحارث أن يلهي الناس عن هذا القرآن بشيء آخر يخدعهم به عنه ، لم تكن هي المحاولة الأخيرة ولن تكون . . لقد تكررت في صور شتى وسوف تتكرر . . لقد حاول أعداء هذا الدين دائماً أن يصرفوا الناس نهائياً عن هذا القرآن. فلما عجزوا حولوه إلى ترانيل يترنم بها القراء ويضطرب لها المستمعون ، وحولوه إلى تمانم وتعاويد يضعها الناس في جيوبهم وفي صدورهم وتحت وساندهم . . ويفهمون أنهم مسلمون ، لم يعد القرآن في حياة الناس هو مصدر ويظنون أنهم أدوا حق هذا القرآن وحق هذا الدين! التوجيه . . لقد صاغ لهم أعداء هذا الدين أبداً منه يتلقون منها التوجيه في شؤون الحياة كلها. حتى ليتلقون منها تصوراتهم ومفاهيمهم ، إلى جانب ما يتلقون منها شرائعهم وقوانينهم وقيمهم وموازينهم! ثم قالوا لهم: إن هذا الدين محترم ، وإن هذا القرآن مصون. وهو يتلى عليكم صباحاً ومساءً وفي كل حين ، ويترنم به المترنمون ، ويرتله المرتلون . . فماذا تريدون من القرآن بعد هذا الترنم وهذا الترتيل؟ فأما تصوراتكم ومفهوماتكم ، وأما أنظمتكم وأوضاعكم وأما شرائعكم وقوانينكم ، وأما قيمكم وموازينكم ، فإن هناك قرآناً آخر هو المرجع فيها كلها ، إنها مناورة النضر بن الحارث ، ولكن في صورة متطورة معقدة ، تناسب تطور فإليه ترجعون! الزمان وتعقد الحياة . . ولكنها هي هي في شكل من أشكالها الكثيرة ، التي عرفها تاريخ الكيد ولكن العجيب في شأن هذا القرآن ، أنه - على طول الكيد وتعقده لهذا الدين ، على مدار القرون وتطوره وترقيه - ما يزال يغلب! . . إن لهذا الكتاب من الخصائص العجيبة ، والسultan القاهر على الفطرة ، ما يغلب به كيد الجاهلية في الأرض كلها وكيد الشياطين من اليهود والصليبيين ، وكيد الأجهزة العالمية التي يقيمها اليهود والصليبيون في كل أرض وفي كل حين! إن هذا الكتاب ما يزال يلوي أعناق أعدائه في الأرض كلها ليجعلوه مادة إذاعية في جميع محطات العالم الإذاعية ، بحيث يذيعه - على السواء - اليهود ، ويذيعه الصليبيون ، ويذيعه عملاؤهم المتسترون تحت أسماء المسلمين! وحقيقة إنهم يذيعونه بعد أن نجحوا في تحويله في نفوس الناس "المسلمين"! - إلى مجرد أنغام وترانيل أو مجرد تمانم وتعاويد! وبعد أن أبعده - حتى في خاطر الناس . . المسلمين! . . من أن يكون مصدر التوجيه للحياة ، وأقاموا مصادر غيره للتوجيه في جميع الشؤون . . ولكن هذا الكتاب ما يزال يعمل من وراء هذا الكيد ، وسيظل يعمل ، وما تزال في أنحاء في الأرض عصابة مسلمة تتجمع على جدية هذا الكتاب ، وتتخذة وحده مصدر التوجيه ، وهي ترتقب وعد الله لها بالنصر والتمكين. من وراء الكيد والسحق والقتل والتشريد . . وما كان مرة لا بد أن سيكون). هـ. قال راي برادبري: (لست بحاجة لحرق الكتب لتدمير الثقافة ، فقط أمتنع الناس من قراءتها). وتم لهم ذلك بالفعل كما أسلفنا ولا نريد تكرار الكلام! قال ريدلي سكوت: (الدماغ هو أفضل سينما في العالم ، أنت ستعرف ذلك عند قراءة كتاب جيد). نعم ذلك أن العقل عندما ترد عليه المقالات تلو المقالات فإنه يغربل ويمسك المفيد ويترك الغث! قال فرانسوا فولتير: (دعونا نقرأ ونكتب فهذه هي التسلية التي لن تتسبب بأي ضرر للعالم). القراءة والكتابة إذن هما طريق الأمم الراقية إلى الرقي! قال عباس محمود العقاد: (القراءة وحدها هي التي تُعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة ؛ لأنها تزيد هذه الحياة عمقاً ، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب). وصدق العقاد لأن العمر قدره الله تعالى ، ولكن القراءة تضيف للعمر بركة ، وتضيف الكتابة للعمر عدداً لا محدوداً من البركات! ذلك أن

القارئ فقط يذهب إلى ثبره ومع قراءته! بينما الكاتب يذهب إلى قبره وتبقى كتابته لتعطيه عمراً ثانياً ليعيش بين الأحياء ويترحم عليه أهل القيم والأخلاق والتدين كلما ذكروه! فما الباعث لهم على الترحم؟ إنها الكتابة الصادقة الواعية! قال مارسيل بروس: (ربما لا يوجد أيام عشناها في طفولتنا بكل ما للكلمة من معنى ، كتلك التي عشناها مع كتابنا المفضل). وهذا رأي دقيق في القراءة! ولا زلت إلى اليوم أتذكر كتباً قرأتها في طفولتي المبكرة وكذلك المتأخرة! والحكمة العربية تقول: (لتصبح ذكياً تحتاج لقراءة عشر كتب فقط ؛ لكن للعثور على تلك العشرة ، فأنت بحاجة لقراءة آلاف الكتب). والمعنى المراد هنا أن أغلب ما نقرأه لا يعلق بأذهاننا! ولا تألفه قلوبنا ، ولا تلهج به ألسنتنا! لماذا؟ والجواب: لأن القلوب والعقول والألسنة تتعلق بالصادق الواعي المفيد من القراءات! وتحت عنوان: (أثر القراءة على الفرد والمجتمع)! قالت الأستاذة هدى عبد السلام ما نصه: (والمداومون على القراءة يصبحون أكثر تقبلاً لاختلاف الآراء لأن هدفهم الأول هو البحث عن الحقيقة! وتعلم القراءة الإنسان كيف يتأني قبل أن يحكم على مختلف الأشياء. وعندما يقرأ الإنسان يصبح أكثر فهماً لطبيعة المشكلات التي تواجهه، وبالتالي يستطيع التمييز بين الصالح والفساد. ومن يحرص على القراءة والإطلاع يصبح لديه خبرة في الكتب المفيدة والمنيرة للعقول والكتب التي ليس لها فائدة أو التي تدس سمومها بين سطورها، فيتمكن من توجيه النصح والإرشاد لغيره بالكتب التي تنفعهم ويحذروهم من الكتب الموجهة لتحقيق هدف ما. وتعمل القراءة على تقوية العلاقات الاجتماعية وتعزيز التبادل الثقافي بين الأفراد والمجتمعات. والقراءة تولد شعور دائم عند الأشخاص بالفهم والإدراك ، وذلك من خلال قراءة أنواع الكتب المختلفة. والقراءة تُعد واحدة من أفضل وسائل الترفيه التي يمكن أن يرفه بها الإنسان عن نفسه ، كما أنها مفيدة له في نفس الوقت فلا يشعر الإنسان بأنه قد أضاع وقته بلا فائدة. والقراءة تساعد على تغيير الإنسان وتغيير وجهات نظره ، وذلك من خلال المهارات والمعلومات التي يكتسبها من خلال تطلعه دائماً في جميع المجالات. والكتب المتعددة مفيدة لصحة الإنسان النفسية والعقلية ، فتجعل الإنسان يقاوم الكثير من أمراض المخ التي يتعرض لها مع التقدم بالسن، والتي من بينها مرض الزهايمر). هـ. قال فرانسيس بيكون: (الكتب هي السفن التي تمر عبر بحار الوقت العظمى). والحكمة العربية تقول: (يمكن الاعتماد على الكتب. فهي تبقى صامدة عندما يكون ذلك ضرورياً ، وتحدث إليك وتكشف العالم كله عند الحاجة). فالمستفيد الحقيقي من الكتاب هما اثنان! الأول كتب بصدق يبتغي وجه الله ويرجو الأجر منه! والثاني هو القارئ الواعي الذي ينتقي لعينه وقلبه وعقله ما يفيد! قال الشاعر الفرنسي فيكتور هوغو: (إن تتعلم القراءة كأن تتعلم إشعال النار ، فكل كلمة ستكون هي شرارة). وطبعاً هذا لا يتحقق في القراءة السطحية الهائلة ، إنما يتحقق في القراءة الجادة العميقة الحريص صاحبها على الاستفادة! قال دانيال براك: (المفارقة التي تتميز بها القراءة تكمن بمقدرتها على إبعادنا عن العالم حتى نتمكن من فهم معنى ما يدور من حولنا). قال توماس كارليل: (أكبر الجامعات على الإطلاق هي عبارة عن مجموعة من الكتب). وصدق كارليل! بل أضيف إليه أن الدين ذاته هو مجموعة من الأوامر والنواهي الربانية والتشريعات والأحكام الإلهية احتوتها كتب! والملك ستيفن: يصف الكتابات المفيدة بأنها تعطي المعلومات الدسمة الثمينة للقراء كالدواء قطرة قطرة فيقول في تعريفها: (الكتب الجيدة لا تسلم جميع أسرارها مرة واحدة). وقالت سميحة خريس: (ما زالت الدنيا تكتظ بمليارات الكتب البديعة التي لم تصافح عيوني ، التي تنتظر دهشتي وتملك أسراراً

لم تخطر في البال). وهذا شعور كل قارئ جاد ينتقي الكتب التي تفيده! واصطحاب الكتاب قراءة ونقداً وتحليلاً حياة ثانية للمرء! قال غسان عبد الخالق: (منذ ثلاثين عاماً أدركت أن سعادتني تكمن في القراءة والكتابة؛ فاسترحت وأرحت). والقراءة الجادة الواعية هي السبيل إلى معرفة الحق وإدراك الحقيقة! وأمة (اقرأ) كانت الأولى والأجدر بالقراءة من أمة (اطفىء سراج عقلك القراءة؛ خليك بها أن تجف وتذبل، واتبعني!) قال فهد الحمود: (إن العبقريّة إذا لم تتغذّ بغذاء وإن الذكاء إذا لم يلازمه الاطلاع؛ يتحول إلى هباء). وقال ويل روجرز: (يتعلم الإنسان بطريقتين؛ القراءة ومصاحبة من هم أذكى منه). وإذن فهما صاحبان: الكتاب والصديق الواعي المؤمن الموحد! وقال ميلان كونديرا في وصف إحدى الشخصيات النسائية: (هي لم تكن تملك، في مقابلة عالم التفاهة الذي يحيط بها، إلا سلاحاً واحداً؛ هذا السلاح هو الكتب). والدكتور مصطفى محمود يقول: (القراءة هي أن تذهب بعقلك ومشاعرك خارج حدود المكان فكأن القراءة تعطينا بعداً لم نكن ندركه بدونها! وقال جان بول سارتر: (يبدو لي أن والزمان). كل ما أعرفه عن حياتي تعلمته من الكتب). وهذا ليس بمستغرب حيث إن أغلب المعارف صاغها أصحابها من الكتب! والحكمة العربية تقول: (أن ترى شخصاً ما يقرأ كتاباً تحبه، فهذا يعني أن الكتاب يزكي لك شخصاً). ويحترم المرء ويحب بمقدار ما يطالع ويقرأ! قال عبد الله الجعثن: (إذا أردت أن تسعد إنساناً؛ فحبب إليه القراءة). قال مارك توين: (الرجل الذي لا يقرأ لا يتميز عن الرجل الذي لا يستطيع القراءة). فالأممي بطبيعة الحال لا يستطيع الكتابة ولا القراءة! والذي لا يقرأ عنده الأدوات ولكنه يؤثر أن لا يستخدمها! وإذن فالفرق بينهما ليس بالكبير! وقال ويليام نيكلسون: (نقرأ لنعرف أننا لسنا وحدنا). فكان القارئ والكاتب على حد سواء صديقان أو رفيقان يتجاذبان أطراف الحديث حول قضية ما! قال يموني سنيكتس: (لا تثق أبداً في أي شخص لم يحضر كتاباً معه). ويقول ألبرت أينشتاين صاحب النظرية النسبية: (إذا كنت تريد لأطفالك أن يكونوا أذكياً، فأقرأ لهم الحكايات، وإذا كنت تريد لهم أن يكونوا أكثر ذكاءً، اقرأ لهم المزيد من الحكايات، فإذا أردتهم في قمة الذكاء فعلمهم كيف وأين ومتى ولمن يقرأون). وصدق في قوله، فالأطفال القراء نجد عندهم نبوغاً مبكراً عن الذين لا يقرأون وهم أقدر على مواجهة الحياة وحل المشكلات! ويقول أوسكار وايلد: (إذا لم تستمتع بقراءة كتاب مراراً وتكراراً، فما الفائدة من قراءته من البداية؟) وفي هذا التساؤل حض على التركيز التام في القراءة لتكون مجدية مفيدة! ولقد قالت الكاتبة الأمريكية جين أوستن: (عندما يكون لدي منزلي الخاص، سأكون بانسة إذا لم أمتلك مكتبة مميزة). وهي هنا تبين مقدار السعادة التي يسوقها وجود الكتاب في البيت! ومن هنا ألفت جين أوستن وناظرت ونقدت وانتفع برواياتها خلق كثيرون من أبناء جلدتها ومن غيرهم! وقال فريدريك دوغلاس: (بمجرد أن تتعلم القراءة، سوف تكون حراً إلى الأبد). إن القراءة والكتابة يمنحان أصحابهما حرية فكر وتصرف مطرقة! وتأتي هذه الحرية من استلهاهم الدروس والعبر من جملة ما يقرأون أو يكتبون من كتب! وقال برتراند راسل: (هناك نوعان من الدوافع لقراءة كتاب، الأول؛ أن تستمتع به، والآخر؛ أن تتفاخر به). ولئن انتهى زمن التفاخر فقد بقي مبدأ الاستمتاع! أما إذا ذهباً معاً فعلى القراء والكتاب السلام! والله لقد كنا نتفاخر في طفولتنا بعدد الكتب المقتناة ونؤاخذ بالذي لم يقرأ منها! واليوم نعاير على الاثنتين: عملية الاقتناء وعملية القراءة! فنسأل الله العافية والسلامة! على حين نرى التفاخر بالأموال والبيوت والسيارات! قال ألبرتو مانغويل: (أعطتني القراءة عذراً مقبولاً لعزلي، بل ربما أعطت مغزى لتلك العزلة المفروضة

(علي). وهذه العزلة المطلوبة اليوم لأننا لا نكاد نجد من يشاركنا هوايتنا قراءة كانت أم كتابة! ولذا فالحل العزلة الشعورية حتى نستمتع ككتاب أو قراء بالكتاب ريثما نجد من يشاركنا استمتاعنا! قال كريستوفر باوليني: (الكتب أصدقائي ، فهي تجعلني أضحك وأبكي وتدفعني لأجد المعنى في الحياة). وصدق هذا فيما ارتأى! فعلاً أحياناً أقرأ نصاً فأضحك وفي أحيان أخرى أقرأ نصاً فأبكي! وفي أحيان ثالث أقرأ نصاً فلا أضحك ولا أبكي! قال أورهان باموق: (قرأت كتاباً في يوم من الأيام ؛ فتغيرت حياتي كلها). قال جي كي رولينج: (لا أعتقد أن في الكتب نوعاً من السحر ، لكن أعتقد أن شيئاً سحرياً يمكن أن يحدث عند قراءة كتاب جيد). وهذا يعود بصفة مبدئية للأسلوب الذي يستخدمه الكاتب ، فكلما غلب جانب المشاعر والوجدان كلما وجد طريقه إلى القلب والجوارح! قال جون لوك: (القراءة تزود العقل بمواد المعرفة فقط ، والتفكير هو الذي يجعل ما نقرأه ذا معنى لنا). والقراءة بهذا الاعتبار تزيد المرء ثقافة وحنكة ودهاء عندما يستلهم الدروس والعبر وعندما يقتنص الحلول لمشكلات هي في الحياة وحلولها في الكتاب! قال إبراهيم لينكولن: (أعز صديق لي هو الشخص الذي يمنحني كتاباً لم أقرأه). واليوم يا عم لينكولن إذا أهدينا أحداً كتاباً لغيرنا سخر منا! فإذا أهدينا كتاباً من تأليفنا ونظم أفكارنا كانت سخريته أكبر! وتحت عنوان: (أثر القراءة على الفرد والمجتمع) قالت الأستاذة هدى عبد السلام ما نصه بشيء من التصرف والإضافة والتفصيل غير يسير: (إن الهدف من هذا النوع من القراءة ليس التعمق في المعلومات الموجودة بالنص ولكن الإطلاع على محتواه بهدف الحصول على فكرة عامة حوله ، حيث يسعى القارئ من خلال القراءة الاستطلاعية لزيادة معلوماته العامة. وهي القراءة المتعلقة بمختلف مراحل التعليم، فيكون القارئ فيها هو الطالب المدرسي أو الجامعي الذي يستخلص أهم الأفكار الموجودة بالنص ويعمل على ربطها مع بعضها البعض ، وهي الأفكار التي تفيد الطالب طوال مشواره التعليمي! والقراءة الترفيهية هي نوع من القراءة إلى تحقيق الترفيه والمتعة ، فيختار القارئ النص الذي يرغب في قراءته والذي يجد فيه ما يروح عن نفسه ، ويتميز هذا النوع من القراءة بانتشاره بين الفئات العمرية المختلفة. والقراءة هي أهم وأقوى غذاء لروح وعقل الإنسان ، فنفس الإنسان تشبع عندما تنهل من نهر المعرفة الذي لا ينضب أبداً ، فعندما يراود الإنسان أي تساؤل فلن يجد إجابته إلا في الكتب. تساعد القراءة على تقدير قيمة الوقت واحترامه ، وبالتالي يحسن الإنسان استغلاله فيما ينفعه. والقراءة تجعل الإنسان مبدعاً ومبتكراً وقادراً على إيجاد أي حل لأي مشكلة وذلك بسبب سرعة بديهته التي تكوّنت ونمت بفضل القراءة). هـ. قال عبد الكريم بكار: تواجهه (نريد أن ينشأ الطفل وهو يشعر أن القراءة مثل النوم والطعام والشراب واللعب شيء يتكرر كل يوم). وهنا توتي القراءة ثمارها إذ أصبحت مطلباً رئيسياً لا يمكن الاستغناء عنه كالماء والهواء والرغيف والماء! قال محمد عدنان سالم: (وحين تعزف أمة عن القراءة تكسد فيها سوق الأفكار ، وذلك بموجب قانون العرض والطلب ، وينحسر الإبداع ، وتضمحل الثقافة). وهذا الأمر واقع اليوم! ولم يكن واقعاً بالأمس السحيق! فالقراءة سبيل العلم ، والعلم سبيل النهوض! فالجهود بالأمس السحيق كانت تبذل من أجل العلم والتعليم والتعلم! واليوم تبذل الجهود والأموال من أجل الفنون والفساد والإفساد في الأرض بغير الحق! وصدق مولانا أبو بكر بن عياش عندما قال: (لقد أصلح الله الأرض ببعثة محمد – صلى الله عليه وسلم - ، فمن دعا إلى غير هداه فهو من المفسدين في الأرض). فإذا كان الكتاب والسنة يدعوان إلى الهداية والصلاح والإصلاح ، فالأم يدعو الرقص بأنواعه والغناء بأنواعه والعري والموضات والأزياء الخليعة

الإباحية بأنواعها؟! واليوم لم يعد وقت للقراءة والمطالعة ، حتى أن أحدهم وقد اختلفت معه في قضية من القضايا فأحضرت الكتاب لأسوق الدليل على صدق ما أدعو إليه وأعتقده! فقال مستكبراً مستكفاً مستهجنأً: (وهل نحن جننا لنقرأ؟!) وهنا احترت هل الخطأ هنا خطأوه هو وقد أعرض عن القراءة والوقوف على الدليل مكتفياً بالجهل والعجرفة والعنجهية بدلاً عن العلم والتعلم؟ أم هو خطني أنا أنني حملت الكتاب لامرئ هو أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان؟! وربما كانت الثانية هي الاحتمال الصحيح الأكيد ، ولكنه إحسان الظن الذي أستصعبه مع كل من أناظر أو أناقش أو أجادل! حتى إذا ما أعرض ونأى بجانبه وقالها صريحة: (وهل جننا لنقرأ؟) فإنه لزام عليّ بأن أعترف بأن للعلم والقراءة والدراسة والاستنباط والوقوف على الدليل أهله! كما أن للجهل والعجرفة والحذقة والعنجهية أهلها! وليست القضية قضية الوقت ، تلك الشماعة التي نعلق عليها مبررات جهلنا! وقد قال الحكيم الصيني كونفوشيوس: (مهما كنت تعتقد أنك مشغول ، لا بد أن تجد وقتاً للقراءة ، وإلا سَلَمَ نفسك للجهل الذي قضيت به على نفسك). ولربما آمن ذلك المتعجرف الجاهل الجهول المجهال الجهل الذي قال لي: (وهل نحن جننا لنقرأ؟) قد آمن بقول ألبرت أينشتاين: (أي رجل يقرأ كثيراً ويستخدم دماغه قليلاً جداً يقع في عادات التفكير الكسولة). بالطبع هذا الكلام الإينشتايني مرفوضٌ من الناحية العقلية البديهية المنطقية! إذ القراءة توسع المدارك وتفتح الأفاق! على عكس ما ذهب إليه صاحب النسبية الذي دَوَّح العالم بنظريته وإذا به يعتبر القراءة مصدراً للجهل! قال أحمد الشقيري: (أمران سيجعلانك أكثر حكمة: الكتب التي تقرأها ، والأشخاص الذين تلتقي بهم). ولربما يكون في قول الشقيري الجواب الكافي والحجة الدامغة في الرد على إينشتاين! وقال أحمد صبري غباشي: (لا شيء يوطد علاقتي باللغة مثل قراءة القرآن!) فالقرآن كتاب العربية الأول كما يصفه صاحب الظلال – رحمه الله رحمة واسعة - . وقال أمبرتو أكابال: (تعلمت أن القراءة فعل خشوع. فأنت حين تنهي قراءة كتاب لا تعود الشخص الذي كنته قبل القراءة). وصدق أمبرتو لأنه بالقراءة الجادة الواعية تثبت قناعات وتزول أخرى ، وتنتفي شكوكٌ وهواجس لتحل محلها يقينياتٌ وثوابت! وتسود أفكارٌ هي عوانٌ بين ذلك! وقد قالت سوزان عليوان: (هكذا الربيع في مثل أرضنا المريضة: جذور عاجزة عن قراءة أوراقها). وهذا رمز إلى أن القراءة المثمرة تشبه الربيع بظلاله الوارفة وزهوره اليانعة! وقال أرنولد توينبي: (ليست العبقريّة في كثرة القراءة ، بل في القراءة المجدية)! ولعله هنا وضح المعنى الذي نريد من اختيار الكتب المفيدة التي تترك كبير الأثر في نفس ووجدان وسلوكيات وتصرفات ومشاعر وأحاسيس قارئها! وقد قال الأستاذ محمد صالح المنجد: (القراءة التي تكون بعد إجهاد عقلي وإنهاك جسمي قليلة النفع شحيحة المردود ، والقراءة بعد الراحة أكثر فائدة وأعمق أثر). ولعل الأستاذ المنجد ينصحنا باختيار الوقت المناسب للتحصيل الجاد من القراءة ليتم التركيز فيها! وقال جلال الخوادة: (واحدة من مهمات الشيطان الأساسية منعك من قراءة القرآن أو الاستماع إليه بتدبر!) والرمز هنا يجب أن يستوعب شياطين الإتنس والجن الذين يبذلون قصارى جهدهم ليصرفوا الناس عن قراءة القرآن باعتباره المصدر الرئيسي للثقافات والمعارف والعلوم بالنسبة للمسلم المؤمن القانت الموحّد)! وقال المستثمر النحرير بيل غيتس: (حقاً كان لدي الكثير من الأحلام عندما كنت طفلاً ، وأعتقد أن هذا مرده بقدر كبير إلى كوني كنت أقرأ كثيراً). حيث إن القراءة قد خلقت عنده كقارئ أفقاً واسعاً من المعارف والثقافات ، اعتبره جملة من الأحلام عسيرة التطبيق والتنفيذ! وقد قال الأستاذ الفيلسوف إبراهيم الفقي: (الشخص الذي لا

يقرأ لا يكون في درجة أعلى من الشخص الذي لا يعرف القراءة). وهو هنا يضرب على ذات الوتر الذي أسلفنا فيه القول من تساوي درجة الأمي الذي أعجزته أميته عن القراءة ، والمرء الذي عنده ملكة القراءة والقدرة عليها ولكنه لا يقرأ! وقال جون لوك: (القراءة تمد العقل فقط بلوازم المعرفة ، أما التفكير فيجعلنا نملك ما نقرأ). وإذن فدور التفكير هو غريزة ما تقرأ العين من النصوص والكتب! وقال إميل سيوران: (النقد تفسير خاطئ ومعكوس: ينبغي أن تتم القراءة من أجل فهم الذات ، لا من أجل فهم الآخر). وهنا لا ينبغي للقارئ أن يطوع النص الذي يقرأه ليكون على هواه! وأنى لصاحب الهوى أن ينتفع بما يقرأ! إذ الحقيقة لها وجه واحد! وقال أوسكار وايلد: (إن شغفي بالقراءة يجعلني أزهد في الكتابة). وأوسكار هنا يريدنا أن نوازن بين القراءة والكتابة! فلا نغلب إحداها على الأخرى! وهذا لا يكون عند الأشخاص القارئيين فقط! بل هو عند الأشخاص القارئيين الكاتبين! وقال أنتوني روبنز: (العديد من الناس يشتركون في الكتب ، لكنهم لا يتعدون قراءة الفصل الأول). وهذا نوع من الناس كثير في زماننا! فإذا سئل لماذا؟ كانت شماعة الوقت جاهزة لأن تكون تبريراً وما هي كذلك أبداً. وقال إنريكي جارديل بونشيللا: (إذا تمكنت من قراءة مادة مكتوبة دون جهد يذكر ، فهذا معناه أنه تم بذل جهد كبير عند كتابة هذه المادة). ألا ما أحيلاها من حكمة بالغة! نعم كلما بذل الكاتب جهداً في إخراج نصه محققاً مدققاً مشكلاً مبرقشاً كلما دل على المعاني التي يريد والدروس التي يريد إيصالها! ومن هنا يكون أمراً يسيراً على القارئ أن يفهم بسهولة ويسر مراد الكاتب! بقطع النظر عن الجهد الجهد الذي بذله الكاتب في تأليف كتابه! وقال محمد صالح المنجد: (إن السرعة المناسبة في القراءة تعتمد على نوع المقروء وعلى الغرض من القراءة). وتلك فائدة عظيمة وإلماحة فذة في أن تؤثر الكتب المفيدة حتى لا نضيع الوقت سدى! وتحت عنوان: (أثر القراءة على الفرد والمجتمع)! قالت الأستاذة هدى عبد السلام ما نصه: (ويجب الجلوس في مكان هادئ بعيد عن الضجيج وذلك حتى تشعر بمتعة القراءة وتستطيع أن تمتزج مع الكتاب بكامل تفاصيله بكل هدوء. وحاول أن تشعر نفسك أن القراءة ليست من الأمور الواجبة عليك وتتخذها كأنها حمل ثقيل عليك ، ولكن اعتبر القراءة هي من الأمور الممتعة لك والتي تعم عليك بكسب المعلومات القيمة إلى جانب تضييع وقت الفراغ بها ، بدلاً من تضييعه في أمور أخرى لا تعم بالفائدة حتى تكون القراءة عملية مفيدة لك قم باستخراج الكلمات والمفردات الجديدة التي تقرأها للمرة الأولى وابعث عن معانيها حتى يكون النص المقروء مفسر بشكل أوضح ، وحتى تضيف لقاموسك المزيد من الكلمات الجديدة ، فيصبح لديك مخزون معرفي جيد. فاحرص على القراءة خلال أوقات الفراغ لديك ، فعندما تخطط لقراءة كتاب أثناء سفرك أو أثناء جلوسك لانتظار رحلتك فستستطيع إنهاء الكتاب بالكامل ، وبالتالي يصبح لديك متسع لقراءة المزيد بعد انتهاء وقت فراغك. وحتى تستمتع بالقراءة احرص على تصفية ذهنك قبل أن تقرأ ، وذلك حتى تكون أكثر تركيزاً وتستفيد من المعلومات الموجودة في النص المقروء). هـ. وعلى هذا جاز القول عندنا بأن لبينة القراءة كبير الأثر على الفهم والتدبر! وقال أبو زيد المقرئ الإدريسي (وهو سياسي إسلامي وداعية ومفكر مغربي): (القراءة أمة والأمة هرم قاعدته القارئون ووسطه المثقفون وأعلاه العلماء والمخترعون). والإدريسي هنا نكأ الجرح ووضع القارئ والكاتب والناقد والمثقف والعالم في خندق واحد! حيث جمع بينهم جميعاً العلم ، والعلم في الكتاب! وقال الدكتور سلمان العودة: (العلم لا يؤخذ بالقراءة والحفظ وحسب بل إن حرارة التجربة والمعاناة تُنضج العقل ، وتلقّحه بأهم العلوم وأنفعها وأكثرها احتواً على

الروح البناءة). وهذا من الدكتور سلمان لا يسقط دور العلماء بل يجليه تماماً! وأعني بالعلماء هنا العلماء الربانيين لا العلماء العملاء المرتزقة الذين يصفون الشرعية على انحرافات الطواغيت ويطوعون النصوص كتاباً وسنة لتتناسب مع الجاهلية! بالطبع لا! إنما أعني العلماء الذين هم على أتم الاستعداد لأن يدفعوا أرواحهم ثمناً لما يعتقدون! وذلك في محاولة منهم لأن يثبتوا ويقيموا الدليل ويشهدوا الله أن شريعة الله أعلى من حياتهم! كما قال صاحب الظلال عندما سُئل: ما معنى شهيد؟ فأجاب في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: الشهيد هو رجل أشهد الله تعالى أن دين الله أعلى من حياته! وقال غالب خليلي: (الحياة جافة ومريضة بلا قراءة ، فالقراءة هي الخبز اليومي الذي لا يمكن أن تستمر الحياة من دونه). وإنما يحس بجفاف الحياة من لا يقرأ لأنه يصطدم بضغوط ومشاكل ومشاكل ولا لواعج فيه! وهناك يستطيع أن يستروح أرجه وأدمه خلقت له القراءة عالماً آخر لا مشاكل ولا لواعج فيه! وهناك يستطيع أن يستروح أرجه الجميل ويتنسم أنساع العطرة! وقال توفيق الحكيم: (الأديب الحق هو الذي يجعلك تدرك عمقاً جديداً ، كلما أعدت قراءة الكتاب). وقال سلمان العودة: (الوقت الذي يتوقف فيه الإنسان عن القراءة هو الوقت الذي يموت فيه! إن الذي لا يحسن قراءة التاريخ يحكم عليه بإعادة أحداثه). ولذلك قال الإمام عبد العزيز عبد الله بن باز: (حب القراءة من النعيم المعجل للمؤمن في الدنيا). فالقراءة بهذا الاعتبار نعمة أنعمها الله على أناس وحرم منها آخرين! وقال محمد الرطيان: (المجد لا يكون فقط في قراءة كتاب سطره أجدادك. المجد الحقيقي أن تكتب سطرًا في كتاب سيقراه أحفادك). والرطيان هنا نكأ جرحي أنا وأدى فكرتي أنا! وقد تجاوزت الخمسين وأشعاري ومقالاتي متناثرة في الجرائد والمجلات! وأحاول اليوم لم شتاتها قبل أن ترحل معي في قبوري! بل إنني حريص على أن يستفيد منها الآخرون! ومن هنا كان المتجه إلى مكتبة نور الإلكترونية المباركة! وسوف أودعها كل ذلك إن شاء الله تعالى لينتفع القراء! وقال الفيلسوف جورج تريفيليان: (التعليم أنتج قطاعات عريضة من البشر قادرة على القراءة ، ولكنها غير قادرة على تمييز ما يستحق القراءة). وهنا يضرب الرجل على ذات الوتر من الحرص على القراءة الجادة الواعية! وقال إبراهيم أصلان: (يوم من دون قراءة يخلف في النفس نوعاً من تآنيب الضمير الذي يعترى المؤمن إذا ما فاتته الفرض). وهذا قول طيب لأنه يبين أهمية القراءة! ويرجع بنا إلى غار حراء وطلب جبريل - عليه السلام - من النبي - محمد - صلى الله عليه وسلم - اقرأ! وإذا تأملنا وجدنا أن آخر السورة ذاتها (كلا لا تطعه واسجد واقترب) أيهما كان أولى القراءة أم السجود؟ بالطبع السجود! لأن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد لا وهو قارئ! ولكن السجود والعبادة برمتها ومنها الصلاة لا تعلم إلا بالقراءة! وإذا قرأ لتتعلم فرائض الله تعالى في مجموعها وواحد منها الصلاة ومادة من موادها السجود! والمعنى المراد أن هذا الدين قائم على العلم! اقرأ! والتوحيد والعقيدة قائمان على العلم: (فاعلم أنه لا إله إلا الله)! وهل يكون العلم إلا بالقراءة والدرس؟! وقال أنابيس نين: (ومن الممكن أن تمل القراءة! وهذا طبيعي ، فعندما يمل الإنسان كل شيء تكون الكتب أول الضحايا). وأنا أخالف عن هذه القاعدة لأن الكتاب عندي هو المستراح لا المستراح منه! بمعنى أنني أجد متعتي الحقيقية في الكتاب! وقال إيزابيل الليندي: (ليس هناك من يروقه قراءة مئات الصفحات ليجد أن القصة لا تنتهي نهاية واضحة). وهنا إشارة أن الفكرة في أي نص يجب أن تقدم للقارئ كاملة لا مبتورة ولا مشطوبة! وقالت الأديبة إيمان ملال: (إذا لم تكن تريد القراءة فذاك شأنك ؛ لكن لا تُغلق المكتبات في وجوه الآخرين!) وهذا سلوك متعجرف من الناس خاصة الطواغيت

لأنهم بسلطانهم المادي يستطيعون إغلاق المكتبات وحرق الكتب كما فعل التتار قديماً - تشابهت قلوبهم -! ولكنهم لا يستطيعون أبداً الحيلولة بين الناس وبين القراءة! ذلك أن الناس بمقدورهم اليوم أن يتصفحوا عبر الإنترنت ما يعجزون عن شرائه من الكتب لعدم قدرتهم المادية أو لأن الطواغيت صادروه ومنعوا نشره! وتحت عنوان: (أثر القراءة على الفرد والمجتمع) قالت الأستاذة هدى عبد السلام ما نصه: (ومن الأمور التي تساعد الإنسان على النهوض بمكانته العملية وذلك من خلال الخبرات التي يكتسبها من الكتب المختلفة المجالات ، ويتعلم الإنسان كيفية التحدث مع الآخرين حيث إن كثرة القراءة والتطلع تجعل الإنسان له أسلوب مميز وجذاب في الحديث مع الآخرين وذلك من المهارات التي يكتسبها من كثرة القراءة. وهي تساعد بشكل كبير على تخلص الإنسان من القلق والضغط النفسي ، وذلك من خلال قراءة الكتب الممتعة والمسلية في نفس الوقت ، وهذا ما يخرج الإنسان من حالة التوتر العصبي ويجعله أكثر هدوءاً. والقراءة تجعل الإنسان بمثابة كتيب كبير يتحرك ، حيث إن المخ يقوم بتخزين جميع المعلومات التي يقوم بقراءتها وفي حالة الاحتياج لتلك المعلومات يقوم المخ باسترجاعها بأقصى سرعة ، ومع كثرة القراءة تزيد المعرفة وتخزن المعلومات. والقراءة تساعد تنمية الذكاء عند الأشخاص ، وذلك في حالة قراءة الكتب السياسية والروايات الغامضة ، وهذا الأمر الذي يجعل الإنسان قادراً على تحليل المواقف وربط الأحداث ببعضها في حياته العامة). هـ. وهذا بالتحديد هو دور القراءة المثمرة في موضوع متكامل مترابط! وقال تركي الدخيل: (المحرومون أنواع لكن الحرمان من متعة القراءة من أقسى أنواع الحرمان في تقديري وليس راء كمن سمع). وقال توفيق الحكيم: (الوسيلة الأولى للترغيب في القراءة هي استثارة الفضول الشخصي). وقال د. عمرو شريف: (ولا تتحقق القراءة الصحيحة لكتاب الله عز وجل ، إذا تمت بمعزل عن القراءة الصحيحة لأحداث الكون والحياة). وقال العبقري الدكتور المؤرخ راغب السرجاني: (إن القراءة ليست مجرد هواية ، وإنما هي بالفعل: منهج حياة ، إن مفتاح قيام هذه الأمة هو كلمة: اقرأ... لا يمكن أن تقوم الأمة من غير قراءة). وقال الدكتور سلمان العودة: (القراءة هي متعة التجول في عقول الآخرين دون الاضطرار إلى تحمل رعونتهم). وقال شادي عبد السلام: (لا تتقدم الحضارات ، ولا يظهر رجال يقودون الأمم ، إلا بعدما تتصدر القراءة أولويات الشعوب). وقال عبد الكريم بكار: (عامل الطفل دائما على أنه شغوف بالقراءة ومحب للكتاب ، بقطع النظر عن الواقع ، وسوف يكون كذلك! كم من إنسان ظل طول عمره مجافياً للكتاب بسبب إكراهه على قراءة ما لا يرغب في قراءته). وقال غيوم موسو: (القراءة ميثاق سخاء بين المؤلف والقارئ كل منهما يثق في الآخر ويعتمد عليه). وقال فرانسواز ساجان: (الأمر الوحيد الذي أندم عليه هو أنه لن يتسنى لي قراءة كل الكتب التي أود قراءتها). وقال كريم الشاذلي: (التنفس يعطيني عامل البقاء في الحياة ، بينما القراءة تعطيني المبرر). وقالت ليلي المطوع: (إنني عندما أقرأ فإنني أقرأ لأنني أشعر بالجهل ، وبعد القراءة أكتشف أن شعوري بالجهل ازداد أكثر من ذي قبل). وصدقت الأستاذة ليلي فيما ذهبت إليه ، حيث إن المرء لا يعرف قدره إلا عندما يطالع كتاباً لعالم نحير صادق! ولربما يقبع ذلك العالم في سجنه أو منفاه أو دفع حياته وروحه ثمناً لكتابه! بينما الكتاب بين أناملنا نقرأه دون عناء! فلنحرص إذن على الإمتاع والفائدة! وقال محمود قاسم: (كل من يجيد القراءة يتصور أنه مثقف و تلك مشكلة في بلد غالبيتها من الجهلاء والأميين). وقالت نبال قندس: (القراءة أكسجين نتنفسه إذا ضاقت صدورنا بأكسجين هذا العالم الملوث). وقال إدموند بورك: (القراءة

دون أن تترك تأثير مثل الأكل من دون هضم). وقال الأستاذ رجاء النقاش: (القراءة والثقافة هي الوسيلة لخلق الإنسان الجديد المعاصر). وقالت فرجينيا وولف: (أنا في أشد الحاجة للغة لتفهم أحتاج بأن أشعر باندماي لنفسي ، مؤخرأ بدأت أقتنع تماماً بأن القراءة هي حياتي الأخرى السرية ، وملجئي الشخصي الذي أهرب إليه دائماً! النصيحة الوحيدة التي يستطيع أن يسديها شخص لآخر حول القراءة هي أن لا يتبع أي نصيحة). وقال خورخي لويس بورخيس: (لا تقرأوا أي كتاب لأنه مشهور أو حديث أو قديم ، يجب أن تكون القراءة أحد أشكال السعادة الخالصة ، أقرأوا من أجل متعتكم ولأجل أن تسعدوا). وطبعاً هذا رأي مبتور موتور! إذ لا بد أن نعرف جيداً لمن نقرأ وماذا نقرأ! وقال الأستاذ محمد عدنان سالم: (إن الشعب الذي لا يقرأ لا يعرف نفسه ولا يعرف غيره ، والقراءة هي التي تقول لنا: هنا وقف السلف من قبلكم ، هنا وصل العالم من حولكم ، لا تكررأ تجارب الآخرين ولا ترتكبوا الأخطاء التي ارتكبوها). وتحت عنوان: (أثر القراءة على الفرد والمجتمع) قالت الأستاذة هدى عبد السلام ما نصه بشيء من التصرف والإضافة والتفصيل غير يسير: (يمكن تعريف القراءة بأنها إحدى الوسائل التي تساعد على تعلم اللغة ومشاركة الأفراد للمعلومات والأفكار لتحقيق التواصل السهل فيما بينهم كما يمكن تعريفها بأنها إحدى المهارات التي يتعلمها الفرد في مرحلة مبكرة من حياته ، لتكون هي الأساس الذي يبني عليه حياته التعليمية ، وذلك عندما يدرك القارئ معنى النص المكتوب ويفهم جميع محتوياته ويستوعبها. تتضمن النصوص رموز وإشارات وحروف ، وحتى يستطيع الإنسان فهم تلك النصوص يجب عليه أن يكون قادراً على فهم وترجمة تلك الحروف والإشارات الموجودة فيها ، ومن المهارات التي تدعم القراءة هي الكتابة والاستماع والتحدث). هـ. وقال الأديب الروسي أنطون تشيخوف: (إن ما يحتاجه الإنسان هو العمل المستمر ليل نهار ، والقراءة الدؤوبة ، والدراسة ، والسيطرة على الإرادة ، فكل ساعة من الحياة ثمينة). وقال آرثر شوبنهاور: (إن الإفراط في القراءة والتعلم يعوق المرء عن مزاولته التفكير لنفسه بنفسه). وقال خوسيه ساراماغو: (هناك من يقضي حياته كاملة في القراءة دون أن يحقق شيئاً أبعد من ذلك ، فلا يدرك أن الكلمات ما هي سوى أحجار مرصوفة لنعبر من خلالها إلى الضفة لأخرى من النهر. وهذه هي الضفة الأهم). وقال عباس محمود العقاد: (القراءة ليست من الكماليات أو شيء للرفاهية ، بل هي فريضة إسلامية. ألم تسمع قوله تعالى (اقرأ هذا أمر!) وقال سومرست موم: (إن اكتساب عادة القراءة وإحاطة أنفسنا بالكتب الجيدة هو بمثابة بناء ملجأ نفسي يحمينا من أغلب مآسي الحياة). وقال آرثر شوبنهاور: (القراءة والتعلم شيان يستطيع أي إنسان أن يزاولهما بمحض رغبته ، أما الفكر فلا ، فالتفكير يجب أن يقدح كما تقدح النار في تيار من هواء). وقال الشاعر الفرنسي مونتسكيو: (لم يصبني حزن ما إلا وانتشلتني منه القراءة). وقال إميل سيوران: (القراءة تعني أنك تترك آخرين يجهدون من أجلك ، إنه الشكل الأكثر لطفاً من الاستغلال). وقالت بثينة العيسى: (القراءة الحرّة تصلح ما أفسدته المدرسة). وقالت ليلي الجهني: (إنني أكبر وأتورط في سحر الكتب والقراءة أكثر فأكثر لم تعد القراءة بالنسبة لي متعة ، بل غريزة كالجوع تماماً ، ومنذ وقت بعيد أدركت أن لا شيء يمنحني الأمان مثل أن أجد نفسي بين الكتب). وقال أحمد ديدات: (ماذا عساها أن تكون القراءة إن لم تكن لغسل المخ. نحن لسنا شيئاً آخر سوى ما نأكل وما نقرأ). وقال ساجد العبدلي: (القراءة هي البذور التي سرعان ما تنمو وتستوي على سوقها لتثمر). وقال طارق رمضان: (القراءة المتعصبة للنصوص لا علاقة لها بالنصوص البتة بل بعقلية قارئ النصوص). وقال

محمود حسني: (إن الإهتمام بالقراءة هو أهم تحول ممكن أن يحدث للإنسان في حياته! إنها هبة عظيمة من الله أن يغرس فيك حُب القراءة). وقالت نهى محمد: (القراءة هي الحاسة السادسة: فإذا كانت الرؤية للعين والسمع للأذن فالقراءة للعقل). وقال هاروكي موراكامي: (لا أندفع في القراءة كأنتني في سباقيل أعيد قراءة الأجزاء التي أعتقد أنها الأهم حتى أفهم مغزاها). وقالت ليلي المطوع: (القراءة شمس تذيب جليد الجهل من على العقول). وقال ماسون كولي: (القراءة تمنحنا مكاناً آخر نذهب إليه عندما نضطر للبقاء في أماكننا). وقال أومبرتو إكو: (من لا يقرأ يعيش حياة واحدة حتى لو اجتاز السبعين عاماً ، أما من يقرأ يعيش خمسة آلاف عام. القراءة أبدية أزلية). وقال الأديب المؤمن المحترم مصطفى صادق الرافعي: (ليكن غرضك من القراءة اكتساب قريحة مستقلة ، وفكر واسع ، ومملكة تقوى على الابتكار ، فكل كتاب يرمي إلى إحدى هذه الثلاث فأقرأه). وقال آرثر كونان دويل: (إن حُب الكتب والقراءة من بين أعظم النعم والعطايا من الله لنا). وقال جوستاف فلوبير: (الطريقة الوحيدة لتقبّل فكرة أن تكون على قيد الحياة هي أن تفقد ذاتك تماماً في الأدب والقراءة ، أن تكون مُغمس فيهم بشكل كامل طوال حياتك). وقال جويس كارول أوتس: (القراءة هي الوسيلة الوحيدة التي تحيينا حياة الآخرين ، وتعطينا صوتهم ، وتسكننا روحهم). وقال أوجستن هار: (تعتبر القراءة بالنسبة للعقل ، مثل التمرينات بالنسبة للجسد. حيث إنها مفيدة ومنشطة للعقل للحفاظ على قدراته مرنة). وقالت إيلين جيلكرست: (كل ما عليك عمله لتثقيف طفل هو أن تعلمه القراءة وتتركه ، فأى شيء غير ذلك فهو غسيل للمخ). وقال عبد الكريم بكار: (لا شك أن الكتاب ما يزال أفضل مصدر للتثقيف ، وإغناء الثروة المعلوماتية لدى الإنسان ، ومازالت القراءة الجادة والمنظمة والعميقة أفضل مورد لبناء ثقافة شخصية واعية ومتخصصة وراقية). وقال قاسم حداد: (كيف تريد أن تكتب وأنت لم تعد تقرأ؟ ولا تحسن الإصغاء ، ولا تحاول فك أبجدية المعرفة ، القراءة زيت قنديلك ، أيها القابع في عتمة الثقة). وقال الأستاذ علي عزت بيجوفيتش: (القراءة المبالغ فيها لا تجعلنا أذكيا ، بعض الناس يبتلعون الكتب وهم يفعلون ذلك بدون فاصل للتفكير ، وهو ضروري لكي يهضم المقروء ويبنى ويتبنى ويفهم). وقال مالكوم إكس: (لقد غيرت القراءة مجرى حياتي تغييراً جذرياً ، ولم أكن أهدف من ورائها إلى كسب أي شهادات لتحسين مركزي وإنما كنت أريد أن أحيأ فكرياً). وقال ميشيل فوكو: (لكي نحلم لسنا في حاجة إلى إغماض أعيننا ، بل إلى القراءة). وقال خورخي لويس بورخيس: (كنت أقول لطلّابي: إذا ألقاكم كتاب ، اتركوه ، هذا الكتاب لم يكتب لكم ، القراءة يجب أن تكون شكلاً من أشكال السعادة). وقال جون لوك: (التعليم ينشئ المرء ، لكن الصحبة الجيدة والقراءة والتفكير هي ما تصقله). وتحت عنوان: (أثر القراءة على الفرد والمجتمع) قالت الأستاذة هدى عبد السلام ما نصه بشيء من التصرف: (تعتبر القراءة أحد الأمور الهامة جداً في حياتنا اليومية ، حيث إن القراءة تفيد الإنسان في العديد من المجالات المختلفة سواء في حياته العملية أو العلمية ، والقراءة هي المسنولة عن نهضة البلاد والشعوب ، وهي التي تساعدنا إلى الوصول إلى غاياتهم وأهدافهم التي يطمحون بتحقيقها ، والإنسان المثقف هو الذي يقوم بقراءة الكتب المختلفة في جميع المجالات وذلك حتى يتمكن من اكتساب الخبرات التي تفيده في حياته بشكل عام وهي من الأمور التي يعتبرها الكثير من الأشخاص بأنها الهواية المفضلة لهم ، ولكنها في الحقيقة لا تكون مجرد هواية لأن القراءة تنمي العقل أيضاً وتوسع مدارك الإنسان ، ولذلك فهي تعود عليه بالنفع والتطلع وليست مجرد هواية ، وقد لا

يميل البعض إلى القراءة بشكل مستمر ويجد فيها صعوبة ، ولكن القراءة هي من الأمور التي يبني بها الإنسان مستقبله وحياته القادمة).هـ. وأعتقد أنه بعد إيراد هذه الآراء حول الكتابة والقراءة والثقافة والدراسة والعلم والتعليم والتعلم يكون مفهوم (إنشاء مكتبة مثل مكتبة نور) عملاً مباركاً ميموناً يسهل للباحثين والقارئين والكاتبين والنقاد والعلماء مهمة العلم والتعليم والتعلم! ومن هنا ندرك مدى الجهد الجهد الذي قام به القائمون عليها! فنشكرهم وندعو الله أن تذكرت الجرح الذي يكافئهم على جهودهم!! ونكفلهم بما نستطيع من الجهد والنصح والمال! يشعب دمًا ليل نهار (جرح أمة الإسلام) ، فعدت بالذاكرة إلى أيام مجد وعز الإسلام ، مارًا بفترات الضعف والهوان ، ورابطاً هذا كله بالفترة الحرجة المعاشة على أرض الواقع اليوم. وتذكرت العنت الذي كنت أجده في الحصول على الكتاب! ذلك العنت العجيب الذي ينبثق منه عنتان آخران: الأول ثمن الكتاب ، والثاني وجود الكتاب! وكنت قد تعاملت مع مكتبات إلكترونية كثيرة منذ تسعينيات القرن المنصرم! تكاد الواحدة منهن تقتط زائرهما من رحمة رب الأرض والسماء! حيث تطلب طلبات غاية في الغرابة: (اسم العضو – اسم أبي العضو – اسم أم العضو – لماذا يزور العضو مكتبتنا – ماذا يريد العضو من مكتبتنا – ليسجل العضو اسمه وبريده الإلكتروني ورقم هاتفه – وليكتب عنوانه – وليسجل شهاداته ومؤهلاته العلمية وغير العلمية ملحقاً ذلك بالدورات التدريبية)! وكان العضو أخطأ الطريق فلم يزور مكتبة إنما وقع على مخفر أو مكتب توظيف! وكان العضو ارتكب ذنباً في حق نفسه ساعة قرر أن يزور هذه المكتبة أو تلك! وكأننا في سجل مواليد أو في تحقيق عام! ولسنا في مكتبة فيها الكتب يقرأها من يريد ويترك قراءتها من يريد! ولكنني ألفت مكتبة نور خلواً من ذلك كله! ووجدتها من أفضل المكتبات تنسيقاً للكتب حسب فنونها العلمية ، ناهيك عن خاصية التحميل اليسيرة البسيطة السهلة الممكنة! واحترام المصنفين من علماء وأدباء وفقهاء ومنظرين ونقاد وشعراء وهواة! واحترام خصوصيات الجميع ، حتى لكأننا نتعامل مع صديق مخلص لم يشق به صديقه قط ، ولن يشقى به أبداً! وهذه القصيدة عن مكتبة (نور) الميمونة المباركة ما هي إلا من باب الاعتراف بجميل المكتبة علينا وعلى الناس! ولا يشكر الله من لا يشكر للناس! وتمت كتابتها بعد وعد للمكتبة والقائمين عليها بذلك! وهذا الوعد وعدته لما أحسست بقشعريرة الشعر المنبثقة من حبي لمكتبة (نور) وإعجابي المفرط بها ، وتقديري لجهود القائمين عليها من الباحثين والموهوبين والخبراء الحاذقين! وكانت قشعريرة الشعر - التي تتحرك في داخلي منذ أمد بعيد أن أكافئ هذه المكتبة المحترمة والقائمين عليها – هي الباعث الحقيقي على الكتابة بالفعل! وإلا فأنا لست صناعاً أنحت القصيدة مثل النحاتين وقلما أريد مثلما يصنع النجار كرسياً من الخشب! أو مثلما يصنع الحداد السكين من قطعة الحديد بعد طرقتها وسحبها وتهذيبها وسنها! إن هذه وظيفة الشاعر الصانع المحترف المتمكن من الشعر ولكنه ليس متمكناً من الشعور! إن هذا النوع من الشعراء هم المحترفون للشعر ، وليسوا الشعراء بالمعنى الحقيقي! وفرق ما بينهما يزيد عن الفرق بين السماء والأرض بكثير! والذي لا يفرق بينهما لم يعرف الشعر ولا الشعراء! وإنما لديه من الجهل بالشعر والشعراء ما تغرق فيه أمم بأسرها! إن محترف الشعر أو الشاعر الصانع هو قريب الشبه بالنجار يصنع الكرسي ، وبالحداد ينحت السكين! فالنجار ماذا ينقصه ليصنع الكرسي؟ إن الذي ينقصه هو الأدوات والمواد الخام! فإذا كان عنده القدوم والفأرة والمنشار (أدوات) ، والخشب والغراء والمسامير والدر (مواد خام) أمكنه بسهولة ويسر صناعة الكرسي! وكذلك أخوه الحداد ماذا ينقصه ليصنع السكين؟ إن الذي

ينقصه هو الكير والسندان والمطرقة والمقص الحديدي والماء (أدوات) ، وقطعة الحديد (مادة خام) أمكنه كذلك بذات السهولة وذات اليسر صناعة سكين ماضية! وكذلك الشاعر المحترف الصانع ماذا ينقصه ليصنع قصيدته؟ العروض والقافية (أدوات) ، والكلمات والتعبيرات والتراكيب (مواد خام)! ولكن الشاعر المطبوع يختلف اختلافاً جذرياً عن الشاعر المحترف الصانع! ذلك أن الشاعر المحترف الصانع هو رجلٌ متشاعر أو مستشعر أو الاثنان معاً! فالشعر عنده ليس سجية وإنما احترافٌ فقط! بينما الشاعر المطبوع فهو شاعر قد استكمل متطلبات الشعر كاملة! فما هي إذن متطلبات الشعر؟ إنها باختصار أن يكون ملماً بمجموعة مواد مثل: العروض والوزن والقافية والوحدة العضوية والنحو والصرف والبلاغة والبديع والفصاحة والإبانة والاشتقاق (أدوات) ، والشعور والعاطفة والكلمات والتعبيرات والتراكيب والإيحاءات والثقافة والخواطر (مواد خام)! وإن لا يكن ذلك كذلك فلا شعر هنالك ولا شعراء! وأزعم ويزعم لي الراسخون في معرفتي - وهم قلة - أنني شاعر من النوع الثاني! أشعر وأحس وأنفعل فأكتب! وإن لا تتحقق هذه الأشياء عندي فإنني لا أكتب! والنص الشعري عندي قد يتم جملة واحدة! وقد يتم على دفعات! وإذن فليست عملية كتابة الشعر عندي أتوماتيكية أكتب ما أريد من الشعر وقتما أريد وأينما أريد وكيفما أريد! لا! إن هذه وظيفة الشاعر المتشاعر المستشعر المحترف الصانع! وليست وظيفة الشاعر المطبوع! ، الشاعر المطبوع في تعريف موجز مختصر مقتضب هو الشاعر الذي يأتي بالشعر على غير تكلف! ومن هنا كانت قصيدة (مكتبة نور ماوى الأدباء والعلماء) من هذا النمط من الشعر الذي أكتبه على عادتي على غير تكلف! وهي أي قصيدة (مكتبة نور) إحدى قصائد ديوان (عزة الخير) ، وكنت قد استلقتها منه ، وجعلتها منفصلة لسببين: الأول أن أجعلها على شكل كُتيب (هدية متواضعة) لمكتبة (نور) والقائمين عليها! والثاني هو رغبتني في الاستجابة لبعض المقربين والأصدقاء في جعل بعض القصائد ذات الشأن منفصلة عن الديوان! ذلك أن هذا الفريق يرى بأن زمن الدواوين قد ولى مديراً ولم يعقب! فهم يرون أن ديواناً يمتد في أربعمائة صفحة تعضل قراءته ويبيط بصاحبه في الاستفادة منه فضلاً عن تقييمه! ومن هذا المنطلق أتيت على بعض القصائد وجعلتها منفصلة عن دواوينها! كما جمعت بعض القصائد في موضوعات بعينها لتكون في كتاب واحد! وإن كانت في الأصل مستقلة من دواوين صدرت منذ سنين! فمثلاً كان الانتقاء والاصطفاء حسب الغرض الشعري: (الثناء - الوصف - الفخر - الغزل - المدح - الحماسة - الهجاء - الحكمة - البكاء على الأطلال)! وأحياناً كان التصنيف على حسب الموضوعات الشعرية التي تندرج تحتها القصائد! وعلى كل حال تلك فكرة قديمة جديدة! فمن كان يهوى الدواوين جعلنا له الدواوين! ومن كان يهوى القصائد جعلنا له القصائد! تماماً بتمام - مع الفارق - كالمشههي للطعام! وهذا النوع من الناس صنفان: الأول يريد لها وجبة دسمة متكاملة الأنواع من كل ما لذ وطاب! وكأنها آخر زاده من الطعام (وجبة وضعت على مائدة لا أول لها ولا آخر)! والثاني يريد لها لفافة خبز أو شريحته بالجبن أو المربي أو بالبيض أو العسل! وهو ما يُعرف بالسندويتش! فالأول صاحب الوجبة الدسمة المتكاملة هو صاحب الديوان المنوع القصائد والموضوعات والأوزان والقوافي! والثاني هو المكتفي بالقصيدة الواحدة ذات الموضوع الواحد والوزن الواحد والقافية الواحدة! والمهم عندي وبيت الصيد أن ينتفع الناس بما عندنا من الشعر! وأن لا يقال عن شعري أن صاحبه أهمله حتى وافته المنية! إنه شعورٌ سيء للغاية! بل كان لي بأشعاري اهتمام بالغ من أول ما نشرت في الجرائد والمجلات! وأن لا

يُقال يوماً: مات هذا الشاعر ، ومات معه شعره! أو ذهب به إلى قبره ، ودفن معه شعره .
 فتحية لمكتبة نور الإليكترونية والقائمين عليها! وجزاهم الله عن العلم والأدب خير الجزاء!
 وأفضل الشعر ما كان صادقاً معبراً! ولأنني أحببت مكتبة نور فكانت القصيدة تعبيراً عن حبي!
 والشاعر زيد قطريب الذي أدار وأشرف في سنوات الحرب على ملتقى «ثلاثاء شعر» في
 العاصمة السورية منتجاً عنها أنطولوجيا بعنوان «شعراء تحت القصف» باللغتين العربية
 والألمانية له رأي أقل تشاؤماً في هذا السياق ؛ إذ يقول: «نحن أمام انعطافة كبيرة على صعيد
 النص الشعري ، سوف تتبلور لاحقاً لكن متى؟ لا أحد يعرف بالضبط! هذا الأمر تؤكد كثير من
 النصوص المكتوبة من أجيال شعرية مختلفة ، فالمسألة لا تتعلق بالشعراء الشباب كما يتخيل
 البعض. هذه الانعطافة لا يقصد بها حضور ألفاظ الحرب وأسماء السلاح ومفردات الانفجارات
 وأصوات الرصاص ؛ لأن حضور هذا المعجم أمر طبيعي ، ولا يمكن أن يعد انعطافة أو تجديدًا.
 إنما هناك انعطافة كبيرة على صعيد المعنى والشكل في آن واحد ، فهذه الحرب كانت مناسبة
 لاستيقاظ كل الأسئلة الفكرية والفلسفية المؤجلة منذ أمد بعيد ، وهو ما أدى عملياً إلى استيقاظ
 أسئلة الشكل المتعلقة بأسلوب الكتابة الشعرية ، ولنقل: إن هناك علاقة جدلية بين الطرفين ؛
 بحيث لا خلاف على أسبقية المضمون على الشكل أو بالعكس ، فكل واحد منهما يتسبب في
 إيقاظ الآخر. قريباً ، ستودع كثير من الكتابات الشعرية معجمها المعروف والمستخدم حالياً
 وأقصد به اللغة العربية بشكلها الحالي ، في إشارة إلى تشكّل معجم جديد يفكّ عقد التحالف
 الذي نشأ تاريخياً بين النص الغيبي الديني والنص السياسي الاستبدادي ، وكل ذلك بفضل
 الحرب التي أعادت أسئلة الانتماء والهوية والثقافة والذائقة الجمالية إلى الواجهة. واليوم كما
 يخبرنا الشاعر قطريب: «سيتولى الشعر قيادة المرحلة الجمالية والثقافية القادمة ليعيد صياغة
 الذهنية والمخيلة السورية التي رزحت طويلاً تحت الاحتلال العربي ، والآن نحن أمام حركة
 تحرر كبيرة يقودها النص الشعري ، وهي تأتي تنمة لما فعله شعراء سوريون عظماء في
 التاريخ بدءاً من المتنبي والمعري وصولاً إلى من سار على نهجهم من الشعراء المعاصرين».

(نور) سَمَتْ بِالْهُدَى وَالْعِلْمِ وَالْأدَبِ	وأشـرقت شمسـها بـقيـم الكـتبـ
وأتحفننا بما ساقته من دُرر	أغلى من الماس والياقوت والذهب
وناولتنا من البيان أعذبه	وحققـت ما انتوى الهـواة من أرب
وعطرنتنا بما تزجيه من زُبدٍ	يمحو شذاها عتي الوجد والكُرب
وقدمت للورى شهى أطعمة	أشهى من المنّ والسمن والحلب!
وأكرمنا بشهد الفكر مؤتلقاً	أشهى من التين والتفاح والعنب!
وأطعمتنا لذیذ الأكل نكهته	تفوق ما نشتهى من طيب الرطب
لم تأل جهداً ، ولم تبخل على أحدٍ	بالعلم والهذي والتنوير والأدب

نأت مناقبها عن سيء العيب
سمت يميزها ، يسبي أولي الطلب
يا موئل الشم من عجم ومن عرب!
على المضى ، بلا فحوى ولا طنب
فأخفق الضبخ ، عن بُعد وعن كذب
بمعضل الشرط ، يضمني كل مكتتب
وأثقلته ببذل الشك والرّيب
هل في القيود ترانيم من الطرب؟
عن نشر ما كتبت يمين مكتتب
وذاب في حالك الظروف والنذب
حتى أصيب من التفكير بالنصب
به الحواسيب تشكو وطأة العطب
للحق حتى يبوء الحق بالغلب
جلت عن الهزل والتدشين واللعب
عن نشره الدور ، إذ صدته بالهرب
في صمت مخلصه نأت عن الصخب
ببذل جهد عظيم الوقع والسبب
على المضى بارهاصات محتسب
شورى الحوار بلا ضيق ولا رهب
بلا افتتات ، ولا زور ، ولا خيب
فيها المقالات فاقت ثورة الخطب
ترتادها زمرة من خيرة النخب

من بعد ما اتخذت نهج الحوار صوى
حتى ارتقت بين شتى المكتبات لها
(النور) أنت ، وما بالغت يا أملي
(المكتبات) تجد السير عازمة
كالخيل أطلقها الراعي بلا لجم
وأوغلت في قيود النشر مولعة
ففرت كل من يصبو لساحتها
فلم يزرها ، ولم تطرب لهجتها
وقاطع الكل لما كُبلت يده
وعاش ينذب حظاً مبكياً عسراً
واحترار كيف ينبي عن نشر فكرته؟
أما الرصيد من الأفكار فاحتفظت
حتى أتت (نور) تووي كل منتصر
وشرفت من أتى بفتح نافذة
فالجذ طابؤها في نشر ما عجزت
واستقبلت كل من عانى ، وما ضجرت
وقد تبنت سني الفكر قناعة
وشجعت كل من يرتاد ساحتها
ضمت إلى الرأي ضد الرأي مؤثرة
ومن أراد اعتراضاً صاغ فكرته
فهذه ساحة (المراجعات) له
ودونه باحثة (التقييم) مضيفة

يهفو إليها دعاة الخير عن رغب
فالنشرُ بات بلا غرم ولا ودب
من كل جيل تلا على مدى الحقب
حتى ابتلوا بالضنا والعي والوصب
أن يكفلوك ، ومن يُكرمك يحاسب
والجودُ خيرٌ صوئٌ وخيرٌ مكتسب
والبذلُ يدفعُ ما يلقون من نوب
وتستزيدي من الأسفار والكتب
سواك ، بذل الهدى من أشرف القرب
وفيك ينشد ما يهوى من الشيب
يا طالب العلم ذي دعتك فاستجب!
يساقط العلم ، من يغنمه يكتسب!
باب العلوم ، احتفي بالصفوة النجب
وزايلوا منطق الألقاب والرتب!
من كل فذ ، وذي قدر ، وذي لقب
وضاعفي الجهد والأصالة اصطحي
أنوارها ، وسنا ضيائك لم يغب
والمكتبات بيوت تحت ذي القبب
جوزيت خير الدنا وحسن منقلب
من الجهابذ أهل العلم والأدب
ومن يزررك شدا ، وقال: واعجبي!

بوركت يا (نور) مضماراً ومكتبة
حيالك ربك ديواناً لمن كتبوا
وعشت ما عشت إيوان الألى قرأوا
وبارك الله من عليك قد سهروا
إني لأوصي كرام الناس أجمعهم
وأن يجودوا بما المليك خولهم
والبذل مستخلف في كل عارفة
كي تستمري ، فلا تطويك نازلة
كي تستمي في عطاء لا يضارعه
حتى يزورك دوماً كل مطلع
يا (نور) عشت لنا ذخراً ومنتجماً
هزي إليك بجذع الكتب مخصصة
واسقبلي زمر الهواة إن طرقتوا
بشراك يا (نور) أن جاؤوا على عجل
مليون من قرأوا ، ومثلهم كتبوا
تغمدتهم بما للضيف من كرم
يا (نور) حولك كل المكتبات خبت
علا بناؤك كالصرح البهي سما
يا (نور) حزت قبولا لا نظير له
وخصك الله بالكتاب ما باخوا
يا (نور) أنت لأهل الفكر موئلهم

وازيئت سُوحها بـ (مالكِ بِنِ نبي)!
أفكارَ فذٍ - على الإسلام - منتحب
لذتْ وطابت رُؤىً لكل مُرتغب
حتى غدا النص فيها غير مضطرب
بانجليزيةٍ أضحت تُطوِّفُ بي!
لكل نشءٍ ، وجأى الشرح بالعب!
تحوي الشروح بمتن جد منكتب
وشيوخ إسلامنا المُكتمل النسب
طعام من يشتهي ، وبيت مغترب
بلا افتراءٍ ولا غش ولا عطب
في موقع (النور) ذاك الموقع الذهبي
والسمتِ علمَ زها في ثوبه الأدبي!
على الأدلة فوق الخصم كالشهب
بجُنة العلم ، ذي أمضى من القضب!
عن العقيدة يهواها أولو الطلب
بين الخيار على تواتر الحقب
خاض الغمار ، بلا كلٍّ ولا تعب
وكان في الحرب صلداً غير منسحب
كُتِبُ الشهيد (أبي الأعلى) من الغلب
(نور) بأسفاره الغزيرة الشعب
أسفارهن بدت في زاهر الرُحَب
حُطتْ بنص بدمع العين مُختضب

يا واحة شرفُتْ بـ (القطب نورها)
و(الرافعي) حباها من قريحته
ولـ (القتبي) في ربوعها كتب
كان (الوليد) على الأيام حققها
وإن لـ (الخوراني) دورة نشِرتْ
وزادها (عمر) حتى يُزللها
ولا بن عبد الوهاب الساحة انفتحت
شمس الحنيفة السَمَا ، مُجَدِّدُها
وفوق أرفها (الباشا) له سير
هي الملاذ لمن يريد سيرته
وللمنجد أسفاراً يتيه بهها
و(ابن العثيمين) يُشجيهما ويتحفها
إن (ابن صالح) الأجيال تغبطه
كم حارب البدع الرعناء مدرعاً
ولـ (اطحاوي) أسفاراً لها ألق
أيا (أبا جعفر) بشراك منزلة
و(المودودي) حباها إرث مجتهد
وصدّ أهل الهوى عن دين خالقه
والهند تشهد قبل الغرب ما فعلت
أما (أبو الحسن الندوي) فابتشرتْ
وللنساء نصيبٌ لا أحيط به!
ما بين كاتبةٍ طابت كتابتها

وتتدب المجد في ذا المعقل الأشيب
حتى تصدّ اعتدا (حمالة الحطب)!
نساء (نور) حَبْن الردّ كالشهب!
فشعرهن كمثّل الهاطل الصبب
بلهجة زخرت بالجد واللبب
والكاتبات بذن العلم عن رغب
وإن نشر الهدى من أفضل السبب
ربّ الأنام لمادعوت فاستجب!
وخيرُ أم لهم (نور) ، وخير أب!
في ذي الحياة نبيّ العُجم والعرب
فصار قدوتّه المثلى (أبولهب)!
ومن يُردك بتسفيه فجذّ غبي
دعيه في غي حيران ومضطرب!
وعند ربك ما ترجين من حسب!
والله كافيك من تدبير معتصب!
ثّ واعدِ ثائر مستبسل حرب!
من يتقنون فنون الزيف والشغب
أكرم بجمهورك المثقف الأرب!
تمدنا بطيف النور واللهب!
فكيدُ باطلهم - والله - في تبب!
أن ينقذك ، ففي المعارك احتجبي!

تنعي مفاخر في التاريخ قد ذبلت
وبعدُ أخرى عن الأخلاق قد كتبت
من كل ساقطة تنال شرعتنا!
وللشواعر في (نور) مغامرة
يُرغن بالشعر أعداء بلا وهن
كتاب (نور) مغاوير بما بذلوا
ليرحم الله من ماتوا برحمته
وليحفظ الله أحياءً وقد ثبتوا!
والعلم بين ذوي أسفاره رجم
يا (نور) ما استويا من كان قدوته
وأخر غلب الأهواء جامحة
ومن يُردك بتضييق ، فلا تهني
أراك أكبر من مكر الألى مكروا
وأنت أعظم من تشويه من حقدوا
تؤوين يا (نور) للجبار ، فاعتصمي
سيثأر الله ممن حاربوك كليـ
فلا تخافي من التهديد أطلقه
الحق أنت ، فلا تأسّي على أحد!
آيات نصرك مثل الشمس ساطعة
لا تجزعي إن عوى الخسأد ، أو نبخوا
فخلفك اليوم فرسان قد اتفقوا

واشتدت الحربُ فوق السهل والكُتُب
سينصرونكِ رغم الموج والغُيب
أقلامهم كالسيوف البيض واليَلب
ولا يباليون بالسواى ولا الرهب
والعيشُ بالذل بين الناس لم يطب
وإن سلوتنا رحيل خير نبي!
أن يغمروك بما صاغوا من الكتب
والعلمُ في منتهىها خير مُطلب
وليس تخفيه أستاذٌ من الحُجب
حسب الفنون وحسب النوع والشعب
ولا تقنطهم بالمنع والجدب
كمرتع مُبهج مُعشوشب خصب
يقصي الغيوم ، ويُردى حالك السُحب
مفعوعم بالصفاء والصفح والهذب
وكل فذٍ إلى العلوم مُنتسب
فكلُّ يُسر وتيسير لديك هبي!
بما حويت من الآثار والكتب!
مهما أصابك من ضيق ومن ودب!
شتان شتان بين الرأس والذنب!
يا واحدة العلم والأخلاق والأدب!

لن يخذلوك إذا أعداؤك اجتمعوا
أو كانت الحرب عبر البحر مشرعة
لديك من خيرة الكُتاب كوكبة
سيكتبون بلا لين ولا خور
يا (نور) عِشتنا الديانُ قدرها
فيم التوجس والأعمار قد رصدت؟
إني أهيب بمن غابوا ومن حضروا
(النور) يا قومي إيوانٌ ومكتبة
(النور) نبع صفا دوماً لوارده
(النور) تنسيقها للكُتب مدرسة
(النور) تستقطب الكُتاب في وله
(النور) إن ضاقت الآفاقُ قبلتنا
(النور) إن جن ليل الحظر بدرٌ دجى
تلقى الجميع بقلب غير ذي جزع
يا (نور) مُدي يداً لكل ذي فكرٍ
يا (نور) إن ضاقت الدنيا بمن كتبوا
لك الصدارة في علم وفي أدب
والرأسُ أنتِ فلا ترضي به بدلاً
عارٌ على الرأس أن يُرى هنا ذنباً!
تقبل الله منك السعي أجمعه

القاضي الأمريكي الرحيم (فرانك كابريو)

(إن كتابتنا عن القاضي الإنسان فرانك كابريو تعتبر من باب الإنسانية البحتة! ولو لم يكن قاضياً إنساناً بمعنى الكلمة لما كتبتُ عنه هذه القصيدة! والرجل وإن كان في أمريكا إلا أن شهرته عالمية ، فهو بهذا الاعتبار أشهر من نار على علم كما تقول العرب! فما أن تقول القاضي الرحيم أو القاضي الإنسان إلا ويكمل لك من تخاطب: فرانك كابريو! وربما ظهرت آثار رحمة هذا القاضي وإنسانيته أن أغلب زملائه في مختلف بقاع الأرض لا يحذون حذوه ، ولا ينتهجون نهجه ، ولا يفرون فريه! وكما قلت في مقدمات قصائد أخرى وأكرر: المروءة والأخلاق والمناقب لا دين لها ولا أهل ولا عشيرة ولا أرض ولا قومية ولا عشيرة ولا زمان ولا مكان لها! بل تصدر من المسلم وقد يفوقه الكافر في بذلها ، لا يرجو على الله عليها أجراً ولا ثواباً! كما لا يرجو من الناس عليها أجراً كذلك ولا ثواباً! ويكون الفارق بين فعل المسلم لها وفعل غير المسلم هو أن المسلم يرجو عليها الأجر من الله تعالى! (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون)! وجزء من مقالة عن القاضي الأمريكي الرحيم فرانك كابريو في مجلة: (سيدتي) شهر أغسطس عام 2017م وتحت عنوان: (حين تكون الإنسانية فوق القانون) نصها: (وضعت القوانين عامة ، حتى تنظم حياتنا ، وحتى نتصفا من جور وظلم البعض ، إلا أن هذه القوانين في بعض الأحيان ، تكون صارمة بشكل لا إنساني ، أو أن العاملين فيها ، يضعون القانون فوق المصلحة الإنسانية ، ما قد يقتل روح هذه القوانين ويحولها في بعض القضايا إلى أحكام ظالمة ، لم تحقق الأهداف الحقيقية منها. في محكمة ولاية «رود آيلاند» الابتدائية في الولايات المتحدة الأمريكية ، هناك شخص واحد فهم روح القانون ، وقدم مصلحة الإنسان وظروفه على هذه القوانين ، إنه القاضي فرانك كابريو ، صاحب الواحد والثمانين عاماً ، والمختص هناك بقضايا مخالفات السير والجنح أو الجرائم الصغيرة ، والذي يلقيه الكثيرون بـ «القاضي الرحيم» ، والذي يمتلك طريقة مميزة في الحكم بالقضايا التي يتولاها ، جعلته نجماً على شبكات التواصل الاجتماعي خلال فترة قصيرة جداً! والحقيقة أن القاضي كابريو ، ولد في عائلة فقيرة جداً ، وعاش ظروفًا معيشية صعبة في بداية حياته ، وشغل العديد من الوظائف حتى يستطيع دراسة القانون ، فقد عمل في التدريس لفترة من الزمن ، كما أنه عمل في غسل الصحون بالمطاعم للعديد من السنوات ، يرى كابريو أن القانون وجد حتى يساعد الناس ويكون بعونهم وليس ليكون ضدهم. هذا «القاضي الرحيم» ، يحكم في القضايا التي يتكفل بها بطريقة خارجة عن المألوف ، فهو دائماً ما يدعو الأطفال في المحكمة ، خاصة أبناء الأشخاص المتهمين ليساعده في الحكم ، وغالباً ما يأخذ كلامهم بعين الاعتبار ، ليكون هو الحكم الذي سيعلنه بالنهاية ، من مبدأ أن الأطفال لا يكذبون ولا ينحازون إلى طرف من الأطراف ، وهناك العديد من الفيديوهات المنتشرة بكثرة على مواقع التواصل والمواقع الإلكترونية ، وهو يأخذ بآراء وأحكام هؤلاء الأطفال. كما أن القاضي كابريو ، دائماً ما يأخذ الظروف التي يعيشها المدعى عليهم كأولوية قبل الأحكام القانونية التي قد تكون جافة أحياناً ، فيخفف الأحكام عليهم بحسب هذه الظروف الصعبة التي يعيشونها ، أو قد يلغيها تماماً من مبدأ إنساني صرف ، فهو يحقق العدالة بطريقته الخاصة ، التي ينحاز فيها إلى جانب الإنسان ، لا المؤسسات والقوانين التي قد لا تهتم أغلب الأحيان بهذه الظروف. ومن أقوال القاضي كابريو الشهيرة: (إن شككت في وجود ظروف قاهرة لدى المتهم ، أو أن حياته قد تكون مهددة ، فإنني أقبل صحة تفسيره لما حدث ، لأنه من العار عليّ أن أمثل سيادة القانون

وأحكم على الشخص بما لا يستحق). هـ. والحقيقة أن مثل هذه الفلسفة النورانية تكاد تنعدم في كثير ممن يتولون القضاء في زماننا هذا الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره! إذ لا اعتبار بما يقول المتهم ولا يكاد يسمع له صوت! فلهه درك يا كابريو! وأسأل الله تعالى أن يأخذ بيدك فتدخل في الإسلام ، فيجمع الله عليك خير الدارين: الدنيا والآخرة يا رب! وكتبت الأستاذة هدير سعيد في: (المرسال) نبذة عن القاضي الرحيم فرانك كابريو ، في جزئية منها نصها: (لقد تم تداول شريط مصور يظهر رحمته في محاكمة لاجئ سوري في الثمانين من العمر متهم بمخالفة تتعلق بركن سيارة في غير مكانها. والمسئ شرح للقاضي عذره في ارتكاب المخالفة ، متكلماً بلغة إنكليزية واضحة على الرغم من تقدمه في العمر ، وقال إنه ركن السيارة بالقرب من المتجر وذهب لإحضار العشاء ، ولم يتجاوز الأمر عشر دقائق ، ولدى عودته وجد على السيارة مخالفة بقيمة 30 دولار. ثم طلب من القاضي الأمريكي مستجداً: "أنا بحاجة إلى المساعدة ، فأنا من دمشق من سورية!" والقاضي الذي يبلغ من العمر بدوره 80 عاماً بدت عليه معالم التعاطف ، وسأل المتهم عن عمره وصحته. فأجابه الرجل الدمشقي : "صحتي جيدة والحمد لله ، وأنا أشكر الله كل يوم على كل ما أعطاني ، وأدعوه أن يعود السلام لبلدي وللناس جميعاً!" وبكلمات متعثرة لكن مؤثرة ، أضاف الدمشقي : "السلام ، السلام ، السلام ، الحرب شريرة وقاسية. نحن نحتاج للسلام من الله ، وأنا أريد السلام لكل الناس ، ولدى سؤال واحد ، هل بإمكانني طرحه؟ فقال القاضي: "ما الذي تريدني أن أفعله؟ أجاب اللاجئ السوري: "أحتاج مساعدتك لإزالة المخالفة" ، وتابع: "أريد المساعدة لبلدي ولكل أبنائه لأن كل شيء مهتم! الكنائس والمساجد والمدارس والمخابز ، لا يوجد كهرباء... أريد المساعدة لتحقيق الحرية لكل أبناء بلدي". فقال القاضي: "بإمكاننا جميعاً أن نأخذ درساً من الاستماع للسيد سيف ، نحن نقرأ الجرائد ، ونشاهد التلفاز في الليل ، ونظن دائماً أننا نعظم جيداً ما يحصل في العالم ، البعيد عنا ولا يؤثر علينا بشكل مباشر". وأضاف القاضي: "عندما نقف وجهاً لوجه أمام الأشخاص المتضررين مما يحدث في ذلك الجزء من العالم ، ونرى أثر ذلك عليهم ، والحب الذي يحملونه لوطنهم ، فإن هذا أمر مؤثر جداً ، يدفعنا لفتح أعيننا على ما يحدث ، ولنتذكر أننا جزء من هذا العالم فكل منا لديه أسلاف قدموا من أماكن أخرى". وفي النهاية ما كان من القاضي الأمريكي ، المولود لأب مهاجر إيطالي ، إلا أن أسقط الدعوى عن السوري المسن السيد سيف ، وأعفاه من دفع المخالفة. وقال له في النهاية: لقد أحسنت صنعاً! وهذه الحادثة ليست فريدة ، فالقاضي الشهير على مواقع التواصل الاجتماعي بفضل برنامج تلفزيوني يبث جلسات الحكم من "محكمة بروفيدانس" الأمريكية ، عرف عنه كثير من الحوادث التي تظهر أن العدل والرحمة صنوان. وهذا القاضي اشتهر كذلك بمجموعة من الحالات من بينها إعفاء سيدة من دفع مخالفة بقيمة 50 دولار بعد أن عرف أنها لا تملك سوى 55 دولاراً ، قائلاً لها: "لن أدعك تغادرين وليس بحوزتك إلا خمسة دولارات". ما أعجب هذا القاضي!. هـ. ما هذه الرحمة؟ وما هذا الحنان في التعامل الإنساني الراقي؟! أما كان به أولى قاض يدعي الإسلام ويزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر؟! وهناك في صحيفة المرصد: تصدر القاضي الأمريكي «فرانك كابريو» قائمة منصات مواقع التواصل الاجتماعي عقب ترؤسه جلسة محاكمة الشابة السعودية «تهاني المنيع» وتبرنتها من المخالفات المرورية ، إعمالاً لروح القانون ، حيث يعمل كابريو البالغ من العمر 81 عاماً قاضياً في محكمة بروفيدانس في ولاية رود آيلاند الواقعة شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية ، والمختصة بمخالفات السير

والجرائم منخفضة المستوى وكان القاضي قد أعفاها من المخالفات بحسب صحيفة الديلي ميل! وكان رواد مواقع التواصل الاجتماعي تداولوا مقطع فيديو للفتاة السعودية ، وهي تقف مبتسمة أمام القاضي الأمريكي فرانك كابريو ، الذي يوصف بالقاضي الرحيم ؛ ليقرر في نهاية الجلسة إعفاءها من الغرامات ، وحظي الفيديو بتداول واسع).هـ. إن مروعة القاضي كابريو هي الدافع الحقيقي لكتابتني لهذه القصيدة! وتحت عنوان: (المروعة) يقول الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبب ما نصه: (إن المروعة ليست سهلة المطلب ، إنه لا بد لنا أن نستسهل الصعاب من أجل أن نحصلها؟ أقول: هذا أمر يحتاج إلى علو الهمة ؛ لأنه يبعثنا على التقدم لتحصيل المطالب الكبار ، ويولد عندنا الأنفة من الضعة والهبوط وأخلاق أهل الدنيا. الهمة راية الجد ، وعلو الهمم بذر النعم ، كما أننا بحاجة إلى شرف تربي عليه النفوس ، أن تكون النفس شريفة ، فإذا كانت النفس شريفة أبت الدنيا والسفاسف ، وإذا كانت النفس شريفة ، كانت طالبة للمعالي قابلة للتأديب ، وهنا يستقر فيها ويوثر الترويض والتقويم ، وإذا كانت النفس شريفة كانت راغبة في كل فضيلة ، فإذا مازجها ذلك صار طبعاً لها ، ونما واستقر ، وأما المنى فهي بضائع النوكى. وقد قيل: من دام كسله خاب أمله ، وقالوا: نكح العجز التواني ، فخرج منهما الندامة ، ونكح الشؤم الكسل فخرج منهما الحرمان ، والمرء حيث وضع نفسه. والأغصان إذا اشتدت وقويت ، فإن تقويمها أمر عسر ، وإنما يكون التقويم في النشأة أسهل ، وذلك أمر لا يخفى على المرابين. إننا بحاجة إلى أن نربي أبناءنا على أن يستضيفوا زملاءهم ونشجعهم على ذلك ، وأن يدعو الواحد منهم أصحابه وأصدقائه المؤمنين إلى بيته فيكرمهم ويطعمهم ويحتفي بهم ، ينبغي أن نوعز له أن يقوم بهذا العمل ، لا أن تكسر نفسه إن هم به ونحطمه ونزجره ، ونقول: ما شأننا وشأن هؤلاء الناس؟).هـ. إننا لنتمنى أن يكون هذا الرجل الإنسان الرحيم (فرانك كابريو) مثلاً يحتذى ليعم السلام ، وينتشر الوئام بين الناس في الأرض! ونرجو الله أن يُسلم! وإن كنتُ مدحت تعامل القاضي كابريو الرقيق ، فإن هذا لا يعني أنني أشك في كفره (وهو رجلٌ نصراني) ، أو أنني أصحح مذهبه! بالطبع لا! وإنما عنيتُ الطابع الإنساني العام الذي يتعامل به مع المتهمين وتخفيفه للأحكام أو إسقاطها!

ليس جِئراً - على التقاة - التسامي	وأنا مسؤولٌ - هنا - عن كلامي
والمروعات ما لها من مكان	أو زمان ، أو خاصّة الأقسام
أو قناعات تغتذي بفهوم	أو ثقافات في صُوى الإقدام
أو أمارات سَنَّها أي دين	أو كتابٌ قد خط بالأقلام
أو قنوانين قننت لشعوب	بأياد المفكرين العظام
بل أراها طبعاً وسمتاً وهدياً	في نفوس قوم أساة كرام
فطرة ذي مركوزة في قلوب	ملئت حُباً يحتفي بالوئام
إن هذي جبالة لا تُبأرى	غذيت بالعطاء والإطعام

أو بمنح الهبات والإكرام
ليت شعري ، أكرم به من همام!
كيف أطري عقيدة النهام؟
لا أرى ديناً شريعة الحاخام
قلب عبد بيكي على الإسلام
كي نعيش في غبطة وسلام
والتقاهم بطرفه وابتسام
نابذاً زجر الصيد والحكام!
ليس يجدي التوبيخ بالإيلام
كي يصيب أسمى الروى والمرام
سوء حال أودى ببعض فنام
أو غلوا في الإفساد والإجرام
للتصافي فوراً ونبذ الخصام
إنما وفي وعظهم باهتمام
لم يجاهر بالحكم بالإعدام!
من أهاليك بالغ الإعظام!
في ديار عانت من الأسقام
في قراطيس خُط بالمرقام!
حيث قالوا: محقق الأحلام
حيث قد غالى الدمع في التسجام
في حياة صيغت من الأوهام
سؤل راج إزالة الإبهام

ليس تحيا إلا على بذل جود
إن منهم (فرانك كابرّي) هماماً
لا أشك في كفره طرف عين
ليس مدحي تصحيح دين النصارى
إنما أطريت التعامل يسبي
نحن أولى بما تحلى (فرانك)
رحم الناس خفية وجهاراً
وانبرى فيهم واعظاً وخطيباً
مؤثراً بذل اللوم غضاً طرياً
مستعيراً أحلى العبارات ذوقاً
لم يُعنف جناته مستغلاً
لم يُقنط من رحمة الله ناساً
لم يُهدد من أنبوا ، بل دعاهم
لم يُراهن على تحدي البرايا
لم يُداهن في حكمه ، أو يجامل
إيه يا (كابري) كم حظيت بحب
هم أحبوك إذ أسيت جراحاً
أنت أملت الشرط يتلى عليهم
أنت حققت الخلم كان خيالاً
أنت جففت الدمع كان غزيراً
أنت أذهبت الحزن خالف ضنكاً
تسأل الطفل رأيه في القضايا

من غراماتٍ لم تصل للتمام
بعد إصدار الفصل في الأحكام
ثم قمت بالحكم خير قيام
تَوَجَّهْتُ بِالْإِنْصَافِ بَيْنَ الْأَنْصَابِ
فَاقِ كُلَّ الْأَعْرَابِ وَالْأَعْجَامِ
لَا تَنْتَصِرِ الْحَقُّوقَ دُونَ اخْتِصَامِ
إِذْ جَلَبِيتِ الْحَبُورَ لِلْمُنْضَامِ
وَكَأَنَّ لَمْ يَضْحَكْ مَدَى الْأَيَّامِ
لَا بِنَقْضِ تَنْهَيْ ، وَلَا إِبْرَامِ
فِيهِ يَسْعَى الْجَانِي عَلَى الْأَقْدَامِ!
لَا يُقَاسِي سَجْنًا مَدَى الْأَعْوَامِ!
مَمْسُكًا بِالْكَفَيْنِ كَفَ غَلَامِ!
ثُمَّ قَاضِيَهُ الْبَطْلُ! يَا لِلتَّسَامِي!
فَاقِ مَا فِي الْقَرِيضِ مِنَ الْهَامِ
لِلْهُدَى وَالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ
مَنْ بِهِذَا أَدْرَى مِنَ الْعَلَامِ؟
ثُمَّ أَحْسَنُ لِلْعَبْدِ خَيْرَ خِتَامِ
تَبَّ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّءِ الْأَثَامِ
كِي أَثِيرَ بَعْضًا مِنْ اسْتِفْهَامِي!
مَنْ أَبَاطِيْلَ أَوْ غَلَّتْ فِي الظَّلَامِ
كِي يَكُونُ مِنْ خَيْرَةِ الْأَعْلَامِ!

فيجيب الطفل البراعة أولى
أو سجون تهين من كان فيها
فتقول: أشرت بالرأي حقاً
تلك حيثيات القضا والتقاضى
فإذا بالآباء يُطرون فذاً
وإذا بالأممات يبس من شوقاً
وإذا أنت باسم الثغر زهواً
وإذا بالجمهور يضحك طوعاً
والقضايا تتهى بدون احتجاز
أي حكم هذا؟ وأي قضاء؟
لا يعاني من الغرامات طفث
بل يسير لبيتته دون يأس
مجرماً كان الأب هذا مداناً!
إيه يا (كابري) إن خلفك سرراً
أسأل المولى أن يردك صدقاً
إن ربي بقلبك العصف أدرى
ربنا اهدي لدينك الحق (كابري)
طامع في إسلامه يا إلهي
ليتني أسطيع الوصول إليه
إن توحيده الله أولى بـ (كابري)
يا إلهي اهد العبد ، واغمره تقوى

رسالة إلى دانئة

(ميسورة الحال لا تشكو حاجة ولا فقراً قامت بموقف أعرب من الخيال مع أسرة تربطها بها عشرة دامت ثلاثة عقود ، بدون حق ولا مبرر أبداً إلا أن تكون نذلة وضيعة! حيث كان على الأسرة الفقيرة دين لهذه النذلة وهذا الدين لا يتجاوز الآلاف الثمانية من الدينار! وهو يمثل مبلغاً كبيراً بالنسبة للأسرة بينما لا يمثل شيئاً يُذكر لهذه الدانئة الوضيعة! واتفقت مع الأسرة على سداد ألف دينار شهرياً ، وانتظمت الأسرة بذلك خمسة أشهر ، وجاءت ظروف قاهرة حالت دون الوفاء لشهر أو شهرين! ومن حسن الحظ كانت الدانئة العقورة المسعورة هناك على شواطئ الدردنيل والبسفور تقضي صيفها البارد السعيد ، في إحدى رحلاتها التي تكاليفها تفوق الدين بمراحل! وما هو إلا أن عادت من رحلتها تلك ، حتى نبحت كالكلب العقور ، وراحت تلوك عرض الأسرة ، وتسبها وتشتتمها بأفزع الشتائم دون مبرر! وقدمت الأسرة مبررات التأخير مشفوعة بتهاني العودة غير السعيدة! فما احترمت عشرة ، ولا راعت إلا ولا ذمة ، وزاد حبات الطين بلة ، أنها راحت تتشفى وتهدد وتتوعد ، وراحت تشهر بالأسرة عند هذه وتلك! فكانت هذه القصيدة رداً على عدوانها السافر لتردعها عن غيها ، ولتبصرها بمدى التجاوز المقيت بغير الحق ، ولتثبت لها أن الدنيا ليست نهاية المطاف! والأمر كما جاء في: (الكلم الطيب) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أوصى أمته بإنظار المعسر أو الوضع عنه ابتغاء وجه الله تعالى ، ورغب في ذلك كله ، ودعا إليه ، وحض عليه - صلى الله عليه وسلم - وذلك لما له من كبير الأجر ، وعظيم الثواب ، والنجاة من النار ، وغفران الذنوب عند الله سبحانه وتعالى. وفي هذا ترغيب في إنظار المعسر ولا شك! مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ: وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: (مَنْ نَفَسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). رواه مسلم. وذلك لأن الإعسار من أعظم كرب الدنيا ومنغصاتها ، بل هو أعظمها فتكاً بذوي المروءات من الناس ، فجوزي من نفس عن أحد من المعسرين بتفريج أعظم كرب الآخرة وهو هول الموقف وشدائده بأن يستظل بظل عرش الله. والحقيقة أن نجاة منظر المعسر من كرب يوم القيامة مضمونة جداً ، كما في الحديث: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيَنْفَسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ). رواه مسلم. وينجو منظر المعسر من فيح جهنم ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ). رواه أحمد. ويفوز بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالرحمة: فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله قال: (رَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى). ومعنى اقتضى: أخذ الدين الذي له رواه البخاري. وفي شريعتنا الحض على السماحة والجود وحسن المعاملة ، واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها ، وترك المشاحة والدقة في البيع ، وذلك سبب لوجود البركة فيه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحض أمته إلا على ما فيه النفع لهم في الدنيا والآخرة ، فأما فضل ذلك في الآخرة فقد دعا صلى الله عليه وسلم بالرحمة لمن فعل ذلك ، فمن أحب أن تناله بركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فليقتد بهذا الحديث ويعمل به. وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا اقتضى) حض على ترك التضيق على الناس عند طلب الحقوق وأخذها العفو منهم. وإنظار المعسر بالمال المطالب به كالصدقة به عليه وأكثر! وهذا الأمر قرره أحاديث كثيرة للنبي - صلى الله عليه وسلم - تبين جزاء من ينظر وثواب من يتجاوز وأجر من ينظر المعسر عند الله تعالى: فعن بريدة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ). رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ أَهْلُ السَّمَاءِ). رواه أحمد. ولا شك أن من الرحمة بالمعسر إنظاره. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَكَانَ يَقُولُ لِقَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزَ عَنَّا ، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ). رواه البخاري ومسلم. وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَلَقَّتْ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَقَالُوا: أَعْمَلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا! قَالُوا: تَذَكَّرْ! قَالَ: كُنْتُ أَدَايِنُ النَّاسَ ، فَأَمَرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظَرُوا الْمُعْسِرَ وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَجَوَّزُوا عَنْهُ). رواه البخاري ومسلم. ورواه مسلم بلفظ: (أَتَى اللَّهَ بَعْدَ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ، قَالَ: يَا رَبِّ أَتَيْتَنِي مَالَكَ فَكُنْتُ أَبَايَحُ النَّاسَ ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ فَكُنْتُ أَتَيْسِرُ عَلَى الْمُوسِرِ وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ فَقَالَ اللَّهُ: أَنَا أَحَقُّ بِدَا مِنْكَ ، تَجَاوَزُوا عَنِّي). إنه ولا شك فخر كبير لنا أن نباهي بديننا وشريعتنا العظيمة عندما نطالع مثل هذا التسامح العظيم الذي يرثي قواعد التعامل الإنساني الرفيع الذي يضع المال في وضعه الحقيقي من أنه وسيلة وليس غاية وجود! المال الذي صار وثناً يعبد اليوم من دون الله عند كثير من أهل الأرض – والعياذ بالله من ذلك! – وعن المروءة وأصحابها يقول الشيخ الدكتور / خالد الغامدي ما نصه: (إن أهل المروءات أصحاب همم عالية ، وإرادات حازمة ؛ فإنه لم ير أقد عن المكرمات من صغر الهمم ، فلذلك تجدهم يضربون في كل خير بسهم ، ويسابقون في وجوه الإحسان ، وهم يستعملون مع الناس كلهم حسن الأدب والخلق الحسن في القول والفعل ، في الجد والمزاح ، في السراء والضراء ، في السفر والحضر ، في الحب والكراه ، فلا يصدر منهم إلا جميل القول والفعل ، كما قال – سبحانه –: (وقولوا للناس حسناً). ومن نبلهم ومروءتهم: أنهم يقومون بحوائجهم وحوائج أهلهم ومن يغولون ، فليس من المروءة أن يضيع المرء نفسه وأهله وعياله ، ولا أن يجعلهم عالة يتكففون الناس ويسألونهم. ولذلك فهم يحرصون على إصلاح أموالهم ، ويتوون في ذلك نية طيبة من العفاف والاستغناء عن الناس ، ونعم المال الصالح للرجل الصالح. ومن أجمل صفات أهل المروءات الحلم والرزانة والتثبت والتأني والهدوء والبعد عن الطيش والعجلة والنزق والتهور ، وخفة العقل عند حلول الحوادث والنوائب. وإن من خوارم المروءة: أن يكون المرء داعية شر وإرهاب وفوضى وفساد ، أو يكون من الهمج الرعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستصينوا بنور العلم والحكمة ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق من الحكماء الخلاء ، من الحكام والعلماء الذين أمرنا ربنا – سبحانه – أن نرذ إليهم الأمر من الأمن أو الخوف. ولذلك كان من صفات أهل المروءات: مجالسة الصالحين ذوي المروءة والنبل والعقل والحكمة ، والبعد عن مجالسة الخبثاء الأشرار الذين سقطت مروءاتهم. ومن أنبل خلال أهل المروءات: أنهم يعاملون الناس بصدق قلب ، وصفاء نفس ، بعيدون عن النفاق والتلون يحبون للمسلمين ما يحبون لأنفسهم ، ولا يحملون غلاً ولا حسداً ولا حقدًا للذين آمنوا ، فلذلك يوفقتهم الله – سبحانه – ، فينجيهم من مواطن الذم والعيب واللوم. والمروءة تحمل صاحبها على صيانة نفسه وحمايتها من كل ما يعيبها ، ويؤذي بها عند الله وعند خلقه في كل زمان ومكان ، فتعلم همته ، ويصلب عزمه وحزمه ، ويبتعد عن كل ما يחדش الإيمان والحياء من الدنيا والرزايا. وإن من أدب أهل المروءات: أنهم يراعون الأعراف والتقاليد والعادات الطيبة الحسنة عند الناس ، ولا يشهرون أنفسهم بلباس أو مظهر أو أمر يخالفون به أعراف الناس الطيبة التي تخالف الشرع ، لأن مجاراة العرف الحسن من الأمور المعتبرة شرعاً ، خاصة إذا ترتب على المخالفة مفاسد ، فإنهم – أعني: أهل المروءات – من أحرص الناس على تأليف القلوب ، وتطبيب النفوس ، ومد بساط الأخوة والمحبة ، وتلك شيم الكرام أهل المروءات والنبل). هـ. وأكاد أقطع بأن ضحية قصيدتنا كانت تفتقد إلى التوحيد (هذا من ناحية العقيدة) كما أنها تفتقد إلى المروءة (هذا

من ناحية السلوك العام)! إن التوحيد والعقيدة تضعان في حس المسلم أن المال ليس غاية وجود! بل غاية وجوده: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). وإذن فالغاية من خلق الإنسان واحدة وحيدة موحدة: (عبادة الله - تعالى -). ومن هنا جاز القول عندنا أن خلل العقيدة والتوحيد يقود صاحبه والمتصف به إلى خلل السلوك والتصرف! وانظروا إلى أمم الأنبياء جميعاً تجدوا ذلك كذلك! قاد خلل التوحيد إلى عبادة الأصنام في معظم أمم الأنبياء والرسل من لدن نوح وحتى محمد - صلى الله عليهم جميعاً وسلم وبارك - . كما قاد خلل التوحيد إلى تطفيف المكيال والميزان في أمة شعيب - عليه السلام - . وقاد خلل التوحيد إلى إتيان الذكران من العالمين في أمة لوط - عليه السلام - . واليوم يقود خلل التوحيد إلى جميع المعاصي كبائرها وصغائرها! التبرج والسفور والزنا والزنا والخنا والغنا والسلب والنهب والغيبة والنميمة وقطع الأرحام والقمار وشرب الخمر وسفك الدماء وهتك الأعراض والإفساد في الأرض بغير الحق والاستهزاء بالدين وسبه واللعن والشتم والفسوق: كل هذه الموبقات وغيرها الكثير يقود إليها خلل العقيدة والتوحيد! إن دائنة قصيدتنا لو كانت على التوحيد والعقيدة بحق ، ما فعلت بالأسرة المسكينة المنكوبة ما صنعت! لماذا؟ لأنها بالتوحيد والعقيدة يكون الله تعالى معبودها الواحد الأحد دون شريك ، ويكون المال وسيلة وليس غاية! فإذا قالت الأسرة البائسة المدينة لها: لا نمك اليوم ، وسوف نوفي ونسدد غداً لقالت: أنتم في حل من هذا الدين! محتسبة الأجر والثواب عند الله الذي لا يضيع أجر المحسنين! ويعفو الله عنها ويغفر لها ويحرم عليها نار جهنم! ولكنها بدون التوحيد والعقيدة يكون المال معبودها الأوحدا! فإذا قالت الأسرة المنكوبة البائسة لها: اصبري وسوف تأخذين حقك عما قريب! قالت: لا! إنها عبت المال من دون الله!

ورفقا بنفسك يا ظاعنة!	هداديك يا هذه الدائنة!
وأصبحت سبابة راعنة	تجاوزت حتى بلغت النذرى
ولسبت بمحتالمة ماجنة	وكننا نظنك خير النساء
فما أنت بالعفة الحاصنة	فخابت ظنون ، وضلت رؤى!
وما أنت للسر بالصاننة	وما أنت أهل لأمداحنا
وكيف تصون الإخوانة؟	ولا أنت أخت تصون الإخوان
وكلمت أكاذيبك الشاننة!	وكم قلت عنا عتي الفرى
ومن إفك خداعة شافنة	ونحن البريئون من زيفها
وقد صرت حقاً لنا دائنة	سألناك رفقا بأحوالنا
ومرت بنا أزمة طاحنة	لقد خان تقديرنا وعدنا
ولسنا الأواخر يا طاعنة	ولسنا الأوائل في حالنا

كما تفعل الأنفوس الغابنة
ويمتحن الأنفوس الشاحنة
وتنقلب الصوورة الحائنة
ونشمت في النذالة الحاقنة!
وليس يحب الورى الحاجنة
بأقوال ممسكة خازنة؟
ترقى لأحوالنا الراهنة؟
بلهجة مغرورة شاطنة؟
إذا كنت واعية فاطنة؟
وتزوير كذابنة آسنة
ولن تأببه النفس بالخامنة
وهيجت ما تحمل الشاجنة
وأمسست علاقتنا عاطنة
وهل تصمد الصلة الهاننة؟!
وصحبتنا الفضة السادنة
فمرحى بعشرتنا الحاسنة
فهل حسدت أنسنا عائنة
على النيل ثائرة ساكنة
ويعلم رب الورى باطنه!

ولم ننو إنكار ما عندنا
هو الدين يُخرج أهل التقى
وقد يستدير الزمان بنا
وتمسين مديونة للورى
وإن الكريمه محبوبنة
لماذا التجنى على عرضنا
لماذا افتريت علينا ، ولم
لماذا طعنت أحاسيسنا
أما كان أحرى بأن تصبرى
بحمقك أهذرت ما بيننا
وذكراك ماتت ، فلا تفرحى
ونساك أنست نسيت الوفا
وأهلك بالأمر قد رخبوا
وهنا عليك ، وهم باركوا
وكننا نراكم هنا هلنا
ونفخر أننا التقينا بكم
ويغبطنا الكل من حولنا
سنشكوك الله ينافظنة
وظاهر أمرك يُزري بنا!

القاضي المصري الرحيم (هشام الشريف)

(الدكتور هشام الشريف ابن محافظة سوهاج ، الصعيدي المحترم ، من بيت الشريف بسوهاج ، وزير التنمية المحلية الأسبق في وزارة شريف إسماعيل. ولد عام 1953م ، وهو خبير في مجال تكنولوجيا المعلومات ، ومؤسس مركز معلومات مجلس الوزراء المصري ، وحصل على بكالوريوس الهندسة الكهربائية من الكلية الفنية العسكرية ، ثم حصل على ماجستير من جامعة الإسكندرية ، وحصل على درجة الدكتوراه في نظم دعم القرار من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بجامعة كامبريدج الأمريكية عام 1983 م. وترأس هشام الشريف مركز معلومات مجلس الوزراء 1990 - 1999 بعد أن قام بتأسيسه ، وقام بدور أساسي في إنشاء مراكز المعلومات على مستوى المحافظات والمراكز والقرى وتدعيمها وكذلك مراكز التدريب ، وساهم في إصدار عدة نسخ من كتاب وصف مصر بالمعلومات ، ووصف المحافظات ويعتبر أحد خبراء العالم في مجال تكنولوجيا المعلومات. كما أسس هشام الشريف العديد من الشركات في قطاع المعلومات ومنهم نايل أون لاين ، ثم أسس صندوق استثماري قطاع تكنولوجيا المعلومات ، وهو رئيس المركز الإقليمي لتكنولوجيا المعلومات! ويكفي ثناء ومدح الأستاذ علاء رضوان في حديثه عن المستشار القاضي هشام الشريف فقال ما نصه: (في الواقع إن القاضي مهما تدرّب وتعلم ، فإن شخصيته وتداركه وفهمه للأمور يظل أهم من التدريب ذاته ، وهذا ما يؤكد إعطاء القانون السلطة التقديرية للقاضي ، مهما توافر لديه من قرآن وأدلة ، حيث إن حسه الشخصي يغلب القانون ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت أن أحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر)! ومن أمثلة هؤلاء القضاة الشرفاء الذين اشتهروا بتحري الرحمة والعدل القاضي «هشام الشريف» ، أحد قضاة محكمة الجنايات ، والذي كان يشغل رئيس دائرة جناح مستأنف حلوان في فترة أواخر التسعينات ، حيث عُرف عنه داخل المحاكم المصرية ، أنه يمتاز بالرحمة والعلم في نفس الوقت كغيره من أمثاله من بعض قضاة مصر الأجلاء! القاضي «هشام الشريف» اشتهر بالتزامه بأداب المنصة ووقارها ووده الدائم مع المحامين ، حيث كان كل المتهمين يطمنون جداً لأحكامه ، حتى تلك التي يحكم فيها بتأييد العقوبة ، كان المتهم يخرج من القاعة راضياً ومطمئناً بأن هذا الحكم من هذا القاضي هو غاية المنتظر من العدل والحق والرحمة ، وفي غيرها كان يخفض الكفالات للمواطنين المعسرّين ، وأحياناً كثيرة يدفعها من ماله الخاص! في إحدى الجلسات عرضت على القاضي «هشام الشريف» قضية اهتزت لإنسانيتها وشفافيتها جنابات محكمة جنوب القاهرة في باب الخلق ، حين نودي على اسم المتهم «وكان لا يضع النساء داخل القفص» ، بل يبقين خارجه على مسؤوليته الشخصية! وكانت تحاكم بجريمة تبديد لمبلغ في إيصال أمانة ، ودخلت المتهم على المنصة ، وكانت في أواخر الخمسينات من عمرها ، وكانت محبوسة ولم يفرج عنها ، لعدم سداد الكفالة. واللافت للنظر كان حالها الفقير وسألها القاضي «الشريف»: «أنت يا ست (فلانه) ما دفعتيش الـ7000 جنيه للسيد (فلان)» ، وبصوت أقرب للبكاء الخائف والمرتعش أجابته المسكينة بأن المبلغ ليس 7000 جنيه ، وإنما في حقيقة الأمر هو 1000 كانت قد استدانته بهم نظير شراء بضاعة من السيد «فلان» التاجر ووالد الاستاذة المحامية الحاضرة في الجلسة ، وأنها كانت تسدد له 60 جنيهاً كل شهر ، لكن حدث لها ظروف منعته من السداد ، فيما رفض التاجر «فلان» الانتظار ورفع عليها الإيصال. وفي تلك الأثناء ، التفت القاضي «الشريف» للمحامية ، وسألها بأدب جم وهذوء: «الكلام اللي الست بتقوله حقيقي؟»

فأنكرت المحامية معرفتها بالحقيقة ، فما كان من القاضي ، إلا أن نظر إلى المتهمة وسألها عن حالها ، وعلم أنها أرملة ، وتعمل لتربية بناتها الثلاثة فنظر لها ، وقال: «هتتحل إن شاء الله» ، ثم رفع الجلسة. وقبل أن يدخل القاضي «الشريف» غرفة المداولة ، وجه كلامه للمحامين وقال: «أنا أعلم أنكم أصحاب فضل ومروءة ، ولن تتأخروا عن فعل المعروف» ، وأخرج منديلاً كان في جيبه ، ووضعه على المنصة ، وأشار إلى الحاجب ، ثم أخرج من جيبه مبلغاً وقال: «هذه 500 جنيه كل ما معي ، ولا أدري من من السادة المستشارين سيشاركني ، وهي أول مشاركة لسداد دين هذه السيدة» ، ثم شكر الحاضرين ودخل غرفة المداولة! وفي هذه اللحظة ، بدأ المحامين في التباري في الدفع بدأهم أحدهم بـ 1000 جنيه ، ثم توالى الباقيون حتى تجمع في المنديل ما يتجاوز الـ 8000 جنيه ، وقبل ذلك كانت المحامية ابنة صاحب الدين قد خرجت بسرعة إلى خارج المحكمة لتتصل بوالدها وتخبره بما تم ، وعادت المحامية القاعة ونودي عليها حين دخلت المتهمة المسكينة غرفة المداولة. وكان القاضي «الشريف» جالساً خلف مكتبه ، وأشار للمحامية قائلاً: « فيه 7000 جنيه موجودة في المبلغ الموجود بالمنديل تقدري تاخديه وتتصالحي مع المتهمة ونمشيها» ، ثم أشار إليها بأخذ الفلوس ، وفي تلك الأثناء ، كانت هناك مفاجأة أخرى ، حيث قالت المحامية أن والدها أخبرها بالأخذ أكثر من 500 جنيه قيمة الباقي على المرأة المدينة! شكر القاضي «الشريف» أمانة المحامية ، وابتسم ناظراً للمحامين الذين ملأوا غرفة المداولة وقال: « أظن أنها أخذت الـ 500 جنيه بتاعتي أنا! فضحك الجميع وقاطعهم قائلاً: وأظنكم لا تريدون أن يحرملك الله ثواب المشاركة» ، وعلا صوت المحامين في الغرفة بالتأييد ، فنظر إلى المتهمة ومد يده بالمنديل وباقي الـ 8000 جنيه وقال: وهذه من الله لك! وضجت غرفة المداولة بالتهليل والتكبير والذي سرى إلى القاعة وهتف كل من فيها وهروا كل الحاضرين في المحكمة إلى هذه القاعة ليعلموا ماذا حدث! ثم يعلمون بأن ما حدث كان وجود قاضي رحيم كان منه كذا وكذا وكذا!..هـ. يقول الأستاذ حسان أحمد العماري وتحت عنوان: (نصرة المظلوم في عصر الظلمة) ما نصه: (الحقوق محفوظة ومصونة ، والواجبات معروفة ومطلوبة ، من شأنها أن تشد الروابط بين المسلمين وتزيد الألفة فيما بينهم في مشارق الأرض ومغاربها ، وتحفظ وحدتهم وتصون كرامتهم ، وتحفظ حقوقهم ذلك أن المؤمن شأنه أن يعيش عزيزاً ، فهو يحمل رسالة عظيمة وينتمي لأمة عظيمة ورسوله صلى الله عليه وسلم أعظم الرسل. لقد حرص الإسلام أن يعيش أبناءه في ترابط وتعاون وتناصر حتى يسود المجتمع الأمن والأمان والمحبة والحنان. يقول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. وبقدر تمسك الفرد منا بهذه القيم والواجبات وجعلها نظام عمل في هذه الحياة بقدر ما يكون قريباً من الله... قريباً من خلقه. ولعل من أهم الواجبات والحقوق التي على المسلم لأخيه المسلم ما ورد في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: حيث قال: "أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعبادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام ، ونصر المظلوم ، وإبرار المقسم". (رواه البخاري ومسلم). أين من ينصر مظلوماً في هذا الزمان؟ وما أكثر المظلومين في زماننا ، وكم يرى الناس من إنسان ينتهك عرضه وتداس

كرامته ويسلب ماله ويسفك دمه ثم لا يجد من ينصره أو من يقف بجانبه! وأصبح هذا الحق والواجب ضائعاً وغريباً في حياتنا.. قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. ويقول صلى الله عليه وسلم: «ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة ، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته» (رواه أحمد). وعن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أدلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أدله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة». [(رواه أحمد بسند حسن). والله تعالى يقول: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم». (حسنه الألباني). هـ. طبعاً هذه سيرة سوف يخلدها ويثمنها التاريخ ، ويشرف الشعر بذكرها العذب! وإنه لشرف كبير لي وأنا شاعر صعيدي وتحديداً من سوهاج أن أكتب عن مستشار صعيدي! لا من باب القومية بجامع أن كلانا صعيدي من سوهاج ، ولكن للمروعة التي كان عليها ذلك الصعيدي الشهم الذي اتسم بالمروعة والجد! وأسأل الله أن يصلح للقاضي الشريف دينه وديناه وآخرته!]

حيّ القضاء ، وأوليه التكريماً	إن كان حقاً ينصر المظلوماً
وامنحه من أرج الشرافة جانباً	إما تورع أن يكون ظلوماً
واجعله في أوج الكرامة شامخاً	إن أحسن الأحكام والتحكيماً
وأنبأه أمداً تروق لسامع	إن حكّم الشرع الحنيف قوماً
واخلع عليه من المهابة والبها	ما يستحق ، وضاعف التكريماً
إن القضاء إذا تنزه واستمى	منح البلاد حضارة ونعيماً
وأضاء هذا الكون نور عدالة	وغدا قضاة العدل فيه نجوماً
وحبا العباد حقوقهم وأمانهم	وأزال عن دنيا الأنام غموماً
ولأنصف القوم استبيحت دورهم	وعليهم صاب الطغاة حميماً
ولئن نسيث ، فلسث أنسى قاضياً	كفل الضعيف ، وأبهج المغموماً
وهناك في (حوان) كان نضاله	وكفاحه ، أعني (الشريف) هشيماً
شهدته تسعينات قرن قد مضى	إذ كان في ساح القضاء حكيماً

لما يكن متفرغاً مذبذباً
والحزم والإشفاق والتصميماً
إذ كان حقاً - بالجناة - رحيماً
إن (الشريف) البرع عاش كريماً
حتى يبزى غارماً مكظوماً؟
كـيـلا يـويـخ منـذراً ويلوماً؟
مشهورة ، والصيـث بات عظيمـا
ديناً ، وأصبح قلبها مكلوماً
والدمع أصبح هاطلاً مسجوماً
في القلب ، ليس مصيرها معلوماً
لما رأى - في المقلتين - هموماً
هي سبعة الآلاف ، لست ملوماً!
أترين قولي واضحاً مفهوماً؟
هل تقبلين - لديـك - التسليماً؟
أنا لست أملك منه لو مليماً!
وتكلمي عما جرى تكليماً
وتخيري لفظاً يكون سليماً
وتجنبني قولاً نراه سقيماً
في عالم أمسى علي غسيماً
في العيش ، لولا هن صار أليماً
من جميعهم ، من أطمعوا المحروماً
وسواه ساق الشرب والمطعوماً

مسـتـلهـماً أدب التحاكم والقضا
حتى محاموه ارتأوا فيه المضاً
والمذنبون يرون رحمة حكمه
ولقد يؤدي عن مدين دينه
أسمعت عن قاض يجود بماله
أسمعت عن قاض يلاطف جانياً
هذا هو القاضي (الشريف) ، خلاله
حتى أتى دور التي ما سددت
وأنت إلى القاضي (الشريف) طليقة
لا قيـد ، لا قفصاً ، ولكن حسرة
و(شريفنا) نادى عليها مكبراً
لم لم تؤد الدين يا ست النساء؟
لكنه حـقُّ يُرد لأهله
أم أشـكـلتُ جـمـلَـكِ أعـيـذُها؟
قالت: وربـي الدين ألف واحـدٌ
قال: اصـدقيني عن حياتك كلها
فالكل منتصت لكـل كليمـةٍ
وعليك بالصدق الذي هو حجة
قالت: وربـي أرمـلٌ ومعيـلة
أما بنياتي الثلاث فعددي
وأعـيشُ يكـلـني نـوال المحسنين
هـذا تكفـل بالـدوا وغطاننا

هو بالذي ألقاه كان عليما
خلق الأنام ، وأوجد المعدوما
للناظرين مقسماً تقسيماً
منهم مزيداً يكمل المرقوما
والحاضررين مُقيماً تقييماً
وأقول ذلك قاصداً تعميماً
ها قدّموا معروفاً تقديماً
أسمى الجواب محبباً ومروماً
منديل قاضينا تصد خصوصاً
بحقيقة الدين المثير قصوما
فأسرت التحكيم والمحكوما
وأتى كلام ليس بعدُ بهيماً
حتى تُربّي مُعدماً ويتيماً
والبعضُ عظم ما يرى تعظيماً
كيلا يكون من الكرام عقيماً
عدمت عطوفاً في القضاء رحيماً
خيراً يزيل عن الضعاف جحيماً
ورأيت شعري طيباً مكروماً
بأدلة تدع الجهول عليماً
إن كان ليس يناصرُ المظلوما!

والحال أشكوه لخالقتنا الذي
فأجابها القاضي: سيُفرجها الذي
وعلى المنصة شد منديلاً يُرى
وعليه خمس من مئاتٍ ترتجي
وتكفل القاضي بمدح رفاقه
ويقول: أنتم أهل فضل في الوري
إني أراكم أهل كل مروءةٍ
فتحمس الجمهور يُبدي جوده
فإذا بالآلاف ثمانية على
وإذا محامية الموكّل صرحت
من أنه خمسٌ مئاتٍ لا سوى
فتناولت خمساً مئاتٍ ، وانزوت
من أن ما يبقى لمن هي سُربلت
فاستبشروا خيراً ، وهال جمعهم
وأنا كتبتُ الشكر شعراً بيناً
أكبرتُ ما فعل (الشريف) بحُرمةٍ
حتى إذا برز (الشريف) استبشرتُ
بك يا (هشام) تشرفت أنشودة
أعطيت درسا للقضاة مدعماً
ويلّ لقاضي الأرض من قاضي السما

عجبت للنذل

(عاشوا في غربتهم في ظروف قاسية متقاربة وأحوال متشابهة ومستويات معيشة متماثلة! وذات يوم يقرر أحدهم وضع حد لغربته واعترايه! فعاد إلى بلده ، وهناك جرب العمل الحر ، وبدأ بالتصدير والاستيراد ثم العقارات. وفتح الله تعالى عليه من زهرة الحياة الدنيا. وبعد أن كان أغلب حديثه لا يتعدى الدراهم المعدودة فيما دونها ، صار يتحدث بالملايين فيما فوقها! فكانت نقلة نوعية بعيدة وطفرة حياتية كبيرة ، أصابه فيهما الذهول عن كل شيء! وذات يوم عاد إلى دار غربته لا ليبحث عن الدراهم المعدودة بل ليكسب الملايين على حد قوله! وهناك طلب اللقيا برفاقه السابقين الأولين الذين لم تنته غربتهم بعد! بل هم على ما كانوا عليه بالأمس الذي يراه بعيداً ويرونه قريباً! يلوكون فقرهم ولا يرتضون أبداً بترقيع دنياهم بتمزيق دينهم! فعاشوا تعضهم الحياة بقواطعها وتمزقهم بأثيابها وتطحنهم بضروسها. فهل عاد ذلك الزائر المليونير ليحمل عنهم هموم الحياة ، وليعينهم على ما قدر الله عليهم في دار غربتهم؟! والجواب أن لا. بل عاد ليعقد الصفقات العقارية المليونية ، ولم يتذكر أصحابه القدامى بشيء من التوسعة والنعيم الذي يرفل فيه! على أنه يكذب على نفسه مرة ويكذب عليهم الثانية عندما يتخربص بأنه اشتاق إليهم فجاء يزورهم ويتلمس أخبارهم وأحوالهم. وقرر أحدهم وقد أحس بهذا كله ، فاختر أن لا يلتقي به! وذلك لافتقاد الثاني المروءة والنجدة والشهامة ، وأيضاً لما علم من إمساكه وتقديره قياساً على مرات سبقت! ويتساءل الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت ، وتحت عنوان: (المروءة) ما نصه بتصرف زهيد: (ماذا نعني بالمروءة؟ إن المروءة في أصلها اللغوي مأخوذة من لفظ المرء كما تقول: الفتوة من الفتى ، والإنسانية من الإنسان ، والرجولة من الرجل. وحقيقة هذه المروءة هي أن يتصف الإنسان بصفات الإنسان الحقيقية ، التي يفترق بها عن الحيوان وعن الشيطان ، إذ إن النفس تشتمل على دواع شتى ، في النفس ما يدعو إلى أخلاق الشيطان ، والشيطان يدعو إلى ذلك من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش ، وفي النفس ما يدعو إلى الأخلاق البهيمية بالجري خلف الغرائز البهيمية ، والبحث عن اللذات ، كما أن في النفس ما يدعوها إلى أخلاق الملك من العلم والإحسان والنصح والبر والطاعة. فإذا استطاع الإنسان أن يتجرد من داعي الهواء والشيطان والنفس الأمارة بالسوء ، وأن يتخلق بالأخلاق الفاضلة التي تتلاءم مع إنسانيته فينزع إلى أخلاق الملك ، كما قال بعض السلف - رضي الله تعالى عنهم - فإنه يكون بذلك أسماً وأعلى. وهذا السمو الذي حصله والعلو الذي حققه هو حقيقة المروءة ، ولذا فعلى الإنسان أن يسمو عن الأخلاق الهابطة المشينة ، التي لا تليق بالإنسان ؛ ولذا قيل: المروءة هي غلبة العقل على الشهوة ، أي: أن تزعم الشهوة بزمام العقل. إن المروءة هي كمال الإنسانية ، وهي الرجولة الكاملة ، وهي ما يسميه العامة في عصرنا الحاضر وبلغتهم الدارجة هي المراجل ، هي ما يقولون عنه ويعبرون حينما ينشنون الأطفال الصغار ، هي درب الطيب ، هي المكارم ، هي السمو والرفعة والعلو ، في الأخلاق ، هي أن يترفع الإنسان ويتكرم وأن يعلو بنفسه عن أخلاق السفلة ، وعن أخلاق البهائم حيث تتهارش على شهواتها ورغباتها. البهائم جعلها الله - عز وجل - بشهوات من غير عقول ، وجعل الله - عز وجل - الملائكة موصوفين بالعلم من غير غرائز ولا شهوات ، وركب الله - عز وجل - الإنسان فجعل فيه ما ينزع إلى الشهوات وما ينزع إلى العلم والضبط والعقل والإدراك والمعرفة ، فهو بحسب ما غلب عليه. والمروءة هي جماع مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، هي كمال النفس بصونها عما يوجب ذمها عرفاً ، ولو

مباحاً ، مما يستقبح ويستهج من أمثاله. والمروءة: أن تستعمل ما يملك ويزينك وأن تجتنب ما يدنسك ويشينك ، فهي كيفية نفسانية تحمل المرء على ملازمة التقوى وترك الرذائل. وهي آداب نفسانية تحمل مراعاتها على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات ، إنها رعيّ لمساعي البر ورفع لدواعي الضر ، وهي طهارة من جميع الأدناس والأرجاس ، وكل شيء يحمل على صلاح الدين والدنيا ويبعث عن شرف الممات والمحيا ، يدخل تحت هذه المروءة التي تحدثنا عنها. ولقد قيل لسفيان بن عيينة - رحمه الله - وهو من السلف الأكابر - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم -: قد استنبطت من القرآن كل شيء ، فهل وجدت المروءة فيه؟ فقال: "نعم ، في قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ، يقول: ففيه المروءة وحسن الأدب ومكارم الأخلاق ، فجمع في قوله: خُذِ الْعَفْوَ صلة القاطعين والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين ، وغير ذلك من أخلاق المطيعين ، وذلك في قوله: خُذِ الْعَفْوَ ، ودخل في قوله: وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ صلة الأرحام ، وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار ، ودخل في قوله: وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ الحظ عن التخلق بالحلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة والأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة. وأما صاحب المروءة فهو من صان نفسه عن الأدناس ، وما شأنها عند الناس ، فحملها على ما يجمل من مكارم الأخلاق وأدى حقوق الله - عز وجل - وحقوق المخلوقين ، واجتنب ما يدنس عرضه وشرفه من كل قول وفعل ومقام ، وغير ذلك مما يهبط بالإنسان عن المراتب العالية). هـ. وإذن فالمروءة لا تباع ولا تشتري ، بل هي طبيعة في النفس الإنسانية وجبلة مركوزة فيها! وكأن قوماً هم خلق من خلق الله تعالى خلقوا ليكونوا من أهل المروءات والمكرمات! وعلى النقيض من ذلك هناك قوم من خلق الله تعالى خلقوا ليكونوا من أهل الخسة والندالة والأنانية! وأما فضيلة الشيخ الدكتور / خالد الغامدي فيضع أيدينا على أسرار المروءة وخلالها رابطاً ذلك برسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال ما نصه: (إن من أعظم مقاصد بعثة المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يتمم مكارم الأخلاق وصالح الآداب ، وينشئ في الأمة النماذج الأخلاقية الراقية ، والمثل والآداب السامية التي تكفل الحياة الكريمة والسعادة ، والعزة للفرد والجماعة. وإن فروع هذه الأخلاق الإسلامية الراقية كثيرة ومتشعبة ، ولكنها تجتمع في أصول عظيمة ، وأركان متينة ، تلتقي فيها كل الآداب النبوية والأخلاق المصطفوية ، وما تعارفت عليه العقول الصحيحة والعادات الحسنة. هذا وإن من أعظم هذه الأصول الجامعة المانعة: أصلاً عظيماً يجتمع تحته ما تفرق ، وينتظم في سلكه ما تشعب ، ألا وهو: المروءة . وما أدراكم ما المروءة؟! إنها منبع الخيرات ، وملتقى الآداب ، وعماد الحياة الشريفة الحرة ، وجماع المحاسن والكمالات ، وأساس الإنسانية ، وكمال الرجولية. وبها يتفاضل الرجال والنساء ، حتى عد ألف بواحد ، والناس كمعادن الذهب والفضة وكابيل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة إلا من كمل نفسه بأخلاق المروءة التي تحببها النفوس الكبار العظام ، ويهيم بها العظماء والنبلأ ، ويرتفع بها العبد في قلوب الناس وإن كان أقل منهم مالاً وجاهاً. وتلك فطرة الله تعالى التي فطر الناس على حب المروءة ، والاتصاف بها ، ورفع شأن المتحليين بها ، لا تبديل لخلق الله. فطرة مركوزة في الخليقة والبشرية ، حتى إن النفس لتنتشي فرحاً حينما توصف بأنها من أهل المروءات ، أو ترى أفعالهم. وقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً ؛ فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصرحوا من ولأه الله أمركم ، ويكره

لكم: قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» ؛ أخرجه أحمد ومسلم عن أبي هريرة. وقد لزم هذا السنن النبوي الرفيع صحابته الكرام – رضي الله عنهم – والتابعون لهم ، وأورثوه إلى من بعدهم من العلماء والفضلاء والتبلاء الذين كتبوا في ذلك الرسائل والكتب التي تبين للناس آداب المروءة وخصالها ، حتى إنهم جعلوا من أهم صفات راوي الحديث ومن تطلب منه الشهادة في الأقضية أن يكون متحلياً بآداب المروءة ، مجتنباً خوارمها ومفسداتها. بل قد حث النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – على التسامح مع أهل المروءات ، والعفو عن خطيئهم وعثرات أقدامهم ؛ لمروءتهم وتبليهم ، فقال – عليه الصلاة والسلام –: «تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة» ؛ أخرجه الطبراني عن ابن عمر بسند صحيح. وقال أيضاً – عليه الصلاة والسلام –: «أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود» ؛ أخرجه أحمد وأبو داود عن عائشة – رضي الله عنها –. فأهل المروءات من العلماء والفضلاء وصالحى المسلمين ، لهم فضلهم ومكانتهم ومنزلتهم ، ولا يجوز أبداً أن تهدر فضائلهم ، أو تطمس مناقبهم لزلّة قدم أو كبوّة جواد ؛ وما ذاك إلا لشرف المروءة وعلو كعبها ، والتي تحمل صاحبها وترفعه وتزكّيه ، وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث. والله – سبحانه وتعالى – قد احتمل لكليمه موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – احتمل له إلقاءه ألواح التوراة ، وأخذَه بلحية أخيه هارون – عليه السلام – يجرّه إليه وهو نبيّ. وإن المروءة خلقٌ عظيمٌ ، وإذا نزلت في جذر قلوب الرجال والنساء أثمرت وطابت بها الحياة ، وسعدت الأرواح ، وهذبت ما في النفوس من آفات الشحّ المطاع ، والهوى المتبّع ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه. ولا تكاد تجد امرأة قد تمكّنت المروءة من قلبه ورسخت إلا كان لله عاملاً عابداً مطيعاً ؛ لأنه يعلم أن ارتكاب المحرمات ، والتساهل في المنكرات والرّضا بها من أخطر خوارشم المروءة ومفسداتها). هـ. ونعود – بعد هذا الاستطراد الطويل عن التعريف بالمروءة والمناقب وطيب الخلال – إلى نذل قصيدتنا لا كثر الله من أمثاله! ويمكن هنا أن يقول قائل: ما بالنا أبعدنا النجعة في الحديث عن المروءة بينما نحن نوجه قصيدتنا لنذل وبش منحط؟! والجواب أن هذا من باب: (وبضدها تتميز الأشياء)! فإذا عرفنا المروءة والنجدة والشهامة أمكننا أن نتعرف على ضدها وهي النذالة والخسة والوضاعة!

هل عليّم بالداء مثل الشافي؟	ثم هل غير الله منه يُشافي؟
إن ربي بمن براهم عليّم	جل ربي الخبير ذو الألفاف!
والعباد ما بين شهم ونذل	ما استوى إنسان ذكوراً وغافي!
والمروءات لا تباع وتشرى	فاز عبداً ذو سُودٍ وطراف
والمعالي لا تحتفي برذيل	غارق في الخذلان والإسفاف
بين شهم وبين نذل فروق	هل كلام فصل روي القافي؟!
نحن عشنا في غربة واعتراب	في ظروفٍ تفوق حد الكفاف
واكتويننا بنار غربة دار	ليس فيها شيء من الإنصاف

مقتدين بالسادة الأسلاف
واتصفنا بذل الاسـتعفاف
فاحتوانا نورَ الجلال الضافي
بقلوب إلى السجايا هوافي
نابذين روح الهوى والخلاف
وسألنا رب الـورى أن يعافي
في بهي الألقاب والأوصاف
فالسواء منهاجنا والتكافي
كل خل يُشجيه باسـتظراف
في البرايا مهابة الأشراف!
بعقول تشكو أليم التجافي!
نبتدي من (هود) أو (الأعراف)!
مثل آي (الشورى) أو (الأحقاف)!
جلّ في فحواه الدليل الوافي
واغترفنا الوداد خير اغتراف!
في ليال مرّت كما الأطياف!
حال دون المسير والتطواف!
أسها توحيدُ الإله الكافي!
كم توددنا بيننا بإتلاف!
مقتفين الأثار خير افتفاف!
قاصدين الرحمن ذا الأطفاف
إذ بهن رب الأنام يُكافي

واتبعنا الإخاء سَمْتاً وهدياً
وتزاورنا فأتلفنا سريعاً
وتعاملنا بالتقى والتسامي
واحتفيننا بالخير يسعى إلينا
وتعاهدنا أن نعيش عزازاً
واتقينا حظ النفوس اتقاءً
من رأنا قال: الصحابة عادوا
لم نفوت من المناقب شيئاً
كم تسامرنا في احتفال وفرح!
كم تذاكرنا العلم يُضفي علينا
كم درسنا مسائل العلم تسمو
كم قرأنا القرآن حزباً فحزباً
ثم فسّرنا الآي شققت علينا
باحثين عن كل شرح مبين
كم تبادلنا أسـيات التآخي
كم رحلنا للبر ، ثم رجعنا
كم نفضنا عنا غبار نعاس
كم سمعنا المحاضرات الحواني
كم تراحمنا بيننا باحترام!
كم تعاطفنا نبتغي الأجر عُقبى
زاهدين في العيش أطيب زهدٍ
طالبين الجنات عند مليكٍ

ما احتفى بالعبادات والأعراف
بالمئين - الكلام - والآلاف!
والملايين اليوم بالأضغاف
بعد أن زالت ثروة المستاف!
من رآه قال: اشفنا يا شافي!
جاءنا في الديداج والأصواف
في نعيم باد وآخر خافي!
حيث باراهم في اللقا بالتجافي
فاشتكت بعد السبي سوء انحراف
إننا نحيا بالتقى والعفاف
ولنا في مولانا يقين صافي
بل غنى النفس لو بعيش الكفاف
كم بذأ خلق جاهروا باعتراف!
نحن بين موافق ومُنافي
والمُنافي نذلّ وغرّ وغافي
بوصايا كالوابل الغرّاف
فيه تبكي بالمدمع الذرّاف!
وعظنا اليوم واضح الأهداف
خلّ عنك تيه السنين العجاف
قبل موتٍ مؤجل ، أو ذعاف

ثم نذّ عنا رذيلّ جبانّ
عبد المال والهوى والتدني
والعقار من كل صوب وحذب
وعليه الأرباخ تختال زهواً
عاد مثل الطاووس يمشي الهويني
بعد لبس الرخيص من كل ثوب
كم عجبتُ للنذلّ يُمسي ويضحى
لم يخصّ الرفاق قط بشيءٍ
تعس المال ، كم سبنا من عقول!
أيها النذلّ نحن بالفقر أغنى
لم نثق بالدنيا أتت أو تناءت
والغنى لا عن كثرة المال ، صدق
خسرتُ نفساً تحسبُ المال يُغني
ليس معبوداً ، بل وسيلة عيش
وأرى من يوافق القول شهماً
أيها النذلّ نحن ننصّح حقاً
مشفقين عليك من سوء عُقبى
تبّ إلى الله ، وانتصح يا سفيهاً
وتذكّر ما كنت فيه ، وأقصر
يقبلُ المولى من يتوب نصوحاً

الله يرحم مزنة!

(إنه مثل عربي أصيل ، وله قصة عجيبة وغريبة! وتعد هذه القصة واحدة من الحكايات الشعبية التي تخلد دور المرأة المسلمة العربية عبر الزمن ، وتبين حقيقة ما عليه المرأة المسلمة العربية من دهاء وشمم ، وتوضح مدى دهائها وقدرتها على القيام بما يقوم به الرجال من فنون القتال والحرب ، وهي قصة غريبة فعلاً لامرأة مسلمة حرة أبية لم تقف مكتوفة الأيدي أمام سرقة اللصوص لحيها. بل احتالت حقاً بدهائها! ولقد بدأت الحكاية حينما ذهب والد مزنة المطرودي برفقة رجال الحي لأداء صلاة الجمعة بعنيزة ، وكانت المسافة بين قريتهم التي يقطنون بها وقد اعتاد رجال القرية أن (العوشزية) ومسجد عنيزة مسافة كبيرة تبلغ سبع كيلو مترات. ينزلوا بعد أداء الصلاة بضيافة أحد معارفهم بعنيزة لشرب القهوة ، فكانت تطول غيابتهم حتى مغيب الشمس ، وفي ذلك الوقت كانت نساء الحي تبقي بمفردهن لحين عودة رجالهن. وأغرقت تلك العادة قطاع الطرق بالإغارة على قرية (العوشزية) وسرقة الماشية والأغنام والبعران والمعز في غياب الرجال ، وبالفعل هجم اللصوص على القرية هجوماً مروّعاً مبالغاً ، وقاموا بتجميع الماشية وساقوها عكس اتجاه عنيزة حتى لا تواجههم المتاعب. واطمأنوا تماماً أن القرية ليس بها رجلٌ ولا شاب! ولم تستطع مزنة المطرودي الفتاة الأبية أن تقف مكتوفة الأيدي أمام سرقة حلال والدها وقومها ، فتحركت على الفور ، وارتدت زى أخيها ، ووضعت العقال على رأسها ولثمت وجهها ، ثم امتطت الفرس ، وجعلت بعض النساء يفلن مثلها ويحيطن بها كأنهم بطانة الفارس. وأقبلت النسوة الفارسات ملثمات! وبعد ذلك هبت مزنة وحدها بفرسها تستعرض في حركات دائرية شجاعتها ، ولم تقترب فيها كثيراً من اللصوص ، ولكنها كانت على مسافة تسمح لهم برويتها ، حتى تثير فيهم الفزع والخوف ، وتجعلهم يشعرون بأن بالقرية فرساناً ، وأنها ليست خاوية على عروشها ، كما تصوّروا أول مجيئهم ومباغتتهم. وبعدها اقتربت مزنة منهم ، حينما شعرت أن الخوف بدأ يتسلل إليهم ، وأمرتهم بصوت أجش أن يعيدوا ما سرقوا ، وإلا طلقت النساء بالثلاث وكان هذا اليمين وقتها عظيماً ، وكانت بيدها بندقية تشهرها بوجوههم ، وتلف على الفرس مستعرضة مهاراتها ، ومن خلفها تفعل النساء كما تفعل هي من حركة فخشي الرجال الغادرون السارقون من الفرسان الملثمين ، واتجهوا أذلاء إلى الحي ليردوا المواشي ، ولما سألها اللصوص عن هويتها قالت لهم: أنهم حمّاد المطرودي ، وبعدها استقبلتهم في ضيافتها حينما ردّوا الغنّام ، وأعد لهم نساء الحي القهوة والعشاء. مرحبات بهم كأن شيئاً لم يكن! ولم يخبرن أحداً! ولم ينكشف الأمر إلا حينما عاد الرجال من عنيزة ، وعلموا بالخبر بعد ما رحبوا بضيوفهم ، فقد أصر اللصوص على معرفة الفارس الذي أربهم في غياب باقي الرجال وهنا أعلن الأب عن هويته ، وأخبرهم أن الفارس لم يكن سوى ابنته مزنة ، ومن يومها يضرب ذلك المثل في الشجاعة والإقدام ، أو في ادعاء المرء شيئاً ليس فيه أو عليه ، فيترحم الناس على مزنة. وكأني بمزنة المدخولية تذكرنا بأمر عمارة تلك الصحابية الجليلة! وعصرنا لم ير أم عمارة المازنية لكنه رأى مزنة المدخولية! وإنما طالعنا أخبار أم عمارة - رضي الله عنها - وإن لم نرها ، فسوف نراها في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر! إنها أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن النجار وهي أم حبيب وعبد الله ابني زيد بن عاصم. شهدت نسيبة بنت كعب أم عمارة وزوجها زيد بن عاصم بن كعب وابناها: حبيب وعبد الله ابنا زيد العقبة ، وشهدت هي وزوجها وابناها أحداً. عن محمد بن إسحاق قال: وحضر البيعة بالعقبة امرأتان قد بايعتا إحداهما شهدت معه أحداً هي نسيبة بنت كعب بن عمرو وهي أم عمارة ، وكانت قد الحرب مع رسول الله وزوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب بن زيد وعبد الله بن زيد - - صلى الله عليه وسلم - ويظهر

ذلك في القتال دونه يوم أحد ، وأيضًا لما سألته مرافقته في الجنة. وفي غزوة أحد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لزيد بن عاصم: "بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله أهل البيت ، ومقام ربيبك يعني زوج أمه خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله أهل البيت" ، قالت: ادع الله أن ترافقك في الجنة ، فقال: "اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة" ، فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا. ولذلك عندما قتل مسيلمة ابنها قالت: "لمثل هذا أعدته وعند الله احتسبته". وشهدت العقبة وبايعت ليلتذ ، ثم شهدت أحدًا والحديبية وخيبر وعمرة القضية والفتح وحنيئًا واليمامة. وشهدت بيعة الرضوان وشهدت يوم اليمامة ، فقاتلت حتى أصيبت يدها ، وجرحت يومئذ اثنتي عشرة جراحة! وعن أم سعد بنت سعد بن الربيع قالت: رأيت نسيبة بنت كعب ويدها مقطوعة فقلت لها: متى قطعت يدك؟ قالت: يوم اليمامة ، كنت مع الأنصار فانتبهنا إلى حديقة فاقتتلوا عليها ساعة ، حتى قال أبو دجانة الأنصاري واسمه: سماك بن خرشة: احملوني على الترسه حتى تطرحوني عليهم فأشغلهم ، فحملوه على الترسه ، وألقوه فيهم فقاتلهم حتى قتلوه رحمه الله ، قالت: فدخلت وأنا أريد عدو الله مسيلمة الكذاب ، فعرض إلي رجل منهم - أي من أتباع مسيلمة - فضربني فقطع يدي ، فوالله ما عرجت عليها ، ولم أزل حتى وقعت على الخبيث مقتولاً ، وابني يمسح سيفه بثيابه ، فقلت له: أقتلته يا بني؟ قال: نعم يا أمه ، فسجدت لله شكرًا! قال: وابنها هو: عبد الله بن زيد بن عاصم. وشهدت أم عمارة بنت كعب أحدًا مع زوجها غزية بن عمرو وابنيها وخرجت معهم بشن لها في أول النهار ، تريد أن تسقي الجرحى ، فقاتلت يومئذ وأبليت بلاء حسنًا ، وجرحت اثني عشر جرحًا بين طعنة برمخ أو ضربة بسيف ، فكانت أم سعيد بنت سعد بن ربيع تقول: دخلت عليها فقلت: حدثيني خبرك يوم أحد ، قالت: خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعني سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين. فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ، فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله بالسيف وأرمي بالقوس ، حتى خلصت إلي الجراح ، قالت: فرأيت على عاتقها جرحًا له غور أجوف ، فقلت: يا أم عمارة من أصابك هذا؟ قالت: أقبل ابن قميئة وقد ولى الناس عن رسول الله يصيح: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا ، فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكننت فيهم فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان. فكان ضمرة بن سعيد المازني يحدث عن جدته يقول: قالت: سمعت رسول الله: لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان" ، وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال ، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحًا ، وكانت تقول: إني لأنظر إلى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها ، وكان أعظم جراحها فداوته سنة ثم نادى منادي رسول الله إلى حمراء الأسد ، فشددت عليها ثيابها ، فما استطاعت من نزع الدم ، ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح حتى أصبحنا ، فلما رجع رسول الله من الحمراء ما وصل رسول الله إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها فرجع إليه يخبره بسلامتها فسر صلى الله عليه وسلم - . وعن عمارة بن غزية قال: قالت أم عمارة: قد رأيتني - بذلك النبي وانكشف الناس عن رسول الله فما بقي إلا في نفر ما يتمون عشرة وأنا وابنائي وزوجي بين يديه نذب عنه ، والناس يمرون به منهزمين ورأني لا ترس معي ، فرأى رجلاً مولياً معه ترس ، فقال لصاحب الترس: "ألق ترسك إلى من يقاتل" ، فألقى ترسه ، فأخذته فجعلت أتترس به عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل لو كانوا رجالاً مثلنا أصبناهم إن شاء الله ، فيقبل رجل على فرس فضربني وتترست له فلم يصنع سيفه شيئاً وولى يصيح: "يا ابن أم - رضي الله عنه - وأضرب عرقوب فرسه ، فوقع على ظهره فجعل النبي عمارة أمك أمك" ، قالت: فعاونني عليه حتى أوردته شعوب. وعن عبد الله بن زيد قال: جرحت

يومئذ جرحاً في عضدي اليسرى ضربني رجل كأنه الرقل ولم يعرج علي ومضى عني وجعل الدم لا يرقاً ، فقال رسول الله: "اعصب جرحك" ، فتقبل أُمي إليّ ومعها عصائب في حقويها قد أعدتها للجراح ، فربطت جرحي ، والنبي واقف ينظر إلي ثم قالت: انهض بُني فضارب القوم ، يقول: "ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة" ، قالت: وأقبل الرجل الذي ضرب ابني ، فقال رسول الله: "هذا ضارب ابنك" ، قالت: فأعرض له فأضرب ساقه فبرك، قالت: فرأيت رسول الله يتبسم حتى رأيت نواجذه ، وقال: "استقدت يا أم عمارة" ، ثم أقبلنا نُعلُّه بالسلاح حتى أتينا على نفسه ، وعن عبد الله بن أبي صعصعة عن الحارث بن عبد الله قال: سمعت عبد الله بن زيد بن فقال النبي عاصم يقول: شهدت أحداً مع رسول الله ، فلما تفرق الناس عنه دنوت منه أنا وأُمي نذّب عنه ، فقال: "ابن أم عمارة" ، قلت: نعم ، قال: "ارم" ، فرميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر وهو على فرس ، فأصبت عين الفرس فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه وعن موسى بن ضمرة بن سعيد عن أبيه بالحجارة حتى نضدت عليه. منها وقرّاً ، والنبي يقول: قال: أتى عمر بن الخطاب بمروط فكان فيها مرط جيد واسع ، فقال بعضهم: إن هذا المرط لثمن كذا وكذا ، فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد ، قال: وذلك حدثان ما دخلت على ابن عمر ، فقال: أبعث به إلى من هو أحق به منها ، أم عمارة نسيبة بنت كعب ، يقول يوم أحد: "ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل - رضي الله عنه - سمعت رسول الله دوني. ورضي الله عن أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية وعن أهل بيتها! إن شجاعة المرأة المؤمنة لا تحدها الكلمات! وإن السارقين هؤلاء فاقتهم ناقة أبي حمد في صيانة الأمانة! نشر عارف الأحمر - نجران جريدة عكاظ ليوم 1429/3/13 هـ ، (فيما يشبه حنين الناقة لفصيلها وعن وفاء الإبل للبدو في الصحراء أعادت ناقة أصيلة الطفل (عبد الله) - خمس سنوات - سالمأ إلى حضن أمه بعد أن نسيه أبوه في صحراء موحشة وعاد بدونه! مصطحباً أبناءه التسعة. يروي والد الطفل حمد بن ذيب قصة عودة ابنه من رحلة الموت يقول ابن ذيب: عندما حانت ساعة الغروب بدأنا في جمع إغراضنا ولم يخطر على بالي أنني نسييت واحدا منهم ولكن ما إن بدأنا ننفض عنا غبار الصحراء حتى تعالي صراخ وولولة أمه التكلى بعد أن اكتشفت غياب آخر العنقود! ويستطرد ابن ذيب في سرد هذه القصة المشوقة: عدت مسرعاً إلى موقع رحلتنا في الصحراء مصطحباً بعض أقاربي ، وبدأنا البحث عنه على ضوء السيارة تارة ، وبالنداء باسمه تارة أخرى فلم نعثر له على أثر. وقد استبد بنا الخوف على مصيره لمعرفتنا بذئاب الصحراء ، وبعد أن كدنا نفقد الأمل في العثور عليه توجهنا إلى شبك الإبل في محاولة يائسة عسى أن نجده هناك! وكان أن شاهدت منظرأ لم أر مثله من قبل! فقد رأيت إحدى نياقي وطفلي تحتها ، وقد غطت عليه بجسمها من البرد والذئاب. أما كيف حدث ذلك فلقد سمعت الناقة صراخ وبكاء طفلي ، فذهبت حيث مصدر الصوت وأخذت تدفعه بعنقها واقتادته حتى الشبك لتحميه من ذئاب الصحراء ، ولم استغرب ذلك فقد كان طفلي يحب تلك الناقة وتبادلته هي حباً بحب. عدنا به إلى المنزل وما أن شاهدته أمه حتى سارعت تحتضنه وتضمه إلى صدرها وتوسعه تقبيلاً وسجدنا حمداً لله على سلامته). هـ. قال الغزالي في إحياء علوم الدين 16/4 في: (بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد): اعلم أن للإنسان أوصافاً وأخلاقاً كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوانله ولكن تنحصر مثرات الذنوب في أربع صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية! وذلك لأن طينة الإنسان عجنّت من أخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الأخلاط في المعجون منه أثراً من الآثار كما يقتضى السكر والخل والزعفران في السكنجيين أثراً مختلفة! الأولى هي الصفات الربوبية مثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة. حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى. وهذا يتشعب منه

جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوباً وهي المهلكات العظيمة التي هي كالأمهات لأكثر المعاصي. الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغى والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة إلى البدع والضلال. الثالثة هي الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللوط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات. الرابعة هي الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدرج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب أولاً ثم تتلوها الصفة السبعية ثانياً ثم إذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضرار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فإنه واضح).هـ. وطبعاً فرق كبير ولا شك بين أم عمارة المازنية ومزنة المدخولية! ونعود إلى مزنة المدخولية والتي هي الباعث على كتابة قصيدتنا! والمهم أنني بعد إعجابي بالمثل وبشخصية مزنة كتبت هذه القصيدة التي تشرح المثل العربي شعراً! أما أم عمارة نسيبة بنت كعب الصحابية فلها قصيدة!

وتعثرت - في سيرها - أشعاري	في (مُزنة) حارت روى أفكاري
ورموزه ، ما بالننا بالقاري؟	إن حار شاعر نصّه في نظمه
بمكاره النكبات والأخطار؟	من أين أبدا قصة محفوفة
ترتاغ - من أهوالهن ضواري!	أحداثها من بدنها لختامها
أسمى يجيدُ سبابة الأفكار	ويحار - في تأليفها - مستبصر
فإذا بسامعها الحصيف يُماري	وكأنما نسج الخيال خيوطها
ومكانها مصرّ من الأمصار	هي قصة حدثت ، وشوهد أهلها
وأميرة الأحداث ذات خمّار!	في (العوشزية) أجريت أحداثها
دهراً ، وأشهر غاية الإشهار	وتوقلت مثلاً يُردده الوري
والصيت زين بهمة وفخار	أست مثلاً في الشجاعة (مُزنة)
وخلت - من الأبطال - سوخ الدار	ذهب الرجال إلى الصلاة جميعهم
حتماً ستحيا في أذى وضرار	والدار إن فقدت عزيز حمتها

وبدون تمهيدٍ ولا إنذار!
أبئس بأخبث زائر ومزار!
والغدرُ - عند العُرب - أقبح عار
بين القرى والناس خيرُ جوار
أنعم ببأس الغيب الخُضار!
مستسلمين لظالم غدار
وُجدت لحفظ تجاور وذمار؟
يا قومنا ، أو سُنة المختار؟
بؤتم بأحقر فعليةٍ وشنار
متوقعٌ هذا من الكفار!
والعارُ ملتصقٌ مدى الأدهار
وبشر أرض في أصيل نهار
حتى تؤدب حِفنة الأزيار
من بعد أن خلعتُ ثمينَ سُوار
وجواهرٌ من فضة ونضار؟
ما الأثوية زخرفتُ بعذار؟
وتبختروا في السهل والأوعار؟
والدارُ رهن الجوقة الأشرار؟
أتخفن بأس السارق الغدار؟
ثروات أهليكن دون حذار!
واركبن خيل الحق والإصرار
وظئ الديار بكيده المتواري

وأتى اللصوص لهم مطامعُ جمّة
حلّوا الديارَ ، وعربدوا ، وتمكنوا
لم يرحموا ضعف العواتق والنسا
لم يقدرُوا قدر الرجال لهم بهم
لم يدركوا بأس الغطارف فارقوا
وأراهمُ خفروا الجوار حماقة
أوهكذا تقضي التقاليدُ التي
أوهكذا أمرتُ شريعة ربنا
أوهكذا أعرفكمم وسؤلومكم
لو كان ذا في الجاهلية لم نلّم!
وغداً ستطوى يا خيأس (غنيزة)
لكنّ (مزنّة) جرّعتكم بأسها
لما ارتدت ثوب الرجال تنكراً
وقد امتطت متن الجواد تكلفاً
ما القرط؟ ما العقْدُ الثمين بجيدها؟
ما قيمة الحُسن استبيحتُ داره؟
ما الخدرُ إن وظئ الأعداي أرضنا
ما قيمة الكف المخضب إن غدا
فيم انتظارُ الغيد في قعر الحمى؟
ها قد أتاكن الظهيرة ناهباً
البسن أثواب الرجال تخفياً
حتى نرد حقوقنا من سارق

وسـيذهب التحليقُ بالأبصار!
ونعود بالأغنام والأبقار
ونعود بالبعران والأثوار
وأذاقت العادين كأس خسار
كي لا يلوذ المعتدي بفرار
زمن قصير بعد فرض حصار
وكذا أخيات لها وجواري
لما يكن من ذاك أي خيار
أو خيبة تُفضي لسوء صغار
مثل الإماء يذقن كل فجار
ومضت بأجح خطية وقرار
بالخير يعقب رجعة الأخيار
وبدون تخوين ولا إنكار
وظبخن رغم تحمّل ومرار
إذ ماله - في القوم - أي وقار
فأجاب والدها ابنتي يا جاري!
كي تسرقوا ، إذ نحن في الأسفار
في السر ، لم نعلم إلى الإشهار
ماذا سنصنع في لقا الكرار؟
والفضل لي ، أنا قد حميت ديار!
والفضل فضل المستعان الباري!

انهضن خلفي كي نحيط بجمعهم
حتى نعيد مطينا وشيائنا
ونعود بالمعز اسـتقيد قطيعها
وتمكنت ممن أغاروا (مزنّة)
وأحاطت الفرسان أركان الحمى
واسـترجعت كل الذي سلّبه في
لم تخش بأس رجالهم وسيوفهم
ثابرن في الهيجاء دون هواده
إما مدافعة العدو وسحقه
ولربما سبيّ تصير به النساء
لكن (مزنّة) آثرت لقياء العدا
حتى إذا رجع الرجال استبشرت
عادت وغدن إلى البيوت جلائاً
رحبن بالضيفان غير أشاوس
يكرمن ضيفاً لا يحق له القرى
وأصرّ يعرف من بدا للقاتم
برزت لكم لما وطنتم دارها
إذ دافعت عن عرضها وديارها
لما تقلّ وحدي وبعض عقائل
وكذاك ما قالت: أنا سرّبتهم
و(المزنّة) اشتهرت ، وأشرق صيتها

لا فض فوك يا دكتور بدر!

(الدكتور بدر بن علي بن طامي العتيبي - حفظه الله - علم من أعلام الدعوة في عصرنا الحديث ، ورائد من رواد الذود عن سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومكافح مناضل في وجوه من يتطاولون على علمائنا الأجلاء! ولنن كان صبيان الطائف بإيعاز من أهاليهم قد رموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحجارة حتى دميت قدماه ، فإن صبياً من صبيان الطائف يدرس ويواصل مسيرة دراسته حتى يصبح دكتوراً ، ويجند قلمه وشعره ولسانه ووقته وجهده وماله وما يملك للذود عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتضميد جراح قدميه الشريفتين وغسلهما مما علق بهما من الدماء الطاهرة الذكية! يا دكتور بدر لقد أقامك الله في أهل الطائف اليوم لتغسل عار هؤلاء الصبية بالأمس! فله درك! ويا لها من مكرمة! وهذا من فضل الله عليك نغبطك عليه ونرجو لك المزيد منه! وكان من الممكن أن تكمل مسيرة صبية الطائف اليوم وتنال من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن سنته ومن علماء السنة الكرام أحياءً وميتين! ولكن لفرط فضل الله عليك جعلك على النقيض وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً! ومن قلبي أقولها لك: واصل مسيرتك في الذود عن كتاب الله وسنة رسوله وعلماء السنة أسلافنا الكرام ، وأفحم الخصوم بالحق والدليل ، حتى يقال لهذه الفتنة القائمة اليوم: ابلي سعيرك اللافح ، ويا أيها الناحلون المفرطون المتطاولون كفوا عن هذا الهراء ، استمر يا دكتور بدر حتى تستقر سفينة الحق والذود عن الإسلام وعلمائه على جودي النصر! وساعتئذ يفتح الله بينك وبين هؤلاء الخصوم المغرضين ويقال: بُعداً للقوم الظالمين! ما يكون لك أن تتقاعس أو تنكص عن الدفاع عن بيضة التوحيد وحياض العقيدة وعلماء الحق الأبرياء الأجلاء! ويحسن بنا أن نقدم الدكتور بدر لقراننا الأعزاء. جاء في موقع مداد هذه الأخبار الدقيقة عنه ، نورد منها بتصريف وتعليق: (هو العلامة المحدث أبو عبد الرحمن بدر بن علي بن طامي بن الحميدي بن حمود المقاطي العتيبي نسباً ، الطائفي مولداً ومسكناً ، الحنبلي الأثري اعتقاداً وتفقهاً. ولد في مدينة الطائف في منتصف شهر جمادى الآخرة عام 1392هـ. ونشأ في حجر والديه ، وكان لوالده - أجزل الله له الثواب - العناية الكبيرة به بحثه إلى أبواب الخير ، والمواظبة على أداء الصلوات مع المسلمين ، وتحذيره من سبل الشر من رفقاء السوء ، ومساوئ الأخلاق التي زل فيها كثير من الناشئة. التحق بالدراسة النظامية في "مدرسة الفيصلية الابتدائية بالحوية" ثم "المتوسطة" ثم "الثانوية" ، وتجاوزها بدون إعادة لمرحلة من المراحل الدراسية. وبدأ اهتمامه بطلب العلم وعمره 16 سنة ، وكان أول كتاب يمتلكه "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" عام 1408هـ ، وهو في الصف الأول الثانوي. وشرع في حفظ "القرآن الكريم" عند كل من الشيخين عبد السميع الأفغاني وصلاح المصري ، ولم يتيسر له إتمامه بعدما جاوز نصفه لعارض بعض الظروف. ومن محفوظاته "ثلاثة الأصول" و"كتاب التوحيد" و"القواعد الأربع" و"البيقونية" و"النخبة" و"الأربعون النووية" و"نظم الورقات" و"الدرة البهية نظم الأجرومية" و"ملحة الإعراب" ، وغيرها. نشأ متجهاً إلى رياض العلم ، معرضاً عن الانشغال بغيره ، معافى من الانضمام إلى الأحزاب البدعية ، موفقاً إلى علماء السنة. وزاد حظّه سعةً وبسطةً لما حضر عند الشيخ الإمام المجدد شيخ الإسلام عبد العزيز بن باز رحمه الله صيف عام 1410هـ. وبسبب ذلك عزم على أن تكون دراسته الجامعية في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض من عام 1411هـ طلباً في ملازمة الشيخ ابن باز والتعلم والتأدب على يده. فالتحق بكلية

الشريعة ، ومن حينها واظب على حضور دروسه في "جامع الأمير تركي" و"جامع الأميرة سارة" و دروسه اليومية بمسجده المجاور لبيته ، ومجالسه بعد المغرب حتى رسخت علاقته بالشيخ ، وتواصل مع الشيخ من ذلك الحين حتى وفاته. وتزداد ملازمته للشيخ ابن باز خلال الفترة الصيفية ، وقد اتفق لشيخنا بذلك صحبة شيخه أيام الدراسة في الرياض ، وصحبته أيام الإجازة الصيفية في الطائف. ومن الكتب التي قرأها على الشيخ ابن باز أكثر "صحيح البخاري" وأكثر "صحيح مسلم" وأطرافاً من "مسند الإمام أحمد" و"السنن الأربعة" وغيرها. وقرأ عليه بنفسه "ثلاثة الأصول" و"كشف الشبهات" و"فضل الإسلام" وطرفاً من "كتاب التوحيد" وأتمه بالسماع بقراءة غيره عليه. كما قرأ عليه الربع الأول من "السنة لابن أبي عاصم" ومثله من "الشريعة للأجري" ، وأول "روضة الناظر" في أصول الفقه ، ومواطن عدة من "تقريب التهذيب" و"خلاصة تذهيب التهذيب" و"تعجيل المنفعة" حيث كان الشيخ يطلب أحوال الرجال خلال دروسه فيقرأها عليه إذ ذاك ، كما قرأ عليه أكثر المنظومة "الرحبية" في الفرائض أكثر من مرة. وسمِعَ بقراءة غيره كامل "الورقات" و"نزهة النظر" و"العقيدة الواسطية" ثلاث مرات ، و"أصول الإيمان" للإمام محمد بن عبد الوهاب ، وأكثر "عمدة الأحكام" و"بلوغ المرام" و"منتقى الأخبار" و"شرح العقيدة الطحاوية" و"رياض الصالحين" و"الجواب الكافي" و"فتح المجيد" و"الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام" وأول "نونية ابن القيم" و"الاعتصام للشاطبي" و"المجلدين 21 و 22" من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وغيرها العديد من الكتب. وقَيَّدَ عن الشيخ ابن باز رحمه الله أكثر من ألف مسألة أكثرها من سؤالاته المباشرة له ، وقد نَسَخَتْ أكثرها من أصله الخَطِّي ، وفيها فوائد جمة ، وهو ينتظر الفرجة في وقته ليعتني بها إعداداً لطباعتها ونشرها ، أعانه الله على ذلك ويسر له. وكانت لشيخنا منزلة خاصة عند الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى ، فقد كان يهتم كثيراً بالشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في الطائف ، وقال عن نفسه يصف خدمته لشيخه: فقد سعدت بخدمته طيلة أيام دروسه في مدينة الطائف ، بل كنت لصيق كرسيه ، أخدمه ، وأحضر له ما يطلب من ماء ونحوه ، وأحمل عصاه ، وأعتني بترتيب ثوبه وشماعه إذا قام ، وأهذب لحيته إن أصابها شيء ، وأضع له عند جلوسه كرسي القدمين ، حتى كنت منه بمكان الابن من أبيه والخادم من سيده ، عرفت من خلالها ما يحب الشيخ وما يكره ، وسجلت عنه خلال صحبتي له العديد من الفوائد والدرر والمسائل ، حتى شغفت بحبه وصحبته ، وأصبحت أعرف مزاجه من حيث الراحة والتعب ، والسرور والحزن ، والصحة والمرض ، وكان إذا قدم بعض الزوار إلى الشيخ ممن لا يعرف خاصته يظن أنني أحد أبنائه ، انتهى. وقال في موطن آخر: وقد لازمته عشر سنين من عمري كنَّ قاصرات الطَّرْفِ عَنِّ غَيْرِهِ! فرأيتُ فيه من العلم والحكمة والأدب ، والتزام السنة ، واستقرار القول ، والثبات على الحق ، والزهد والخشية ، والتواضع واللين ، ما جعلني أتعلَّم من سكوتِهِ أكثر مما أتعلَّم من كلامه ، وأتلقى بعيني أكثر مما أتلقى بسمعي ، انتهى. وفي عام 1418هـ حضر الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - مادبة في بيت شيخنا بدر بالحوية ، أَعَدَّها ضيافة لشيخه ، وكانت ليلة مشهودة ، حضرها جمعٌ من العلماء وطلاب العلم. وقد شهد - بشدة ملازمته للشيخ ابن باز وصحبته له ومحبة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى له - جماعة من أهل الشيخ وخصته في بيته ومكتبه. وامتدت ملازمة شيخنا بدر لشيخه الإمام ابن باز رحمه الله تعالى حتى آخر لحظات حياته ، وشهد شيخه الشيخ ابن باز قبل وفاته بثمان ساعات ، فظَلَّت لحظات لقائه الأخير به راسخة

في ذهنه ، ويتأثر جداً عند ذكرها! وله مقال منشور في شبكة الإنترنت عنوانه "ماذا صنعت بي يا فتاة المجد" وصف فيها اللحظات الأخيرة من حياة الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله تعالى فليراجع. وأنشد في رثاء شيخه ابن باز العديد من القصائد ، وقد نُشر بعضها في عددٍ من الصحف. أما دراسته على يد شيخه العلامة محمد بن صالح بن عثيمين: فكان خلال إقامته في الرياض يتردد على القصيم ، وحضر بعنيزة مجالسه رحمه الله تعالى ، يعرض عليه بعد الدرس خلال رجوع الشيخ إلى بيته العديد من الأسئلة العلمية التي يحتاج إليها. كما حضر دروسه السنوية المقامة في مدينة الطائف وقرأ عليه كتابي النكاح والطلاق من "زاد المستقنع. وحضر جملةً طيبةً من دروسه الصباحية والمسائية المقامة في المسجد الحرام خلال العشر الأواخر من عام 1410هـ ، إلى عام 1414هـ. وأما فضيلة الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان: فقد أكرمه الله في الرياض والطائف بقراءة "كتاب التوحيد" و "العقيدة الواسطية" و "مناظرتها" و "رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب" المختصرة في التوحيد ، والربع الأول من "بلوغ المرام" ولا تزال صلته بالشيخ مستمرة والله الحمد. وأما فضيلة الشيخ القاضي إبراهيم بن عبد الله بن عتيق ، وقرأ عنده: "رسائل شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب في التوحيد" و "العقيدة الواسطية" و "نخبة الفكر" وغير ذلك ، وأجازه الشيخ ابن عتيق بمسلسل فقه الحنابلة ، والمسلسل بالأولية. وشيخنا يجله ويحترمه ، ويقول عنه: هذا شيخنا الإمام ابن الإمام حفيد الإمام ابن أخ الإمام تلميذ الإمام ، فأحاطت به الإمامة من كل جهة ، فهو إمام من علماء الإسلام ، ووالده عبد الله بن حمد بن عتيق قاضٍ مشهور ، وكان مع جيش الملك عبد العزيز ، وسكن الغطط فترة من الزمن ، وعمه العلامة الإمام القاضي سعد بن عتيق ، وجدّه العالم الإمام حمد بن عتيق ، وشيخه الإمام العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، رحم الله الجميع. وأما فضيلة الشيخ العلامة المحدث المعمر عبد الله بن عقيل آل عقيل. وحضر شيخنا بعض دروسه عام 1413هـ ، حضر عنده طرفاً من شرحه لـ "المدخل" لابن بدران ، و"بلوغ المرام" وبعض مجالس سماع "مسند الإمام أحمد" ، و كامل "منظومة القواعد الفقهية" وطرفاً من "الرحبية" ، وأجازه الشيخ فيما بعد بالرواية الحديثية. ثم خرج له شيخنا إجازةً تضم أوليات مسموعاته عن شيخه علي بن ناصر أبو وادي سماها "الأوانل العقلية" وقرأها عليه كاملة بإسناد الشيخ ابن عقيل إلى الأئمة ، وذلك في مجلس فقيه الطائف ومفتيها الشيخ عبدالرحمن بن سعد العياف حفظه الله. وكذلك درس العلم على شيخ عظام آخرين منهم: فضيلة الشيخ عبدالله بن غديان ، وفضيلة الشيخ المحقق إسماعيل بن سعد بن عتيق ، وفضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن فنتوخ ، وفضيلة الشيخ محمد الشدي رحمه الله ، وفضيلة الشيخ المحدث عبد الله بن عبدالرحمن السعد ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن منيع ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي رحمه الله ، وفضيلة الشيخ المحدث عبد الرحمن بن سعد العياف الدوسري ، وفضيلة الشيخ المحدث أبي عبد الإله مشعان بن زايد الحارثي ، وفضيلة الشيخ عبد الوكيل بن عبدالحق الهاشمي ، وفضيلة الشيخ يحيى بن عثمان العظيم آبادي ، وغيرهم كثير. وقد تحصل على الإجازة الحديثية من أكثر من مائة وخمسين شيخاً من علماء الإسلام في مكة والمدينة ونجد واليمن والعراق والشام والهند وباكستان ومصر والمغرب والسودان والجزائر وغيرها ، ذكرهم في ثبته الكبير "المنحة الإلهية بالإجازة الحديثية" وغيره من الإجازات المختصرة ، ومنهم: الشيخ عبد الرحمن بن عبد الستار

الدهلوي السلفي من باكستان ، والشيخ عبد القهار بن الشيخ عبد الوهاب الدهلوي من باكستان ، و شيخ الحديث أبو مسعود محمود أحمد حسن بن محمد عثمان من باكستان ، والشيخ الأصولي عبد الرحمن بن الطالب الحبيب شطو من المدينة النبوية ، والشيخ المحدث عاصم بن عبد الله القريوتي من المدينة النبوية ، والشيخ المحدث فيض الرحمن فيض المنوي الهندي رحمه الله تعالى من الهند ، والشيخ عبدالرحمن بن عبيد الله الرحماني من الهند ، والشيخ رضا الله المباركفوري رحمه الله، من الهند ، والشيخ عبيد الله الرحماني رحمه الله ، من الهند ، وهو غير صاحب المرقاة ، وهو يروي عن والده ونذير الأملوي ، وعبد السلام البستوي ، وعبيد الله المباركفوري ، ووالده يروي عالياً عن حسين بن محسن الأنصاري ، ونذير حسين الدهلوي ، وبشير السهسواني ، ورشيد الكنكوهي ، وقاسم النانوتوي ، والشيخ والشيخ العلامة محمد بن المحدث الدكتور وصي الله عباس خان المدرس بالمسجد الحرام ، عبد الله بن سبيل إمام المسجد الحرام ، والشيخ المحدث أحمد بن يحيى النجمي عالم الديار الجنوبية رحمه الله ، الشيخ الأديب البارع عبد الغني بن محمد الدقر رحمه الله من سوريا ، والشيخ العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني قاضي قضاة اليمن ، والشيخ المحدث محمد بن الأمين أبو خبزة ، محدث تطوان من المغرب ، الشيخ المحدث عبد الغفار بن حسن الرحماني من إسلام آباد بباكستان ، الشيخ القاضي المعمر الفرضي رشيد بن محمد القيسي قاضي حقل رحمه الله ، والشيخ إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني من المغرب ، والشيخ المعمر عبد القادر بن عبدالله الحسني رحمه الله من صنعاء ، والشيخ المحدث المحقق حمدي بن عبد المجيد السلفي من العراق ، والشيخ محمد بن عبد الرزاق الخطيب رحمه الله ، من سوريا ، والشيخ المحدث شمس الحق بن عبد الحق الملتاني رحمه الله من الهند ، والشيخ المحدث عبد المنان بن عبد الحق النورفوري من الهند ، والشيخ المحدث الأديب المؤرخ زهير الشاويش ، وقرأ عليه أوائل الكتب الستة ، وله به صلة قوية ، والشيخ المعمر القاضي العابد محمد عبد الله آد الشنقيطي المدني رحمه الله ، الشيخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ من صنعاء ، وغيرهم كثير! وأما عن المؤلفات والتحقيقات: فلقد أكرمه الله تعالى بالتأليف ، وحسن التصانيف ، فكتب وجمع ، وحقق وبرع ، وردّ على أهل البدع ، وله من المؤلفات المطول والمختصر في فنون شتى ، مع الاشتغال بالدعوة والتعليم ، وحياته الوظيفية ، ومن مؤلفاته: (التعليقات المرضية على القصيدة الحائية" وهو أول مؤلفات شيخنا ، كتبه عام 1412تقريباً وهو على رأس العشرين من عمره - التعليقات الحسان على أخطاء رضا بن نعيان في تحقيقه لكتاب الإبانة لابن بطة العكبري ، وهو كسابقه ، ألفه شيخنا وعمره 21 سنة - إقامة الحجة والبرهان على كفر من قال بخلق القرآن وتحقيق خروجه من الملة" ألفه عام 1414هـ ، وقرظ له جماعة من أكابر العلماء ك: شيخ الإسلام الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد الله بن سعدي الغامدي رحمهما الله ، والشيخ عبد الرحمن العياف ، والشيخ صالح الفوزان ، والشيخ عبد الله بن منيع حفظهم الله ، وقد طبع - وصيتي للإخوان بمنهج أهل السنة في نصيحة السلطان ، قدم له فيه الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع ، وهو مطبوع - المحصول شرح ثلاثة الأصول سبق الإشارة إليه ، أملاه عليّ شيخنا في بيته ، فاعتنيت بشرحه ، ورتبته ، وعرضته عليه فأذن بطبعه ، فطبع - كشف المعرة في إثبات أن الحج لم يجب في العمر إلا مرة ، وطبع - وغيره الكثير!) وأما عن الإسهامات والجهود التعليمية والدعوية ، فلقد منحه الله الحرص على تعليم الناس الخير، بالوعظ في المساجد

وإقامة الدروس ، وكان أول جلوسه للتدريس عام 1415هـ ، فالتفت حوله جملة من طلاب العلم يقرأون عنده - في منزله ، وفي مسجد حيّه المجاور- العديد من المتون العلمية كرسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب المختصرة ، و"حانية ابن أبي داود" و"لمعة الاعتقاد" و"الأربعين النووية" و"البيقونية" و"النخبة" و"تانية الألبيري" و"الورقات" و"الرحبية" وغير ذلك ، كما درّس في جامع خادم الحرمين الشريفين بالحوية ، وشرح العديد من الكتب منها "كتاب التوحيد" و"فتح المجيد" و"كشف الشبهات" و"نخبة الفكر" و"حانية أبي بكر بن أبي داود" وغير ذلك. وفي جامع الدعوة يشرح "تفسير ابن كثير" و"الإبانة الصغرى لابن بطة" و"العقيدة الواسطية" و"شرحها" للفرزان ، و"ثلاثة الأصول" و"حاشيتها" لابن قاسم ، و"القواعد المثلى" و"عمدة الأحكام" و"تذكرة السامع والمتكلم" وغير ذلك. ولشيخنا مشاركات عديدة في الدورات العلمية المقامة في كل صيف ، كدورة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بالطائف ، ودورة الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله المقامة في الباحة ، وكذا بعض الدورات العلمية في دولة الكويت. وله المشاركة بالمحاضرات والخطب في بعض القطاعات العسكرية والدوائر الحكومية. وله مشاركات وتعقيبات عديدة على بعض الكتاب في الصحافة اليومية. ويلاحظ الناظر في دروس شيخنا تنوعها في علوم الشريعة إلا أن عنايته الفائقة ، واهتمامه الأكبر منصباً على علم التوحيد ، فهو لا يملأ من تكرار شرح المتون فيه ، وسرد مطولاته ، ويحث الطلاب على تعلّمه وتعليمه للناس ، ولم تخلُ حلقة من حلقات دروسه من كتاب من كتب التوحيد. ومع شدته على أهل البدع والأهواء ، وتحذير الناس منهم! إلا أنه شديد الترهيب من الغيبة والكلام في الأعراس ، ويكره التجاوز في ذم المخالفين بما ليس فيهم أو في مقام لا مصلحة لنقدهم فيه ، ويقول بأن الأصل في أعراس المسلمين الحرمة ، وأن هذه الحرمة إنما أبيحت لضرورة بيان حال المخالف ، والضرورة تقدر بقدرها ، فلا يجوز أن تنتهك هذه الحرمة بأكثر مما أحل الله تعالى بسبب هذه الضرورة الشرعية الراجعة ، وله في ذلك رسالة نافعة وهي "الرسالة العينية" ومختصر مضمونها ذكرها في محاضرة صوتية مسجلة بعنوان "نصائح وتوجيهات عامة".هـ. لقد أردت بهذه المقدمة الطويلة التي خصصتها للحديث عن مسيرة الدكتور بدر العتيبي - حفظه الله - لأثبت للقراء أن آراءه وأحاديثه ووصاياه ودفاعاته لا تصدر عن حاطب ليل مرتزق متعالم جاهل يأكل بالعلم كتاباً وسنة! إنما نحسبه حقيقة من طلاب العلم الأفاضل المغاوير الذين يحققون قولهم ويدققون!

أمضى من النبل ما تلقيه من كلم	والحمق إن ترميه - بالنبل - ينهزم
يا (بدر) جهز - من النبال - أغظها	وسئل سيفك للباغين ، وانتم
واشحذ رماحك ، واجعلها مذبذبة	فالحرب أشهر من نار على علم
وشد قوسك ما الجدوى إذا انشرفت؟	يا صاح دارت رحى الهيجاء عن أمم
وارقب سهامك في مأوى رميتها	ما نفع سهمك لو دون المراد رمي؟
ألا ترى زمر العادين قد خرجت	على الديار بكيدي غير منبهم؟

يَلْوِثُونَ كِرَامَ النَّاسِ بِالتَّهْمِ؟
أما الدعوى كمثل السيل ذي العرم
يُدمرون أصول المنهج اللقم؟
بمكر مجترئ ، وخبث مجترم!
تصيب سامعها بالوهن والسأم!
ما بين كهل سما فيهم ومحتلم!
والساحة امتلأت بالسدس والإزم
ويهرفون بما ساقوا من الجُرم
فيما افتروه ، لعاً للغير والبُهم!
من بعد أن عبث الشيطان في الذم
عن التناظر جنباً غير منكم
كم دافعوا عنه! كم تاقوا لسفك دم!
من الضلال زكاف في المرتع الوخم
شواظها مُفعمٌ بالوهج والأيم
ومَن يُردُّ نصره بالله يعتصم
مستبسل بهدى الإسلام ملتزم
لكن نظن بأن (البدر) ذو قيم
وياغتِ المفتري في كل مصطدم
واثأر لشيخك يا دكتور عن رغم
إن قلت نلت ، وإن خطت بالقلم
عليه ملتزم بعلمه التتم

ألا تراهم بلا رُشدٍ ولا سَندٍ
لا يراعون ، ولا تقوى تُهدبهم
ألا تراهم وقد هاج السعارُ بهم
فكم يُثيرون بين الناس من بدع
وكم يذرون - في التنظير من شُبهِه
وكم يعادون أهل الحق في وضح
وكم يسوقون تضليلاً به عُرفوا!
يُخيون ما زال من ماضي أكابره
حتى الأشاعرة الجهال ما اعتدلوا
وثم مرجئة جاؤوا بفتنتهم
ولست أنسى فرى جهمية جنبت
وللروافض تحريفاً إليه دَعُوا
والناسُ تدري الذي الصوفية اخترعوا
ذي فتنة سُعرت تجتاح صحتنا
يا (بدر) أنت لها ، فاصمذ لكبتها
ومن يرد على البُغاة غير فتى
ولا أزكي - على رب الورى - أحداً
تعقب الكل ، من غابوا ومن حضروا
وأخرس البُله من فاهوا ومن صمتوا
أوتيت من أرج البيان أعذبه
والشعر غلمته تعلیم منفتح

أكرم بنظم علا في السبك منتظم!
من كل نص بخط (البدر) معتم
بلفظ فذ عفيف النفس محترم
حتى سببت عقول العرب والعجم!
تحقيق فحواه والدليل والكم؟
وظالت اليوم أهل العلم والسلم
تروج بين رموز الناس والعم؟
بمنطق ظاهر البهتان ذي جرم!
في الجهل ليس له في العالمين سمي
يا لهف نفسي على معلم حثيم!
هل خالفا سنة للمصطفى الهشم؟
ألا تخافون ثأر القاهر الحكم؟
إلا جهول على التحقيق جد عمي!
وأنقذ الصيذ من برائن القم
بجنة العلم ، لا الأمثال والحكم
وانزع سموماً سرت في جفة الدسم
واذكر دعاية (هود) الحق في إرم
فرداً ، وأنذر عن عبادة الصنم
وأنذر القوم في (البطحا) وفي (إضم)
بل استعان برب الناس ذي النعم
إما زكت نارها ، أو الوطيس حمي
أسلافنا من نرى في الكون كالنجم

والنظم أتقنته إتقان محترف
وللكتابة فحواها وزخرفها
أما الخطابة بات (البدر) رائدها
وللمحاضرة انبريتت مرتجلاً
ما الظن إما أعد النص يسبقه
يا (بدر) عجل ، فإن الفتنة استعرت
أما سمعت بتسفيه وسفسطة
عن (ابن عبد الوهاب) البدء كان به
تعيب تحفته: (التوحيد) ، عائبهم
ونال حصته فيها (ابن قيمنا)
الاثنان هل خرجا على شريعتنا؟
أين الدليل على ما قيل يا سفها؟
يا من تبعتم مضللاً لا يتابعه
يا (بدر) رد على ما قيل محتسباً
وفند الشبه الرعاء مدرعاً
وكل عليهم بما كالوا بلا خور
ولا تكن وانياً في الحق تنشره
لم يأل جهداً ، ولم يخش اللحاق به
واذكر نبيك إذ دعا قبيلته
لم يخش باطلهم في أوج حيرته
والله حاميك من أضغان خندمة
يا (بدر) خذل عن الأفذاذ ساداتنا

مَن لي بمستبصر ذي حجةٍ فهم؟
ونصرة الخصم تُبلي القلب بالوصم
في العلم يا صاحبي ذؤابة الهرم!
أصحاب دينك في شوق وفي نهم!
كلّ يلوك الفرى كالمعز والبُهْم
وآخر من لظى التنظير منقحم!
فأرسل السيف في أحشاء مقتحم!
إني أرى شتمهم من أتعس النقم
شتان شتان بين الصدع والبكم!
ليذهب النور بعد الذود بالظلم
لما يُجهز أهل الدس والغشم
شأناً عظيماً ، فذا من أعظم القسم
عهد الإخاء وما يحوي من اللزم
ونحن خلفك فوق الأينق الرشم
أهل التصانيف ، أهل العلم والشيم
رأساً ، وأهل التقى والعلم في شمم
والضيمُ يحق بأس الناس والأمم
أولى بنا رقدة في بئد الرجم
نعم الحياة على الإسلام والقِيم!
شتان شتان بين العيش والعدم!
والدورُ إن أسلمت أقوى من الأجم!

مَن مثلكم؟ ساحة التنظير قد عقت
إفحامك الخصم آمالٍ نتوق لها
دينٌ عليك لأشياخ بلغت بهم
فوفاً دينك ، لا تُمطّل إلى أجل
إن الخصوم تمادوا في تطاولهم
شتان بين خصيم بات منتصراً
جمي شيوخك مسلوبٍ ومُنتهك
لا خير فينا إذا أسلافنا شتموا
لا بد للأمر من داع يُفجّره
يا (بدر) أوقد سراج الذود مؤتلقاً
إني أراك على ثغر ، فكن فطناً
حافظ على ثغرك المقسوم ، إن له
لولا أحببك ما ناصحتُ محتملاً
أراك في ساحة التنظير فارسنا
لن نستكين لمن ينال ساداتنا
أعداؤهم في وهاد الجهل ما رفعوا
لن نقبل الضيم يكوي عز سُمعتهم
ما قيمة العيش إن نيلتُ حنيفتنا؟
دينُ المليك لنا الحياة أجمعها
وما الحياة إذا مُست ديانتنا؟
نحن الأسود إذا عشنا لشرعتنا

شَتَانِ شَتَانِ بَيْنِ الْأَسَدِ وَالْغَنَمِ!
عَنِ الصَّنَادِيدِ خَيْرِ النَّاسِ وَالنَّسَمِ
وَدُونَ قَرِيبِي مَادَاهَا بِالْغِ عِظْمِ
مَنْ يَتَّبِعُهَا يَعِشْ فِئْذًا وَيَسْتَقِمِ
وَأَطْرَبْتَنَا بَعْدَ اللَّفْظِ وَالنَّعْمِ
بَدَتْ كَحَبَاتِ عَقْدٍ غَيْرِ مَنْفَصَمِ
يَا حَبْذَا الْعِلْمِ بَيْنَ الصِّيدِ مِنْ رَحْمِ!
فَلَيْسَ مِنْ مُشْكَلٍ فِي النَّصِّ مِنْبَهْمِ
شَتَانِ بَيْنَ ضِيَاءِ الصَّبْحِ وَالْغَسَمِ!
مَا نَدَتْ عَنْ دِينِهِ بِهَمَّةِ الْفَهْمِ
رِسَالَةٍ عَضَلْتُ بِالْغُرْبِ وَالْعَجَمِ
فَالْفَارِسِ الْفِئْذِ لَا يَأْوِي إِلَى النَّدَمِ!
وَالْأَلِّ وَالصَّحْبِ أَهْلَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ
وَذَاكَ يَا (بَدْرُ) تَذْيِيلِي وَمُخْتَمِي!

وَمَنْ عِدَانَا؟ فَهَمَّ كَالشَّاءِ إِذْ رَتَعَتْ
نَحْنُ الْغَطَارِيفُ إِنْ ذُنُنَا بَلَاجِلُ
يَا ابْنَ (الْعُتَيْبِيِّ) أَحْبَبْنَاكَ دُونَ لِقَا
فَقَطْ سَمِعْنَا الَّذِي أَسَدِيَّتْ مِنْ زَبْدِ
مِنْ الْقِصَائِدِ أَشْجَتْنَا مِقَاطِعُهَا
مِنْ الْأَهْزِيجِ يَخْتَالُ الْبِدِيعُ بِهَا
مِنْ النَّصَائِحِ بِذَلِكَ الْعِلْمِ طَابَعُهَا
أَمَّا الْوَضُوحُ فَحَدَّثَتْ ، ثُمَّ لَا حَرْجُ
كَالصَّبْحِ قَوْلِكَ إِنْ بَدَتْ نَضَارَتُهُ
رِعَاكَ رَبِّي ، وَنَلَّتْ الْخَيْرَ أَجْمَعَهُ
لَا فَضَّ فُوكَ ، وَقَوَاكَ الْإِلَهِ عَلَى
وَلَا نَدِمْتَ عَلَى مَا كُنْتَ بِأَذْلِهِ
وَصَلَّ رَبُّ عَلَى الْمُخْتَارِ أَسْوَتَنَا
هَذَا قَدْ فَرَّغْتُ مِنَ التَّقْصِيدِ أَعْلَمُهَا

لقاؤنا في المحكمة

(كان ذلك الموفق - ولا نزكي على الله أحداً - قد أجز داراً له لأسرة متواضعة فقيرة عائلها يعمل بالمياومة فيما يبذو! والتزمت الأسرة بسداد الإيجار ثماني سنوات! فيؤدى الإيجار في مواعده بلا أدنى تأخير! ومنذ عامين لم يصل الإيجار بالمرة! فارتاب المالك في الأمر. وقرر صاحب العقار غريب الحبابي القحطاني أن يزور الأسرة ، وهناك يقف على ما حدث ويحدث! وكان له ذلك ، حيث ذهب وطرق الباب برفق ، واستأنس وسلم وعرف بنفسه ، وسأل عن إيجاره المتأخر سنتين! فقالت أم الأولاد: لقد توفي الله أب هؤلاء الأيتام ، وأعوولهم وحدي من نوال المحسنين ، ولما عجزت يدي عن سداد الإيجار أجلت إلى أن يتوفر! فقال غريب لها: أما عن أب الأولاد فيرحمه الله ويغفر له ، وأما عن عقاري وإيجاره فلقائي بك غداً في المحكمة الشرعية ومعك أولادك هوياتكم جميعاً! وهناك نتفاهم فيما عليّ وعليكم ، ويقضي الله أمراً كان مفعولاً! فقالت الأم: اصبر علينا ولك الجنة ، وسنحاول تدبير المبلغ من الناس المحسنين منهم! وربما تحولنا وتركنا لك دارك توجرها لمن تشاء وبالمبلغ الذي تريد وبالشروط التي تشتهي! فقال لها: لا ، إن هذه أملاك وحقوق ولا بد فيها من التوثيق ، وأرى أن المحكمة الشرعية هي الحل في مثل هذه المواقف! وأرجو أن لا تتأخري وأولادك ومعكم هوياتكم! وأخذت المرأة تتضرع إلى الله أمام هذا الغموض الذي ليس فيه أدنى بشارة بخير! وانطلقت إلى الصلاة تارة وإلى الدموع تارة ثانية ، وإلى الدعاء بحرقه وإلحاح تارة ثالثة! ولما أن حان الموعد انطلقت وأبناؤها للمحكمة! ولما شاهدتهم غريب القحطاني انطلق صوبهم وأخذهم إلى داخل المحكمة ، وأمام القاضي الشرعي أقرت المرأة بالإيجار المتأخر لسنتين ، وفاجأ غريب القاضي والأم والأبناء والحضور بطلب غريب! ترى ماذا كان ذلك الطلب الغريب؟ لقد طلب من القاضي أن يصادق والمحكمة على تنازله عن البيت للمرأة وأبنائها جميعاً حسبة الله تعالى دون قيد أو شرط ودون مقدم أو مؤخر! بل هو منحة رضائية غير قابلة للرجوع ولا للنقض ولا للإيرام! فأجهشت المرأة بالبكاء والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء لهذا المحسن الموفق! وبكى أبناؤها وهم لا يدركون ماذا يجري ، فهم صغار وأكبرهم سنه ثماني سنوات! وأقبل القاضي بدموعه يقبل رأس غريب ويقول: قليل أمثالك يا غريب ، بارك الله لك ، ما مر عليّ موقف مثل هذا من قبل! تقبل الله منا ومنك الأعمال! ويغلق المشهد على المرأة وأبنائها وقد امتلكوا الدار! لتفتح صفحة مشهد آخر بعد خمسة أشهر ، حيث تقرر الدولة إقامة مشروع حيوي تكون أرض أخرى لغريب القحطاني جزءاً منه! فتعوضه الدولة في أرضه التي سوف تصادرها للمشروع بأحد عشر مليوناً من الدراهم! المبلغ الذي يساوي بالضبط عشرة أضعافها لو بيعت قبل المشروع والمصادرة! إن يد الله تعمل في الخفاء! والله يضاعف لمن يشاء! وظني بالله أن هذا الرجل صدق مع الله في صدقته ، فتقبلها الله وباركها من فوق سبع سماوات ، والله تعالى أعلى وأعلم! فهل وعى ذلك قوارين الزمان وأنداله وأنانيوه ومن يعيشون لأنفسهم فقط فلا يتعدى خيرهم إلى غيرهم أبداً؟! يقول الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت - حفظه الله - وتحت عنوان: (المروءة) ما نصه: (إن المسلمين قد اختلطوا بغيرهم من الأمم ، وتداخل الناس حتى صاروا إلى ما صاروا إليه ، مما أثر سلباً على كثير من أخلاق المسلمين ، وجعل كثيراً منهم يتحللون ويتخففون من كثير من المون التي من شأنها أن يرتفع بها الإنسان ويسمو ، ويكون على حالة مرضية من الأخلاق ، ومقومات الإنسانية ، فهم قد اختلطوا بأقوام لا خلاق لهم ، ولا يرفعون للمروءة رأساً ، ولا شك أن هذه الخلطة تؤثر أبلغ تأثير. والأمر الآخر: وهو ما حصل من غلبة المادة على كثير من المسلمين ، فصار هم كثير منهم أن يحصل بغيته ومطامعه ، ولو كان ذلك على حساب الأخلاق ، ولو كان ذلك على حساب كرامته وشيمته ومرتبته عند الله - عز وجل -

وعند خلقه ، فإذا تهافت الناس على هذه المادة ، وصارت شغلاً لهم ، وصارت هي غاية مطلوبهم فإنهم بعد ذلك قد لا يرفعون رأساً لمكارم الأخلاق ومحاسن العادات. وهناك أمر ثالث: وهو أن الإنسان مدني بطبعه ، فلا بد له من مخالطة ، وهذه المخالطة تقتضي أموراً يجب عليه أن يفعلها ، من إكرام الضيف ومن الإحسان إلى الأهل والجيران والقربان ، إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التي يتعين عليه أن يؤديها ، وأن يقوم بها على الوجه المطلوب ، ثم أيضاً لا يخلو الإنسان من أزداد ، ولا يخلو الإنسان ممن يسيء إليه بكلمة أو بفعل أو بغمز أو همز أو لمز أو بغير ذلك. وأنت تسير في الطريق لربما ألقى عليك إنسان لا يحسب حساباً للكلام لا تليق ، فماذا تصنع؟ هل تنزل فتكون مساوياً لهذا الإنسان في أخلاقه ودنائه وتقاصره عن المطالب العالية ، وبالتالي تكون قد ساويته. وأنت تتحدث في الهاتف لربما أخطأت الرقم المطلوب ، وابتليت بمن لا خلاق له فسمعت منه ما لا يرضيك ، فهل تتناول مع هذا الإنسان بالسباب والمشاتمة؟ تكون إذن قد ساويته. لربما ترتبط مع إنسان في عقود ، أو في عهود أو في مبيعات ومعاملات أو شراكة أو غير ذلك ، فترى من ألوان المظل والظلم وأكل حقوق الناس والكذب وإخلاف المواعيد ، فكيف تستخلص حقه؟ وكيف تحرز نفسك من ظلم هؤلاء الذين لا يعبؤون بحق ، ولا يراعون ذمة ولا عهداً ، فهل تبقى معهم في حال من المهارشة تنزل فيها عن مستواك الرفيع فتصل إلى دركات هابطة من أجل أن تستخلص هذا الحق ولو كان حقيراً؟ فأقول: الإنسان بحاجة إلى أن يضبط نفسه في مثل هذه المقامات جميعاً ، فهذا أمر لا بد من معالجته. نحن نرى في كثير من الأحيان والأحوال خللاً في مظاهر المروعة في حياة الناس ، في اجتماعاتهم ، وفي معاملاتهم ، وفي مناسباتهم وفي غير ذلك مما يتعاطونه ، فإذا ترك الناس ولم تصوب أفعالهم ، ولم يحصل التواصل الذي أمر الله - عز وجل - به ، فإن الناس يسرق بعضهم أخلاق بعض ويتأثرون ، شعروا بذلك أم لم يشعروا ، وكما قيل: الطبع سراق ، والناس كأسراب القطا جبلوا على تشبه بعضهم ببعض ، فإذا تركت هذه المظاهر من غير معالجة ، فإن ذلك لا يلبث أن يتحول إلى خلق لعامة الناس ، ويصير فيه أصحاب المروعات غرباء كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود). هـ. جزى الله خيراً أستاذنا الدكتور خالد على هذه الموعظة عن المروعة! وتحت عنوان: (صدقة نقية من نفس تقية) يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه بتصريف: (قال الله سبحانه وتعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ، فالله عز وجل بين صورة المضاعفة هنا ، فقال: كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ: سنابل من جموع الكثرة ومع أنها سبع ، لكنه قال: (سَنَابِلٍ) استعمل جموع الكثرة ، وفي قصة يوسف قال: (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ). سنبلات من جموع القلة ، فاستعمل في السبع هنا في الرويا جمع القلة لأنه لا مبرر للتكثير مع أنه سبع هنا وسبع هناك ، لكن في السبع التي في آية الصدقة ، قال عز وجل: أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ: جمع كثرة في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ، لأن المقام مقام تكثير وتضعيف فالسبع في مائة سبعمائة ، وغير السبعمائة أضعاف كثيرة فوق السبعمائة. وقال الله سبحانه وتعالى: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ما هو المشبه؟ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ، شبهوا بأي شيء؟ ما هو المشبه به؟ الحبة. إذا: شبه المنفق بالحبة ، مع أن المثل فيه منفق ونفقة وبذر وبذرة ، فاختر المنفق من الشق الأول ، والبذرة من الشق الثاني ، واختار من كل شق من المثل أهمه ، مع أنه هنا يوجد منفق ونفقة ، لكن المهم هو المنفق يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، واختار هنالك البذرة ؛ لأنها هي التي تنمو وتكثر ولا يهتم من الذي بذرها بالنسبة للمثل ، فاختصره وجاء به في غاية البلاغة. ولقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حريصين كل الحرص على الصدقة ، حتى أن أحدهم كان إذا ما وجد مالاً يتصدق به ؛ يذهب إلى السوق يشتغل حمالاً لكي يتصدق من الأجرة. قال البخاري رحمه الله في

كتاب الإجارة ، باب: من أجر نفسه ليحمل على ظهره ثم تصدق به وأجرة الحمال. وقال أبو مسعود الأنصاري: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل - يعمل حمالاً - فيصيب المد - أجرة الحمال - لكي يتصدق به ، ثم قال أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه: وإن لبعضهم لمائة ألف - أي: بعد الفتوحات - ما تراه إلا نفسه). أي: أنه قصد نفسه ، كان يذهب إلى السوق ويعمل حمالاً ويتصدق وهو اليوم فتح عليه ما فتح وصار له مائة ألف. وينبغي على الإنسان المتصدق أن يراقب وجه الله ، ولا يبالي بمن يتكلم عليه من الناس ، فالمنافقون تكلموا على المتصدقين من المؤمنين ، ففي حديث أبي مسعود المتقدم (لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير ، فقال المنافقون: مراني ، وجاء رجل وتصدق بصاع ؛ شيء قليل ، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا ، فنزلت: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ) يعني: المتطوعين من المؤمنين في الصدقات (وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ). كان الصحابة رضوان الله عليهم يسارعون في الصدقة رجالاً ونساءً ، ولما حثهم الرسول عليه الصلاة والسلام على الصدقة جاء رجلٌ بصرة كادت كفه أن تعجز عنها بل قد عجزت. وتتابع الناس بالصدقات). هـ. ونسأل الله أن نكون من ذوي المروءات المؤمنين الموحيين النبلاء الأجاويد! أولئك الأقسام الذين ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة!

ربح العطاء اليوم بالأضعاف!	سبحان من قبل العطا ليكافي!
درس لكل مقتدر ، أمواله	عزت عليه ، فعاش دون كفاف
وجهير موعظة تفتن من وعي	ليعيش في عز ، وفي استشراف
وجميل تبصرة تداعب سامعاً	يسعى لمرضاة الإله الكافي
وعظيم ذكرى يستضي بنورها	شهم يتوق لسؤدد وطراف
وبهي تذكرة تهيب بمن غفا	فانساق نحو الشخ والإرجاف
وجليل تنبيه يعيد من ارعوى	للخير أن ينأى عن الأسلاف
إن (الغريب) جاد ينشد أجره	وثوابه عند المليك الشافي
لم تغره الدنيا بزخرفها الذي	يصبو إليه الناس بالآلاف
لم يستشز أحداً ، ولم يك وانياً	بل جاد جود الروضة المناف!
لم يأل جهداً في مساعدة الوري	بمحببة وتراحم وتصافي
لم يتخذ لغة النقود وسيلة	ليذل خلق الله بالإجفاف
لما يقل عندي التزامات طغت	أقابيل الطلبات باس تعفاف؟!
لما يقل: إن الحقوق كثيرة	ماذا تفيد حصيلة المستاف؟

مِن أمةٍ تُغنى بشأنِ ضعافِ
بسعيها وأوارها المتجافي
إيتوا به ، دعكم من استخفافي!
حُكمٌ بلا نقض ولا استئنافِ
من حوله برجتُ قرىً وفيافي
مُلائمه رباله الأشرافِ
ما عاد يدمغم جوى استضعافِ
وعلىكم فيها الجلال الضافي
واستشعروا دفاء الإخاء الوافي
بالفضل والإحسان والإنصافِ
ومن الهوى قولوا: اشفنا يا شافي
لمن اتقى الإحسان نبغ صافي
حتى يسود هنا الوداد الكافي
وأصوغه شعراً بخير قوافي
أسخى - على الفقرا - من الرجاف!
لمضت بشر حجارةٍ ولخاف
بأمدح فيما ذكرتُ لطاف
نَدتُ عن الإكفاء والإصرافِ
سعدتُ بسبك النظم والألافِ
أطري العطاء بنبرة الإيلافِ
ويزيد صنعتها قوى وعوافي

لم يشك حاجته لأسرة من قضى!
لما يُعرَض بالتكاليف اكتوى
لما يقل بيتي ، وذا إيجاره
بل قال: لقيانا القضاء مصيرها!
وهناك تمتلكون بيتاً عامراً
لما يُعد للبيت قط مؤجراً!
فاستمتعوا بالبيت صرتم أهله
وتفياوا ظل الشرافة في الدنا
واستصحبوا أرج الكرامة في الورى
واستكثروا من حمد رب خصني
وتمثلوا الأخلاق دين (محمد)
وتذكروا فضل الإله لتحسنوا!
فلتبذلوا - للناس - خير عطائكم
أنا يا (غريب) أحتفي بصنيعكم
وأجل همة باذل متصدق
أسخى من الريح التي إن أرسلت
ولذا خصصتك بالقصيدة مطرياً
خمسون بيتاً ، زدن خمساً أحكمت!
بقصيدة شرفتُ بطيب فعالمكم
وحبكتُ في هذي القصيدة فكرتي
واخترتُ (كامل) بحرهما ليزينها

بتفاضل وتوازن وتكافئ
لم تحو - في التنظير - من إحصاف
لمعت بهن قوادم وخوافي!
وأخصها بالمدمع الذراف
والجوذ أمسى ناني الأكناف
إذ أصبحت كالكالات ، أو كإساف
سكنت ضمائرَه وكل شغاف!
ليعيد - للأيتام - كل عفاف
والله يعلم وحده بالخاف!
أنا ما غشيت دياركم لتخافي
أنا ما أتيت أثير أي خلاف
وببعض حق المعدمين أوافي
مرعية الأغراض والأهداف
وتنزهت عن سييء الأوصاف
والله أخلص غايمة الإخلاف
إن المهيمن بالمزيد يكافئ
وهناك مليون بلا إحصاف
والذكريات تمرر كالأطراف!
حتى يبارك منحتي ، ويكافئ!

ثم انتخبته محلاً ألفاظها
وأردتها حولية قيمية
تخال كالأوس ضم زخارفاً
وظفقت أوسعها صدئاً ويئوعه
أبكي على القيم الأصيلة فارقت!
من بعد أن غدت الدراهم قبلة
غبت ، ودان لها قطيع شارد
فإذا أنا بابن (الخبابي) انبرى
ويعيد للألم الكسيرة عزها
ويقولها: فلتأمني ، يا أختنا
أنا ما طرقت الباب حتى تجزعي
بل جئت أخدمكم ببعض مروعتي
وأسوق مكرمة تأخر وقتها
جلت عن النفع الزهيد وأهله
وأردت وجهه الله ، هذا مقصدي!
وإذا الملايين الدراهم خصصت!
هذي الملايين الدراهم عشرة
والفقر زال عن الجميع أنا وهم!
والحمد للمولى ، هداني للعطا

تلميذي البار شكراً!

(دخل القاعة لحضور حفل تكريمه ، إثر زيارته للعراق ، وذلك بعد غياب دام أكثر من 15 عاماً! فمن يا ترى ذلك الإنسان؟! إنه باختصار كبير استشاريي أمراض القلب ، في المستشفى الملكي بلندن ، طبيب القلب الدكتور العراقي ضياء كمال الدين. وعند مدخل القاعة استوقفه منظر بائع جرائد كبير السن مفترشاً جرائده على الرصيف. وراح يحاول أن يتذكر: من هذا؟! وأغلق الطبيب عينيه ثم سرعان ما فتحهما. كل ذلك لأنه يحاول أن يتذكر متى التقى بهذا الإنسان؟ وأين؟ ومن هو يا ترى؟ وفجأة تذكر ملامح هذا الرجل العجوز المحفورة في ذهنه! إنه حقاً معلم اللغة العربية الذي كان يدرسه صغيراً في المتوسطة! فجرجر نفسه ودخل القاعة ثم جلس جلوساً لا يرضى عنه! غير أن ذهنه بقي مع بائع الجرائد ، ذلك الرجل المعلم المسكين! وعندما نودي على اسمه لدى حلول فقرة تقليده وسام الإبداع ، قام من مكانه ، بيد أنه لم يتوجه إلى المنصة ، بل توجه إلى خارج القاعة... راح الكل ينظر إليه في ذهول... أما هو فقد اقترب من بائع الصحف ، وتناول يده فسحب البائع يده وقد فوجئ وقال: عوفني يا ابني ما راح أفرش هنا مرة أخرى ، رد عليه بصوت مخنوق: أنت أصلاً ما راح تفرش مرة أخرى بعد اليوم ، أرجوك بس تعال معي شوي.. ظل البائع يقاوم ، والدكتور يمسك بيده وهو يقوده إلى داخل القاعة.. تخلى البائع عن المقاومة وهو يرى عيون الدكتور تفيض بالدموع وقال: ما بك يا ابني؟ لم يتكلم الدكتور وواصل طريقه إلى المنصة ، وهو ممسك بيد بائع الجرائد ، والكل ينظر إليه في دهشة ، ثم انخرط في موجة بكاء حارة وأخذ يعانق الرجل ويقبل رأسه ويده ويقول: أنت ما عرفنتي يا أستاذ "خليل"؟ وحاول الدكتور أن يقاوم مشاعره ودموعه فلم يستطع! وراح الأستاذ يفعل الشيء ذاته فلم يستطع إلى ذلك سبيلاً! وقال المعلم لتلميذه: لا والله يا ابني العتب على النظر... فرد الدكتور وهو يكفكف دموعه: أنا تلميذك "ضياء كمال الدين" في الإعدادية المركزية... لقد كنت الأول دائماً... وكنت أنت من يشجعني ويتابعني سنة 1966 م ونظر الرجل إلى الدكتور واحتضنه تناول الدكتور الوسام وقلده للأستاذ وقال للحضور: هؤلاء هم من يستحقون التكريم..والله ما ضعنا وتخلفنا وجهلنا إلا بعد إذلالنا لهم.. وإضاعة حقوقهم وعدم احترامهم وتقديرهم بما يليق بمقامهم وبرسالتهن السامية.. إنه الأستاذ خليل علي أستاذ اللغة العربية في الإعدادية المركزية.. ببغداد! وأخذ الدكتور معلمه على جنب بعيداً عن الكاميرات وأعطاه من المال ما يجعله في غنية عن بيع الجرائد! وبذلك يكون قد جمع على أستاذه الحقيقين: الحق المعنوي من التكريم والتقدير ، والحق المادي من المبلغ المعتبر الذي يغنيه عن بيع الجرائد! إنها قصة حقيقية فيها عبرة وفيها رد اعتبار لمن نذر نفسه لتربية جيل من العلماء والأطباء لخدمة المجتمع وليس لتوزيع أموال الشعب على حثالة الشعب من الحرامية والساقطين واللصوص. وعند مطالعتي للقصة الجميلة تلك تأثرت بها جداً ، واحترت عن الشخصية التي أنشد على لسانها القصيدة! وأخيراً اخترت المعلم لكوني معلماً في الأصل! فتخيلت ذلك المعلم يشكر تلميذه المؤدب الكريم! ولا أزكي على الله أحداً! واليوم يمنع المعلم عن التدريس إن عاقب طالباً بلكزة أو كف أو كلمة! وتحت عنوان: (أعيدوا المعلم لوظيفته) تقول الدكتورة خيرية السقاف في إدارة تعليم الأحساء صدر القرار بإقصاء معلم عن مهنته لأنه ضرب تلميذاً كفاً عابراً شاهداً ، لا يختلف عن كف يمكن أن يتلقاه من أبيه. والمشهد المرئي للواقعة يجيب: المعلم نفذ صبره ، كرر توجيهه للطالب مراراً أن يستقر ، أن يصغي للدرس ، أن لا يثير الضحك في الفصل ، لم يستجب. الطالب بدا عنيداً مستفزاً ، يسأله فلا يجيب ، يكرر السؤال إليه بأنه طلب إليه عدم إثارة الشغب فإصمت ، لم يجب معلمه إلا بعد أن نهره. السؤال: أولو كان هذا الطالب يتصرف هكذا مع أمه ، أو أبيه في البيت فما ردة الفعل التي ستكون منهما؟! مما رأينا هناك محفزات لغضب المعلم ، والمعلم أب إذ كيف نطلب من المعلمين أن يكونوا آباء من جهة ، وننكر عليهم أن يعاقبوا أبناءنا من جهة أخرى ، فيكون عقابهم إيقافهم عن العمل ، والأولى التوجيه ولفت الانتباه ، وليس قطع مصدر الرزق عنهم. ثم أهذا هو الحل الأمثل أن يمكّن الصغار بقوة القرار من معلمهم مع أخطائهم تجاه معلمهم؟ فما العقوبة التي قررت على الطالب

ذاته؟ من خلال العديد من قضايا التعامل بين الطلبة المشاغبين ، وتلك القرارات التي تصدر من قبل إدارات التعليم ، فإن حاجة ماسة إلى ضبط القرارات الإدارية ضبطاً صارماً ، وتقييد العقوبات في حدود علاقاتها بحوثيات الواقعة ، وتحديد الصلاحيات إذ يمكن أن تحل مثل هذه الأمور داخل المدرسة ، وشمل الذين تقع عليهم النتائج من طالب ، ومعلم ، إضافة إلى الأسرة. هناك بلا ريب خصائص العمر التي يكون فيها المراهقون يمرقون ببعض سلوك ، ينبغي أن يتدبر شأن التعامل معه المعلم داخل ، وخارج الفصل ، إذ عليه أن يتأني ، ويحلم ، ويتجاوز داخل الفصل ما استطاع ، أو يحيل الطالب في لحظته إلى الإدارة ، لكن لا ينبغي ألبتة أن يتعرض لعقوبة قصوى تمس قيمة المعلم ، وتوغل بإيقافه عن العمل. لو كنت مكان إدارة تعليم الأحساء لرددت الأمر إلى المدرسة ، لعملت على رد اعتبار للمعلم ولتقدمت بالاعتذار عن القرار ، ولطلبت من الطالب تقديم الاعتذار له. ولو كنت مكان الأسرة لمنحته حق الأبوة في لحظة غضب ، حيث داخل الفصول حين يحرض طالب على الشغب قد تفلت أعصاب المعلم من فوضى قد يثيرها ، واستفزاز عام قد يبدر من مجموعة الطلبة داخل الفصل. فاسألوا المعلمين ، والمعلمات بمثل ما تسألون الآباء ، والأمهات عن عبث فوضى المشاغبين في الفصول ، كما في البيوت. فأعيدوا للمعلم مهابته ، دون أن تنسوا توجيه الطالب لما أخطأ فيه).هـ.

فهمتُ قصدك ، نعم الفضل والجود!	إن الذي جئت مأمولٌ ومقصودٌ
وما تخيلتُ تلميذاً يورقه	ردّ الجميل ، لأن العُرف مفقود
درستُ - والله - أجيالاً بليتُ بها	حتى دهنتي عذاباتٌ وتنكيد
والشيبُ أكمل مشوار الحياة أسى	والوجه غارت - بمراه - التجاعيد
والعظمُ أوهنتِ الكروبُ قوته	وجرحُ نفسي لم يسعفه تضמיד
والرأسُ بالشيب رغم الأنف مشتعلٌ	والقلبُ - من ثقل المأساة - مفؤود
ولم يعد يحتفي في الناس بي أحدٌ	كأنني - في عداد الخلق - مفقود
أين الدروس التي علمتُ في جلدٍ؟	وأين نصح ، وإنذار ، وترشيد؟
وأين توصية من بعد تبصرة؟	وأين فقه ، وتفسير ، وتوحيد؟
وأين توعية زينت لسامعها	فلم يشبها - يمين الله - تعقيد؟
وأين ما شددت من جلى ومكرمة	فيكم؟ وأين أساسات وتوطيد؟
وأين علم على التحقيق جُدتُ به؟	اليوم يبكي عليه البذل والجود!
وأين منظومة الأخلاق ضمناها	وعظي لكم ، ولها صدقٌ وتجديد؟
وأين ما صغت من تقوى ومن قيم؟	كان ما صغت تنصيرٌ وتهويد!

أم قناد منهجنا - بالأمس - تلمود؟
شهم ، وسعئك - للخيرات - محمود
وقل - في أهله - الأماجد الصيد
ولم يعد - في الورى - الشم الأجاويد
حتى دهى عزمه فقر وتشريد
فعاش يكويه تنغيص وتسهيد
يوماً يزاحمها يسر وتأييد
والعيش مرتصد ، والعمر معدود
وغال شوق - لحب العيش - منشود
كأنني في الدنا - بالبؤس - موعود
كي لا أمد يدي ، والأمر معهود
وفي البليّة تحدوني المواجيد
أما لساني ، فلم يفتنه تحميد
هل عن يقين أنا - يا ناس - محسود؟
هل يحسم الضنك هذا القبر والدود؟
أولى ، فمثلك دكتور له (كود)!
فهل يعيدهما مدح وتمجيد؟
في الجيد ضعها لقد يهنا بها الجيد
كأنني اليوم - يا دكتور - مولود
والكل طالعها ، والنص مشهود
هذا الصنيع الذي تأتي الصناديد
وقال: يأتي الذي جنت الأماجيد

ألم يكن من كتاب الله منهجنا؟
بني شكرًا على التقدير ، أنت به
أكرمتني في زمان ما به كرم
مضى الغطاريف ، شيعنا جنازتهم
وللمعلم - في الإقصاء - حصته
يا ليت شعري كيف الفقر جندله؟
قست عليه ظروف العيش ، يحسبها
ولم يعد يشتهي عيشاً يطول به
غاضت شبيبته ، والوهن سربله
وضيق ذات يدي وافى بقسوته
بعث الجرائد لما احتجت يا ولدي
وكم أحوقل إن ذكرت مدرستي!
مسترجعاً أسفاً أبكي ، وبني وجل
وكم تُساورني رؤى وأخيلة!
وكم يُعنفني جحيم أسئلة
بني شكرًا - على التكريم - أنت به
أما أنا فمضى صيتي ومنقبتني
ارفع قلاذك التي خصصت بها
تكريمهم لك تتويج لمنزلتي
أما رسالتك الشهباء ، فقد وصلت
والكل أكبر ما صنعت محترماً
والكل أولاك إطرأً وتزكية

وزاحمتها - على التو - الزغاريد
عليّ سرّاً ، وقلت: الحق مردود!
والذين يُعقِبُه - لا بد - تسديد
وظاب يومّ بدا ، كأنه العيد!
فزايلت ساحتي أعوامي السود!
ما كان في عيشتي القعساء تجديداً!
ولا يُغلف ما أقول تمجيداً!
نحن العبيد ، ورب الناس معبود
وعشت يحدوك إسعاداً ، وتغريد
أخذاً يتوق - له - البُلّة الرعايد
هدى الرسول ، عليه العزمُ معقود
تزف بذلك - للخير - الأغاريد
وكل لفظٍ بها - للخير - تمهيد
أوصيك خيراً به ، والنصح تجريد
رضا المهيمن ، ولتمض المواعيد!
مراراً الفقرُ ، والإملاقُ منكود
لا يستوي الشح في الميزان والجود!
وليس يسبق أحراراً عبايداً!
ولا يُقنطهم - في الجود - تزهيد
فما لهم - في العطا والبذل - مجهود
ولا يحبون من عطاه موعوداً!

والقاعة امتلأت - بالفرح - أجمعها
بنيّ شكرًا - على الأموال - جُدت بها
كأنه الذين قد وافى له أجلّ
جمعت لي معنويّ الحق في ملاء
وجدت - بالمال - يا دكتور محتسباً
لو بعت عقدين - في شغل - جراندهم
لم أدخر عُشر ما أعطيتني رؤفًا!
كأنما ساقك الرحمن تنقذني!
بنيّ حُزت الهنا والخيرَ أجمعه
وقاك ربك شحّ النفس ، إن له
وعشت عفأ عزيز النفس متبعأ
وذمت ترفل - في النعماء - مؤتلقأ
هذي الوصية ، فاعمل يا طبيبُ بها
وبين مرضاك محتاجٍ ومبتئسٍ
قدّمه فوراً على سواء مرتجياً
وقم ببذل الدوا لمن - به - عوزُ
والعُرفُ باق ولا يمضي العطاء سُدىً
أهل العطاء وأهل الشح ما استويا
للجود خلقٌ به - بين الورى - عُرفوا
وفي الأنام شحاحٌ أهلٌ مبخلّةٍ
والناسُ أحبّابٌ من جادوا ، ومن بذلوا

سنسافر أنا والكتب!

(إنها قصة حقيقية قصيرة حدثت للأستاذ القارئ الصومالي الفاضل عبد الرشيد صوفي - حفظه الله تعالى - حكاها بنفسه! والأستاذ القارئ المحترم عبد الرشيد بن علي بن عبد الرحمن صوفي ، لمن لا يعرفه ، هو من مواليد (1964) ، وهو قارئ للقرآن الكريم ، ومفت سابق في الصومال ، ويحمل الجنسيين الصومالية والقطرية. ولد في الصومال واستقر في قطر عام 1991م. وتخرج على يديه الكثير من العلماء والقراء والمفكرين والأدباء ، وأنشأ المدارس والمراكز العديدة لتعلم القرآن وتعليمه ، وآخرها مسجده المشهور في مقديشو المسمى بمسجد الشيخ علي صوفي ، وكأنه سماه باسم أبيه ، وهذا من بر الوالدين ولاشك. ويعمل الآن كإمام بجامع أنس بن مالك بالعاصمة القطرية الدوحة. كما يشارك كحكم معتمد في مسابقات تلاوة القرآن ، ومن ذلك مشاركته في التحكيم في مسابقة تيجان النور ، التي تقام سنويًا من قبل تلفزيون ج القطري! وأما عن دراسته: فلقد أتم حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره ، كالأنمة العظام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم! ثم أتقن علم التجويد على يد والده الشيخ علي بن عبد الرحمن بن صوفي برواية حفص عن عاصم ، وبعد ذلك القراءات السبع عن طريق الشاطبية ، واستمع لشرح الشاطبية من والده أكثر من ثلاث مرات وحفظها. وأما عن رحلته إلى مصر لطلب العلم: فلقد رحل إلى مصر لاستكمال علم القراءات في أكتوبر عام 1981م ، وهناك انتظم في معهد القراءات ، ونال الشهادة العالية في القراءات العشر من هذا المعهد. وأجازه الشيخ محمد بن إسماعيل الهمداني إجازتين بسنده المتصل إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ؛ الأولى: في القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة ، والثانية: في القراءات العشر من طريق الطيبة. وأما عن سفره إلى قطر: فلقد قدم إلى قطر عام 1991م ، حيث عمل منذ قدومه بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - بوظيفة إمام وخطيب بجامع أنس بن مالك - بمنطقة السوق المركزي بالدوحة. وهو يحمل الجنسية القطرية الآن. والجدير بالذكر أن الشيخ عبد الرشيد صوفي هو أشهر قارئ في الصومال. وأما عن قصته والتي هي موضوع قصيدتنا ، فيحكيناها بنفسه فيقول بأنه عندما كان يدرس في القاهرة ، وأزمع الرحيل منها إلى الصومال ربما في أولى سفراته! وكان قد تجول في أسواق القاهرة القديمة ، حيث الكتب التراثية العظيمة وأسفار العلم الجليلة ، وبأسعار خيالية رخيصة جداً! فقام الأستاذ بشراء كميات كبيرة من الكتب ، وعبأها في كرتين كثيرتين! وحملها إلى المطار ، وهناك كانت المفاجأة ، حيث قال الموظف: إن على هذه الكرتين رسوم وزن زائد عن الحد المسموح به كذا وكذا! وذكر مبلغاً كبيراً ليس مع الأستاذ عبد الرشيد منه قليل ولا كثير! فقد أنفق كل ما لديه من المال على الكتب! وقال: والله ما عندي علم بإجراءات السفر والوزن الزائد! بل كان يعتقد كما ذكر أن المسافر يسافر بكل أمتعته التي يحب والأحمال التي يشتهي دون قيدٍ أو شرط! فقال الموظف: هذه قوانين السفر ، وأنا أقترح إما أن تسافر أنت وتترك هذه الكتب ، أو هذه الكتب تسافر وحدها وتترك معنا هنا في مطار القاهرة! مضيفاً أنه يتحدى الأستاذ أن سفره بالكتب بدون دفع الرسوم من عاشر المستحيلات! فقال له الأستاذ في ثقة المؤمن وإيمان الوثائق: سنسافر أنا والكتب! وأنا أيضاً أتحداك! وحظ الأستاذ كان في أرقى درجات حلاوته وعدوبته ، حيث كان أمامه سويغات على موعد إقلاع الطائرة! فكان أمامه بذلك مجال لأن يسعى ويتحرك يمناً ويسرة ربما وجداً حلاً لهذه المعضلة! واتجه فوراً إلى الصلاة في مسجد مطار القاهرة على حد قوله! وهناك أخذ معه تذكرة الطائرة ووضعها

داخل جواز سفره ، واتجه للصلاة! وهناك في المسجد دفع به المصلون جميعاً إلى المحراب ليصلي بهم لما ارتأوا من سمته ولباسه ولحيته ، ولربما كان أحدهم يعرفه والله أعلم! يقول: وفي الصلاة تلا قول الله تعالى من سورة النمل: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله؟) ويردها متأثراً متذكراً حاله وتعقيد مسألة السفر! فلما فرغ من صلاته رأى رجلاً من المصلين خلفه عليه وقار وله هيبة ، وكان قد لبس لبساً رسمياً عليه الشارات والنجوم والنسور والنياشين! ولم تكن هنا الغرابة ، بل كانت الغرابة عندما رأى الدموع تنهمر من عينيه! وهم الشيخ بسؤال الرجل ما يبكيك! ولكن الثاني طلب من الأستاذ القارئ لو خمس دقائق يكمل المشهد من سورة النمل بهذه القراءة الحلوة! يقول الأستاذ عبد الرشيد صوفي فاستأنست واستبشرت خيراً ، فلما قرأتُ بناءً عن طلبه أجهدت بالبكاء وأخذت النحيب يعلو وكان جواً جنائزياً من رآه ظن أن الرجل فقد عزيزاً عليه لتوه! فغلما فرغتُ من القراءة طلب مني أن أشرب معه الشاي في مكتبه! فلم أتردد ووافقت على الفور! وإذا بالرجل هذا مدير أمن مطار القاهرة الدولي! وسألني عن حالي وحلي وترحالي! فحكيت له الموضوع كاملاً وأن معي كراتين كتب حالت دون إكمال إجراءات السفر! فقال لي: أبشر ستسافر أنت وكتبك إلى الصومال ولا تنسنا من صالح دعائك يا شيخ! وطلب المدير الموظف إلى مكتبه والشيخ لا يزال ضيفاً عليه! وجاء الموظف الذي لما رأى الأستاذ ظن أنه اشتكاه إلى المدير ، فتلعثم واحتر ماذا يقول وكيف يتصرف! وقطع المدير عليه لعنتمه وبدد حيرته عندما بدأ بالنهاية وهي قوله: اذهب مع الشيخ وأنه له إجراءات سفره وكتبه فوراً! يقول الشيخ وانتهت الإجراءات في ثوان معدودة! وانطلقت من المدير إلى سلم الطائرة التي سوف تقلع بعد ساعة! وتذكرت قول الله تعالى من سورة النمل المباركة: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويجعلكم خلفاء الأرض؟ أإله مع الله؟) وأدركت لطف الله ربي ونحن بين يدي قصيدتنا: (سنسافر أنا والكتب!) يطيب لنا أن نبتهل إلى الله أن نكون جميعاً مخلصين لله تعالى في السر والعلن! ونسأله أن يجعلنا نتعرف إليه في السراء والضراء! ونسأل الله تعالى أن يجعلنا في كل أحوالنا نحسن الظن بالله تعالى! والحقيقة أننا يجب أن نحسن الظن بالله تعالى في كل أحوالنا! وينبغي أن ندرك جيداً أن الله تعالى لا يريد بنا ولنا إلا الخير المحض واليسر المحض! مهما بدت الظروف متعكسة والأحوال متشاكسة ، فإنه ينبغي لكل مؤمن ومؤمنة أن يحسنا ظنهما بالله تعالى! قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (ولا ريب أن حسن الظن بالله إنما يكون مع الإحسان ، فإن المحسن حسن الظن بربه ، أنه يجازيه على إحسانه ، ولا يخلف وعده ، ويقبل توبته ، وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه ، وهذا موجود في الشاهد فإن العبد الأبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به ، ولا يجمع وحشة الإساءة إحسان الظن أبداً! فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته ، وأحسن الناس ظناً بربه أطوعهم له). هـ. كما قال الحسن البصري: (إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حيث يذكرني". عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن حسن الظن بالله من حسن العبادة". رواه أحمد وأبو داود. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي". عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَحَسَّسُوا ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ

إخْوَانًا." رواه أحمد والبخاري. وعن الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله عز وجل مائة رحمة ، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق ، وتسعة وتسعون ليوم القيامة." قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة ، وما أول ما يقولون له! إن الله عز وجل يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا رب ، فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك ، فيقول عز وجل: قد وجبت لكم مغفرتي". عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد". وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بسبي ، وإذا امرأة من السبي تحلب ثديها ، كلما وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ ، قالوا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه ، فقال: والله ، الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها". وعن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت ، فقال: "كيف تجدك؟ قال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن ، إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه مما يخاف". وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل ، قال: "ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة ، ولو عملت من الخطايا حتى تبلغ عنان السماء ما لم تشرك بي شيئاً ، ثم استغفرتني ، لغفرت لك ولا أبالي. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «حسن الظن من حسن العبادة».

[أحمد وأبو داود]. وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : لله درُّ ابن عباس إنه لينظر إلى والحرص غرائز الغيب عن ستر رقيقه. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (الجبن والبخل يجمعها كلها سوء الظن بالله). والآن لنطالع ما كتبت في هذا الخصوص بشأن الأستاذ المسافر ومعه كتبه الأستاذ عبد الرشيد صوفي لنذكر أن الله تعالى لا يتخلى عن أهل القرآن الكريم!

سـبـيـحُ إلهـك بُكـرة وأصـيـلا	وأطـلُ دِعاـك ، واقـرأ التـنـزيـلا
واحمـدُ مليـك أن أجـاب مُسـخـراً	من أكرمـوك - كما روـيت - جزـيـلا
واشـكـرُ لربـك جـوده وعطـاءه	والله خـولـك الـدعا تخـويـلا
وكفـاك مُؤنـة ما لقيـت من الأذى	فالله خـيـرٌ كافـياً ووـكـيـلا
واضـرغُ إليـه مـردداً آلاءه	لك ذللتُ - بين الـورى - تـذليـلا
لم تـسعَ مضطراً إليـها باذلاً	عـزاً به جنـت الحـياة جـليـلاً
لما نزلت السوق راجت كُتـبها	ويمينك السـمحاء كانت طـولى
وقد اشـتريت من المـراجع حصـة	تـحوي روى أهل القـرون الأولى

وغدت تراثاً بئداً مغفولاً
تهدي - لأتوار الحقائق - جيلاً
لمن اشتهها ، بكرة وأصيلاً
يهوى العلوم ، غداً بها بهلولاً
والكتب أثقل منهجاً وخمولاً!
تفسير ما يسـتبعـد التـأويلاً
والشرخ أعمق إن تعاضم طولاً
ورجالها وبطونها وأصولاً
لما يكن خبراً بها معلولاً
لم تحو - من وهم الرواة - فتيلاً
والضيف أزمع - في المساء - رحيلاً
والسفر كان مباحاً وطويلاً
إذ ما اصطحبت لِمَا انتويت دليلاً
غذراً ، وساق - لحل لغزك - سُولاً
قد شككت عبناً - عليك - ثقيلاً
عن دفع رسم يبتغي التحصيلاً
إذ ما عدلت - عن القرار - عُدولاً
وإذا التحدي الفذبات دليلاً
ومضيت تُهرغ - للصلاة - عَجولاً
لله ترجو - في البلاء - خُلولاً
يهوى الكتاب ، ويعشق الترتيلاً
يك - في السماع - مشوشاً مشغولاً

ومن القواميس انتهت طبعتها
ودوانراً لمعارف مطروقة
ومعاجماً فيها اللغات تزينت
ومن الدواوين احتفت بمطالع
وحملت أسفاراً تعذر حملها!
ومن التفاسير احتوت أجزاءها
ومن الشروح قد اشتكت من طولها
ومن التراجم غدت أنسابها
ومن الحكايا حُقت أخبارها
ومن الروايات استبان ، واستتمت
فإذا الكراتين احتوتها كلها
قضداً إلى (الصومال) موطن أهله
وذهبت يا (عبد الرشيد) مبكراً
ثم التقيت موظفاً لم يلتمس
إما رحيالك دون كتبك ، إنها
أو أن تسافر دونها مستغنياً
وازداد حنقاً ، واستمر مغاضباً
بل زدت تعقيد الأمور صعوبة
وأخذت تذكرة بجوف جوازها
وبذلت دمك والدعاء تقريباً
وتلوت أي الذكر تأسر سامعاً
أصغى لما تلووه معتبراً ، ولم

والوجه أمسى - بالدموع - بليلا
بالنص أو غل - للفيؤاد - وصولا
يا شيخ كَمَلْ ما انتهى تكميلا
أشجى قلوباً تابعتْ ، وعقولا
ولحونها ، يا شيخ أسدِ جميلا
لك لم يجد - في القارين - مثيلا
مستصحباً - إثر البكاء - عويلا
وكأنما - للتو - شاقَ خليلا
ضيفاً ، وقدم شايه المعمولا
ورأى لقائك طيباً وفضيلا
فعسى يُقَدِّمَ مَطْمَحاً مأمولا
والمبلغ المطلبُ ليس قليلا
إما رغبت بأن تكون كفيلا
ودعا الموظف أن يكون نبيلا
واليك قَدَمَ غُذْرَه المقبولولا
كانت تُكَدِّرُ سَفْرَةَ ورحيلا
من بعد أن لم تستطع تحميلا
وأزاح غمأ - في المطار - وبيلا
غدت القراءة عادة وميولا
فالكُتُبُ ترشدُ جاهلاً ضليلا
إن البصائر - دون علم - حُولى!

وإذا بدمع العين يهطل ساجماً
بيكي ، ويُشْهد مَنْ رأى بتأثر
وإذا به - بعد الصلاة - يقولها
حَبْرُ تلاوة قارئ ، تحبيره
هذي التلاوة نحن نعشق وقعها
فقرأت ممتثلاً أوامر مُنصتٍ
فإذا به - في الناس - يجهش بالبكا
وكأنما رَجُلٌ أصيب بنكبةٍ
حتى إذا سكنت مشاعره دعا
متحدثاً بالصدق دون غضاضةٍ
وأراد يخدم راحلاً عن داره
فشكوت أن كتبي ثقيلٌ وزنها
وأراد عونك في الذي ما استطعت!
فأجاب: أمرٌ ما طلبت وواجبٌ
وحباك - من لطف التعامل - بعضه
وانحلت العقْدُ التي واجهتها
سافرت والكتبُ التي حَمَلتها
والله فرج - عن فؤادك - كربة
فاقرأ كتابك ، واستفد مما حوى
وأعز كتابك للذي هو قارئٌ
وسل المهيمن أن يبارك علمها

رسالة إلى مدير مراهق

(إنه ليفترض في أي مدير أن يكون رجلاً جاداً محترماً ، لا يجعل مسرح العمل مجالاً للعشق والغرام والمحابة والمجاملات على حساب العمل! وأنا هنا أرسل هذه الرسالة إلى مدير مراهق جعل محل عمله مسرحاً للمجاملات والغراميات الطائشة وخاصة للنساء! مع أن أغلبهن في سن بُنياته! وعسى الله أن يتوب علينا وعليه من هذه المراهقة الإدارية التي أذرت به جداً! وتكون هذه المراهقة أخس وأنكى وأقذر عندما تصدر عن مدير مدرسة! فلو أنها صدرت عن مدير كباريه ، أو سينما ، أو ملهى ، أو مسرح ، أو مرقص ، أو مشرب للخمر ، لكانت شبه منطقية ، وذلك لتغلب طبيعة العمل على وازع الضمير وهامش القيم وجانب الأخلاق! ولكن عندما تصدر عن مدير مدرسة ، ويراها ويشهدها القاصي والداني من داخل المدرسة وخارجها على السواء من المعلمين والطلاب والآباء والأمهات ، يكون الأمر أشد وأخزى! إذ المدرسة صرح تربوي ، يعلم القيم ، ويُصدّر الأخلاق ، ويهب المبادئ السامية! ومراهق قصيدنا للأسف مدير مدرسة كنتُ أعمل بها ، ولما ناصحته مرات ولم يستجب لنصائحي - رغم سرّيتها بيني وبينه ، ورغم وضوحها - كانت هذه القصيدة رداً على استهتاره المفرط وتلاعبه الجم!)

أغزك بَرَقْ - مِن سنا الحُسن - خلبُ
وسربك الإغراء يختال مائساً
وناولك القذ الرشيقي رصاصه
وأعياك عشق الغيد حتى بلوته
فواحدة يُشجيك لـين كلامها
وتخضع بالقول المثير تغنجاً
وواحدة تُذلي برأي وفكرة
وواحدة تُغري برمش ونظرة
وواحدة مكياجها يفتن الـورى
وواحدة - بالعطر - تُودي بمن غوى
وواحدة - بالغزي - تستلب الحجا
وإن يستتر القفاز كفي رقيعة
ولكنها - عن سترها - قد تنازلت
وواحدة تخلو بها دون مخرم

فبت - من التنهيد - تنعي وتندب؟
ويرمي بلحظ العين من كان يُعجب
وأخارجها - من قلبك الغر - يصعب
ولست بما يُشقيق يا صب تغضب
ففي كل تعبير صدى اللفظ يُطرب
يُفتت عزم القلب ، والروح يلهب
وأنت - لما قالت مطيع - مهذب
وأنت - بما أسدت إليك - تُرحب
ويسخر مفتوناً له الحسن مأرب
فليست عطور الغيد تُطوى وتُحجب
ومن غزيها عقل الضحية يذهب
وإن يستتر الرجلين من بعد جورب
ولما تعدد - للصون والستر - تنسب
وتزجر من يهجو خناها ، ويعتب

وتدري الذي - بعد البشاشات - يُعقب
لتنظر ما باتت تُخلي وتُخضب
وتأتي الذي سَجَلتُ بكرّ وثيب!
لناظرها ، إن كان - في الدرب - يرقب
كان بها برقٌ - تسلط - خلب!
لتأكل ما شاءت ، أو شنت تشرب
يُثير الفتى - فيهن - شَعْرٌ مخضب
صوابُ الذي يهوى يضيع ويُساب
وفي الأذن قرطٌ مُخْمَلِيٌّ مذهب
ليغتال مَنْ ود المليحة يخطب
وتحكي - عن الغيد - الحكايا وتُسهب
بنظم وتقطيع ، كأنك (قطرب)!
شباباً أرى هذي ، وأنت الأشَّيب
سُفولاً ، وإنني - من فعالك - أعجب
وأوغلت إغلالاً يُخيفُ ويرعب
ومازلت - في تيهه الكبائر - تضرب
وأنت - باتيان المعاصي - تُرخب
وأنت تُعادي ما أرى وتعيب
ونصحي به وعظ أجمل وأطيب
فتوبُ البرايا - للمليك - مُحَبَّب!

وواحدة تُغريك صَفحة وجهها
وواحدة تسببك ضربة رجلها
ومُسفحة بالصدر ، لا دين أو حيا
لها مشية يُبدي التغنجُ أخذها
بنظرة عينيها تصيدك مُحبطاً
وواحدة تُلقي - لك - الطعم سانعاً
وواحدة تُلقي الجَدائل خلفها
وواحدة تُبدي القلائد ، قصداً
فما بين عقدِ والأساور تزدهي
وفي الشعر يحتل (البروش) مكانة
وأنت بما يأتين راض وقانع
وتروي بطولاتٍ خبت ومقالباً
ألا إنها في سن بنتك ، فاعتبر
فأقصر عن العادات فاح عوارها
تجاوزت حتى قيل أشرسُ فاجر
وجاهرت بالسواى ، وأسرفت في الخنا
هداديك ، إن الموت يأتي مباحثاً
وعظتُ بأشعاري ، وبينتُ موقفي
وليس يُعاب المرءُ ينصحُ مخلصاً
عساك بما صرحتُ تُقلع تانباً

أبو رقية

(إن هذه القصيدة لها مناسبة عزيزة في الوجدان والخاطر ، لأنها مهداة لأول حفيد لي:
تميم عبد الله أحمد علي سليمان عبد الرحيم. عسى الله أن يجعله من الصالحين!)

جُذُ علينا - يا شعرُ - بالمكرُماتِ
وابذل الجهد في اصطفاء المعاني
إن هذا (أبو رقية) فاعرف
يا ابن (أوس) حلفت أهلاً وسهلاً
كم ترقبنا أن تُطلّ علينا
ثم جئت بدرأ ، وعِزاً ، وبُشرى
مرحباً يا أغلى فتى وحفيدٍ
أمك اليوم تحتفي بك ولهي
أي هذا (الداري) سدد ، وقارب
والتزم بالإسلام ، ديناً وديناً
وافعل الخير ، أنت للخير أهلّ
جيانا يا (تميم) قصّر جداً
غره حاتمُ الله حتى تمادى
ليت شعري كيف اجتثته المعاصي
ضل سعياً حتى استساغ الدنيا
فاته المجدُ والمعالي تباعاً
والقليلُ من ذلك الجيل عادوا
واجهوا التيار المعادي طوعاً
فإذا بالطاغوت يُعمل فيهم

وانتق الوزن ، والفرائد هات
كي تذف الأشواق والبُشريات
قدرَ شهم ، واغمره بالتهنئات
ففي بُيوتٍ يحنّ للأمنيات
وانظرنا السرورَ بالمعجزات
وانطلاقاً للخير والمكرُمات
صادق العزم مخلص التضحيات
وأبوك متيمّ بالحياة
واحمل الحق منهجاً بثبات
واتبع هادي الصالحين التقاة
والمليكُ يجزي على الخيرات
مؤثراً ما استطاع من موبات
في سبيل المفرطين الغفاة
واحتواه ما صاغ من ترهات؟!
شأن كل المستهترين الغواة
فاستكان للتيه والمغريات
واستجابوا للهذي والبيّنات
واستهانوا بالمجرمين الطغاة
سيف قتل يغتال كل الدعاة

أو رحيـل يُفضي إلى المهلكات
في ظلال السموم والطيبات
و(ابن عبد الوهاب) خير الهداة
إنني قد جربت هذا بذاتي
ثم عد (للتيسير) تلق العظـات
فيك فهماً يفوق جهد النبـاة
فصل كل المسائل المشكـلات
دعك مما يُقال من شائعات
لا تُصدّق زيفاً سرى بافتـات
وأحاديث وثقت برؤـاة
وروايات دُعمت بالثقات
لأصول - بهديها - واضحات
وتخصّص بالعلم والنفحات
ما تريد من شائق الأدوات
إنه سيفرّطيب الكلمات
إن أردت في العيش خير نجاة
فتعلم تلحق بركب الأبيـاة
في أناس صافوا لخير الدعاة
قبل ذكر السجود ، بل والصلاة!
بأبيك والأم ، واذكر وصاتي
عش عزيزاً يا صاح بين التقاة!

والذي ينجو سجنه في انتظار
يا (تميم) أرجو لك العيش حراً
يا فتى بالتوحيد ، فابدأ وثني
و(كتاب التوحيد) أفضل زاد
واقراً (الفتح) إن أردت مزيـداً
ثم واهتم (بالمسائل) تبني
واقراً (القرة) التي لم يفتها
صاح (وابن تيميـة) ليث غاب
قال عنه أهل الضلال دعاوى
اقراً (المجموع) احتوى كل حق
واقراً (المنهاج) الذي فيه ذكرى
وإرسن لابن القيم العلم يدعو
اقراً (الزاد) و(المدارج) تفلح
واقراً (الإعلام) المحقق تدرك
واقراً (الداء والدواء) مراراً
واقراً (الروح) باهتمام عميق
يا (تميم) لا شيء كالعلم يُعلي
آية (اقراً) كانت تُعزز نهجاً
تجعل العلم أولاً واحتساباً
يا (تميم) أوصيك بالبر سماً
والزم الشرع ، أنت بالشرع أتقى

سلطان المجنوني

(الكتابة عن القصص المحترم المشهور سلطان المجنوني ، معلم اللغة العربية المعروف تعتبر شرفاً لمن كتب! ولا أريد هنا أن أطري كثيراً ، فالأستاذ سلطان المجنوني يكره الإطراء! ولكن موقع الرجل معروف وقناته القصصية غنية عن التعريف! ولقد كان إعجابي بأسلوبه القصصي مبكراً! حيث استمعت لمنات القصص يحكيها بكل سجية طيبة وكلمات عذبة! ومن هنا كانت هذه القصيدة تعبيراً عن مدى حبي واحترامي له! والقصة كفن من فنون الأدب لها خصائصها ومميزاتها وأدواتها في القديم والحديث! ولقد وردت في كتاب الله وتكاد تمثل ثلث القرآن الكريم! ووردت كذلك في كثير من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم -! ووردت في أشعار العرب ومكاتباتهم ورسائلهم! وديوان القصيدة العربية يحوي الكثير من القصص والأخبار والآثار والأمثال! هذا ، وذكر الأستاذ عمر بن مصطفى في معرض مقاله عن القصة في القرآن الكريم ما نصه: (ذكر صاحب كتاب المصباح المنير قال: قصصت الخبر قصصاً: قال: حدثت به على وجهه ، والاسم القصص ، وقد جاء في كتاب الله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) ، (لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). والقصة: هو الأمر والشأن والخبر ، كما جاء في المصباح: والقصة: الشأن والأمر ، تقول: ما قصتك؟ تعني: ما شأنك؟ ، وجاء في القاموس المحيط: وكلمة القصة بكسر القاف - هو الأمر الذي يكتب ، وعلى ما ذكرنا: فما جاء من أخبار قصها الله علينا من كتاب الله تعالى يُطلق عليها لفظ القصة. والقصة في كتاب الله تعالى لا تقارن بتلك القصص الطليقة الحرة من نفوس البشر ، يكون لها أهداف خاصة ، وبعدها لا تبالي أن تستمد ما تحويه من خيال غير صادق ، أو أن تقوم بعرض حوادث لم تقع ، أو ربما تدور حول بطل غير موجود في الأصل ، أو ربما تخرج من الجد إلى واقع هزلي ، أو تضع الباطل إلى جانب الحق ، ويكون جُل اهتمامها أن تقوم بإظهار البراعة البيانية للمؤلف ، فالقصة في كتاب الله تعالى حقيقة تاريخية ثابتة ، تُصاغ في صورة بديعة من الألفاظ والكلمات المنتقاة والأساليب الرائعة ، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها ، ولا يمكن التشكيك بها وذلك أن جميع الأدلة القاطعة قامت على شيء واحد وهو - أن كتاب الله تعالى كلام الله المنزل ، وأن سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه قد بلغ ما أنزله الله إليه ، وإذا عرفنا ذلك فكل ما جاء في كتاب الله تعالى من خبر فهو صادق ، وإذا علمنا صدقه فلا بدَّ من مطابقته للواقع. والقرآن هو حُجَّة الله على جميع خلقه جملةً ، وتفصيلاً ، خاصاً وعماماً ، وإطلاقاً ، وهذا يابى أن يُحكى فيه ما ليس بحق ، فمثلاً يتم التنبيه عليه ، فكل ما جاء به على جهة الإخبار فهو حقٌّ موافقٌ للواقع. وكل ما جاء في كتاب الله من قصص ، فهو من كلام ربِّ العالمين ، قد أوحى الله به إلى سيدنا محمد ليكون مأخذاً للعبرة ، أو موضعاً للقدوة ، وما كان كذلك إلا حقاً من صميم الواقع ، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). هـ. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا كانت المصادقية المطلقة للقصة القرآنية وللقصة النبوية المصادقية المطلقة والتسليم غير المشروط؟ والجواب: لأن القرآن بأكمله (والقصة جزء منه) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (والكذب والإفك والتزييف والتزوير جزء من الباطل)! لأنه بذلك الاعتبار تنزيلٌ من حكيم حميد سبحانه وتعالى وعز وجل! وبمقدار قرب القاص أو الكاتب من القرآن والسنة كانت المصادقية في قصصه وكان الصدق سمياً عاماً في كل ما يكتبه! وبمقدار ما يبتعد

عن الكتاب والسنة كتب السخافات والحماقات والسخریات والاستهزاءات والركاكات ، ناهيك عن المضامين الهزيلة والسياقات المجافية للقيم وللأخلاق التي يزخر بها نتاجه القصصي والأدبي! هذا ، وكتب الأستاذ مجد خضر عن خصائص القصة ما نصه متحدثاً عن خصائص القصة: (توجد مجموعة من الخصائص التي يتميز بها نص القصة عن النصوص الأدبية الأخرى ، ومنها الوحدة: وهي أن القصة يجب أن تشتمل على فكرة رئيسية واحدة ، بمعنى أنها تعتمد على مبنى واحد لا يتغير ، فإذا كانت قصة اجتماعية فإنها يجب أن تتحدث عن الأفكار الاجتماعية ، وإذا كانت قصة بوليسية فيجب أن ترتبط أحداثها بوقائع حركية ، وهكذا لكافة أنواع الأفكار الأخرى ، كما أن مفهوم الوحدة يرتبط بوجود شخصية رئيسية واحدة ، وهدف واحد ، أي إنّه من الواجب على الكاتب أن يوجه قصته في اتجاه واحد ، وثابت. التكتيف هو أن القصة يجب أن تتوجه نحو هدف معين ، وثابت مع الالتزام بالتنوع في الجمل القصيرة التي تخدم النص ، وتوضح الهدف الرئيسي من كتابته ، فكلما كانت الدلالات اللغوية داخل نص القصة تحتوي على كافة العوامل المؤثرة في القارئ ، تمكن الكاتب من النجاح في كتابة القصة القصيرة بأسلوب صحيح ، وممتاز. والحقيقة أن الدراما تعتبر من أهم خصائص القصة ، والتي تساهم في وجود حركة فيها ، وتفاعل بين شخصياتها ، وأحداثها التي تساهم في توصيل الهدف ، والوحدة للقارئ ، وتجعله يندمج ويتأثر مع أحداث القصة ، مما يؤدي إلى تعزيز الخيال عنده من أجل التفاعل مع موضوع القصة بشكل كامل ، مع المحافظة على لفت انتباهه لأسلوب القاص ، والذي يساهم في نجاح ، أو فشل العمل القصصي).هـ. وهذا يتعلمه القاص من مطالعته ودراسته لما كتب الآخرون عبر التاريخ! ولا يجب أن ينصبّ اجتهاده في الاطلاع والدراسة على القصة العربية في عصر من العصور! بل ينطلق في الدراسة والمطالعة في الآداب العالمية بما فيها الأدب العربي ، وذلك عبر العصور كلها! وكتب الأستاذ مصعب الحسن تعريفاً دقيقاً للقصة القصيرة نأخذ منه بتصريف: (وأما القصة القصيرة في الاصطلاح فهي إحدى أشكال القصة ، وهي مشهورة ببنائها المُحكم ، ونهايتها المحددة ، كما أنّ لها عدة عناصر لا تعد القصة مُكتملة دون وجودها ، منها عناصر بديهية ظاهرة لا يمكن سرد أي قصة دونها ؛ كالشخصيات والمكان والزمان ، أما العناصر التي تُكسب القصة وزنها فهي العقدة ، أو المشكلة التي تعرضها القصة ، وهي تحديداً منطقة عنق الزجاجة من المشكلة ، إضافة للحل أو النهاية التي إما أن تكون محددة وواضحة ، وإما أن تكون مفتوحة متروكة لمُخيّلة القارئ. القصة القصيرة في الأدب العربي إنّ القصة القصيرة - وإن كانت معروفة عند العرب منذ القدم بمعناها العام - إلا أنّها نشأت أول الأمر عند الغرب ، وأخذها العرب متأثراً بهم ؛ لذلك فهي تعدّ فناً أدبياً حديثاً في الأدب العربي ، وقد أخذ فنّ القصة القصيرة في الأدب العربي في التطور والتشكّل حتى اتخذ ملامح محددة واتسم بسمات ميزته عن غيره من الفنون الأدبية. دخلت القصة القصيرة بمفهومها الحديث إلى الأدب العربي في نهايات القرن التاسع عشر ، وكان ذلك متأثراً كاملاً بالقصة الغربية ، ومع أنّها ظهرت في وقت متأخر إلا أنّها لا تعد شيئاً غريباً عن العرب ، فقد كانت عندهم قاعدة متينة للقصة ظهرت بمسميات أخرى ، ولكنها لم تكن محددة كما هي الآن. وتميّزت القصة القصيرة بوضوحها وصراحتها ؛ إذ تكاد تخلو من التملق الذي يزخر به الشعر ، ومن الأساطير التي تركز عليها المقامات ، إذ وُلد فنّ القصة القصيرة من رحم الألم والمعاناة ، فكان هدفه الأساسي عكس صورة الواقع ، ومحاولة محاكاة الأحداث الواقعية من خلال قالب قصصي للتعبير عن الشعور والأفكار تجاه تلك الأحداث ، مع أعمال

العقل لإيجاد أفضل خيار متاح وسط الأحداث المطروحة. ولقد اتسع فن القصة القصيرة ليشمل العديد من المقاصد والأهداف ؛ بدءاً من إيصال العبرة والعظة ، ومُروراً بالتسلية وانتهاءً بانتقاد الحياة السياسية بطريقة مُبطنة ، وربما كان هذا أكثر ما يميز فن القصة القصيرة ، إذ يُتيح إيصال أي فكرة دون خلق تحفظات أو حتى دون الاضطرار إلى توضيح المقصد جلياً. ولنا في سلسلة قصص (كليلة ودمنة) خير مثال على ذلك ؛ فهي قصص هندية الأصل ، كتبها الفيلسوف بيدبا ، وقد ترجمها إلى العربية عبد الله بن المقفع ، وهي مكتوبة على لسان الحيوانات ، وقد كتبها بيدبا ليوصل رسائل خفية إلى ملك الهند آنذاك).هـ. ومن هذا المنطلق كان للرمزية النصيب الأكبر في بعض القصص ، وذلك عندما يعجز الكاتب أن يصرح بأمر ما ، فإنه يختار شخصيات غير حقيقية ولا علاقة لها بالقصة يقول على ألسنتها ما يريد ، وبهذا يوصل للقارئ المضامين التي يحب! ولم يكن هذا مقتصراً على القصة كفن من فنون الأدب! بل أخذت الرمزية طريقها إلى الشعر ، فكانت قصائد هنا وهناك تنشد على ألسنة الحيوانات! وأيضاً كتبت الأستاذة إيناس خالد عبد العظيم وتحت عنوان: (القصة القصيرة في الأدب العربي) ما نصه بتصرف زهيد: (إنه لا بد في القصة من توافر عنصر الحكمة الفنية ، أو ما يطلق عليه العقدة ، ما يجعل العمل الفني يدور حول البحث عن حل للأزمة ، التي حلت على الأحداث ، ثمة قصص منتهية ، معروفة النهاية ، وأخرى مفتوحة ، ينسج القارئ نهايتها وفقما يتراءى إليه ، ووفق ما يتمنى طيلة أحداث القصة ، ولا سيما حلول ذروة الأحداث ، إلا أنها قد قد يروق إليك ، ولكن لا تروق إلى الكثيرين ، ممن يرغبون في تكامل العمل الفني. ولقد تطورت أنواع القصة في الأدب العربي على مر الأزمان. وعموماً لكل لون من ألوان الأدب ما يميزه عن غيره من ألوان ، وتتسم القصة القصيرة ببعض الخصائص الجوهرية المميزة ، فمثلاً تتسم بالإيجاز ، والدخول في المضامين بشكل مباشر ، وتترك أثراً متركزاً حول موضوع بعينه ، دون التطرق إلى تفاصيل متشعبة ، لا فائدة منها أبداً سوى الاستطراد ، وهي محدودية الأحداث ، والأشخاص ، ومعروفة بانتهاء الأحداث بمجرد زوال العقدة ، وتتسم بالسهولة ، والمباشرة والدقة في سرد الأحداث! وتتسم بتوصيل المراد من الفكرة في غضون وقت زمني قياسي. هذا ، وتتنوع عناصر القصة القصيرة ، في إطار إبداع العمل القصصي ، المبني على سرد مجموعة من الأحداث ، من خلال مجموعة من الشخصيات ، الذين يحملون على كاهلهم إنجاز العمل الأدبي ، على نحو ممتع ، لكل من يهم بالاطلاع عليه ، وأحداث القصة أساس فن القصة القصيرة الأولي ، وهو الداعي لقيام العمل الفني ككل ، فمن دون الأحداث ، لا قيمة لأي مكون آخر من مكونات القصة. وتمثل الشخصيات في القصة أو الرواية مركزاً مرموقاً فيها: حيث إنهم القائمون حقيقة بتجسيد أحداث العمل القصصي ، وتنقسم الشخصيات بدورها عموماً إلى قسمين أساسيين ، "الشخصية الواقعية" التي يتجلى ظهورها بصورة حقيقية ، بالإضافة إلى "الشخصية الثانوية" وهي بمثابة شخصيات تدور حولها بعض الأحداث ، أو يتم التحدث عنهم ، دون وجودهم بشكل مباشر في إطار العمل القصصي. ومكان الأحداث مهم أيضاً: وهو المكان ، أو البيئة ، التي تدور على أرضها أحداث العمل الأدبي ، وثمة قصص تقتصر على مكان واحد بعينه ، لا تتخطى حاجزه ، وقصص أخرى تتفاوت في الأمكنة حيال العمل الفني الواحد. وزمان الأحداث له أهميته: وهو بمثابة التوقيت الزمني ، والتأريخي ، للأحداث القائمة. ثم يأتي دور الحبكة القصصي: حيث تمثل الحبكة ذروة الأحداث ، التي تستوعب أزمة ، أو عقدة يتغير من جرائها مسار الأحداث ؛ تنقيباً عن حل جذري لها ، والمقصد من وراء هذا العنصر

القصصي هو إثارة عنصر الجذب ، والتشويق ؛ لاستكمال القصة بشغفٍ. ويأتي دور حل العقدة: فعلى الأغلب تكون في نهايات أحداث القصة ، وتأتي بالفرج لتلك العقدة ، التي تخللت الأحداث ، وهي عنصر ثانوي ، قد يتركه الكاتب للقراء ، ينسجون خاتمته ، وفقما يرغبون. ولقد قلنا بأن الحكمة بمثابة الأزمة ، أو المشكلة ، التي تطرأ على أحداث الموضوع ، وتغير مسارها رأساً على عقب ، ما يكتف الأحدث المحورية المتمركزة حول الكشف عن حل لتلك الأزمة ، وتجدد الإشارة إلى تنوع الحكمة في فن القصة القصيرة لتشمل العقدة المقلوبة أو المنعكسة: وهي عبارة عن الأزمة ، التي تعتمد على تدرج البطل إلى تحقيق ما هو زائف من الأعمال ، والنجاحات المختلفة ، حتى الوصول إلى القمة ، ومن ثم السقوط دفعة واحدة بفضل فك عقدة خيط من كوارثه ، التي تكشف عن شخصيته الحقيقية! والعقدة المتوازنة ، أو الاعتيادية ، أو المتوازنية: تعد بمثابة الأزمات التقليدية ، التي تنشب مع سريان أحداث فن القصة القصيرة الملهمة ، ومن ثم ، تبدأ انعقادها في الانفراج شيئاً فشيئاً ، حتى الوصول إلى تمام الحل ، في نهاية الأحداث القصصية العقدة الناجحة ، أو المثالية: هي التي تؤول إلى النجاح ، والنهايات المحمود ، المحببة إلى النفوس ، على الرغم من مدى ما عرقل طريق البطل من تحدياتٍ عصبية ، تمكن من مواجهتها بالضرورة ، وحقق مراده في الأخير! وعقدة التدرج الهابط: ويعتمد خلالها الكاتب على تعريض البطل في القصة إلى العديد من الإخفاقات ، والتحديات التي تحط من كيانه ، وطموحاته ، دون تغيير للأفضل ، إلى نهاية القصة! وعقدة التدرج الصاعد: يعتمد خلالها الكاتب على تدرج البطل في سلسلة النجاحات الحافلة ، التي تصل إلى أسماها في نهاية أحداث القصة. وعليه ، فإن القصة القصيرة من أبرز ألوان الأدب النثري العربي المعروف الذي يعتمد على سرد الأحداث ، بشكلٍ مباشر ، دون الخوض في العديد من التفاصيل ، التي تطول من دون داعٍ ، وبالتالي ، فإن فن القصة القصيرة من أرقى فنون الأدب التي يعمد إليها الكثيرون من المهتمين بالأدب العربي الأصيل ، المتفرد من نوعه).هـ. ولما كان للقصة القصيرة هذه الأهمية حظيت بالنصيب الأكبر من جماهير القراء! ليس هذا فقط بل كان نصيبها في الترويج لما تحتويه من أفكار أشمل وأوسع من الشعر ومن الروايات الطويلة! ألا وإن سرد الأحداث بأسلوب قصصي في قالب درامي ليس مسألة يسيرة ، بل يتطلب مهارات كثيرة من القاص! والخبرة التي يتمتع بها القاص تساعد كثيراً في إخراج قصة ناجحة مؤثرة هادفة! وتحت عنوان: (جذور القصة في الأدب العربي) قال الدكتور فاضل والي: (لقد استحوذت القصة على فكر كثير من الأدباء والمفكرين ، وأدلى كل واحد بدلوه فيما يتعلق بها ، ودار حولها حديث كثير ، وكانت القضية التي اشتد فيها الجدل هي قضية وجود القصة في أدبنا العربي وعدم وجودها. وكان السؤال المطروح على موائد البحث دائماً: أهى موجودة في أدبنا العربي قبل ظهور القصة في أوروبا ، ثم انتقالها بقوانينها إلى الأدب العربي الحديث؟ أم غير موجودة؟ وهذا هو محور حديثنا. إن القصة فن من فنون الأدب الجليلة ، بقصد ترويح النفس باللهو المباح ، وتنقيف العقل بالحكمة وهذا الفن من الفنون التي احتلت مكاناً ، مرموقاً في النفوس ، للمتعة التي يحس بها القارئ ، ويندوقها السامع ، باختلاف العصور ، وتنوع الأعمال ، وتباين البيئات ، كما أنه يعد شكلاً من أشكال التعبير ، وسيلته النثر ، ويعتبر من أعرق ألوان الأدب تاريخاً ووجوداً ، لأن دافع السرد القصصي خاصية إنسانية يشترك فيها جميع الناس ، إذ يستطيع كل إنسان أن يحكي لك حادثة مرت له ، أو موقفاً تعرض له ، ومعنى هذا أن القصة ولدت مع الإنسان ، طالما أن الحكاية – وهي العنصر الأساسي في القصة – قاسم

مشترك بين الناس ، فلا زال الطفل يميل لسماع حكايات جدته ، ولا زال الناس يتبادلون الحكايات في مجالسهم للسمر والسهر والترويح عن النفس. وعلى هذا نرى أن فن القصة يعتبر من أقرب الفنون الأدبية إلى النفس البشرية ، لأنه فن يستقي مادته من الحياة اليومية الجارية بجلوها ومُرّها ، وينقل التجارب والخبرات والدروس من واقع تلك الحياة ، ويحيل ما يستقيه وما ينقله إلى أشياء ثابتة نسبياً ، في صورة تتميز بروح الشمول أو التأثير القوي ، وذلك عن طريق العرض الجيد ، من خلال الأسلوب المحكم النسيج الذي تترابط لحمه بسداه ، وتتماسك العلاقات بين كلماته وجمله وتعبيراته ، والذي يعطي دلالات جيدة مؤثرة. وليس هذا الأمر بالمستغرب ، فالقصة يحكي حياة الإنسان على هذه الأرض ، فلقد كان القاص هو الأدب ، والعلم ، والثقافة العامة لما تحويه كل قصة من معارف شتى بالخلق ، والتاريخ الإنساني ، والأديان ، والطبيعة ، والعادات ، والتقاليد ، فما شيء في التاريخ إلا وله قصة. والقصة مظهر حضاري تقاس به الأمم والشعوب ، وما دام الأمر كذلك فإنه يندر أن تجد شعباً من الشعوب ، أو أمة من الأمم لا يوجد لديها تراث قصصي تحفل به. والقص والقصة. بمعنى أن الخبر يقتطع من سياق الحديث اقتطاعاً ، كما يقتطع من سياق الأحداث المتصلة في الحياة المحيطة لأهميته وطرافته لكل من المتحدث والقارئ والسامع ، المحاور الرئيسية الثلاثة التي يدور حولها المعنى وهي (القطع ، والخبر ، وتتبع الأثر) هي الأساس في فن القصة ، حيث تقوم على القطع أصلاً أي: اختيار الحدث ، أو الأحداث الصالحة وفصلها عن سياق الأحداث الحياتية الأخرى ، ثم يتتبع القاص أثر هذا الحدث ويستقصيه ، ويحاول الإلمام بكل تفاصيله لإمكانية تصويره ، ثم الإخبار والإبلاغ به ، بمعنى نقله إلى المتلقي قارئاً كان أو سامعاً. ومن الناحية الاصطلاحية ، فالمفهوم الفني الأدبي لفن القصة في أبسط صورة وبعيداً عن المصطلحات المعقدة فيلخص في قولنا: إن القصة عبارة عن مجموعة من الأحداث الجزئية التي تقع في الحياة اليومية للمجتمع مرتبطة ومنظمة على وجه خاص ، وفي إطار خاص ، بحيث تمثل بعض جوانب الحياة وتجلوها في شتى وجوهها ، بغرض الوصول من خلال الوعي الكامل بالأحداث ، والظروف الاجتماعية إلى الحقائق الإنسانية ، مع عدم إغفال الحرص التام على جانب التسلية والاتباع ، وجانب التثقيف والتهديب. والقصة بهذين المفهومين: اللغوي والاصطلاحية يقوم بنيانها ، وتشكيل هيئتها على عدة عناصر رئيسية لا يمكن إغفالها وهي أولاً: الحدث أو الأحداث ، وهذا العنصر هو الأساس في القصة ، الذي تبني عليه ، بل هو صلب الحكاية أو ما يسمى بالمتن القصصي ، ولا بد أن تكون أجزاء الحدث متصلة ، ووقائعه متلاحمة بحيث يأخذ بيد القارئ أو السامع إلى الأثر الكلي الذي يوحى بأن للأحداث في صلب القصة معنى. ثانياً: الشخصيات ، وهذا العنصر تدور الأحداث من خلاله ، سواء وقعت منه أو عليه ، وشخصيات القصة تتشكل من خلال أحداثها كل ملامحها وسماتها سواء أكانت شخصيات نامية متطورة ، أم شخصية ثابتة جامدة ، أو كانت شخصيات رئيسية أو ثانوية ، فهي عنصر فاعل في بنية القصة وتكوينها لا يمكن إغفاله. ثالثاً: البيئة الزمانية والمكانية ، فلا بد لكل حدث من شخص أو أشخاص يوقعونه ، حسب القاعدة التي تقول: "كل حدث لا بد له من محدث" ، وإذا توافر الحدث ومحدثه فلا بد من زمن يقع فيه الحدث ، فليس هناك حدث خارج دائرة الزمن ، كما أنه لا بد من مكان يقع عليه هذا الحدث ، ويتحرك في جنباته محدثه ، وهو ما نطلق عليه البيئة الزمانية والمكانية للأحداث داخل بنية القصة. رابعاً: الحكاية القصصية: ويقصد بها منهج الكاتب في عرض أحداث قصته ، والخطة التي يتحرك أبطال قصته على أساسها ، وطريقة

تنظيم كل ذلك ، ومن خلالها لا يحدث الصراع ويتنامى ، حتى يصل بالملتقي إلى ما يعرف بالعقيدة ، ثم يأخذ بيده تدريجياً في اتجاه الانفراجية المؤدية إلى الحل ، وتمثل الحبكة القصصية الرابط الأساسي الذي يحكم به نسيج القصة وبنائها معاً ، ويجذب المتلقي ، ويجعله مشدوداً بكلية مع حركة الأحداث ، ولا بد للحبكة أن تكون دقيقة قابلة للتصديق ، لا يقوم على المصادفة وحدها. خامساً: الحوار ، وهو ما يحدث بين أشخاص القصة تعبيراً عن جانب من الأحداث والتفاعلات ، بحيث يكشف عن الجوانب النفسية للأشخاص ويفلسف الواقعات ، سواء تم ذلك من خلال المشافهة بين أبطال القصة وشخصها ، أو من خلال سرد القاص لما يتردد بين هؤلاء الشخص ، أو كان حواراً وثائقياً تتحدث فيه الوثائق المكتوبة مثل الرسائل والوصايا ، أو الأخبار المنشورة. الخ. سادساً: أسلوب القاص وطريقة عرضه ، وهذا عنصر شديد الأهمية لأن الأسلوب إذا كان ركيكاً مفككاً جاءت القصة مهلهلة النسيج ، غامضة المعاني وكذلك طريقة العرض إذا لم تكن جيدة منظمة ، جاءت الأحداث مختلطة متداخلة لا تغري القارئ بالمتابعة المستمرة ، وسرعان ما يصاب بالملل لكثرة ما سيلقاه من تعقيدات وغموض بسبب هذا الخلط والتداخل. ويتوارد إلى الذهن سؤال هو: هل عرفت القصة التي بينها في أدبنا العربي قديماً؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن النقاد أمام قضية وجود القصة في أدبنا العربي القديم ، أو عدم وجودها انقسموا إلى ثلاث فرق: الفريق الأول يرى أن العرب لم يعرفوا القصة ، وإن الأمة العربية والتراث الإسلامية خلو من الفن القصصي ، وإنهم لا يعرفون القصة والفن القصصي ، وأول من تبنى هذا الاتجاه هم واضعو دائرة المعارف البريطانية في الجزء الخاص بالأدب الإسلامي ، فهم يرون أن الأدب التمثيلي ، وأدب القصص من الفنون المحرمة والممنوعة في الإسلام. كما اتجه نفس الوجهة الأستاذ / أحمد حسن الزيات ، وإن اختلف تبريره ، حيث قال موضحاً: القصص فن من فنون الأدب الجلييلة ، له عند الفرنج مكانة مرفوعة ، وقواعد موضوعية ، أما عند العرب فلا خطر له ، ولا عناية به ، لانصرافهم عما لا رجحان له ، ولا غناء لملك فيه ؛ ولأسباب التي دعت إلى قصورهم في الشعر القصصي ، وهي أن مزاوله هذا الفن تقتضي الروية والفكرة ، والعرب أهل بديهة وارتجال ، وتطلب الإمام بطبايع الناس ، وقد شغلوا بأنفسهم عن النظر فيمن عداهم ، وتفتقر إلى التحليل والتطوير ، وهم أشد الناس اختصاراً للقول ، وأقلهم تعمقاً في البحث ، وقد قل تعرضهم للأسفار البعيدة ، والأخطار الشديدة ، وحرمتهم طبيعة أرضهم ، وبساطة دينهم ، وضيق خيالهم ، واعتقادهم بوحداية إلههم كثرة الأساطير ، وهي من أغزر ينابيع القصص ، كما أن هذا الفن نوع من أنواع النثر ، والفن الكتابي أو النثر الفني ظل في حكم العدم أزمان الجاهلية وصدر الإسلام ، حتى آخر الدولة الأموية حين وضع ابن المقفع الفارسي مناهج النثر ، وفكر في تدوين شيء من القصص. ومن الذين جردوا أدبنا القديم من فن القصة الأستاذ / يحيى حقي حيث ذهب إلى أن القصة العربية نشأت حقيقة تحت التأثير الأوروبي ، فقد حملت الرياح التي تهب من أوروبا بذرة غربية على المجتمع العربي ، بذرة القصة ، كما ذهب إلى أن ما يحويه التراث العربي من قصص على شكل سير وأخبار ومقامات ما هو إلا فتات فني تنقصه الوحدة ، وأشار إلى مثل هذا بطرس البستاني في معرض حديثه عن نشأة القصة عند العرب ومنزلتها حيث قال: إنه لم تأت عنهم (أي عن العرب) قصص راقية الفن ، وإنما جاءتنا حكايات ، ومقامات ، وأحاديث ، وإن كان قد ناقض نفسه بعد كلمات قليلة من قوله هذا حيث قال: "ثم كان عصر الانحطاط ، فأنحدرت القصة انحداراً مشؤوماً وآلت لغتها إلى العامية ، أو ما يشبه العامية ، وأصبحت

عبارة عن تعداد حوادث خارقة يشترك فيها الإنس والجن ، ولا تصور في أكثر وجوهها الحياة الطبيعية التي يحيها الإنسان. على أنه ما انتشرت الثقافة الغربية في القرن الفائت (أي في القرن التاسع عشر) ، واطلع الكتاب على القصص الأعجمية حتى أكبوا على نقلها. فأى قصص هذه التي انحدرت انحداراً مشؤوماً قبل القرن الفائت كما يقول؟ إنها بلا شك قصص عربية قديمة وجدت في أدبنا العربي ، وأصابها ما أصاب الأدب على وجه العموم شعره ونثره من انحطاط. وهو بهذا ينقض ما قرره آنفاً بشأن عدم وجود قصص في أدبنا العربي القديم. ولقد تصدى للرد على هذا الإدعاء بعدم وجود قصص تمثل فناً راقياً في أدبنا العربي القديم كثير من النقاد ، مبينين أن مثل هذا الإدعاء فيه كثير من الافتراء والمغالطة لحقائق التاريخ الأدبي في اللغة العربية ، وإن مثل هذا الإدعاء والإنكار سواء من الغربيين أنفسهم ، أو من النقاد العرب إنما جاء لأنهم وضعوا القصة الغربية بمفهومها الغربي ، وصياغتها الخاصة كأنموذج فبحثوا عن مثل هذا اللون في التراث العربي فلم يجدوا ، وهذا مقياس خاطئ في تعميم عدم وجود الفن القصصي في الأدب العربي ، فالقصص في العربية له خصائصه ومناهجه وألوانه ، وأشكاله في تصوير المجتمع العربي ، بأماله وآلامه ، وواقعه وأحلامه. ومن النقاد من يرى ، أن العرب قد عرفوا هذا الفن ، وإن اختلف مفهوم القصة الغربية عنه لاختلاف خصائص حياة الغرب عن حياة العرب ، وتباين الطبيعة الغربية عن الحياة العربية ولأن الفن إذا ما نبغ في أمة ما ظهرت معه مكونات أدبها وتطورها الحضاري ، والمقومات الحضارية ، والجذور الثقافية. والاختلاف الملحوظ بين القصص في الشرق والغرب ناتج عن التباين الفكري بينهما ، وبصرف النظر عن نوع القصة أو اسمها وعدد كلماتها وشخصياتها ، يوجد كثير من أشكالها عند العرب ، نجد القصة ، والأقصوصة ، والرواية ، والنبا ، والخبر ، والأسطورة ، والمقامة ، وهي الأصول التي قام عليها بناء القصة الغربية التي لم يتفق كتاب الغرب على تحديد لها. وعلى أساس الاختلاف والتباين بين الحياة العربية وحياة الغربيين ، وكذا اختلاف طبيعتين العربية والغربية رفض بعض النقاد قياس فن القصة عند العرب قديماً بمقاييس هذا الفن في العصر الحديث ، لأنه متأثر تمام التأثير بالاتجاهات الأوروبية منذ بدايات القرن التاسع عشر ، وذلك لاختلاف الظروف ، ويقرر صاحب هذا الاتجاه ، أنه ليس صحيحاً أن العرب القدامى لم يعرفوا القصة بمجرد أن خصائص القصة الحالية لا تنطبق على القصص كما عرفها العرب ، وهذا شبيه بقولنا تماماً: إن الأقدمين لم يعرفوا البيوت لمجرد أنهم لم يسكنوا العمارات والفيلات التي نسكنها اليوم. ولا ينكر كاتب كبير ، وناقد معروف كالدكتور الطاهر أحمد مكي وجود القصة في أدبنا العربي القديم بل يقول: "فيتصورن أن القصة موجودة في التراث العربي ، لا بمواصفات القصة الفنية الحديثة بالطبع ، ولكن بميزات خاصة فرضتها طفولة هذا الفن وبداياته ، ولا عيب في ذلك ، فالقصة الأوروبية الحديثة نشأت في بداياتها في العصور الوسطى متأثرة بأصول عربية واضحة كقصص السندباد ، وكليلة ودمنة ، وحي بن يقظان ، بل ووجدت أشكال مختلفة للقصة في التراث العربي ، ولكل شكل مميزاته الخاصة ، فالقصة في السير تختلف عن القصة في بخلاء الجاحظ ، وهذه تختلف تماماً عن القصة في المقامات. أما الدكتور/ شوقي ضيف ، فقد أفاض الحديث حول هذا الموضوع في كتابه تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، وعاد للتطرق إليه في العصور الأخرى ، وفي كتابه الفن ومذاهبه في النثر العربي حيث قال: "من المحقق أنه وجدت عندهم (أي عند العرب) ألوان من القصص ، والأمثال ، وسجع الكهان ، ومن المؤكد أنهم كانوا يشغفون بالقصص شغفاً شديداً. وساعدتهم على ذلك أوقات فراغهم

الواسعة في الصحراء فكانوا حين يرخي الليل سدوله يجتمعون للسمر ، وما يبدأ أحدهم في مضرب خيامهم بقوله: "كان ياما كان" حتى يرهف الجميع أسمعاهم إليه ، وقد يشترك بعضهم معه في الحديث ، وشباب الحي ، وشيوخه ، ونساؤه وفتياته المخدرات وراء الأخبية ، كل هؤلاء يتابعون الحديث في شوق ولهفة ، ومن غير شك كان يفيض القصص على قصصه من خياله ، حتى يبهر سامعيه ، وحتى يملك عليهم قلوبهم. وقد دون الكتاب العباسيون ما انتهى إليهم من هذا القصص مع تغيير في الصياغة ، وإن كان من الحق أنها ظلت تحتفظ بكثير من سمات القصص القديم ، وظلت تنبض بروحه وحيويته ، وربما كان أكثر ألوان القصص شيوعاً على ألسنتهم أيامهم وحروبهم ، وما سجله أبطالهم من انتصارات مروعة ، وما منيت به بعض قبائلهم من هزائم منكرة ، وكانوا يقصون كثيراً عن ملوكهم من المناذرة والغساسنة ومن سبقوهم أو عاصروهم من ملوك الدولة الحميرية" ، وقد دارت بينهم أطراف من أخبار الأمم المجاورة لهم ممتزجة بالخرافات والأساطير ففي السيرة النبوية لابن هشام أن النضير بن الحارث المكي كان يقص على قريش أحاديث عن أبطال الفرس أمثال رستم واسفنديار ، وأكثر من يستهويهم من القصص أحاديث قصاصهم عن أيامهم وحروبهم في الجاهلية ، ومن القصص التي استهوتهم قصة (الزباء) ملكة تدمر ، ومن قصص الهوى والغرام قصة المرقش الأكبر وصاحبته أسماء بنت عوف ، ويدخل في هذا القصص بعض خرافاتهم كخرافة "الحية والفأس" والتي نشأ عنها المثل العربي "كيف أمنك وهذا أثر فاسك". وفي كتابه (في الرواية العربية - عصر المجتمع) يطلعنا الشاعر المصري المعاصر فاروق شوشة مؤكداً على أصالة فن القصة في أجبنا العربي ، لأن الشواهد تدل على أن هذا الأدب قد عرف القصة في مختلف عصوره ، ففي العصر الجاهلي كانت لهم قصص كثيرة وكانوا مشغوفين بالتاريخ والحكايات ، وقد عرف العرب في الجاهلية ألواناً من القصص ، وكان لهم تراثهم الأسطوري ، وقد استدل خورشيد على أصالة الفن القصصي لدى العرب بما ورد في القرآن الكريم من قصص ، إذ أشار إلى أنه إدراك لخطر القصة وأثرها في نفوس العرب ، مما يدل على رسوخ هذا الفن في تراثهم ، ومن كبار القصاصين وهب بن منبه ، وكعب الأخبار ، وقد ذهب خورشيد إلى أبعد من هذا الزعم فأكد أن القصة عند العرب كانت تحظى بالمقام الأول ، وأنها كانت الفن المفضل عند الغالبية العظمى ، بينما حفلت أقلية خاصة بأمر الشعر والخطابة ، وربما كان السر في انصراف المسلمين عن القصص أنهم اعتبروها من الخرافات الجاهلية فأهملوها خوفاً على دينهم. أما الفريق الثالث ، ويمكن أن نسميه فريق التوفيقيين فعلى رأسهم د: محمد صالح الشنطي الذي حرص على التوفيق بين آراء الرافضين لوجود القصة في أدبنا العربي ، والقائلين بوجود هذا اللون الأدبي بقوله: "إن القصة بمفهومها العام قديمة قدم البشر ولكنها كفن لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر ، وبذور هذا الفن القصصي موجودة في التربة منذ القدم ، وأكمل وجهه من وجوها ما ورد في القرآن الكريم من قصص الأنبياء والأمم الغابرة ويعتبر القصص القرآني ذخيرة غنية بأروع الأساليب القصصية ، حتى الأساليب الفنية التي لم تظهر إلا في العصر الحديث ، ثم يضيف قائلاً: "وليس من شك في أن الرواية بمفهومها العام ، وكذلك القصة القصيرة من الفنون الأصلية في أدبنا العربي القديم ، ولكن الرواية كفن له تقاليده وقيمه الجمالية المعاصرة وتعبيره عن أوضاع اجتماعية بعينها ، بحيث يرى كثير من الباحثين أنه ارتبط بنشأة الطبقة المتوسطة في أوروبا فهو يعتبر حديثاً ، غير أن التراث الإنساني في هذا المجال ، يظل حقيقة ماثلة ، ولا يضيرنا في شيء أن تكون الرواية الحديثة مختلفة في تقنياتها

عما ورتناه ، فلكل عصر ضروراته ومتطلباته ، وبالتالي ليس ثمة قضية تقتضي أن نحتشد لها هذا الاحتشاد. فأصحاب البأس القائل بأن الأدب العربي لم يعرف القصة ولا الرواية لم يتنكبوا طريق الصواب. بل نظروا إلى القضية من زاوية أخرى (هي زاوية المقاييس الفنية الحديثة) ، وليس من زاوية القصة بمفهومها العام كوسيلة للإمتاع والتسلية ، والتذكير بالأحداث المؤثرة ، وليس في هذا خطورة ، بل الخطورة في النوايا ، فهناك من يتعصب ضد الأدب العربي حقداً وكراهية ، وليس توخياً للحق والإنصاف ، وهؤلاء هم الجديرون بالتصدي لهم ، وفضح ادعاءاتهم ، وبهذا الاتجاه استطاع الدكتور الشنطي أن يوفق بين الاتجاهين المتقابلين ، وإن كنا نستشعر أنه أكثر ميلاً إلى رأي القائلين بوجود الفن القصصي في أدبنا العربي ، ونحن نرى أنه من غير المعقول أن نجرد أمة يمتد تاريخها الأدبي إلى ما يقرب من ألفي عام من عنصر أساسي من عناصر الأدب ، ولون على جانب كبير من الأهمية من ألوانه ، وقد اتضح لنا وجود الكثير من القصص والقصصين في العصر الجاهلي ، ولو لم تكن القصة معروفة ولها تأثيرها في العصر الجاهلي ما خاطب القرآن الكريم مشركي مكة بكثير من القصص المؤثر ، حتى لفظ كلمة قصة واشتقاقاتها المختلفة جاءت في القرآن فيما يزيد على عشرين موطناً ، وساق القرآن الكريم كثيراً من القصص منها القصة القصيرة السريعة الأحداث كقصة صاحب الجنتين في سورة الكهف! وفي نفس السورة جاءت قصة أهل الكهف ، وقصة موسى والخضر ، وقصة ذي القرنين وجاءت قصة سليمان والهدد ، وسليمان والملكة بلقيس ملكة سبأ ، وقصة سليمان والنملة في سورة النمل! وجاءت قصة أصحاب الجنة في سورة القلم ، وغيرها. كما ساق القرآن القصة المتوسطة الطول كقصة مريم مع قومها ، وجاء القصة الطويلة التي تشبه الرواية في سورة يوسف ، كما ساق القصة البالغة الطول المتعددة المواقف كل موقف في موضع ، ولكن المواقف يتم بعضها بعضاً حتى تكتمل كما حدث في قصتي موسى وإبراهيم عليهما السلام. وهذا أبرز دليل على أن العرب كانوا يعرفون القصة بكل أشكالها وألوانها ولولا تلك المعرفة ما خاطبهم القرآن بها ، وما قصها عليهم ، وإلى جانب ما جاء في القرآن الكريم من القصص بجد القصص النبوي ، حيث اتبع النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه أسلوب التربية بالقصة ، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يقص على أصحابه قصص السابقين للعتبة والاعتبار ، ومثال ذلك قصة الثلاثة الذين حوصروا في مغارة سد فمها عليهم ، فراحوا يتقربون إلى الله بصالح أعمالهم وكذا قصة الثلاثة المبتلين: (الأعمى والأقرع والأبرص) ، وكذلك قصة الرجل الذي سقى كلباً في صحراء قاحلة فأنقذه من الموت فشكر الله له وغفر له ذنبه. الخ ، ما كان يحكيه النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه مقدماً له بقوله: "كان فيمن قبلكم" ، ومثل هذه القصص كانت تتوافر فيها أبرز عناصر القصة الأساسية وهي: الأحداث والزمان والمكان والشخص. والحوار ، بل وإذا تأملنا جيداً لوجدنا فيه الحكمة القصصية ، هذا إلى جانب أن تلك القصص كانت قصصاً تتميز بالواقعية والصدق ، لأنها تهدف إلى تربية النفوس وتهذيبها ، وليس لمجرد التسلية والإمتاع. ويذهب "بروكلمان" إلى أن فن المقامة القصصي يرجع إلى أيام الجاهلية ، وكانت المقامات عن مجتمع القبيلة ، وفي زمن الأمويين اتخذ شكلاً دينياً ، فإذا هي أحاديث زهدية وعظمية تروى في مجالس الخلفاء ، ثم تطور معناها فصارت تفرق بالشعر والأدب وأخبار الوقائع القديمة ، ثم أثرت قصص العادات والتقاليد بدورها في قصص القضايا الاجتماعية التي كانت بواكير للقصة الحديثة العالمية في معنى القصة الفني ، فكان للمقامات العربية تأثير مباشر وغير مباشر في نهضة القصة العالمية.

والمتمأمل فيما ظهر من ألوان القصص في العصر العباسي المترجم منه مثل كليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة ، وما جاء في قصص البخلاء للجاحظ ، وكذلك ما سبقه من قصص في العصر الأموي خصوصاً قصص الحب والتقدير كقصة جميل بثينة ، ومجنون ليلي ، وكثير عزة يرى أن القصة العربية في طبيعتها وأشكالها تتشابه مع بداية القصص عند الأمم الأخرى ، والمنصفون من النقاد لا ينكرون تأثير القصص العربي في القصص الأروبي ، ولا ينكر منصف أن القصة الحديثة في أدبنا لعربي قد تأثرت بالقصة الغربية ، وسارت على مقاييسها منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى الآن وإن كانت تطالعنا حديثاً بعض القصص التي نرى في منهج كتابتها نزوعاً نحو التخلص من القيود التي فرضها الغربيون على القصة والعودة بها إلى التلقائية البعيدة عن التعقيد ، كما حدث تماماً في الثورة على التقاليد القديمة الموروثة بالنسبة للقصة العربية في الشعر. وخلاصة القول: إن القصة قد وجدت في أدبنا العربي القديم في كل عصوره ومنذ العصر الجاهلي وما تلاه من عصور وجدت فنة القصاصين ، وأول من قص من الصحابة الأسود بن سريع ، وقيل تميم الداري ، وهو من أول من جلس ليقص في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ومن أول من قص من التابعين بمكة عبيد بن عمير الليثي ، وقد جلس إليه عبد الله بن عمر وسمع عنه ، وقد أقرته السيدة عائشة رضي الله عنها ، ثم صار القصص مما يلقي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذت له حلقة كحلقة الدرس ، وأول من لزم ذلك فيه ، مسلم بن جندب الهذلي. وقد سبقهم إلى ذلك عبدالله بن سلام ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، ثم كان القرن الثاني فجلس الحسن البصري - رضي الله عنه - وكان أصدق القصاصين ، للوعظ ، وكان لكل هذا تأثيره.هـ. وما زال فن القصة قصيرها وطويلها يزداد نمواً ويتطور حتى يومنا هذا! فكم تطبع المطابع من القصص على اختلاف أنواعها وكتابها وسياقاتها وأسلوبياتها ومضامينها! والأستاذ سلطان المجنوني يختار من القصص الهادفة الجميلة ما يسلي به نفوس سامعيه! ويلاحظ أنه يركز دائماً على الدروس المستفادة من القصة والعبر المستلهمة منها! وإذن فليست القصة عند سلطان المجنوني مقصودة لذاتها بقدر ما يقصد من الدروس المستفادة! كما أنه يحقق كثيراً من القصص التي يرويها! والتي لا يقع لها على مصدر فإنه يُعلم مستمعيه أنه وجدها هكذا بلا مصدر تُعزى إليه! وهذا قلما نجده في كثير من القصاص الجاد في رواية القصص كحاطبي الليل! أسأل الله تعالى أن ينفع بالأستاذ سلطان وبما يقدم من قصص هادفة! والرجل ليس بحاجة إلى إطرائنا طرفة عين! فلقد حقق الله تعالى له الشهرة والمجد في آن واحد! فجماهيره بالملايين في شتى بقاع الأرض ، وقصص بالآلاف يقرأها ويستمتع إليها جماهيرها الغفيرة! وإنما حاولت بهذه القصيدة وصف شعوري شعراً! والرجل غني عن التعريف! ولا نذكرك يا أخ سلطان المجنوني على الله ربنا! والله حسبك ووكيلك! فنحن لا نذكرك على الله سبحانه أحداً أبداً!

وساقها للآلى يهـوون (مجنوني)

أيقونة القصة احتفت بتضمين

وحُزت دُرْبَة توضيح وتبيين

(سلطان) حُزت من البيان أعذبه

بكل لفظ - بحسن السبك - مقرون

وللبلاغة - في التعبير - بصمتها

وزادها ألقاً نصُ العناوين
من الروى التزمت أرقى الموازين
قد زخرفتُ بتراجم وتلوين
فالنص مستيقنٌ ، وغير مظلون
تزيدها ألقاً في خير تزيين
تُبدي الجمال لعشاق المضامين
يُكرر النصح مصحوباً بتلقين
عند المهيمن نشرُ العلم والدين
حرصاً توثقه شتى البراهين
وقد يغلفها بالعطف واللين
كما يُروجه أهل الأظنانين
فلا يُغلبُ فيها أي تخمين
لكنه ليس كالبأله المجانين!
راو ، وإن خط آلاف الدواوين!
أن المحدث من نسل السلاطين
خطت بأيدي عماليق دهاقين
شتان شتان بين التبر والطين!
فصول نص بسُم العُهر مدهون
حتى تحوز الرضا ، لدى الفراعين
رضا الأباطرة العير القوارين
يريد حظوته لدى الهوامين
حتى تكَمَل أدوار الشياطين

وللأقاصيص مغزاهها وزبيدتها
وللبديع صدقٌ يزين ما حملت
وللفصاحة أفاقٌ بها احتفلت
وكان (سلطان) أملاها وحقها
وزانها بإضافاتٍ منمقةٍ
واختار أندى عباراتٍ مزركشةٍ
واختار لهجة من يرجو نصيحتنا
ولا يمل - من التكرار - محتسباً
هو الحريص على إيصال فكرته
هو المضيف بشاراتٍ لقصته
هو المحقق لم يرو الهُرا أبداً
هو المدقق أخباراً لسامعها
وإن يكن لقباً له الجنونُ بدا
أراه أفضل راو لا يُضارعه
سِيماءُ وجهك يا سلطان تُنبئنا
قرأت آلاف ما اقتنيتُ من قصص
فما وجدتُ لما ترويه من شبهٍ
فجلهم أثر الأموال تجلبها
صيغتُ بلا أدب سام ، ولا قيم
وبعضها يمدح الإلحاد منتظراً
وبعضها يعرض الفجور دون حيا
وبعضها الدعرُ فحواها ومنهجها

حتى تُرَوِّج إغواء الملاحين
لهدم منظومة الأخلاق والدين
للنيل من ملة الغر الميامين
وحصنوها تباعاً خيراً تحصين
غيثاً يُرَوِّي مجاهيل الملايين
فالدارُ ضاقت بكيدٍ جدّ مفتون
وأثمر السؤقُ نفعاً غير ممنون
كي يُدركوا همم الأسد العرانيين
بلا مجاملةٍ ، أو بعض تدشّين
وترسل اللوم بين الحين والحين
على الرشاد يُسلي كل محزون
بسرّد نص - على التحقيق - موزون
يرويه من قصص بالصدق مرهون
تأوي - لنهج شديد الوقع - مسنون!
تسبي فؤاد كسير النفس مغبون!
بروح مبتئس وقلب مشجون!
وأمرُ ربك بين الكاف والنون
وعشت ما عشت في عز وتمكين!

وبعضها صُبغت بالعهر أسطرها
وبعضها الكفرُ - في الديار - جندها
وبعضها الظلم قواها وساندها
من الدعاة سعوا في بعث نهضتها
(سلطان) جاء بما يرويه من قصص
فقصّ ما قصّ مُستلاً مهنده
ساق البديلَ رواياتٍ مهذّبة
تُعلم الناس آداباً تُؤهلهم
تُناولُ الخلق ما علّمت من مُثل
وتُنذر الناس عن سوآى تحقيقٍ بهم
نجحت في جانب الإسقاط معتمداً
وللصحابة قسط في روايتكم
لم تُلف حاطب ليل لا يُحقق ما
فكم بكينا من الرواية انتظمت
وكم ضحكنا لِمَا تزجيه من مُلح
وكم رثينا لِمَا ترويه من شجن
وكم دعونا - لك - الرحمن في شغف!
أعانك الله يا (سلطان) صحتنا

رسالة إلى منشد منافق

(إنه لعار يسجله التاريخ على منشد قارئ منافق! كان قد اتخذ آيات الله هزواً ، واستهان بالتوحيد والعقيدة عندما تطاول على الدعاة والعلماء وراح يهرف بما لا يعرف! والأصل أن آيات الذكر الحكيم تحمل الهدى والهداية ، والأناشيد الوعظية الهادفة المحترمة تحمل الوعظ والهداية كذلك! وأولى بالقارئ أن يكون أول الملتزمين بما يقرأ! وأحرى بالمنشد أن يكون أول المتبعين لما يحمل النشيد من أمر بمعروف فيتبعه أو نهى عن منكر فينتهي عنه! يقول الله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟) قال ابن كثير ما نصه: (قال صلى الله عليه وسلم: (يجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار ، فتندلق به أفتابه ، فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار ، فيقولون: يا فلان ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت أمركم بالمعروف ولا آتية ، وأنهاكم عن المنكر وآتية). رواه الإمام أحمد ورواه البخاري ومسلم بنحوه. وقد ورد في بعض الآثار أنه يغفر للجاهل سبعين مرة ، حتى يغفر للعالم مرة واحدة ، ليس من يعلم كمن لا يعلم. وقال تعالى: {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب} ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن أناساً من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار ، فيقولون بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون: إنّا كنا نقول ولا نفعل). رواه ابن عساکر في ترجمة الوليد بن عقبة. وجاء رجل إلى ابن عباس فقال يا ابن عباس: إني أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، قال: أبلغت ذلك؟ قال: أرجو ، قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل ، قال: وما هن؟ قال: قوله تعالى: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم} أحكمت هذه؟ قال: لا ، قال: فالحرف الثاني ، قال: قوله تعالى: {لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} أحكمت هذه؟ قال: لا ، قال: فالحرف الثالث ، قال: قول العبد الصالح شعيب عليه السلام: {وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح} أحكمت هذه الآية؟ قال: لا ، قال: فابدأ بنفسك". رواه الضحاک عن ابن عباس". وقال ابراهيم النخعي: إني لأكره القصص لثلاث آيات قوله تعالى: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم} ، وقوله: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون} وقوله إخباراً عن شعيب: {وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه}. هـ. فهل وعى ذلك كله ذلك القارئ المنشد المرتزق ذائع الصيت؟ إني لأرجو الله أن ينفعه وكل غافل بهذه الرسالة! فليراجع نفسه ، فلن يغني أحد عنه من الله شيئاً! فليفق ولينتبه! وعندما نعلم أنه ملياردير مشهور ومعروف يكون الأمر أعتى وأشد! لماذا؟ والجواب: لأنه لو كان مُعديماً فقيراً لقلنا يرتزق بقراءته وإنشاده مثل سائر المرتزقة الذين ختموا القرآن حفظاً وترتيلاً لم يسقطوا منه حرفاً واحداً ، بينما هم أسقطوا العمل به! والعجيب أنه أفرد ثلاثين ساعة من الدعاء قسّمت على ثلاثين يوماً رمضانياً وقبل الإفطار يدعو فيها للطواغيت الموتى بالرحمة والمغفرة ودخول الجنة والنجاة من النار! إنه موت القلب ، وغياب الوازع الديني ، وفقدان الغيرة على الإسلام!

أتهذي بآيات الكتاب ، وتلعبُ	وتزعمُ أن - للدين والحق - تُنسبُ؟
تُتأفق مَنْ ضلوا بدون مبرر	وفي تيه أهل الكفر يا غرّ تضرب
وتأكلُ بالإسلام في كل محفل	وبالدين تستجدي الطغاة وتلعب

فهل من وراء الهزل قصدٌ ومأرب؟
كأنك لم تقرأ ، ولم تك تكتب
ليبذل أخرى باسماً ، ويُرْحَب
ووفق مزاج الضيف ذا يتقلب
وجمهوره - بالطبل - يهنا ويطرب
رأيت المذيع الوبش يُطري ، ويسهب
رأيت المذيع النذل في الناس يخطب
وقولك برقٌ - في اللقاءات - خلب
وترجلُ النص ارتجالاً ، وتكذب
وعنها تُحامي ، ثم - في الغيِّ - تدأب
ولست لأخرى - مشفقاً - تتحسب
فلم تعذر عنها ، فأنت مُغيب
تهيمُ بما تدعو ، وتلهو ، وتطرب
بكفر ، فهل ما قلت أولى وأصوب؟
وتزجر منصاحاً يذود ويعتب
فهل (موصلي) يصطفئها (زريب)؟
وأفئدة السمار - في الحفل - نُحِب
على أن من يُلقى القصيدة عقرب
ولستُ على (ابن الحسين) أعيب!
فهل بات تمثيلاً نشيدٌ محبب؟
فما زلت تهذي بالأحاجي ، وتثلب

وتهزل إذ لم تعرف الجد لحظة
وتلقي الفتاوى دون أدنى ضوابطٍ
وتبذل للوغد المذيع حفاوة
يبادلُك الإحساس قلباً وقالباً
إذا ضيفه غاوتبدي مطبلاً
وإن ضيفة ملعونة جاءت الحمى
وإن زار ضيفٌ مؤمنٌ وموحداً
وأنت أتيت اليوم ضيفاً مُلمعاً
تقول الذي يُرضي المذيع تكلفاً
وتجهرُ بالأراء فاحت شناعة
وتصطنع الفقه المنير تنطعاً
وتسأل في الأشياء أنت جهلتها
وتدعو لطاغوتٍ على الكفر ميّتٍ
وتلتمس الأعذار للقوم جاهروا
تطوع دين الله للقوم أعرضوا
وتقتنص الأشعار من كل شاعر
وتبكي إذا أنشدت ، والدمعُ ساجمٌ
(وليس الغريب) اليوم أكبرُ شاهدٍ
وشاعرُها من كل غش مبرؤ
ولكن أعيب الصلّ يبكي مُخادعاً
وطينك زادته الحماقات بلّة

وليس الذي تأتي عن الله يعزب
وبالجهل والتحريف والغدر تغلب؟
وأنت - على القراء - يا غير تحسب
تجادل عنها ، ثم تلغو ، وتظنّب
وآياتِ قرآن عليها تعقب؟!
كأنك - إذ أنشدت في القوم - مطرب
(زهيرٌ) بهاناغى ، وقلد (قطرب)!
يُشَرِّقَ مَنْ يَشْدُو ، وأنت تغرب
وهل يستوي نورٌ تلالا وغيب؟!
أو اعملْ به تسمو ، وأخراك تكسب
حوى من نصوح - للطوايا - تُهذب
وكُف عن الأمثال للناس تُضرب!
وأحسنُ لأجبال صوابك ترقب
وغشك مكشوفٌ ، وعارك تجلب
وتلعنه الآياتُ إن كان ينصب!
ألا فاحترفْ شعرَ الهوى ، ذاك أعذب
وأنت - عن التطبيق للنصح - مُضرب
وربي شهيدٌ أن وعظي مؤدب!

وتغمز أستاذ الظلال بلا حيا
فمن أنت حتى تستطيل مناظراً
وتقرر أي الذكر دون تدبير
كأن كتاب الله عنك ساعة
ألخناً وترجيحاً غداً ذكرُ ربنا
وتنشد إنشاداً تسامت لحونه
وتختار أشعاراً تُغرّد وحدها
وأنت على التحقيق تُزري بمن شدا
وبينكما شستان شستان فاستفق
فكف عن القرآن مادمت مجرمًا
وكف عن الإنشاد لم تلتزم بما
وكف عن التبرير زوراً تلوكه
وكف عن الأعداء جهلاً تسوقها
فإنك محتالٌ ، وسعيك محبط
برئٌ هو القرآن من كل ساقطٍ
وشعر الهدى عن كل وغدٍ قد استمي
ألا إنني أبلغتُ نصحي ودربتي
وعظتك وعظماً لا سبيل لنفيته

رفيدة الأسلمية

(مهما كتب الكاتبون عن صحابييات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا أزعم أنهم يوفون بحق هؤلاء الصحابييات! وخاصة صحابية بوزن رفيدة الأسلمية الخزرجية! ولقد تأثرت بقصتها جداً كما تأثر كل من قرأها بقلبه وروحه ومشاعره ووجدانه! ولقد كتب الأستاذ الفاضل أحمد شحاتة أحمد عن الصحابية الجليلة رفيدة الأسلمية ما نصه: (لقد كانت فلورنس ناتنجيل أشهر ممرضة في العالم لما قامت به ، وقد أطلق عليها لقب "حاملة المصباح" ، لأنها كانت تحمل المصباح ليلاً ، وهي تبحث عن الجرحى الذين سقطوا في ميدان المعركة ، التي قامت بين بريطانيا وفرنسا من جهة ، وروسيا من الجهة الأخرى. لكن هناك من هي أقدم منها بأكثر من ألف عام ، مارست مهنة التمريض على أكمل وجه ، وهي السيدة رفيدة بنت سعد الأسلمية الخزرجية الأنصارية. اسمها رفيدة ، وهو مشتق من الإعانة والصلة والعطاء ، وهي من قبيلة بني أسلم إحدى قبائل الخزرج ، في المدينة المنورة ، التي كان يطلق عليها يثرب. استهوتها حرفة التمريض ومهنة التطبيب والمداواة ، وتفوقت في ذلك حتى عُرفت بين الناس. كان لها صحبة مع رسول الله في غزواته ، وكانت تداوي الجرحى في ميادين القتال. وقد تعلمت التمريض على يد أبيها ، وكانت طبيبة وممرضة ، ولها مكانة عند الرسول الذي كان يجأها ويحترمها. وتعتبر رفيدة صاحبة الخيمة الطبية الأولى في التاريخ! بايعت رفيدة ، وهي من الصحابييات ، الرسول بعد الهجرة ، واشتركت في غزوتي الخندق وخيبر. وكانت قارئة وكاتبة ، وصاحبة ثروة واسعة ، وكانت تنفق على عملها من مالها وثروتها. وكانت صاحبة أول مستشفى ميداني ، وعرفت بمهارتها في الطب والعقاقير والأدوية وتصنيعها ، والجروح وتضميدها والكسور وتجبيرها. وتعاونت مع مجموعة من الفتيات تعلمن التمريض على يديها. عُرف مستشفىها الميداني المتنقل باسم "خيمة رفيدة". وكانت أول انطلاقة لها عندما عاد المسلمون من غزوة بدر إلى المدينة منتصرين ، ومعهم الجرحى ، فقامت بعلاج المصابين. وينقل الدكتور أحمد شوكت في كتابه تاريخ الطب وآدابه وأعلامه ، أن رفيدة كانت طبيبة متميزة ، لذلك اختارها الرسول - صلى الله عليه وسلم - لتقوم بالعمل في خيمة متنقلة. وقد روى الإمام مسلم عن عائشة زوج الرسول - صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عن أمنا عائشة - أنها قالت: "أصيب سعد بن معاذ - رضي الله عنه - يوم الخندق ، رماه رجل من قريش في الأكل (كوع اليد أو الوريد المتوسط في اليد) ، فأمر الرسول رفيدة أن تقيم خيمة في المسجد ليعوده من قريب". وقال ابن إسحاق في السيرة: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد جعل ابن معاذ في خيمة لامرأة من بني أسلم يقال لها رفيدة في مجلسه". وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - للقوم حين أصاب السهم ابن معاذ بالخندق: "اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب". وروى البخاري في الأدب المفرد عن محمود بن لبيد قوله: "ولما أصيب أكحل سعد يوم الخندق ، فقيل حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة ، وكانت تداوي الجرحى ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، إذا مر به يقول: كيف أمسيت؟ وإذا أصبح قال: كيف أصبحت؟ فيخبره". سماها ابن سعد كعبية ، فقال: كعبية بنت سعد الأسلمية بايعت بعد الهجرة ، وكان لها خيمة بالمسجد تداوي الجرحى ، وكان سعد بن معاذ عندها تداوي جرحه حتى مات. وكانت رفيدة تخرج في الغزوات ، وتنقل معها خيمتها بكل متطلباتها وأدواتها واحتياجاتها فوق ظهور الجمال ، ثم تُقيمها بإزاء معسكر المسلمين ، تشاركها العمل الصحابييات. لذا تعتبر خيمة رفيدة الأسلمية على الرغم من بدائيتها أول مستشفى ميداني. وقد

اشتركت ربيعة في كل غزوات الرسول: أحد والخندق وخيبر. ففي غزوة خيبر ، وبينما الرسول يتأهب للزحف ، جاءت ربيعة إليه على رأس فريق كبير من نساء الصحابة ، قامت بتدريبهن على فنون الإسعاف والتمريض ، فاستأذن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قائلات: "يا رسول الله أردنا أن نخرج معك ، فنداوي الجرحى ونعين المسلمين ما استطعنا" ، فأجابهن النبي: "على بركة الله". وفي هذه الغزوة قمن بجهد عظيم ، ما جعل الرسول يقسم لبيعة من الغنائم حصة رجل ، شأنها في ذلك شأن الجندي المقاتل. كما أعطى المتفوقات منهن قلايدات شرف ، وكانت الواحدة منهن تعتز بقلايدتها ، وتقول: "والله لا تفارقتي أبداً في نوم ولا يقظة حتى أموت". هـ. ومن هنا كانت هذه القصيدة عن (ربيعة الأسلمية) لأبين كيف كانت الصحابيات الفضليات الجليلات يخدمن الإسلام والمسلمين ، ويحملن حقاً هموم جراح الإسلام والمسلمين! إنها المروءة التي تربين عليها! وتحت عنوان: (المروءة) يقول الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت ما نصه: (جاء رجل يبحث عن بيت يستأجره فذكر له بيت صغير من ثلاث غرف! ولا زلت أذكر كلمة قالها حينما قيل له: لكن هذا البيت لا يفي بحاجتك حيث لا مكان فيه لاستقبال الضيوف ، قال: وما شأنى بالناس؟ أفرغ غرفة من أجل الآخرين؟ يكفي أن أسلم عليهم في الطريق أو في العمل أو في المسجد. فيا عجباً كيف يتخرج أولاد هذا؟! ومن الناس من تعاشره عشرات السنين معاشرة قريبة ولم تسمع منه في يوم واحد يدعوك إلى منزله أو ترى أحداً يطرق بابه أو يستقبل ضيوفاً أو ما أشبه ذلك. فكيف يتخرج أولاده؟ وكيف يعرفون المكارم ومعالي الأمور؟! إن الرجل إذا ارتبط بامرأة ضعيفة الهمة تؤثر الكسل والخمول والنوم ، فإنه إذا أراد أن يستضيف الرجال ولولت وزمجت وغضبت وتأففت واستنقلت. لا تريد أن تقوم بأعباء من أجل إكرام هؤلاء الضيوف ، فهؤلاء قوم لا يطرق بيتهم طارق ولا يستقبلون ضيقاً ولا يعرفون كرمًا ؛ لأنهم لم يوفقوا بامرأة تحثهم على هذه المكارم ، فيحمل الرجل همًا كبيراً لأنه سيلاقي مشكلة في داخل بيته إذا استضاف أحداً من الناس. وكذلك المرأة إذا كانت لا تحفظه في غيبته فأي محل للمروءات عند هذا الرجل ، إذا كانت تخونه بظهر الغيب ، إذا كانت هذه المرأة لا تربي الأبناء والبنات على الحشمة والعفاف ومكارم الأخلاق ، وتتبدل إذا خرجت ، فأي مروءة تبقى لهذا الرجل ، إذا كانت هذه المرأة تفشي سره وتتلف ماله فما الذي يبقى له من المروءات ، كي يبذل وكيف يواجه الناس بوجهه طلق؟). هـ.

لأنك - في الجهاد - قطعت دربا	(ربيعة) أبشري بالخير عقبى
وخضت - مع الجنود الشم - حربا	وأجزلت العطاء لنيل أجر
يريد الجرح تريضاً وطباً	وداويت الجراح بكل عزم
ويربط بينكم نسب وقربى	و(أسلم) فاخرت بك كل قوم
له الجنات - عند الله - عقبى	وبذل الخير - للغير - احتساباً
فكم داويت - في الميدان - صحبا!	وطبكت علم الدنيا التفاني
تمثل حاصداً روحاً وقلبا!	وكم أنقذت أرواحاً رداها
يسوق لمن دهته الحرب رعباً	وكان الطب أسرع من حمام

لمن ركبت لما نذرتَه صعبا
لفاضلة قضت - في الدهر - نجبا!
وشرفَ قارنين له وكُتبا
ويُتحف هديها عجماً وعُربا
يُناولك الثوابَ الجمَّ كسبا
ليغفرَ ربنا وزراً وذنبنا
فقد تخذوا - من الدينار - ربا
وينتهبون مال الناس غصبا
ولكن بعد نهب المال نهبا
وأمسى ينصب التديس نصبا
وعُوتب لم يُعزَّ سمعاً لُعُتبي
تضلع من جداوله ، وعبا
وأوسع ناقديه أذىً وسبا
وبات العوُدُ - للإيمان - صعبا
ويملك - في لقاء الأعداء - خلبا
ندبت له جميل الوصف ندبا
بها يمحو ملك الناس ذنبا
بصاحب همةٍ تُهديه حبا
وبذلك كان نبراساً ودأبنا
ألا واجعل لها الجناتِ عُقبى
وأحقتا بها أهلاً وركبنا

وطالعنا المناقبَ لا تبارى
فكم حوتِ المصادرُ من سجايا
وكان الصَّيْتُ أطولَ منكِ عُمرأً
لخير طبيبةٍ في خير قرن
ومدحُ نبينا لكِ كان سابقاً
وكان دعاؤه بُشـرى قبـول
رفيدة لقتي الرفقاء درساً
فمعظمهم بضاعته التشفي
فدكتور به المرضي تعافوا
وأخر جد في نصب الأحاجي
ليوهم بالمخاطر من يداوي
وبات الغش ديدنه ، لهذا
وجاهر بالخداع بلا حياءٍ
وأمسى الطب محراب المآسي
وأصبح من يداوي الناس وحشاً
وأستثني قليلاً من كثير
رأى ديناً رسالته وتقوى
فليس يُغلب الأطماع تُزري
(رفيدة) كنت للأخيار عوناً
رجوتك يا إلهي ، فارض عنها
وألزمتنا الذي كانت عليه

تراني عندما أرى لحيتك

(تقدّم أحد الرجال المؤمنين للزواج من هذه الموفقة! وكان مبتلىً بحلق لحيته للأسف! وذلك على رغم استظهاره الكامل لكتاب الله ، ووعيه بكثير من الأحاديث النبوية والإلهية الشريفة! وله كذلك إلمام بالفقه والفهم والوعي! ورحب الأهل به إذ كان يجمع إلى كل ما تقدم البيت ويسر الحال والغنى! وعلقوا موافقتهم بموافقة ابنتهم العروس! وذلك عندما أصر عليهم أن يكون ذلك أمامه في مجلس يُعقد لاحقاً ، وبالمرة ينظر إليها بما في ذلك وجهها النظرة الشرعية! فقد كانت من صويحبات الحجاب الشرعي الكامل الشامل لكل الجسم بما في ذلك الوجه! وعندما جاء الخاطب وحضرت المخطوبة أو المرشحة للخطبة (العروس المرتقبة) بحضور الأهل في منزلهم بالطبع ، رحبت العروس بالخاطب وأثنت عليه خيراً ، وأعلمته أن مثله لا يُرد! ولكن! فقاطعها قائلاً: ولكن ماذا؟ قالت: أفصح أنت عن مرادك وطلبك وسوف أقول لك ولكن ماذا! فقال: أريد أن أرى وجهك الرؤية الشرعية كما هو معلوم في كتب الفقه! فقالت في ثقة المؤمنة وإيمان الوثيقة: سوف ترى وجهي عندما أرى لحيتك! وانتهى المجلس! ودارت رحى الحرب الكلامية بينها وبين أهلها بعد انصراف الضيف العريس! فقائل: أنت متشددة! وقائل: اطلبي هذا بعد الزواج! وقائل: لقد أضعت العريس من يدك ، وأنى لك بعريس مثل هذا! فقاطعت الكل وقالت: إن كان فيه خير فسوف يعود ملتجئاً وهذا ظني بالله تعالى ثم بالعريس ، فما طلبت شيئاً ليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - . وإن كان غير ذلك فلا أرجعه الله ، وأبدلني - سبحانه وتعالى - خيراً منه! وانقطعت أخبار العريس ثلاثة أشهر! ثم طرق الباب ملتجئاً على شرط عروسه! فرحب به الجميع وجاءت العروس ورآها ورأى وجهها! وتم العقد والبناء والله الحمد! لقد أثبتت هذه العروس عدلها في الأمور ، كما أثبتت شجاعته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! ولم تقف بالنفس عند عقدها ورغباتها من ضياع العريس بعد إحراجه أمام الناس! لقد تحدثت نوازع الشر مستصحبة نوازع الخير! لقد راهنت على القرآن والإيمان اللذين عند عريسها المتقدم لخطبتها! وهو صراع داخلي عنيف! وتحت عنوان: (نوازع الخير والشر) يشاركنا الدكتور علي الطراح الرأي فيقول ما نصه: (يرى بعض العلماء أن الذاكرة موزعة بين القلب والنفس ، خصوصاً بأن للقلب مكوناً من موصلات عصبية في غاية التعقيد تعمل بمعزل عن الأعصاب المخية. وعندما يصاب المرء بمرض عضال تتفاوت الاستجابة ؛ فالبعض يتصدى للمرض بقوة وإرادة ويستطيع أن يشفى نفسه ، والبعض الآخر تصاب نفسه بهزال وتضعف ومن ثم يقتحم المرض كل خلايا جسده فيصاب بالضعف والإنهاك. فالنفس المؤمنة والقوية تقوى على مواجهة الواقع وتتمكن من هزيمة الألم ، وهذا ما يفسر لنا ميل البعض نحو التفاؤل والبعض الآخر نحو التشاؤم ، وهذا النوع الأخير يسير حياته حيث الطاقة السلبية هي المسؤولة في مثل هذه الحالات. والنفس تكل وتتعب عندما نرهقها بتناقضاتنا السلوكية ، ويغيب الانسجام عنها ، والبعض منا لا يعبأ أو لا يشعر بضخامة التناقضات التي يقوم بها في كل يوم ، خصوصاً هؤلاء الذين يظهرون بمظهر الخير بينما هم يضمرون الشر ويدبرونه للمحيطين بهم ، وهم في مثل هذه المواقف يعرضون نفوسهم للألم الخفي. وكثير من هؤلاء يكونون محكومين بخبرات سابقة أثرت عليهم وأطرت سلوكهم ؛ فهم أصحاب نفوس مريضة ومضطربة ، تغيب عنها البهجة الداخلية وتفتقر لراحة الانسجام. نحن كبشر ، خليط من الشر والخير ، والعقل هو المهدب للسلوك ، ونتعرض لمواقف مؤلمة من البعض ، وقد لا نتحلى بالصراحة فنخفي الألم الذي

تسبب به البعض ، ومن ثم نفكر في رغبة الانتقام والثأر وهي رغبة شريرة مدمرة للنفس حيث تمثل رؤية الانتقام فرحة ، بينما هو مرض يؤكد الرغبة في التشفي. علينا أن لا نشغل البال بهذه النوعية من الناس وأن ندعهم ينعمون بمؤامراتهم ، وكل ما علينا هو أن نحصن أنفسنا بنوازع الخير لأن من يضمّر الشر سيعود إليه).هـ. لقد أذهلتني لهجة الفتاة ، فتأثرت بجرأتها في الحق وانصياعه في الطاعة والاستجابة! واحترت عنم أكتب؟ عن العريس الذي استجاب لأمر الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم -؟ أم عن العروس التي ما أبدت تمسكاً بعريس تحلم به كل فتاة مسلمة؟ ولما كانت كلمتها الصريحة (تراني عندما أرى لحيتك) رأيت أن أجعلها عنواناً وتهنئة شعرية ، لهذه العروس الفذة المسلمة المؤمنة الموحدة! أكثر الله من أمثالها!

بدون وعدٍ - بقبح الزور - مقرون	بلا مؤاربةٍ ودون تدشيشين
بدون قول - بزيغ اللفظ - مدهون	بلا مجادلةٍ ، ولا مداهنهٍ
أن لا أميل إلى التمييع في الدين	عليّ عهدٌ أنا قطعته سلفاً
بعزيمةٍ ما بها شيءٌ من اللين	وأن أعيش - على التوحيد - صادقة
بخاطر - بسنا الإيمان - مرهون	وأن أواجه ما ألقاه من محن
من بعد أن قلبوا كل الموازين	وأن أجاهد - بالقرآن - من جهلوا
ربّ الأنام أكفنا شر الشياطين	وأن أعالج ما إبليس أفسده!
إلى الرشاد بتوضيح وتبيين	وأن أكون هنا في الناس داعية
وأن أقيم - على قولي - براهيني	وأن أجادل بالحسن من انحرفوا
- عن أن يعمّ الدنا - كيدُ الفراعين	وأن أغار على الإسلام ، عرقله
لأنه منهجُ الغر الميامين	فلا تؤاخذ فتاة ذلك منهجها
من آثروا العيش في عز وتمكين	أسلاف أمتنا وأهل شرعتنا
فإن ذا ديني كل الأحايين	أنا الصريحة فاقبلني على وضحني
وإن لقيت الأذى ، فليس يثنيني	أنا الجريئة في حقي بلا خور
وكم أخذتُ بتدليل وتضمين!	إنني استمعتُ إلى النقاش أجمعه
وكم يضيقُ معنى بعض تلحين!	فالآي تتلى بلا لحن ولا خلل
كأما تليثتُ من الدواوين	وللأحاديث فحواها ورونقها

وفيك خيرٌ كثيرٌ غير ممنون
ولا أزخرُفُ أقوالِي بتدشِين
ولم يَزل يَستمي فينا بتحسين
إلى جوارِ حجىّ واع وموزون
يُزري بما في القرى من البساتين
وليس مالِكُه من القوارين
ومثلها ذهبَت إلى المساكين
فليس يشقى بسهم جد مضمون
من كل فردٍ - بجلب الرزق - مطحون
زوجاً تكون به كالخرد العيين
وليس يلحقها شئٌ من الهون
وإن تكن تُرجى عند الدهاقين
وإن يكن بينهم بعضُ المجانين
فرحبوا دون إيـراد الأظنانين
ودون شرطٍ به شاراتُ تخوين
بلا ضغوطٍ ، ولا آيات تزيين!
يسوق بُشرى بدتْ أحلى من التين
يريد رأيي صريحاً دون تخمين
أمام أسد رأبيل عرانيين
أدلي برأي جهير غير مأفون
مَن أمرُه يا ابنتي بالكاف والنون!

وأنت - والله - سُنيّ ومعتدلّ
ولست أنكر ما لديك من قيم
والصيتُ بالحسن موسومٌ ومتصفٌ
والكل يعرف أخلاقاً خُصصت بها
وعندك البيتُ ، والخيراتُ تغمره
وعندك المال موفورٌ لمالكه
بل حصّة فيه للفقير قد رُصدتْ
وابن السبيل له سهمٌ أنيط به
وتقرضُ الناس كي يقضوا مصالحهم
وأنت حقاً فتى أحلام من نشدتْ
وإن خطبت فلا تُردّ خطبتكم
وإن شففت فلا تخيب شُففتكم
وإن تكلمت فإع الكمل ، وانتصتوا
واليوم جئت إلى قومي ، لتخطبني
ودون قيدٍ لهم أبداً موافقة
إلا موافقتي أدلي بها علناً
وجاء عمي إلى حُجيرتي فرحاً
وقصّ ما قصّ من عرضٍ ومن طلب
فقلت: رأيي أمام الكل أطرّحه
وسوف آتي بنفسي الآن مجلسكم
فقال عمي: لعل الله يُكرمننا!

تلك التي فرضت بالشرع والدين؟
وسوف أفصح عن كل المضامين
تزوجي قراراً صريحاً غير مظنون
جلباب مؤمنة أراه يحميني
بلا خضوع بغيض الوقع ملعون
جلستُ كان جلوسي بعض عربوني
أبشرُ بجمع - يصون السرّ - مأمون
مرحى بضيفٍ عزيز النفس ميمون
وأنت ربة تلميح وتفطين
وسوف تمنّحه من بعد ذا الحين
لك احتراماً وشأواً غير مكنون
مبجلين غدوا مثل الأساطين
تلق الحلياة في حالي وتزيين
وإن شرطي له بعض البراهين
حتى يميّز عن ذات الفساتين
فاكفر بما جاء عن أتباع (الينين)!
إني دعوتُ فأمّن خير تأمين!

وزاد عمي: وهل يراك رؤيته
فقلت: ردي قريباً سوف تسمعه
دعني أكن ضيفة تحظى بمجلسكم
فاقتادني العم للخطيب مُذنية
قلت: السلام على أهلي وزائرهم
وبين جدي وعمي والعظيم أبي
فقلت: يا ضيفنا أفصح بلا وجل
اطلب تُجب للذي تريد يا رجلاً
فقال: آباؤك الكرام قد علموا
فقلت: عمي بما تريد أخبرني
دعني أرى لحيّة تزيد ناظرها
إن اللحى تجعل الرجال في ملاء
فإن تكن هكذا أقدم على عجل
أبشرُ قبلك زوجاً لست أرفضه
إني أرى لحيّة العريس شامته
وذكرها جاء في الوحيين منبجاً
يا رب تمم بخير منك زيجتنا

خاتمة

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الذي تفرّد وحده بالعز والجلال ، وتوحد بالكبرياء والكمال ، وجلّ عن الأشباه والنظراء والأشكال ، ودلّ على معرفته فزال الإشكال ، وأدلّ من اعترز بغيره غاية الإذلال ، وتفضّل على المُطيعين بلذيق الإقبال ، بيده - عز وجل - ملكوت السماوات والأرض ومفاتيح الأقفال ، لا رادّ لأمره ، ولا مُعقب لحكمه ، وهو الخالق الفعال! الحمد لله الذي تفرّد بجلال ملكوته ، وتوحد بجمال جبروته وتعزز بعلو أحدىته ، وتقدّس بسمو صمديته ، وتكبرّ في ذاته عن مضارعة كل نظير ، وتنزه في صفائه عن كل تناهٍ وقصور ، له الصفات المختصة بحقه ، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه! الحمد لله الذي أعطى ومنع ، وخفض ورفع ، وفرّق وجمع ، ووصل وقطع ، وبِحكمته ربحت الطائفة الرابعة ، وخسرت الطائفة الخاسرة ، أضحك وأبكى ، وأمات وأحيا ، وأغنى وأقتى ، وأوجد وأفنى ، وأباد بسطوته الأمم الغابرة ، سبحاته قرّب أوليائه من بساط أفضاله ، ولقاهم السرور بيمن إقباله ، وأحيا قلوبهم بشهود جماله ، وعاملهم بجزيل نواله ، فهم في جنةٍ عالية! واسألوا أنفسكم أيها القراء الأحبة معي ومع الدكتور علي القرني هذه الأسئلة: (لماذا خلقنا ومن أين وإلى أين ما الهدف؟ ما الغاية؟ ما الحكمة من هذا الخلق؟ إن لكل شئ حكمة بالغّة وضعها الله عز وجل ، عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها ، الشمس من حكمها أنها تضئ للبشر ، والمطر ينبت الأرض ، والحيوانات لتركب ولتأكل وزينة ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ويخلق ما لا تعلمون ، كل شئ في الوجود لحكمة من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة ، فما الحكمة من خلقك أيها الإنسان؟ ما الحكمة من خلقك أيها الإنسان؟ أن تذبح الحيوانات لتأكلها؟ أن تلبس أبهى اللباس؟ أن تسكن أحسن الدور والقصور؟ أن تتكح أجمل الزوجات لتتمتع بهن؟ أن تنام على الوثير وتتنعّم؟ أن تتركب أفخم السيارات؟ لا والذي رفع السماء بلا عمد! ما خُلِقْنَا إلا لعبادة الله الواحد الأحد القائل: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) ، والقائل سبحانه: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم). جعل الله لنا طريقاً مستقيماً ، فقال سبحانه: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون). ليس هذا فحسب! بل أرسل إلينا رسولاً هو خاتم الأنبياء الرسل صلى الله عليه وسلم ، صاحب اللواء يوم العرش ، وأول من تنشق عنه الأرض ، فجاء صلى الله عليه وسلم بأعظم معجزة عرفتها الأمم ألا وهي القرآن! من استنار بنوره قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار من التمس الهداية فيه هداه الله ، ومن التمس الهدى في غيره أضله الله وأهانته ، ومن يهن الله فما له من مكرم! فما حالنا مع هذا القرآن؟ وما حال أبنائنا مع هذا القرآن؟ مع كلام الله جل وعلا! هل علمناه أبناءنا؟ هل دفعناهم إلى المساجد ليتعلموا كلام رب العزة والجلال؟ إن كنا كذلك فأبشروا بالعزة والنصر في الحياة ، والسعادة يوم تلقون الله عز وجل. وإن كنا غير ذلك ، فإن من جعله خلف ظهره ساقه إلى النار ، نسأل الله العافية من النار ومن دار سوء القرار. جاء صلى الله عليه وسلم بالقرآن ليقطع الطريق على كل مبتدع وكذاب وأفاك ومدع للنبوّة. صلى الله عليه وسلم ، فلا نبي بعده فخلد الله دعوته وخلد الله رسالته ، وجاء المدّعون للنبوّة في عهده ومن بعده فما جعل الله لدعواتهم أثر ، لأنها دعوة باطل والباطل ساعة ، والحق إلى قيام الساعة ، جاء المدّعون للنبوّة من بعد فاتدحروا بالقرآن! جاء [مسيلمة] فبم لقب؟ لقد لقب بالكذاب ، وإلى اليوم ، وإلى أن يرث الله الأرض بما عليها ومن

عليها! وجاء كذلك [الأسود العنسي] وغيره من الأفاكين والمدعين والكذابين ، فباد هؤلاء جميعاً ، وسادت رسالته صلى الله عليه وسلم بالحق ، فما على وجه الأرض أحدٌ يقول أشهد أن مسيماً رسول الله ، لكن على وجه الأرض ألف مليون مسلم في الجملة كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل فوق ذلك أجرى أحد العلماء دراسة على خطوط الطول والعرض على الأرض ، فأثبت أنه ما من دقيقة تمر الآن إلا ومنذنة على وجه الأرض يُسمع عليها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله! (فأما الزيد فيذهب جفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض). فلا إله إلا الله ، لقد أيد الله رسوله بالقرآن وبما يزيد على مئات المعجزات الظاهرات القاهرات! ها هو [الإمام أحمد] في مسنده يروي أن راعياً خرج بغنمه إلى الفلاة في يوم من الأيام ، وجاء ذئب فعدا على شاة فانقض عليه الراعي ، فأمسك بالشاة وأخذها من فم الذئب ، فما كان من الذئب إلا أن تأخر وأقعى على ذنبه وتكلم كلام الإنس وقال: أما تتقي الله تأخذ رزقاً ساقه الله إليّ؟! فقال الراعي: يا عجبى! ذئب يتكلم؟ قال الذئب: وأعجب من ذلك محمد بشر يخبرك بأنباء من سبق! فما كان من هذا الرعي إلا أن أخذ غنمه ، وانطلق بها إلى مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ليدخل إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويخبره الخبر. فينادي النبي صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة لاجتماع الناس ، فيجتمع الناس فيقول صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس". ولقد كلمت السباع الإنس على عهد محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي قال: "بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه صلى الله عليه وسلم". فماذا يقول من كان بعده بأربعة عشر قرناً؟ نسأل الله أن يحسن الحال ، ليس هذا فحسب ، روى [البخاري] [ومسلم] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن أهل مكة سألوه آية على قدرة الله عز وجل ليؤمنوا كما ادعوا. فسأل ربه آية فانفلق القمر فلقنتين: فلقة على جبل وفلقة على جبل آخر ، فقالوا: سحر أعيننا محمد ، واستكبروا وصدوا وندوا وقال المنصف منهم: نذهب إلى أهل البوادي ، فنسألهم: هل رأوا ما رأينا ، فذهبوا إلى البادية وسألوهم قالوا: إي والله قد انفلق فلقنتين في تلك الليلة. فقالوا: مُصدنين ومعرضين: سحر عم البادية والحاضرة"! فأنزل الله (اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر). وها هو صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم لا يمر على شجرة قبل أن يبعث إلا وقالت: السلام عليك يا رسول الله! ولا يمر على حجر إلى قال: السلام عليك يا رسول الله! جماد (غير مكلف) آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبشر (مكلفون) صدوا وندوا عنه صلى الله عليه وسلم. ولذا يقول صلى الله عليه وسلم بعد أن أصبح بالمدينة: "والله إنني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث"! ليس هذا فحسب روى [مسلم] عن [جابر بن عبد الله] رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً من الأيام في فلاة ليقضي حاجته قال: فتبعته بماءٍ له قال وإذ به يأتي إلى وادٍ على شاطئيه شجرتان قال: فلم يجد ما يستتر به فذهب إلى إحدى الشجر وأمسك بأغصانها وقال: انقادي بإذن الله! قال: فوالله لقد انقادت وراءه كما ينقاد البعير المغشوش الذي في أنفه رباط يُسحب به. ثم ذهب إلى الثانية ثم وضع يده عليها وقال: انقادي بإذن الله فانقادت معه ، حتى جاءت وأصبح بينها فقال: التتما عليّ بإذن الله فالتأمتا عليه حتى لا يرى صلى الله عليه وسلم وهو يقضي حاجته. قال: ثم ذهبت مولياً لنلا يبتعد المصطفى صلى الله عليه وسلم إذا رأيته ، وإذا به ينتهي من قضاء حاجته ثم يقول للشجرة الأولى: ارجعي! قال: فترجع بأمر الله إلى مكانها ، وترجع الثانية إلى مكانها"! آيات ومعجزات ظاهرات بينات! لكن يا أيها الأحبة صدق قوم بذلك

وآمنوا فأطاعوا الله ورسوله فكان لهم ما قاله الله جل وعلا: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا)! وصنّف آخر كذب وصد واستكبر بعقل جامد وقلب فارغ ساه لاه لا يفقه ، وعين لا تبصر وأذن لا تسمع! بهيمة في مسلّاح بشر ، عصى الله وتعدى حدوده ، فكان له ما قال الله جل وعلا: (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)! وربنا سبحانه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني اغفر لكم" اللهم اغفر لنا ، اللهم ارحمنا ، اللهم تب علينا ، اللهم يا من رحمته وسعت كل شيء ارحمنا برحمتك. الله عز وجل رحيم ، والله عز وجل كريم ، وسبقت رحمته غضبه ها هو سبي يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وبين السبي امرأة ضيقت ولدها تبحث عنه يميناً وشمالاً ، حتى وجدته فضمته إلى صدرها ضمة الأم لابنها الذي أضاعته والرسول صلى الله عليه وسلم يراقبها فيقول لأصحابه: أترونها طارحة ولدها في النار؟ قالوا: لا والله وهي تستطيع ألا تطرحه! قال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها. فيا من رحمته وسعت كل شيء ارحمنا برحمتك ها هو رجل من بنى إسرائيل موحد لم يشرك بالله شيئاً ارتكب الموبقات: سرق وزنا وغش وارتكب السيئات ، وحلت به سكرات الموت ساعة الموت الذي يُذعن فيها الجبارون ويذعن فيها المتكبرون ، جمع أبناءه في ساعة لا ينفع فيها مال ولا ولد وقال لهم: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب! قال: فوالله ما عملت خيراً ، غير أنني موحد لم أشرك بالله عز وجل ، فإذا أنا مت فأضرموا النار ، ثم ضعوني فيها حتى أصبح رماداً ، ثم اسحقوني ثم زروني مع الريح ، لنن لقيت الله تعالى ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين ، ومات الرجل ونفذوا وصيته ، حرقوه وسحقوه وزروه مع الريح ، ففترق على الجبال والسهول والوهاد والأشجار والأحجار ، لكن الذي بدأه أول مرة أعاده! قال الله سبحانه وتعالى له: كن فكان كما كان! وقال: يا عبدي ما حملك على ما صنعت؟ أما تعلم أنني أغفر الذنب وأستر العيب؟ قال: يا رب خشيتك وخفت ذنوبي! قال: فأشهدكم يا ملائكتي أنني قد غفرت له وأدخلته الجنة! يا من رحمته وسعت كل شيء ارحمنا برحمتك. أخيراً هذا نموذج لغادِ غدا في إيباق نفسه ثم أمهله الله عز وجل فغدا لإعتاق نفسه ، وهي قصة لعل فيها عبرة رجل عمره ما بين الثلاثين إلى الأربعين عربد وأفسد وصد وند عن الله عز وجل ، يقول عن نفسه: ما كنت أنام ليلة من الليالي إلا على شربة خمر أو زنا ، قال: ويشهد الله تعالى وأتزوج بامرأة فأزداد في عنادي وطغياني ، أترك الحلال في البيت وأذهب أطلب الحرام في خارج البيت ، قال: وجئت ليلة من الليالي بعد أن ولدت لي هذه الزوجة بنتاً وأصبح عمرها خمس سنوات ، قال: جئت في ليلة من الليالي فتواعدت مع أصحابي على أن نشرب الخمر في مكان معين ، ويشاء الله عز وجل لي أن أبتعد عن هؤلاء وأتأخر عن الموعد بدقائق ، فجئت فإذا هم قد ذهبوا ذهباً يميناً وذهبوا شمالاً أبحث عنهم ما تركت مكاناً إلا وبحثت عنهم فيه ، لا حياً فيهم ولكن كيف أنام ليلة بلا زنا ولا شرب خمر؟ لا إله إلا الله يوم يصد الإنسان ويند عن الله عز وجل ، قال: ثم ذهبت إلى صديق سوء آخر عنده من الأفلام الخليعة ما يستحي إبليس أن ينظر إليها ، قال: فذهبت إليه وأخذت منه فيلماً خليعاً ، قال: ورجعت إلى بيتي في الساعة الثانية ليلاً - لا إله إلا الله - الساعة هذه الثلث الأخير من الليل يتنزل فيها الرب سبحانه وبحمده نزولاً يليق بجلاله يقول: هل من داع فاستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ ثلث الأوابين ثلث التوابين ،

قال دخلت بيتي والناس على قسمين: ما بين عبد وقف بين يد الله دموعه تهراق على خده من خشية الله ، وما بين أناس يرضعون المعاصي في تلك اللحظة وأنا واحد منهم! قال: فدخلت فنظرت لزوجتي وابنتي فإذا هما نائمتان ، فدخلت في مكان فيه هذا الجهاز الخبيث الذي لطالما دمر كثيراً من البيوت جهاز الفيديو وما يستتبع هذا الجهاز من أفلام تعلمونها أيها الأحبة. يذكر أحد المشايخ في الأسبوع الماضي أنه في مكة وفي بلد الله الحرام ستة عشر فيلماً رقيقاً يستحي إبليس أن ينظر إليه سجلت في وسط مكة وتباع في وسط مكة! أين تقوى الله في حرم الله؟ يبارز الله بالمعاصي؟ والله لنحن عند الله لا نساوي شيئاً متى ما تركنا أمره يدمرنا ولا يبالي سبحانه وبحمده. قال: وأدخلت هذا الشريط في هذا الجهاز ، وأغلقت الباب ، وقمت أنظر في مناظر أكرم الله هذه الوجوه عن تلك المناظر! قال: وإذ بالباب يفتح فدهشت وخفت وزعرت وإذا بها ابنتي الصغيرة التي عمرها خمس سنوات تدخل علي من الباب تحد في النظرات وتقول: عيب عليك يا والدي اتق الله! عيب عليك يا والدي اتق الله! قال: تجمدت مكاني وبقيت أفكر في هذه الكلمات! من علمها؟ من أنطقها إلا رب الأرباب سبحانه وبحمده. قال: بقيت أفتش في نفسي من أين جاءت هذه الكلمات؟ فقلت: لعل أمها لفتتها هذه الكلمات! قال: وذهبت فإذا بها نائمة! وإذا بأمرها نائمة قال: فخرجت أهيم على وجهي وأنا أتذكر قولها عيب عليك يا والدي اتق الله ، قال: و بينما أنا في حيرتي واضطرابي ودهشتي وإذا بهذا المنادي ينادي الله أكبر الله أكبر نداء صلاة الفجر الذي حرمة كثير من المحرومين الغافلين. قال: فاتجهت إلى المسجد مباشرة ودخلت دورات المياه واغتسلت وتوضأت ودخلت مع المسلمين أصلي. قال: ويوم سجدت مع الإمام انفجرت في البكاء لا شعورياً بدأت أبكي تذكرت فضائحي ، وتذكرت جرأتي ، وتذكرت قدومي على الله ، فألمنتي الكبيرة ولسعنتي الفاحشة ، قال: وبعد أن انتهت الصلاة ، وإذا برجل بجانبني يقول: ما بك؟ قال: سبع سنوات ما سجدت فيها لله سجدة! بأي وجه ألقى ربي ، سبع سنوات ما سجدت فيها لله سجدة ، بأي وجه ألقى ربي؟ وبقي مكانه يتذكر ما كان منه من صدود ومن هرب عن الله عز وجل وأين المهرب منه إلا إليه. قال ويحين وقت الدوام ، قال: وأذهب للدوام من المسجد ، وأدخل إلى دائرتي التي أعمل فيها وفيها رجل صالح لطالما ذكرني بالله ولا أسمع له ، قال: ويوم دخلت عليه قال: أهلا بك والله إن بوجهك شيئاً غير الوجه الذي أعرفه منك سابقاً ، فما الذي حصل؟ قال: كان من أمري كذا وكذا وأخبره بقصته في تلك الليلة ، ثم استأذنه ليذهب وينام فنزل من عنده وأذن له ، ونزل إلى المسجد ليصلي في مسجد الإدارة التي يعمل فيها ، قال: وجئت لوقت صلاة الظهر زميله الذي يعمل معه قال: ودخلت ويوم دخلت المسجد فإذا به أمامي يصلي ولما رأني ذرف الدموع واعتفتني قلت له: لم لم تذهب لبيتك لنتام ، قال: إن بي شوقاً عظيماً إلى الصلاة ، سبع سنوات ما ركعت فيها لله ركعة بأي وجه ألقى ربي؟ ثم تواعدا على أن يلتقيا في الليل وذهب إلى بيته وذهب هذا إلى بيته. ويوم دخل على أهله في البيت وإذ بزوجه تصرخ في وجهه وتقول: ابنتك ماتت منذ لحظات فما كان منه إلا أن انهار ، وبدأ يردد: عيب عليك يا والدي اتق الله ، عيب عليك يا والدي اتق الله! ويردها ويذكر أنها ذكرت بالله عز وجل ، فيأتي زميله بعد أن اتصل به وأخبره الخبر ، فجاء إليه وقال: احمد الله الذي أرسل إليك ابنتك قبل أن تموت لتذكرك بالله ، ولم يرسل لك ملك الموت ليقبض روحك ، ثم غسلوها وكفنوها وصلوا عليها ، ثم ذهبوا بها إلى المقبرة ويوم وصلوا إلى المقبرة قال زميله: خذ ابنتك وضعها في لحدها يريد إن يربيه ليعلم أن المصير إلى هذا المكان ، فأخذ ابنته بين يديه دموعه تسيل على كفنها).هـ. لقد عمدت في

أشعاري إلى المواجهة الصريحة بلا مواربة! فعانيت الكثير ولا زلت أصمد وأعاني! وعن الصمود في وجه البدعة فمعاً لها وانتصاراً للسنة يقول أستاذنا وتاج رؤوسنا محمد بن صالح العثيمين ما نصه: (أما ترون هذه الأمم الكافرة الضالة كيف كانت في جهل عميق من دينها وفي شبهات وضلالات تبعدها عن إيمانها ويقينها أم لا تريد سوى العلو في الأرض والفساد والاعتداء على دين الله - تعالى - واستعمار العباد ترقق في صناعتها ومادتها وانحطت في دينها وأخلاقها وشطحت عن سعادتها! وأنتم والله الحمد قد يسر الله لكم ديناً سليماً وصراطاً مستقيماً جعلكم من أمة محمد خير الأمم وأبرها وأزكاها وحفظ لكم دينكم حتى وصل إليكم والله الحمد نقياً من البدع والإشراك وبريناً من طرق الغي والهلاك بما أقام الله لكم من أئمة الدين والجهابذة المرشدين المخلصين! فمن أولئك السادة الأبرار إمام الأئمة ناصر السنة وقامع البدعة أحمد بن حنبل فإنهم نصرروا السنة وبيئوها وقمعوا البدعة وهتكوها حتى صاروا يضرب بهم المثل في اتباع السنة والكتاب ، وبهم يوزن السني من البدعي من سائر الطوائف والأضراب ومنهم شيخ الإسلام والمسلمين أحمد بن تيمية تقي الدين الذي جاهد الكفار والمنافقين وهتك أستار المحرفين والمبتدعين وأظهر من صريح السنة وعلومها وأعلامها ما يتبين به الحق للمعتبرين. وسلك طريقه تلامذته من العلماء المحققين حتى آلت النبوة لشيخ الجزيرة العربية وإمامها الأواب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، فلم يزل مع خصومه في جلد وجهاد وتبيين للسنة والتوحيد الخالص بين العباد ويسر الله له من يقوم بعونه من الملوك المخلصين حتى صفت هذه الجزيرة والله الحمد بمساعيهم من الشرك والضلال المبين. فلم تجد والله الحمد قبة للمشرك ولا مشهداً ولا توسلاً بالمخلوقين ولا مولداً ولا معبداً. ولا تجد فيها والله الحمد من يحرف نصاً من نصوص الصفات ، أو ينفي ما ثبت لله - تعالى - من النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على عرشه فوق المخلوقات. فكل ما جاء من صفات الله - تعالى - فإنهم يقرون به ولا يولونه ولا يجحدون منه حرفاً ولا معنى ولا يكيفون. فاحمدوا الله - تعالى - على هذه النعمة واشكروه واسألوه أن يثبتكم على دينه وسنة نبيه إلى أن تلاقوه! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ). هـ. ومن هنا جاهدت بأشعاري غير هباب ولا مبال بالعواقب! لأن الشعر في حقيقته شعور وإحساس! وتحت عنوان: (الشاعر والشعور) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (يجب عليّ ههنا أن أميز بين الشعور الصادق الصافي المنطلق من أعماقنا القصية ، الذي يعبر عن تجلّي "الكائن- الحقيقة" فينا بامتداده في الإنسانية جمعاء ، وبين الانفعال العاطفي المضطرب والأحاسيس والرغبات غير المتوازنة التي تشكل مجموعها ، فيما أرى الجزء الأعظم من "شعرنا الحديث"! عندما يعي الشاعرُ الفكرةَ يكون قد اقترب من الإفصاح عنها والتعبير عن جوانبها المختلفة بأسلوبه وبطريقته الخاصة. لكن ما لم يشعر الشاعر بمضمون الفكرة ، وما لم يترك شعوره ذلك يعبر عن ذلك المضمون الباطني الذي لا يختلف عن مضمون شعوره ويفصح عنه فإن وعيه للفكرة يبقى ناقصاً ، ويبقى شعره مجرد كلمات مفككة وأفكار غير منسجمة وصور باهتة وموسيقى مفتعلة ، وتظهر فيه بدون شك العواطف المنفعلة التي ليست سوى محاولة لملء ذلك الفراغ وتعويض ذلك الجفاف. كل ذلك - وهو ظاهر جليّ - في شعرنا الحديث لا يعدُّ شيئاً أمام ما يجتاح "قصائدنا" هذه الأيام من إشارات ورموز وأعداد لا ندري أيّ بركان فجرها ولا أيّ زلزال بعثها ؛ إن هي إلا رُقَع فوق رُقَع ، وقيود على سلاسل! يحاول "شعرنا الحديث"

أن يتحرر من قيود الشعر القديم ، ويحاول كذلك أن يجد لنفسه موضوعات جديدة تناسب عصره وتتفق وواقعه بعيداً عن الموضوعات المعتادة التي تناولها سلفه. لكنه مع الأسف لمّا يعرف كيف يتحرر من قيود الماضي ، فكَبَلَ نفسه من جديد ، ولمّا يعرف كيف ينطلق في عصره وواقعه ، فيعي مشكلات الإنسان وصعوباته في هذه الأيام ، فيعبّر عن معاناته الحقيقية فضاء بين الماضي والحاضر. كيف نبحت عن حرية في الشعر ، وشعورنا لمّا يزل مغلفاً بالأوهام؟! وكيف نبصر دورنا الحقيقي في المجتمعات الإنسانية المعاصرة ، ونحن حيناً نتغزل بالماضي ، وحيناً نفاخر بأخذ قشور الحاضر؟! هل نحن حقاً نريد شعراً حديثاً؟ أم أننا لا نعي ما نريد؟! يصعب عليّ حقاً وأنا أُجبر على إدراج مثل هذه المقارنة ، أن أوقع نفسي بين حدّين فلا أنتبه إلى خصوصية كل تجربة شعرية ، تبقى رغم كل شيء معاناة إنسانية حقيقية لأن للفرد في أعماقه صلة وثيقة وكليّة بالإنسانية جمعاء ؛ حتى إنه لا يستطيع هو نفسه مهما تجاهل تلك الصلة ومهما حاول أن ينفىها التهرب منها ورفضها تماماً. لكنني في الحقيقة أُجدي أمام حدث هو في جوهره تعبير جماعي عن إرادة الإبداع والحرية والتعبير المنطلق غير المحدود ، وهو الشعر الحديث. ويولمني في الوقت نفسه أن أرى هذه الإرادة الثائرة لا تعرف لنفسها طريقاً واعياً يقظاً ؛ فلا هي تصغي لصوتها الداخلي الكفيل بإرشادها إلى دربها الصاعدة ، ولا هي تبصر تجربتها في التجربة الإنسانية المتكاملة والواحدة ، فتجد عندها المنارة التي تنفذها من الضلال في محيط تلاطم موجّه واكفهرّ جوّه. إن ما يحدّد طريق التجربة الشعرية هو أولاً التناغم الذي يبدهه الشاعر بأسلوبه الخاص بين شعوره الداخلي الكامن فيه والإمكانية التعبيرية المتفتحة في أعماقه من جهة ، وبين الإطار الواسع الذي يمنحه المجتمع بكلّ تجاربه ومعاناته للنشاط الإنساني الفردي لكي يعبّر عن المعنى العميق للتجربة الإنسانية الداخلية من جهة أخرى ، ومن ثمّ السمو ثانياً بهذا التناغم – تناغم الداخل والخارج وطرق التعبير – ليصبح إفصاحاً عن الفعل الكليّ للشعور المشترك. وهكذا تصبح كلّ كلمة من كلمات الشاعر منبّهاً يوقظ الشعور الكامن في الآخرين. ولا أعالي إن قلت إن التجربة الشعرية الحقيقية تبدأ عند هذه النقطة تماماً وليس قبلها. لو شئت أن أوضح هذه النقطة أكثر مشدداً عليها لما أمكنني ذلك إلا بتناول بعض الأمثلة والشواهد من "شعرنا الحديث". لكنني مع الأسف لمّا أجد مطلبي في كل ما قرأت حتى الآن. ولست أعزو ذلك إلى طفولة شعرنا الحديث بالتأكيد ، بل إلى عدم ولادته بعد! ولكي أكون منصفاً ، فإنني أصرّ على أن بعض التجارب الواعدة مع القليل من الشعر الذي ينقل تجربة شعورية ، لا يُعدّان انطلاقة مبشّرة. ولنقل إن ما نراه اليوم ليس إلا مخاضاً صعباً لا نضمن أبداً أن يأتينا بمولود صحيح! هـ. وبهذه الخاتمة الجميلة نختم ديواننا: (عزة الخير) لنشير إلى أنه إن كان في العمر بقية كانت لنا مع الدواوين عودة في ديوان آخر جديد يحمل عنواناً جديداً وموضوعات جديدة! وإن توفانا الله على ذلك أكون قد أضفت للمكتبة الإسلامية ستة عشر ديواناً شعرياً كتبت جميعها على أوزان العرب وقوافيها إلا قصيدة (قراءة في أوراق الماضي) التي هي إحدى قصائد ديوان: (عزيز النفس) ، تلك التي تطلبتنا على شعر التفعيلة ضرورة التنوع في الكتابة على بحور الشعر العربي الخمسة عشر وبحر المبرّد الذي تدارك به على الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وأيضاً مقلوبات البحور وهي ثمانية ، وكان ذلك مرة واحدة في ديوان: (عزيز النفس) ولم تتكرر في غيره من الدواوين الأخرى! وعلى هذا فيكون ديوان: (عزيز النفس) قد كتب على كل بحور الشعر العربي أصيلها (16) ومولدها (8) وكذلك (شعر التفعيلة)! بينما كانت الدواوين الأخرى على بحور العرب الستة عشر!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي - عزة الخير

الصفحة	القافية	البحر	عنوان القصيدة	مسلسل
7	دء			الإه
9	مة	د	ق	الم
11	د	ي	ه	التم
13	ة		ت اح ي	الافت
15	لاف		وضوع الغ	م
17	وان		ذي	ه
19	صراعا	الكامل	الجود يرفع صاحبه (كاد وأخواتها)	1
20	أولادي	مجزوء الوافر	سلام الحبيب (أم عبد الله)	2
22	راغبها	البسيط	أمانة التكليف	3
25	الغناء	الكامل	ميلاد أمة بميلاد نبيها (معرضة ولد الهدى)	4
40	من كل قلبي	الخفيف	صدقة جارية	5
43	الدعاء	الوافر	وجاء دور الارتجال	6
46	مستاء	الكامل	وأين هو العيد؟	7
48	ويعتمل	البسيط	تهنئة سليمانية (زواج عبد الله)	8
66	قيمة	الرمل	رسالة إلى جاهلة حمقاء	9
68	دون علوم	الكامل	الخلق والعلم معاً	10
78	مقالي	الوافر	إلى من صرفهم المظهر عن الجوهر	11
81	أوج الهنا	المتقارب	أوشكت أن أبيع الإسلام بعشرة جنيهاات!	12
83	علموا	البسيط	نذالة وخسة	13
88	الرغابا	الوافر	من أجل زوجي	14
115	من الألف للياء	البسيط	(عزة الخير)	15
128	الجَمَل	الرمل	أنت أدري بما جرى	16
130	البُشْر	الوافر	الشعر قواعد وقضايا (حروف الجر)	17
131	بتوب	الخفيف	حجة مكتوبة	18
133	أو بطرا	المتدارك	الإحسان أسمى عبادة (أفعال تنصب مفعولين)	19
135	سألوا	البسيط	خاب ظني في الأميرة	20
144	الجمال	الخفيف	وجاء دور المشيب	21
146	البشْر	البسيط	حادي القلوب	22

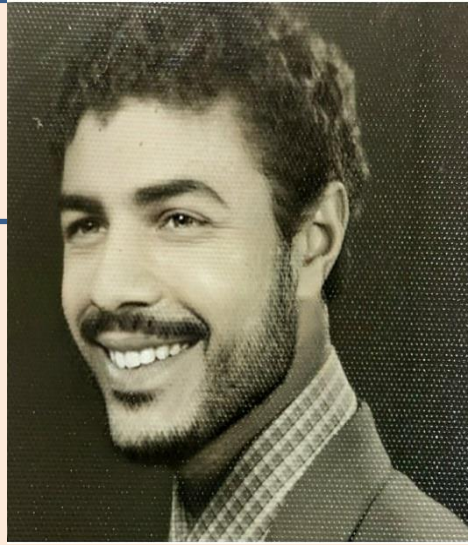
150	العجرا	البسيط	المال وسيلة لا غاية	23
153	البلا	الكامل	لتبلون في أموالكم وأنفسكم	24
157	النظر	المتقارب	سابقة غير معهودة	25
159	أصيда	الطويل	طبيب الغلابة	26
162	القاضية	المتقارب	ها قد عرفتنني! فمن أنت؟	27
164	المتجافي	الكامل	وكلكم مسنول عن رعيته	28
175	الإطلاق	الكامل	دعوها فإنها منتنة	29
182	والكدر	البسيط	إلا الذين آمنوا	30
184	فزت	مجزوء الوافر	زوجتي	31
186	يا بُنْيا	الوافر	لتكن طرفتك مائعة	32
189	الكتب	البسيط	مكتبة نور ماوى الأدباء والقراء	33
217	كلامي	الخفيف	القاضي الأمريكي الرحيم (فرانك كابريو)	34
222	يا ظاعنة	المتقارب	رسالة إلى داننة	35
226	المظلوما	الكامل	القاضي المصري الرحيم (هشام الشريف)	36
231	يشافي	الخفيف	عجبت للنذل	37
236	أشعاري	الكامل	الله يرحم مزنة!	38
242	ينهزم	البسيط	لا فض فوك يا دكتور بدر!	39
251	ليكافي	الكامل	لقاونا في المحكمة	40
256	ومقصود	البسيط	تلميذي البار شكراً!	41
260	التنزىلا	الكامل	سنسافر أنا والكتب!	42
265	وتندب	الطويل	رسالة إلى مدير مراهق	43
267	هات	الخفيف	أبو رقية (تميم عبد الله أحمد علي سليمان عبد الرحيم)	44
269	مجنوني	البسيط	سلطان المجنوني	45
281	تُنسَب	الطويل	رسالة إلى منشدٍ منافق	46
284	دريا	الوافر	رفيدة الأسلمية	47
287	مقرون	البسيط	تراني عندما أرى لحيتك	48
291	ة		ات م	خ
297	الموسيقي	والمسررد	هـ ر س ت الع عام	الف

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام ديوان عزة الخير!

تتوية هام

**حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر
باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية
(إدارة الإيداع القانوني)
16004 / 2006 في يوم 6 - 8 - 2006م
بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية
800 - 811**

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارع روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصاعدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصير: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعْضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - غادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبٌ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالعابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خالك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 - الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 - القاتل البطيء (التدخين)
- 3 - بين شوقي وحافظ!
- 4 - ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 - عمير بن وهب الجمحي - رضي الله عنه -.
- 6 - لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 - من أجل زوجي!
- 8 - هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 - فرانك كاريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 - يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 - رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 - ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 - إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 - أبو غياث المكي - رحمه الله -
- 16 - أتيناكم! أتيناكم!
- 17 - أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 - أستاذي قال لي! (عريف الكتاب - رحمه الله -)
- 19 - قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 - أسماء الله الحسنى
- 21 - الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 - التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 - موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 - (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 - أبجديات شعرية
- 26 - الشعر رحم بين أهله
- 27 - الله يرحم مزنه
- 28 - رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 - امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 - تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 - لا فض فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 - بردة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
- 33 - بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -
- 34 - بردة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
- 35 - بردة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
- 36 - بردة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
- 37 - بردة فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها -
- 38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقد التربية والتعليم)
- 39 - نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغير الحال أم الخال!؟
- 43 – تلميذي البار شكراً!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقيلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 – رسالة إلى داننة!
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفيده بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاؤنا في المحكمة
- 76 – لوعة الرحيل
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
 85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!
 3 – آمال وأحوال
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
 7 – تحية شعرية والرد عليها
 8 – رمضان شهر الخير والبركة
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
 11 – بيني وبينك!
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
 13 – دموع الرثاء وبيكاء الحُداء (1 & 2)
 14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
 15 – رسائل سليمانية شعرية
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
 17 – شرخ في جدار الحضارة
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)
 20 – عندما يُثمر العتاب
 21 – فمثله كمثل الكلب!
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
 23 – كل شعر صديق شاعره
 24 – مساجلات سليمانية عشمأوية
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
 28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد
 31 – الضاد بين عدو وصديق
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
 33 – الغربية دُرْبَة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 - اللغة العربية وصراع اللغات
37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
38 - المال والجمال والمآل
39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 - المعلم صانع الأجيال
41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 - اليثم غنم لا غرم
43 - أمومة وأمومة
44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 - بين الفتنة والفتنة!
48 - بين هندٍ وزيد!
49 - جيران وجيران!
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 - عزة الخير (أم عبد الله)
52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 - مدائح إلهية شعرية
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 - البردات الشعرية السليمانية
57 - عيون الدواوين السليمانية
58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 - من أزاهير الكتب
62 - من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 - من أناشيد الأفراح
64 - نحويات شعرية
65 - نساء صقلتهن العقيدة
66 - نساء لعب بهن الشيطان
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
- 77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
- 78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
- 79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
- 80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أحبته؟
- 81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
- 82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
- 83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
- 84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
- 85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
- 86 - نصيب طلابي من شعري
- 87 - حضارة البطنة لا الفطنة
- 88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
- 89 - لا ينبغي أن نخذع بلحن القول!
- 90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
- 91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
- 92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
- 93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
- 94 - وترجون من الله ما لا يرجون
- 95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
- 96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
- 97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
- 98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
- 99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
- 100 - لماذا؟
- 101 - (لا) كلمة لها وقتها!
- 102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
- 103 - أحرثت عمّن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
- 104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
- 105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
- 106 - أين؟!!
- 107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
- 108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
- 109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
- 110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
- 111 - أيومة إلى الأبد!
- 112 - شتان بين البر والعقوق
- 113 - الملك والأميرة!
- 114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
- 115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
- 116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
- 117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!

119 – عندما!

120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)

121 – القصيدة الزينية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!